كاتب حققت رواياته مرتبة الأكثر مبيعاً على قائمة نيويورك تايمز

ستيفن كينغ

STEPHEN KING

مكتبة

كوجو

CUJO

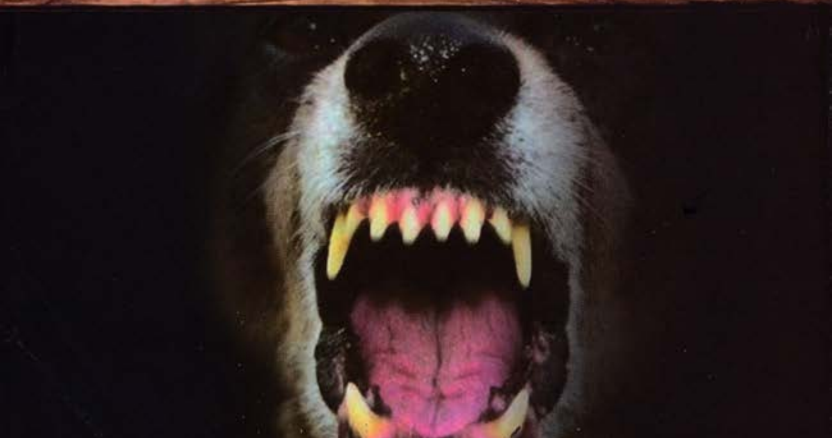

رواية

الدار العربية للعلوم ناشرون
Arab Scientific Publishers, Inc.

كوجو

CUJO

لن ننسى تشرين 23

لن ننسى غزة والشهداء

انضم لـ مكتبة .. امسح الكود

telegram @soramnqraa

كوجو

CUJO

مكتبة سُر مَن قرأ

ستيفن كينغ

STEPHEN KING

ترجمة

اوليغ عوكي

الدار العربية للعلوم ناشرون ش.م.ل
Arab Scientific Publishers, Inc. S.A.L

يتضمن هذا الكتاب ترجمة الأصل الإنكليزي
Cujo
حقوق الترجمة العربية مرخّص بها قانونياً من
The Lotts Agency, Ltd.
بمقتضى الاتفاق الخطي الموقع مع الدار العربية للعلوم ناشرون، ش.م.ل.
Copyright © 1981 by Stephen King
All Rights Reserved
Arabic Copyright © 2018 by Arab Scientific Publishers, Inc. S.A.L

الطبعة الأولى: آب/أغسطس 2018 م – 1439 هـ

ردمك 978-614-01-2500-1

جميع الحقوق محفوظة للناشر

الدار العربية للعلوم ناشرون ش.م.ل
Arab Scientific Publishers, Inc. SAL

عين التينة ، شارع المفتي توفيق خالد، بناية الريم
هاتف: 786233 - 785108 - 785107 (1-961+)
ص.ب: 13-5574 شوران – بيروت 2050-1102 – لبنان
فاكس: 786230 (1-961+) – البريد الإلكتروني: asp@asp.com.lb
الموقع على شبكة الانترنت: http://www.asp.com.lb

facebook.com/ASPArabic
twitter.com/ASPArabic
www.aspbooks.com
asparabic

مكتبة 17 12 23
t.me/soramnqraa

إن الآراء الواردة في هذا الكتاب لا تعبر بالضرورة عن رأي **الدار العربية للعلوم ناشرون** ش.م.ل

تصميم الغلاف: **علي القهوجي**
التنضيد وفرز الألوان: **أبجد غرافيكس**، بيروت – هاتف 785107 (1-961+)
الطباعة : **مطابع الدار العربية للعلوم**، بيروت – هاتف 786233 (1-961+)

مكتبة
t.me/soramnqraa

في يوم من الأيام، منذ وقت ليس ببعيد، أتى وحش إلى بلدة كاسل روك الصغيرة في ماين. قتَل نادلة تدعى ألما فريشيت في العام 1970؛ وامرأة تدعى بولين توثايكر وطالبة مدرسة ثانوية تدعى شيريل مُودي في العام 1971؛ وفتاة جميلة تدعى كارول دنبرجر في العام 1974؛ ومعلِّمة تدعى إيتا رينغولد في خريف 1975؛ وأخيراً، تلميذة تدعى ماري كايت هندراسن في أوائل شتاء نفس ذلك العام.

لم يكن مستذئباً، أو مصّاص دماء، أو غُولاً، أو مخلوقاً لا يمكن ذكر إسمه من الغابة الشريرة أو من القَفر المكسو بالثلوج؛ كان مجرد شرطي يدعى فرانك دودّ يعاني من مشاكل ذهنية وجنسية. وقد كشَف رجل طيب يدعى جون سميث إسمه بطريق الشعوذة، لكن قبل أن يمكن القبض عليه - وربما لحسن الحظ - قتَل فرانك دودّ نفسه.

كانت هناك بعض الصدمة، بالطبع، لكن في الأغلب كانت هناك بهجة في تلك البلدة الصغيرة، بهجة لأن الوحش الذي أقلق نوم الكثيرين مات أخيراً. ودُفنَت كوابيس البلدة في قبر فرانك دودّ.

لكن حتى في هذا العصر المستنير، الذي يُدرك فيه العديد من الآباء الضرر النفسي الذي قد يسبِّبونه لأولادهم، بالتأكيد كان هناك

أب ما في مكان ما في كاسل روك - أو ربما جَدّة ما - هدّأ الأولاد بإبلاغهم أن فرانك دودّ سيقبض عليهم إذا لم يحذروا، إذا لم يُحسنوا التصرّف. وبالتأكيد ساد صمتٌ بينما راح الأولاد ينظرون نحو نوافذهم الداكنة ويفكّرون بفرانك دودّ في معطفه الأسود اللامع الواقي من المطر، فرانك دودّ الذي خنَق... وخنَق... وخنَق.

إنه هناك في الخارج، يمكنني سماع الجَدّة تهمس بينما تصفر الرياح في أنبوب المدخنة وتَخِنّ حول غطاء الوعاء القديم المحشور في فجوة الموقد. *إنه هناك في الخارج، وإذا لم تُحسن التصرّف، فقد يكون وجهه الذي تراه عندما تنظر إلى نافذة غرفة نومك بعدما ينام جميع مَن في المنزل ما عداك؛ قد يكون وجهه المبتسم الذي تراه يختلس النظر إليك من الخزانة في منتصف الليل، ولافتة قف التي كان يرفعها عندما يساعد الأولاد الصغار على اجتياز الطريق في مجموعة واحدة، والشفرة التي استخدَمها ليقتل نفسه في... لذا اصمتوا يا أولاد... صه... صه.*

لكن بالنسبة لمعظم الناس، النهاية كانت النهاية. كانت هناك كوابيس بالتأكيد، وأولاد يبقون مستيقظين في أسرّتهم، ومنزل آل دودّ الفارغ (لأن أمه أصيبت بسكتة قلبية بعد ذلك بوقت قصير وماتت) الذي اكتسَب بسرعة سُمعة منزل مسكون وبدأ الجميع يتجنّبه؛ لكن تلك كانت ظواهر عابرة - ربما التأثيرات الجانبية التي لا يمكن تجنّبها لسلسلة جرائم قتل لا معنى لها.

لكن الوقت مرّ. خمس سنوات.

لقد زال الوحش، مات الوحش. فرانك دودّ تعفَّن داخل تابوته.

إلا أن الوحش لا يموت أبداً. المستذئب، مصّاص الدماء، الغُول،

المخلوق الذي لا يمكن ذكر اسمه من القَفر. الوحش لا يموت أبداً.

أتى إلى كاسل روك مرة أخرى في صيف 1980.

استيقظ تاد ترنتون، ذو السنوات الأربعة، بعد وقت قصير من منتصف الليل في مايو من تلك السنة، وهو يشعر بالحاجة لدخول الحمّام. نهض عن سريره وسار نصف نائم نحو الضوء الأبيض المتسلّل عبر الباب نصف المفتوح، وبدأ يُخفض سروال بيجامته من قبل. بقي يبوّل لفترة طويلة، ثم شدّ مقبض خزان المياه، وعاد إلى سريره. رفع الغطاء، وعندها رأى المخلوق في خزانته.

كان منبطحاً على الأرض، وكتفاه الضخمان فوق رأسه المائل، وعيناه كهرمانيتين لامعتين - شيء يمكنه أن يكون نصف رجل ونصف ذئب. راحت عيناه تلحقانه بينما استوى جالساً، وشَعَر بخدر في صَفَنه، ووقف شعره هلعاً، وتقّطعت أنفاسه وأصبحت أشبه بصفير في حنجرته: عينان مجنونتان تضحكان، عينان تتوعّدان بموت رهيب وبموسيقى صرخات لن تكون مسموعة؛ هناك شيء في الخزانة.

سمِع خرخرة زمجرته؛ وشمَّ أنفاس جيفته الحلوة.

غطى تاد ترنتون عينيه بيديه، وأحسَّ بأنفاسه تتوقف، وراح يصرخ.

تمتمة صياح في غرفة أخرى - أبوه.

صرخة خائفة "ما كان ذلك؟" من نفس الغرفة - أمه.

وقعْ أقدامهما، تركضان. عندما دخَلا، حدَّق بين أصابعه ورآه هناك في الخزانة، مزمجِراً، متوعّداً بشكل مُرعِب أنهما قد يأتيان، لكنهما سيذهبان بالتأكيد، وعندما يفعلان ذلك...

أُضيء الضوء. جاء ڤيك ودونا ترنتون إلى سريره، وتبادلا نظرة قلق فوق وجهه الشاحب وعينيه المحدّقتين، وقالت أمه - لا، زجرت، "لقد قلتُ لك أن ثلاث حبّات نقانق كثيرة عليه يا ڤيك!".

ثم كان أبوه على السرير، ويداه تحتضنانه من الخلف، ويسأله ما الأمر.

تجرّأ تاد على النظر إلى فم خزانته مرة أخرى.

لقد اختفى الوحش. فبدلاً من الوحش الجائع الذي كان قد رآه، كانت هناك كومتان غير مستقيمتين من البطانيات، أغطية شتوية للأسرّة لم تجد دونا الوقت لتُصعدها إلى الطابق الثالث. كانت تلك مكدَّسة على الكرسي الذي اعتاد تاد أن يقف عليه عندما يحتاج إلى شيء من رف الخزانة المرتفع. وبدلاً من الرأس المثلثي الأشعث، والمائل جانبياً في نوعٍ من إيماءة استجواب مفترسة، رأى دبدوبه على كومة البطانيات الأطول من الكومة الثانية. وبدلاً من العينين الكهرمانيتين المُهلِكتين، كانت هناك الكُرتان الزجاجيتان البنيتان الودودتان اللتان يراقب بهما تيدي عالمه.

"ما المشكلة يا تادر؟"، سأله أبوه مرة أخرى.

"هناك وحش!"، صاح تاد. "في خزانتي". وأجهش بالبكاء.

جلست أمه معه؛ وعانقاه من الجانبين، وهدّآه بأفضل ما في وسعهما. ثم تبِعت ذلك شعائر الوالدَين. فشرَحا له أنه لا وجود للوحوش؛ وأنه مجرد حلم مزعج. وشرحت له أمه كيف أن الظلال يمكن أن تشبه أحياناً الأشياء السيئة التي يراها على التلفزيون أو في القصص المصوَّرة، وأخبره أبوه أن كل شيء بخير، كل شيء رائع، وأن لا شيء في

منزلهم يمكنه أن يؤذيه. أومأ تاد برأسه ووافَق على أنه محق، رغم أنه شعرَ خلاف ذلك.

شرح له أبوه كيف أن كومتين غير مستقيمتين من البطانيات تبدوان في الظلمة مثل كتف محدَّبة، وكيف أن الدبدوب يبدو مثل رأس مائل، وكيف أن انعكاس ضوء الحمّام على عيني الدبدوب الزجاجيتين جعلتاهما تبدوان مثل عيني حيوان حي حقيقي.

"انظر الآن"، قال. "راقبني جيداً يا تادر".

راح تاد يراقبه.

أخذ أبوه كومتَي البطانيات ووضعهما في الجهة الخلفية البعيدة لخزانة تاد. استطاع تاد سماع شمّاعات الثياب تجلجل بلطف، وتتكلم عن أبيه بلغتها الخاصة المضحكة، وابتسم قليلاً. لمحت الأم ابتسامته وابتسمت بدورها، مرتاحةً.

خرج أبوه من الخزانة، حاملاً الدبدوب، ووضعه بين يدَي تاد.

"وأخيراً وليس آخراً"، قال أبوه بتباهٍ وانحناءةٍ جعلا تاد وأمه يقهقهان، "الكغسي".

أغلَق باب الخزانة بإحكام ثم حشرَ الباب بالكرسي. كان لا يزال يبتسم عندما عاد إلى سرير تاد، لكن عينيه جدّيتان.

"مسرور يا تاد؟".

"نعم"، قال تاد، ثم أجبر نفسه على قول، "لكنه كان هناك يا أبي. لقد رأيته. حقاً".

"*ذهنك* رأى شيئاً يا تاد"، قال أبوه، ومسدَّت يده الدافئة الكبيرة شعر تاد. "لكنك لم تر وحشاً في خزانتك، ليس وحشاً حقيقياً. لا

وجود للوحوش يا تاد. فقط في القصص، وفي ذهنك".

نقل نظره من أبيه إلى أمه ثم إلى أبيه مرة أخرى - بوجهيهما الكبيرين المحبَّين جداً.

"حقاً؟".

"حقاً"، قالت أمه. "أريدك الآن أن تنهض وتبوِّل، أيها الشجاع".

"لقد فعلتُ ذلك. هذا ما أيقظني".

"حسناً"، قالت، لأن الوالدَين لا يصدّقانك أبداً، "سايرني إذاً، ما رأيك؟".

لذا دخَل الحمّام، وراقبته يُنزل أربع قطرات فابتسمت وقالت، "أرأيت؟ كنت بحاجة إلى أن تبوِّل *حقاً*".

أومأ تاد برأسه، مستسلماً. ثم عاد إلى السرير. وتلقى القبلات.

بينما عاد أبوه وأمه إلى الباب، شعر بالخوف يستقرّ عليه مرة أخرى مثل معطف بارد مليء بالرذاذ. مثل كَفَن يعبق بالرائحة النتِنة لموت ميؤوس منه. *آه رجاءً*، فكّر في سرّه، لكن لم يكن هناك المزيد، مجرد هذا: *آه رجاءً آه رجاءً آه رجاءً*.

ربما شعر أبوه بما كان يفكّر فيه، لأن ڤيك عاد، واضعاً إحدى يديه على زر الضوء، وكرَّر: "لا وحوش يا تاد".

"لا يا أبي"، قال تاد، لأنّ عينَي أبيه بدت شاردتين في تلك اللحظة، كما لو أنهما بحاجة إلى إقناع. "لا وحوش". *ما عدا الوحش الجالس في خزانتي*.

انطفأ الضوء.

"تصبح على خير يا تاد". جاءه صوت أمه هادئاً لطيفاً، وصرَخ في ذهنه، *انتبهي يا أمي، إنهم يأكلون السيدات! في كل الأفلام يقبضون على السيدات ويحملوهن ويأكلوهن! آه رجاءً آه رجاءً آه رجاءً –*

لكنهما كانا قد اختفيا.

لذا بقي تاد ترنتون، ذو السنوات الأربعة، قابعاً في سريره، وكل عضلاته متشنّجة، والغطاء مرفوع حتى ذقنه، وإحدى يديه تضغط الدبدوب على صدره، وكان لوك سكاي ووكر على أحد الجدران؛ وسنجاب يقف على خلاّط على جدار آخر، مبتسماً بانشراح ("إذا أعطتك الحياة ليموناً، اصنع ليموناضة!"، هكذا كان السنجاب الممتلئ الخدّين والمبتسم يقول)؛ كما كان كل طاقم افتح يا سمسم على جدار ثالث: نعمان، أنيس، بدر، الضفدع كامل، قرقور. طواطم جيدة؛ عجائب جيدة. لكن الرياح في الخارج تصرخ فوق السطح وتنزلق على المزاريب السوداء! لن يعود إلى النوم هذه الليلة.

لكن التشنّج والتوتّر خفّا تدريجياً واسترخت عضلاته. وبدأ ذهنه ينجرف بعيداً...

ثم صراخ جديد، هذه المرة أقرب من رياح الليل التي في الخارج، أعاده إلى التحديق بكل يقظته مجدداً.

المِفصَلات على باب الخزانة.

صريرررررررر–

ذلك الصوت الرفيع والحاد لدرجة أن فقط الكلاب والأولاد الصغار المستيقظين في الليل يستطيعون سماعه على الأرجح. فُتح باب خزانته ببطء وثبات، فمٌ ميتٌ يُفتح على الظلمة سنتيمتراً تلو الآخر.

كان الوحش في تلك الظلمة. يربض حيث ربضَ سابقاً. ابتسم له، بكتفيه الضخمين فوق رأسه المائل، وعينيه المتوهَّجتين بلون كهرماني حيَّتين بمكر غبي. *لقد قلتُ لك إنهما سيغادران يا تاد*، همَس. *إنهما يغادران دائماً، في النهاية. ثم يمكنني أن أعود. أحبّ أن أعود. أنا معجب بك يا تاد. سأعود كل ليلة الآن، أعتقد، وسأقترب أكثر قليلاً من سريرك كل ليلة... وأكثر قليلاً... إلى أن تأتي ليلة، وقبل أن تتمكن من أن تصرخ لهما، ستسمع شيئاً يزمجر بجانبك يا تاد، سيكون ذلك أنا، وسأنقضّ عليك، ثم آكلك وستصبح داخلي.*

راح تاد يحدِّق في المخلوق الذي في خزانته بافتتان مخدَّر مذعور. كان هناك شيء... مألوف تقريباً. شيء يعرِفه تقريباً. وهذا كان أسوأ شيء، تلك المعرفة الوشيكة. لأن –

لأنني مجنون يا تاد. أنا هنا. أنا هنا منذ البداية. إسمي كان فرانك دودّ في أحد الأيام، وقَتلتُ السيدات وربما أكَلْتهن أيضاً. أنا هنا منذ البداية، أُبقي أذني على الأرض. أنا الوحش يا تاد، الوحش القديم، وسآكلك قريباً يا تاد. ستشعر بي أقترب منك أكثر... وأكثر...

ربما الشيء الذي في الخزانة كلَّمه بهسهسةٍ، أو ربما صوته كان صوت الرياح. هذا لا يهمّ في الحالتين. راح يستمع إلى كلماته، مخدَّراً من الرعب، على وشك أن يُغمى عليه (لكن آه كم كان مستيقظاً)؛ نظَرَ إلى وجهه المزمجِر المظلَّل، الذي كان يعرِفه تقريباً. لن يعود إلى النوم هذه الليلة؛ وربما لن ينام أبداً مرة أخرى.

لكن في وقت لاحق، ما بين الثانية عشرة والنصف والأولى بعد منتصف الليل، ربما لأنه كان صغيراً، سها تاد مرة أخرى. وغطَّ في نوم خفيف راحت مخلوقات ضخمة ذات فراء وأسنان بيضاء تطارده فيها

إلى نوم بلا أحلام.

أجرت الرياح محادثات طويلة مع المزاريب. وارتفعت قشرة قمر ربيعيّ أبيض في السماء. في مكان ما بعيد، في مرج ليلٍ ساكنٍ أو عند غابة تحدّها أشجار الصنوبر، نبَح كلبٌ بشراسة ثم صمتَ.

وفي خزانة تاد ترنتون، بقي شيءٌ ذو عينين كهرمانيتين يراقبه.

"هل أعدتَ البطانيات؟"، سألت دونا زوجها في الصباح التالي. كانت تقف عند الموقد، تطبخ بعض اللحم المقدَّد. وكان تاد في الغرفة الأخرى، يشاهد برنامجاً للأطفال على التلفزيون ويأكل وعاء توينكلز. كان التوينكلز صنفاً من الحبوب صنع شركة شارپ، وآل ترنتون يحصلون على كل حبوبهم ماركة شارپ مجاناً.

"ماذا؟"، سأل ڤيك. كان غارقاً في صفحات الرياضة. كان من السكان الذين غُرسوا في نيويورك، وقد قاوم بنجاح حتى الآن حمى ريد سوكس. لكنه شعرَ بسرور ماسوشي لرؤيته أن فريق المتز يحقّق أسوأ بداية ممكنة.

"البطانيات. في خزانة تاد. كانت قد عادت إلى هناك. والكرسي كان هناك أيضاً، والباب كان مفتوحاً من جديد". أحضَرت اللحم المقدَّد، وقد وضعته على منشفة ورق ولا يزال شديد الحرارة، إلى الطاولة. "هل أعدت وضعها على كرسيه؟".

"ليس أنا"، قال ڤيك وهو يقلب صفحةً. "تبدو الرائحة هناك كما لو أنه يُقام مؤتمرٌ لكُرات العث".

"هذا مضحك. لا بد أنه أعادها إلى هناك *بنفسه*".

وَضَع الصحيفة من يده ونظر إليها. "عما تتكلّمين يا دونا؟".

"هل تتذكَّر الحلم المزعج ليلة أمس؟".

"غير قابل للنسيان. اعتقَدتُ أنه يموت. أنه يتعرَّض لتشنّجات أو شيء من هذا القبيل".

أومأت برأسها. "اعتقَدَ أن البطانيات –"، وهزَّت كتفيها.

"بُعبُعٌ"، قال ڤيك مبتسماً.

"أظن ذلك. وقد أعطيتَه دبدوبه ووضعتَ تلك البطانيات في الجهة الخلفية للخزانة. لكنها عادت إلى الكرسي عندما ذهَبتُ لأرتّب له سريره". ضحِكت. "فنظَرتُ إلى الداخل، وظننتُ لمجرد ثانية –"

"*الآن* عرفتُ من أين ورث ذلك"، قال وهو يرفع الصحيفة من جديد. غمزها بطريقة ودودة. "ثلاث حبّات نقانق، بالله عليك".

لاحقاً، بعد أن غادر ڤيك إلى عمله، سألت دونا تاد مَن الذي أعاد الكرسي إلى الخزانة والبطانيات عليها بما أنها أخافته في الليل.

نظر إليها تاد، وبدا وجه الحيوي عادة شاحباً ويقظاً – عجوزاً جداً. كان كتاب تلوينه لفيلم *حرب النجوم* مفتوحاً أمامه، ويلوِّن صورةً لمقصف بين النجوم، مستخدماً قلمه الكرايولا الأخضر ليلوِّن غريدو.

"لم أفعل ذلك"، قال.

"لكن يا تاد، إذا لم تكن أنت مَن فعل ذلك، ووالدك لم يفعل ذلك، وأنا لم أفعل ذلك –"

"الوحش فعل ذلك"، قال تاد. "الوحش الموجود في خزانتي".

وانحنى إلى صورته مرة أخرى.

وَقَفت تنظر إليه، منزعجة، وخائفة قليلاً. كان فتى ذكياً، وربما خياله خصب كثيراً. لم يكن هذا الخبر جيداً جداً. عليها أن تتكلم مع ڤيك عن هذه المسألة الليلة. وعليها إجراء حديث طويل معه عنه.

"تاد، تذكَّر ما قاله أبوك"، أخبرته الآن. "الوحوش غير موجودة".

"ليس في النهار، على أي حال"، قال، وابتسم لها ابتسامةً عريضةً، ابتسامةً جميلةً جداً، أزالت عنها كل مخاوفها. فربَّتت على شعره وقبَّلت خده.

كانت تنوي أن تتكلم مع ڤيك، ثم أتى ستيف كيمب بينما كان تاد في روضة الأطفال، ونسيت، وقد صَرَخ تاد في تلك الليلة أيضاً، صَرَخ بأنه داخل خزانته، الوحش، الوحش!

كان باب الخزانة مفتوحاً جزئياً، والبطانيات على الكرسي. أخذها ڤيك إلى الطابق الثالث هذه المرة، وكدّسها في الخزانة هناك.

"أغلقتُ عليها يا تادر"، قال ڤيك وهو يقبِّل إبنه. "كل شيء جاهز الآن. عد إلى نومك واحلم حلماً سعيداً".

لكن تاد بقي مستيقظاً لفترة طويلة، وقبل أن ينام، انفصل باب الخزانة عن مزلاجه مع صوت صرير صغير، وفُتح الفم الميت على الظلمة الميتة – الظلمة الميتة حيث ينتظر شيءٌ مكسو بالفراء وذو أسنان ومخالب حادة، شيءٌ رائحته مثل رائحة الدم المتخمّر والموت المظلم.

مرحبا يا تاد، همَس له بصوته المتعفِّن، وراح القمر يحدِّق في نافذة تاد مثل العين البيضاء واللوزية لرجل ميت.

أكبر شخص معمِّر يعيش في كاسل روك في أواخر ذلك الربيع

كان إيفلين تشالمرز، المعروفة بالعمّة إيفيه بين عجائز البلدة، والمعروفة بـ "تلك الحقيرة الثرثارة الصاخبة" لدى جورج ميارا، الذي كان مضطراً إلى تسليمها بريدها – الذي يتألف في أغلبه من كتالوغات وعروض من مجلة ريدرز دايجست ونشرات أدعية – ويستمع إلى أحاديثها التي لا تنتهي. "الشيء الوحيد الذي تُجيده تلك الحقيرة الثرثارة الصاخبة هو التكهّن بأحوال الطقس"، هذا ما كان جورج يقرّ به أثناء تناوله الشراب مع أصدقائه المقرَّبين في مقصف الميلو تايغر. كان إسماً غبياً لمقصفٍ، لكن بما أنه الوحيد الذي تستطيع كاسل روك أن تتباهى به، كانوا ملزمين به إلى حد كبير.

كان هناك إجماع عام على رأي جورج. بصفتها أكبر شخص معمِّر مقيم في كاسل روك، حملت العمّة إيفيه عصا بوسطن بوست طوال السنتين الماضيتين، منذ أن سقط أرنولد هيبرت، الذي كان سنّه مئة وعاماً واحداً وأُصيب بالخرف وأصبح التكلم معه أشبه بالتكلم مع علبة طعام قطط فارغة، عن الفناء الخلفي لدار المسنّين كاسل آيكرز وكسر عنقه بعد مرور خمس وعشرين دقيقة بالضبط من تبويله في سرواله للمرة الأخيرة.

لم يكن من الممكن بأي شكل من الأشكال مقارنة خَرَف العمّة إيفيه بخَرَف آرني هيبرت، ولا حتى بمقدار تقدّمها في السنّ، لكنها كانت عجوزاً كفايةً في الثالثة والتسعين، ورغم ولعها الكبير بالصياح في وجه جورج ميارا المستسلم (والثمل في أغلب الأحيان) عندما يسلِّمها البريد، لم تكن غبية كفاية لتخسر منزلها مثلما فعل هيبرت.

لكنها كانت بارعة في التكهّن بأحوال الطقس. ويؤكِّد إجماع البلدة – بين العجائز الذين يهتمّون بهكذا أمور – بأن العمّة إيفيه لم

تكن مخطئة أبداً في ثلاثة أشياء: الأسبوع الذي سيحصل فيه أول قصّ للقش في الصيف، ومدى جودة (أو مدى سوء) الأويسة في ذلك الموسم، وكيف ستكون أحوال الطقس.

في وقت مُبكر من أحد أيام يونيو ذاك، خرجتْ إلى صندوق البريد في نهاية ممر بيتها، وهي تستند بقوة على عصا بوسطن بوست (الذي سيؤول إلى ڤين مارشانت عندما تُتوفّى الحقيرة الثرثارة الصاخبة، فكَّر جورج ميارا، وإلى غير عودة، يا إيفيه) وتدخِّن سيجارة هربرت تاريتون. صاحت تحيةً لميارا – يبدو أن صممها أقنعها أن جميع مَن في العالم أصبحوا صُمّاً أيضاً تعاطفاً معها – ثم صرخت أنهم سيشهدون أكثر صيف حار منذ ثلاثين سنة. حار في بدايته وحار في نهايته، صاحت إيفيه بكل قوتها في هدوء الساعة الحادية عشرة النعِس، وحار في وسطه.

مكتبة
t.me/soramnqraa

"حقاً؟"، سأل جورج.

"ماذا؟".

"قلتُ، 'حقاً؟'". هذا كان الشيء الآخر لدى العمّة إيفيه؛ تجعلك تصرخ معها فوراً. بإمكان المرء أن يفجّر أحد أوعيته الدموية.

"سأقبّل بقرةً إن كنتُ مخطئة!"، صَرَخت العمّة إيفيه. وسقط رماد سيجارتها على كتف زيّ جورج ميارا الرسمي المنظَّف حديثاً والذي ارتداه نظيفاً هذا الصباح؛ فنفضه عنه مستسلماً. اتكأت العمّة إيفيه على نافذة سيارته، لكي تصيح في أذنه. كانت رائحة أنفاسها مثل رائحة خيار متعفّن.

"كل فئران الحقل خرجت من المخازن الأرضية! رأى تومي نودو

غزالاً قرب بركة مُوسانتك يفرك مخملاً عن قرونه قبل ظهور أول عصفور أبو الحناء! عشب تحت الثلج عندما يذوب! عشب أخضر يا ميارا!" .

"حقاً يا إيفيه؟"، ردَّ جورج بما أنه شعر أن عليه تقديم أي رد. كان بدأ يُصاب بصُداع.

" ماذا؟" .

" حقاً يا عمّة إيفيه؟" ، صَرَخ جورج ميارا. وتطاير لعابٌ من شفتيه.

"آه، أجل!" ، عَوَت له العمّة إيفيه برضى. *"ورأيتُ برق الحّر في وقت متأخر من ليلة أمس! نذير شؤم يا ميارا! الحر الباكر نذير شؤم! سيموت بعض الأشخاص من الحّر هذا الصيف! سيكون صيفاً سيئاً!"* .

"عليَّ أن أذهب يا عمّة إيفيه!" ، صاح جورج. *"لديَّ تسليم خاص لسترينغر بوليو!"* .

رمت العمّة إيفيه تشالمرز رأسها إلى الخلف وقوقأت لسماء الربيع. قوقأت إلى أن أوشكت على الاختناق وتساقط المزيد من رماد السيجارة على الجهة الأمامية لملابسها. بصَقت بقايا السيجارة من فمها، وسقطت ملتهبةً في الممر الخاص بجانب أحد أحذيتها القديمة – حذاء أسود كالموقد ومشدود كمشدّ الخصر؛ حذاء على مر العصور.

"لديك تسليم خاص لبوليو الفرنسي؟ لماذا، لم يتمكن من قراءة الإسم على شاهد قبره!" .

"عليَّ أن أذهب يا عمّة إيفيه!" ، قال جورج بنفاد صبر، وأقلع بالسيارة.

"بوليو الفرنسي مغفَّل بالفطرة!" ، صاحت العمّة إيفيه، لكنها كانت تصيح لغبار جورج ميارا؛ فقد نفذ بريشه.

بقيت تقف هناك قرب صندوق بريدها لدقيقة، تراقبه يبتعد. لم يكن هناك بريد شخصي لها؛ لقد أصبحت هكذا أشياء نادرة هذه الأيام. فمعظم معارفها القادرين على الكتابة أصبحوا موتى الآن. وأحسّت أنها ستتبعهم قريباً. كان الصيف الوشيك يولّد شعوراً سيئاً لديها، شعوراً مخيفاً. يمكنها أن تتكلم عن مغادرة الفئران للمخازن الأرضية باكراً، أو عن برق الحرّ في سماء الربيع، لكن لا يمكنها أن تتكلم عن الحر الذي شَعَرَت به في مكان ما فوق الأفق، رابضاً مثل وحش هزيل لكن قوي وله فرو أجرب وعينان حمراوان ملتهبتان؛ لا يمكنها التكلم عن أحلامها، الحارة والخالية من الظلال والعطشى؛ لا يمكنها التكلم عن الصباح الذي ذرفت فيه دموعاً بلا أي سبب، دموع لم تُرِح عينيها بل لسعتهما مثل عرق أغسطس المجنون. شمَّت رائحة جنون في الرياح التي لم تصل بعد.

"جورج ميارا، أيها الحقير اللعين"، قالت العمّة إيفيه ناطقةً الكلمة بنبرة ماين المميزة التي أعطتها طابعاً كارثياً وسخيفاً: *اللعيييين*.

بدأت تعود إلى منزلها، متكئةً على عصا بوسطن بوست، التي أُعطيت لها في احتفال أُقيم في دار البلدية لمجرد أنها حققت إنجازاً غبياً بأن نجحت في أن تكبر في السنّ. لا عجب، فكّرت في سرّها، أن تلك الصحيفة اللعينة أفلست.

توقفت عند منصة البيت، ونظرت إلى سماء لا تزال ربيعية نقية وناعمة كالباستل. آه، لكنها شَعَرَت بقدومه. شيء حار. شيء كريه.

قبل سنة من ذلك الصيف، عندما ظهر صوت طقطقة مُحزِن في مكان داخل العجلة الخلفية اليسرى لسيارة ڤيك ترنتون الجاغوار

القديمة، كان جورج ميارا مَن نصحه بأن يأخذها إلى مرأب جو كامبر في ضواحي كاسل روك. "لديه طريقة مضحكة في إنجاز الأمور هنا"، قال له جورج في ذلك اليوم بينما كان ڤيك واقفاً بجانب صندوق بريده. "يُخبرك كم ستكلّف عملية التصليح، ثم ينفّذها لك، ثم يتقاضى منك القيمة التي قالها لك. طريقة مضحكة في العمل، أليس كذلك؟". وابتعد، تاركاً ڤيك يتساءل إن كان ساعي البريد جدياً أو أنه (ڤيك) مجرد الطرف المتلقي لنكتةٍ غريبةٍ.

لكنه اتصل بكامبر، وفي أحد أيام يوليو (يوليو منعش أكثر بكثير من الذي سيأتي بعد سنة)، قاد السيارة مع دونا وتاد إلى مرأب كامبر. كان بعيداً حقاً؛ فقد اضطر ڤيك أن يتوقف مرتين ليسأل عن الاتجاهات، وبدءاً من تلك اللحظة بدأ يسمّي تلك الأماكن الواقعة على أطراف البلدة "ناصية الجراميق الشرقية".

ركنَ في فناء كامبر، وعلا صوت طقطقة العجلة الخلفية بشكل صاخب أكثر من أي وقت مضى. كان تاد، الذي كان وقتها في الثالثة من عمره، يجلس على حُضن دونا ترنتون، ويضحك لها؛ فالنزهة في سيارة أبيه تحسِّن له مزاجه دائماً، وكان مزاج دونا جيداً أيضاً.

كان هناك فتى في الثامنة أو التاسعة من عمره يقف في الفناء، يضرب كُرة بيسبول قديمة بمضرب بيسبول أقدم حتى. فتطير الكُرة في الهواء وترتطم بحائط الحظيرة، التي افترَض ڤيك أنها مرأب السيد كامبر أيضاً، ثم تعود إليه متدحرجة معظم المسافة.

"مرحباً"، قال الفتى". هل أنت السيد ترنتون؟".

"هذا صحيح"، قال ڤيك.

"سأنادي أبي"، قال الفتى، ودخل الحظيرة.

نزل آل ترنتون الثلاثة، وسار ڤيك إلى مؤخرة سيارته الجاغوار وقرفص قرب العجلة المعطوبة، ولم يكن واثقاً جداً. ربما كان عليه أن يحاول إصلاح السيارة في بورتلاند في النهاية. الحالة هنا لا تبدو واعدة كثيراً؛ حتى إن كامبر لا يعلّق لافتة لمرأبه.

قطعت دونا عليه تأمُّلاته مناديةً إسمه بعصبية. ثم: "يا إلهي يا ڤيك –"

نهض بسرعة ورأى كلباً ضخماً يخرج من الحظيرة. تساءل لبرهة إن كان كلباً حقاً، أو جنساً غريباً وبشعاً من الأحصنة القزمة. ثم عند خروج الكلب من ظلال مدخل الحظيرة، رأى عينيه الحزينتين وأدرك أنه من فصيلة السانت برنارد.

حملت دونا تاد غريزياً وتراجعت نحو غطاء الجاغوار، لكن تاد كان يكافح بين يدَيها، محاولاً النزول.

"أريد رؤية الكلب يا ماما... أريد رؤية *الكلب!*".

ألقت دونا نظرة عصبية نحو ڤيك، الذي هزّ كتفيه، متوتراً أيضاً. ثم عاد الفتى وشعَّث رأس الكلب أثناء اقترابه من ڤيك. هزَّ الكلب ذيلاً ضخماً جداً، وضاعفَ تاد كفاحه.

"يمكنك إنزاله يا سيدتي"، قال الفتى بتهذيب. "كوجو يحبّ الأولاد، ولن يؤذيه". ثم قال لڤيك: "أبي قادم حالاً. إنه يغسل يديه".

"حسناً"، قال ڤيك. "هذا كلب ضخم جداً يا بُني. هل أنت متأكد أنه آمن؟".

"إنه آمن"، أقرَّ الفتى، لكن ڤيك وجَد نفسه يقترب من زوجته

بينما تهادى ابنه، الصغير بشكل لا يُصدَّق، نحو الكلب. وَقَف كوجو مُميلاً رأسه، وملوِّحاً ذيله الكبير ببطء ذهاباً وإياباً.

"ڤيك -"، بدأت دونا تقول.

"كل شيء على ما يرام"، قال ڤيك، آملاً في سرّه أن يكون محقاً. بدا الكلب كبيراً كفاية ليبتلع تادر في عضّة واحدة.

توقف تاد للحظة، وبدا مرتاباً. ثم راح والكلب ينظران إلى بعضهما البعض.

"أيها الكلب؟"، قال تاد.

"كوجو"، قال إبن كامبر وهو يسير نحو تاد. "يدعى كوجو".

"كوجو"، قال تاد، وأتى إليه الكلب وبدأ يلعق وجهه بشكل لطيف مليء باللعاب جعل تاد يقهقه ويحاول صدّه. عاد إلى أمه وأبيه، وهو يضحك مثلما يفعل عندما يدغدغه أحدٌ. خطا خطوة نحوهما وتعثّرت قدماه ببعضهما فسقَط. فجأة بدأ الكلب يسير نحوه، وأصبح فوقه، وشَعَر ڤيك، الذي كان يضع ذراعه حول خصر دونا، بلهاث زوجته وسِمِعه أيضاً. بدأ يسير إلى الأمام... ثم توقف.

كانت أسنان كوجو قد أطبقت على الجهة الخلفية لقميص تاد التائي. رفع الفتى عن الأرض - بدا تاد للحظة مثل قطة صغيرة في فم أمه - وأوقفه على قدميه.

رَكَض تاد عائداً إلى أمه وأبيه. "أحبّ الكلب! ماما! بابا! أحبّ الكلب!".

كان إبن كامبر يراقب هذا بسرور طفيف، حاشراً يديه في جيبَي سرواله الجينز.

"بالتأكيد، فهو كلب رائع"، قال ڤيك. كان مسروراً، لكن قلبه لا يزال يخفق بسرعة. فللحظة، ظنَّ حقاً أن الكلب سيقضم رأس تاد كما لو أنه مصّاصة. "إنه من فصيلة السانت برنارد يا تاد"، قال.

"سانت... بينارت!"، صاح تاد وركَض عائداً نحو كوجو، الذي كان يجلس الآن خارج مدخل الحظيرة مثل جبل صغير. "كوجو! *كوووجو!*".

توتَّرت دونا بجانب ڤيك مرة أخرى. "آه يا ڤيك، هل تظن –"

لكن تاد كان قد أصبح مع كوجو مرة أخرى، فعانقه بقوة أولاً ثم نظَرَ إلى وجهه عن كثب. مع جلوس كوجو (وذيله يدّوي على الحصى، ولسانه يتدلى من فمه بلون زهري)، بالكاد كان تاد قادراً على النظر إلى عيني الكلب واقفاً على رؤوس أصابعه.

"أظن أن الأمور بخير"، قال ڤيك.

وضعَ تاد إحدى يديه الصغيرتين في فم كوجو وراح يحدِّق كما لو أنه أصغر طبيب أسنان في العالم. هذا جعل ڤيك يتوتّر مرة أخرى، لكن تاد عاد وركَض نحوهما من جديد. "للكلب أسنان"، قال لڤيك.

"نعم"، قال ڤيك. "الكثير من الأسنان".

استدار إلى الفتى لكي يسأله كيف اختار ذلك الإسم. لكن جو كامبر خرَجَ من الحظيرة، وهو يمسح يديه بخرقة بالية لكي يتمكن من مصافحة ڤيك من دون أي يوسّخ له يدِه.

كانت مفاجأة سارّة لڤيك أن يجد أن كامبر يعرِف ما الذي يفعله بالضبط. استمَع بعناية إلى صوت الطقطقة بينما أخذه ڤيك في السيارة نحو المنزل الواقع في أسفل التلة ثم عادا إلى مرأب كامبر.

"سناد العجلة تالف"، قال كامبر بإيجاز. "أنت محظوظ أنه لم يتوقف عن العمل من قبل".

"هل يمكنك إصلاحه؟"، سأل ڤيك.

"آه، أجل. يمكنني إصلاحه الآن إذا كنت لا تمانع من الانتظار هنا لساعتين".

"بالتأكيد، أظن"، قال ڤيك. ونظرَ نحو تاد والكلب. كان تاد يحمل كُرة البيسبول التي كان إبن كامبر يضربها. فيرميها إلى أبعد ما يمكنه (ولم يكن ذلك بعيداً جداً)، ويُحضرها كلب كامبر إلى تاد بكل طاعة. بدأت الكُرة تبدو مليئة باللعاب. "كلبك يسلّي إبني".

"كوجو يحبّ الأولاد"، أقرَّ كامبر. "هل تريد أن تقود سيارتك إلى الحظيرة سيد ترنتون؟".

سيراك الطبيب الآن، فكّر ڤيك في سرّه، مستمتعاً، وقاد الجاغوار إلى الداخل. استغرقت عملية الإصلاح في النهاية ساعة ونصف فقط وكان أجر كامبر معقولاً لدرجة أنه يُجفِل قليلاً.

بقي تاد يركض طوال بعد الظهر البارد والغائم، ينادي إسم الكلب مراراً وتكراراً: "كوجو... كوووجو... تعال، كوجو...". قبل أن يغادروا بقليل، رفعَ إبن كامبر، الذي يدعى بْرَتّ، تاد إلى ظهر كوجو وأمسكه بخصره بينما راح كوجو يسير بطاعة على حصى الفناء مرتين. أثناء مروره بجانب ڤيك، التقت عينا الكلب بعينَي ڤيك... وكان ڤيك ليُقسم أنه كان يضحك.

بعد ثلاثة أيام فقط من محادثة جورج ميارا الصاخبة مع العمّة

إيفيه تشالمرز، نهضت فتاة صغيرة كانت في نفس سنّ تاد ترنتون عن مكانها إلى طاولة الفطور - طاولة الفطور المذكورة آنفاً والموجودة في زاوية الفطور في منزل صغير مرتّب في أيوا سيتي، ولاية أيوا - وأعلنت: "آه يا ماما، لا أشعر أنني بخير. أشعر كما لو أنني سأمرض".

نظرت أمها حولها، غير متفاجئة كلياً. فقبل يومين، أُعيد الأخ الأكبر لمارسي من المدرسة وهو يعاني من التهاب حاد في المعدة. أصبح بروك بخير الآن، لكنه أمضى أربع وعشرين ساعة صعبة، وجسمه يفرّغ نفسه بحماسة من الطرفين.

"هل أنت متأكدة يا عزيزتي؟"، قالت والدة مارسي.

"آه، أنا -"، وراحت مارسي تئنّ بصوتٍ عالٍ وتطوّحت نحو قاعة الطابق السفلي، واضعةً يديها على معدتها. لحقتها أمها، ورأتها تنحني في الحمّام، وفكّرت في سرّها، *آه، ها قد عدنا من جديد. ستكون أعجوبة ألا ألتقط هذه العدوى.*

سمعت أصوات التقيؤ تبدأ، وتوجّهت إلى الحمّام وذهنها مشغول بالتفاصيل: سوائل شفافة، راحة في السرير، مبْوَلة، بعض الكتب؛ يستطيع بروك إصعاد التلفزيون المحمول إلى غرفتها عندما يعود من المدرسة و-

نظرت، ودُفعَت تلك الأفكار من ذهنها بقوة كبيرة.

كان المرحاض الذي تقيأت فيه إبنتها ذات السنوات الأربعة مليئاً بالدم؛ وقد غطى الدم الطرف الخزفي الأبيض للمرحاض؛ ولطّخ الأرض.

"آه يا ماما، لا أشعر بخير -"

استدارت إبنتها، استدارت إبنتها، استدارت، وكان هناك دم في كل فمها، على ذقنها، وعلى فستانها الأزرق، الدم، آه يا إلهي من كمية الدم الكبيرة.

"ماما –"

وكرَّرت إبنتها ذلك مرة أخرى. تطايرت فوضى دموية ضخمة من فمها إلى كل مكان مثل مطر شرير، ثم حملتها أمها وركَضت بها، ركَضت إلى الهاتف في المطبخ لتتصل بوحدة الطوارئ.

كان كوجو يعرِف أنه كبير في السنّ ليطارد الأرانب.

لم يكن *كبيراً في السنّ*؛ لا، ليس حتى بالنسبة لكلب. لكن في سنّ الخامسة، كان قد تخطى سنّ الطفولة بكثير، التي كانت حتى فراشة صغيرة كافية لكي تدفعه إلى مطاردتها في الغابات والمروج خلف المنزل والحظيرة. كان في الخامسة من عمره، ولو كان بشرياً، لكان سيدخل أصغر مرحلة من منتصف العمر.

لكن التاريخ كان السادس عشر من يونيو، والصباح الباكر جميل، والندى لا يزال على العشب. الحرّ الذي توقَّعته العمّة إيفيه لجورج ميارا وصل بالفعل – كانت بداية يونيو الأكثر حراً منذ سنوات – وعند الساعة الثانية بعد ظهر ذلك اليوم، سيكون كوجو جالساً في الفناء المليء بالغبار (أو في الحظيرة، إذا سمح له الفتى، وهو يفعل ذلك أحياناً عندما يشرب، وكان يفعل ذلك كثيراً هذه الأيام)، يلهث تحت الشمس الحارقة. لكن ذلك كان لاحقاً.

والأرنب، الذي كان كبيراً وبنياً وبديناً، لم تكن لديه أدنى فكرة أن كوجو هناك، بالقرب من طرف الحقل الشمالي، على بُعد كيلومتر من

المنزل. كانت الرياح تهبّ في الاتجاه الخطأ للأرنب.

مشى كوجو نحو الأرنب، بدافع الرياضة وليس الطعام. كان الأرنب يمضغ بسعادة البرسيم الجديد الذي سيصبح محمَّصاً وبنياً تحت الشمس القاسية بعد شهر. لو كان كوجو قد غطّى فقط نصف المسافة الأصلية بينه وبين الأرنب عندما رآه الأرنب ولاذ بالفرار، لكان تركه يذهب. لكنه وصل في الواقع إلى حوالي خمسة عشر متراً منه عندما ارتفع رأس الأرنب وأذناه. للحظة لم يتحرّك الأرنب أبداً؛ كان أشبه بمنحوتة أرنب مجمَّدة ذات عينين سوداوين جاحظتين بشكل مضحك. ثم حصل الأمر.

طارَده كوجو وهو ينبح بشراسة. كان الأرنب صغيراً جداً وكوجو كبيراً جداً، لكن *احتمالية* الشيء وضعت مقداراً إضافياً من الطاقة في قوائم كوجو. حصل على جرعة كافية منها في الواقع ليضرب الأرنب بمخالبه. انعطف الأرنب بحدّة. ولحقه كوجو بكل ثقل وزنه، ومخالبه تحفر في تربة المرج السوداء، متقهقراً في البدء، ومعوِّضاً عن ذلك بسرعة. حلّقت العصافير هاربةً من نباحه الثقيل المتقطِّع؛ لو كان ممكناً أن تبتسم الكلاب، لأمكن القول إن كوجو كان يبتسم وقتها. انعطف الأرنب مرة أخرى، ثم راح يركض بشكل مستقيم في الحقل الشمالي. جرى كوجو خلفه، وبدأ يساوره الشك أن هذا سباقاً لن يفوز فيه.

لكنه بذَل جهداً إضافياً، وبدأ يقترب من الأرنب مرة أخرى عندما نزل في حفرة صغيرة عند طرف تلة صغيرة وسهلة. كانت الحفرة مكسوة بأعشاب طويلة، ولم يتردد كوجو. فأخفَض جسمه الضخم على شكل مقذوفة مكسوة بالفراء وترك اندفاعه إلى الأمام يُدخله فيها... حيث علق فيها بحزم مثل فلينة في زجاجة.

امتلك جو كامبر مزرعة سيفين أوكس الواقعة عند نهاية طريق البلدة رقم 3 منذ سبع عشرة سنة، لكن لم تكن لديه أي فكرة عن وجود هذه الحفرة هنا. كان ليكتشفها بالتأكيد لو كانت الزراعة مهنته، لكنها لم تكن كذلك. لم تكن هناك ماشية في الحظيرة الحمراء الكبيرة؛ بل كانت مرأبه وورشته لإصلاح السيارات. وقد تنزّه إبنه بْرَتّ في الحقول والغابات خلف المنزل كثيراً، لكنه لم يلحظ الحفرة أبداً، رغم أنه أوشك على وضع قدمه فيها في مرات عديدة، وكان ذلك سيسبّب له كسراً في كاحله. في الأيام الصافية، يمكن للحفرة أن تبدو كظلٍ؛ وفي الأيام الغائمة، تختفي كلياً بما أنها مكسوة بالعشب.

كان جون موسام، المالك السابق للمزرعة، يعرف بأمر الحفرة لكن لم يخطر على باله أبداً أن يذكرها لجو كامبر عندما اشترى منه جو المزرعة في العام 1963. ربما يكون قد ذكرها، على سبيل التحذير، عندما رُزق جو وزوجته، تشاريتي، بإبنهما في العام 1970، لكن السرطان وقتها كان قد خطف جون العجوز.

لحسن الحظ أن بْرَتّ لم يعثر عليها أبداً. فلا شيء في العالم مثير للاهتمام أكثر بالنسبة لفتى صغير من حفرة في الأرض، وهذه الحفرة تقود إلى كهف طبيعي صغير من الأحجار الكلسية يصل عمقه إلى حوالي ستة أمتار، ومن الممكن جداً لفتى شقي صغير أن يشقّ طريقه إلى الداخل، وينزلق إلى القعر، ثم يجد أنه من المستحيل عليه الخروج. حصَل ذلك لحيوانات صغيرة أخرى في الماضي. فالسطح الكلسي للكهف يوفِّر انزلاقاً جيداً، لكنه يشكِّل تسلّقاً سيئاً، والقعر مليء بالعظام: مرموط، ظربان، بعض السناجب، وقط منزلي. كان القط المنزلي يدعى السيد نظيف، وقد أضاعه آل كامبر منذ سنتين قبل أن

يفترضوا أن سيارة صدمته أو أنه فرّ بكل بساطة. لكنه هنا، إلى جانب عظام فأر حقل كبير نوعاً ما طارَده إلى الداخل.

تدحرَج أرنب كوجو وانزلق إلى القعر وراح يرتجف هناك بأذنيه المتأهبتين وأنفه الذي يهتزّ مثل شوكة رنّانة، بينما ملأ نباح كوجو الغاضب المكان. الصدى جعل الصوت يبدو كما لو أن هناك قطيعاً كاملاً من الكلاب في الأعلى.

الكهف الصغير يجذب بعض الوطاويط من وقت لآخر أيضاً – قلّة منها، لأن الكهف صغير، لكن سقفه الخشن يشكّل مكاناً مثالياً لها لكي تجثم رأساً على عقب وتغفو خلال النهار. كانت الوطاويط سبباً وجيهاً آخر لاعتبار بْرَتّ كامبر محظوظاً، خاصة هذه السنة. فالوطاويط البنية آكلة الحشرات الساكنة في الكهف الصغير هذه السنة كانت مصابة بنوع خبيث جداً من داء الكَلَب.

علق كوجو عند كتفيه. فراح يحفر بشراسة بقائمتيه الخلفيتين بلا جدوى أبداً. كان بإمكانه التراجع وإخراج نفسه، لكنه كان لا يزال يريد الأرنب. شَعَرَ أنه عالق في فخ، ومن السهل الإمساك به. لم تكن عيناه ثاقبتين جداً، وجسمه الكبير حجَب معظم الضوء على أي حال، ولم تكن لديه أي فكرة عن الهوّة الموجودة أمام كفّيه. يمكنه أن يشمّ رائحة الرطوبة، ويمكنه أن يشمّ رائحة براز وطاويط، حديثة وقديمة على حد سواء... لكن الأهم هو أنه يمكنه أن يشمّ رائحة الأرنب. حار ولذيذ المذاق. العشاء جاهز.

نباحه أيقظ الوطاويط. كانت مرتعبة. هناك شيء غزا منزلها. طارت بالجُملة نحو المخرَج وهي تزعق. لكن سونارها أظهرَ لها حقيقة محيِّرة ومُحزِنة: لم يعد المدخل موجوداً. المفترس يقف حيث كان المدخل.

راحت تدور وتدور في الظلمة، وأجنحتها الغشائية تبدو مثل قِطع صغيرة من حفاضات الأطفال، ربما - ترفرف على حبلٍ في رياح عاصِفة. وتحتها، بقي الأرنب يرتعد خوفاً ويأمل بالخير.

شعَر كوجو بعدد من الوطاويط ترفرف أمام ثُلثه الذي تمكَّن من دخول الحفرة، وشعَر بالخوف. لم تُعجبه رائحتها أو صوتها؛ لم يُعجبه الحرّ الغريب الذي بدا منبعثاً منها. نبَح بصوتٍ صاخبٍ أكثر وعضَّ الأشياء التي كانت تحوم حول رأسه. أطبَق فكّه على جناحٍ بني أسود. وسُحقَت عظامٌ أرفع من عظام يد طفل. انقضّ الوطواط عليه وعضّه، مسبِّباً له جرحاً على خطمه الحسّاس يشبه علامة استفهام. بعد لحظة سقط الوطواط متشقلباً على المنحدر الكلسي وهو يُحتضَر. لكن الضرر كان قد حصل؛ فعضّةٌ من حيوان مسعور خطِرة أكثر حول الرأس، لأن داء الكَلَب مرضٌ يصيب الجهاز العصبي المركزي. والكلاب، الأكثر تأثراً بأسيادها البشريين، لا يمكنها حتى أن تأمل الحصول على الحماية الكاملة التي يوفّرها لقاح الفيروس غير المنشّط الذي يحقنها به كل طبيب بيطري. وكوجو لم يحصل في حياته كلها على حقنة واحدة ضد داء الكَلَب.

لم يكن يعرف هذا، لكنه يعرف أن طعم الشيء الخفي الذي عضّه كان كريهاً ورهيباً، وقرَّر كوجو أن النتيجة لا تستحق كل ذلك العناء. بشدّ كبير من كتفيه، أخرج نفسه من الحفرة، مسبّباً انهياراً صغيراً للتربة. نفضَ نفسه، وتساقط المزيد من التربة وفتات الحجر الكلسي الكريه الرائحة عن فروه. وراح الدم يسيل من خطمه. جلَس أرضاً، مميلاً رأسه نحو السماء، وأطلق عواءً منخفضاً واحداً.

خرَجت الوطاويط من حفرتها في سحابة بنية صغيرة، وبقيت تدور

بارتباك في أشعة شمس يونيو الساطعة لثانيتين، ثم عادت إلى الجثوم. كانت أشياء غبية، ونسيت كل شيء عن المتطفِّل النبّاح في غضون دقيقتين أو ثلاث وعادت إلى النوم من جديد، متدلّية من كعوبها وهي تلفّ أجنحتها حول أجسادها الصغيرة المهلهلة مثل شالات العجائز.

خَبَّ كوجو مبتعداً. ونفض نفسه مرة أخرى. حكّ خطمه بكفّه بعجز. كان الدم قد بدأ يتخثّر من قبل، لكنه يؤلمه. تملك الكلاب وعياً ذاتياً يفوق نسبة ذكائها بكثير، وشعَر كوجو بالاشمئزاز من نفسه. لم يرغب أن يعود إلى المنزل. فلو فعل ذلك فإن الرجل أو المرأة أو الفتى سيرى أنه فعل شيئاً لنفسه. ومن الممكن أن ينعته أحدهم بالكلب السيء. وهو في هذه اللحظة بالذات يشعر أنه كلب سيء حقاً.

لذا بدلاً من الذهاب إلى المنزل، توجّه كوجو إلى الجدول الذي يفصل أرض كامبر عن أرض غاري بيرفيير، أقرب جار لآل كامبر. خاض الماء في اتجاه المنبع؛ وشرِب كثيراً؛ وتدحرَج في الماء محاولاً التخلّص من المذاق البغيض الذي في فمه، محاولاً التخلّص من الأتربة والرائحة الكريهة الخضراء المائية للحجر الكلسي، محاولاً التخلّص من شعوره بأنه كلب سيء.

بدأ شعوره يتحسَّن تدريجياً. فخرج من الجدول ونفضَ نفسه، فشكّل رذاذ الماء قوس قزح وجيزاً من الصفاء الحابس للأنفاس في الهواء.

كان شعوره بأنه كلب سيء يخبو، وكذلك الألم في أنفه. نهض وسار نحو المنزل ليرى إن كان الفتى في الأرجاء. كان قد أصبح معتاداً على حافلة المدرسة الصفراء الكبيرة التي تأتي لتأخذ الفتى كل صباح وتعيده مرة أخرى بعد الظهر، لكن حافلة المدرسة لم تأت هذا الأسبوع الفائت بعينيها الوامضتين وحمولتها من الأولاد الصاخبين. كان الفتى

يتواجد في المنزل دائماً. ويذهب عادة إلى الحظيرة، ليُنجز بعض الأمور مع الرجل. ربما حافلة المدرسة الصفراء أتت مرة أخرى اليوم. وربما لا. سيرى. كان قد نسي أمر الحفرة والمذاق البغيض لجناح الوطواط. وبالكاد يشعر بألم في أنفه.

مشى كوجو بسهولة في العشب العالي للحقل الشمالي، مُجفلاً عصفوراً عَرَضيّاً دون أن يكترث لمطاردته. لقد أنجز مطاردته لهذا اليوم، وجسمه يتذكَّر ذلك حتى ولو لم يتذكّره دماغه. كان كلباً من فصيلة السانت برنارد في عزّ شبابه، سنّه خمس سنوات، ووزنه حوالي تسعين كيلوغراماً، واليوم، صباح 16 يونيو 1980، التقط عدوى داء الكَلَب.

بعد سبعة أيام وعلى بُعد خمسين كيلومتراً من مزرعة سيفين أوكس في كاسل روك، التقى رجلان في مطعم في وسط مدينة بورتلاند يدعى الغواصة الصفراء. يقدِّم ذلك المطعم تشكيلة كبيرة من شطائر اللحم والجبنة، والبيتزا، والشطائر اللبنانية. وهناك آلة فليبر في الخلف.

كانت هناك لافتة فوق المنضدة تقول إنه إذا كنت تستطيع أن تأكل شطيرتين كاملتين من الصنف "كابوس" الذي يقدّمه مطعم الغواصة الصفراء، فلن تدفع ثمنهما؛ وأُضيف تحتها، بين قوسين، الملحق "إذا تقيأت ستدفع ثمنهما".

عادة، لم يكن هناك شيء يُعجب ڤيك ترنتون أكثر من إحدى شطائر كرات اللحم لمطعم الغواصة الصفراء، لكنه شعَر أنه لن يحصل على شيء من شطيرة اليوم سوى حُرقة قوية لحمض المعدة.

"يبدو أننا سنخسر الكُرة، أليس كذلك؟"، قال ڤيك للرجل الآخر، الذي كان ينظر إلى قطعة لحم دانمركية بانعدام حماسة ملحوظة.

الرجل الآخر كان روجر برايكستون، وعندما ينظر إلى الطعام من دون حماسة، ستعرِف أن هناك كارثة وشيكة. يبلغ وزن روجر مئة وعشرين كيلوغراماً وليس لديه حُضن عندما يجلس. في إحدى المرات، عندما كانا معاً في السرير يقهقهان في مخيَّم الأطفال، أخبرت دونا ڤيك أنها تعتقد أن حُضن روجر أُصيب في فييتنام.

"يبدو الوضع رديئاً"، أقرّ روجر: "يبدو رديئاً جداً بشكل لا يُصدَّق يا عزيزي فيكتور".

"هل تعتقد حقاً أن القيام بهذه الرحلة سيحل أي شيء؟".

"ربما لا"، قال روجر، "لكننا سنخسر حساب شارپ بالتأكيد إذا لم نذهب. ربما يمكننا إنقاذ شيء. نُعيد إدخال أنفسنا في اللعبة من جديد". وقضمَ شطيرته.

"الإغلاق لمدة عشرة أيام سيضرّ بنا".

"تعتقد أننا لسنا متضرّرين الآن؟".

"بالتأكيد أننا متضرّرون. لكن لدينا إعلانات جماعة الكتب لنديرها على شاطئ كينيبَنك –"

"بإمكان ليزا الاهتمام بها".

"لستُ مُقتنِعاً كلياً أن بإمكان ليزا أن تهتمّ بحياتها العاطفية، فما بالك بإعلانات جماعة الكتب"، قال ڤيك. "لكن حتى لو افترضنا أنه *يمكنها* أن تهتم بها، لا تزال سلسلة إعلانات الأويسة تنتظر... ومصرف كاسكو... ويُفترَض بك أن تجتمع مع رئيس جمعية السماسرة العقاريين–"

"لا، لا، هذا من اختصاصك".

"تباً إن كان من اختصاصي"، قال ڤيك. "أختنق كلما تذكّرتُ تلك السراويل الحمراء والأحذية البيضاء. وأشعر باستمرار أنني أريد أن أنظر إلى الخزانة لأرى إن كان يمكنني إيجاد لافتة إعلانية مزدوجة للرجل تُحمَل على الصدر والظهر".

"لا يهمّ، وأنت تعرف ذلك. لا أحد منهم يدفع عُشر ما تدفعه شارپ. ماذا يمكنني أن أقول أيضاً؟ أنت تعرف شارپ وسيرغب الولد أن يتكلم مع كلينا. هل أحجز لك مقعداً أم لا؟".

فكرة السفر لعشرة أيام، خمسة في بوسطن وخمسة في نيويورك، أصابت ڤيك ببعض القشعريرة. لقد عمل مع روجر لدى وكالة إليسون في نيويورك لست سنوات. وڤيك الآن يملك منزلاً في كاسل روك. وروجر وألثيا برايكستون يعيشان في بريدغتون المجاورة، على بُعد خمسة وعشرين كيلومتراً تقريباً.

بالنسبة لڤيك، كان يشعر دائماً أنه لا يريد حتى الالتفات إلى الوراء. وأنه لم يصبح بهذه الحيوية أبداً، أنه لم يشعر أنه حيّ إلى هذا الحدّ أبداً، إلى أن انتقل ودونا إلى ماين. وبدأ يشعر الآن بشعور مَرَضي بأن نيويورك كانت تنتظر ببساطة طوال السنوات الثلاثة الماضية لتعيد إحكام قبضتها عليه مرة أخرى. ستنزلق الطائرة إلى خارج المدرَج عند هبوطها وسيغرق في كُرة نار هادرة من وقود النفّاثات. أو سيحصل اصطدام على جسر ترايبورو، وستُسحَق سيارة أجرتهما الصفراء بحيث تشبه الأكورديون. أو قاطع طريقٍ سيستخدم مسدسه بدلاً من مجرد التلويح به. أو سينفجر أنبوب غاز رئيسي وسينفصل رأسه عن جسمه جرّاء ارتطامه بغطاء فتحة المجاري الطائر في الهواء كما لو أنه صحن فريسبي مميت وزنه أربعون كيلوغراماً. شيءٌ. إذا عاد، ستقتله المدينة.

"روجر"، قال وهو يضع شطيرة كرات لحمه بعد أن أخذ قضمة صغيرة، "هل فكَّرت يوماً أنها قد لا تكون نهاية العالم إذا *خسرنا* حساب شارپ؟".

"ستستمر الحياة"، قال روجر وهو يصبّ شراب الشعير في كوبه، "لكن هل سنستمر نحن؟ أنا لا تزال لديَّ سبع عشرة سنة لأنتهي من تسديد قرضي السكني الذي مدته عشرون سنة، وإبنتان توأمان ترغبان بدخول أكاديمية بريدغتون. وأنت لديك قرض خاص بك، وطفل أيضاً، زائد تلك الجاغوار القديمة التي ستتسبّب بقتلك".

"نعم، لكن الاقتصاد المحلي –"

"*تباً* للاقتصاد المحلي!"، صاح روجر بعنف، ووضع كوب شراب شعيره على الطاولة بقوة.

بدأ أربعة يجلسون إلى الطاولة المجاورة، ثلاثة منهم يرتدون قمصان كرة مضرب وأحدهم يرتدي قميصاً تائياً باهتاً مطبوعاً عليه *دارث فايدر غبي*، يصفِّقون.

لوَّح لهم روجر بنفاد صبر وانحنى نحو ڤيك. "لن نتمكن من تحقيق هذه الأمور من مجرد سلسلة إعلانات الأويسة وإعلانات السماسرة العقاريين الرئيسيين، وأنت تعرف ذلك. إذا خسرنا حساب شارپ، سنغرق دون إحداث أي تموّج في الماء. في المقابل، إذا استطعنا الحفاظ حتى على جزء من حساب شارپ للسنتين القادمتين، سنكون على السكة الصحيحة للحصول على بعض ميزانية وزارة السياحة، وربما حتى حصّة من قرعة حظ الولاية إذا لم يُسيئوا إدارتها ويسبّبوا توقفها وقتها. الفطائر اللذيذة يا ڤيك. يمكننا أن نلوِّح مودّعين شركة شارپ وحبوبها

الرديئة ونهاياتها السعيدة لقدر ما تشاء من الوقت. يجب أن يذهب الذئب الشرير إلى مكان آخر ليحصل على عشائه؛ تلك الخراف الصغيرة بأمان في منزلها".

"كل ما هو مطلوب منا أن نكون قادرين على إنقاذ شيء ما"، قال ڤيك، "وهذا مماثل على الأرجح لفوز فريق كليفلاند إنديانز ببطولة البيسبول هذا الخريف".

"أعتقد أن علينا المحاولة يا صديقي".

بقي ڤيك صامتاً، وراح ينظر إلى شطيرته ويفكّر. كان الوضع ظالماً كلياً، لكن يمكنه التعايش مع الظلم. ما يؤلم حقاً هو السخافة المخبولة للحالة برمّتها. لقد تفجّرت من سماء صافية مثل إعصار قاتل يخلّف دماراً وراءه ثم يختفي. وهو وروجر وشركة آد ووركس نفسها مناسبون ليتم تعدادهم ضمن الوفيات مهما فعلوا؛ يمكنه أن يقرأ ذلك على وجه روجر المستدير، الذي لم يبدُ شاحباً إلى هذا الحد منذ أن فَقَد وألثيا طفلهما، تيموثي، لمتلازمة موت المهد عندما كان سنّه تسعة أيام فقط. بعد ثلاثة أسابيع من حصول ذلك، انهار روجر وراح يبكي، مُلصقاً يديه بوجهه البدين في حزن فظيع عصرَ قلب ڤيك وسبَّب له غصّة في حلقه. كان ذلك سيئاً. لكن بداية الذعر الذي رآه في عينَي روجر الآن كان سيئاً أيضاً.

الأعاصير تهبّ من حيث لا يدري المرء في قطاع الإعلانات من وقت لآخر. وبإمكان شركة مثل وكالة إليسون، التي تتعامل بالملايين، أن تتحمَّلها. لكن شركة صغيرة مثل آد ووركس لا تستطيع ذلك. كانا يحملان سلة واحدة فيها الكثير من البيض الصغير وسلة أخرى فيها بيضة واحدة كبيرة – حساب شارپ – وعليهما التأكد الآن إن كانت

البيضة الكبيرة قد ضاعت كلياً أو يمكن إعداد عجّة منها على الأقل. لا شيء من ذلك كان ذنبهما، لكن وكالات الإعلانات تشكِّل أكباش فداء جميلة.

بدأ ڤيك وروجر يتعاونان معاً منذ جهدهما المشترك الأول في وكالة إليسون، منذ ست سنوات. وقد شكَّل ڤيك، الطويل والنحيل والهادئ إلى حد ما، الدائرة السوداء المثالية لدائرة روجر برايكستون البيضاء البدينة والسعيدة والانبساطية. كانا منسجمين على الصعيد الشخصي والمهني على حد سواء. وكانت مهمتهما الأولى تلك مهمة بسيطة، وهي إعداد إعلان لمجلة عن الشلل المخيّ المتحد.

توصَّلا إلى إعلان أسود وأبيض صارم يُبيِّن فتى صغيراً يرتدي مقاويم أرجل وحشية ضخمة ويقف في منطقة الأخطاء عند القاعدة الأولى في مباراة بيسبول في الدوري الصغير. وهناك قبعة لفريق نيويورك متز على رأسه، والتعبير الذي على وجهه - بقي روجر يصرّ أن التعبير على وجه الفتى هو الذي أنجح الإعلان - لم يكن حزيناً أبداً؛ كان حالِماً فقط. تقريباً سعيداً، في الواقع. والجملة تقول فقط: *بيلي بيلامي لن يتمكن من أن يلعب في مركز ضارب الكرة أبداً*. وتحتها: *بيلي مُصاب بشلل مخّي*. وتحت ذلك، في خط أصغر: *ساعدونا، رجاءً*.

شهدت التبرّعات ارتفاعاً ملحوظاً. جيد بالنسبة لهم، جيد بالنسبة لڤيك وروجر. لقد انطلقت عجلة فريق ترنتون وبرايكستون. وتبِعت ذلك ست حملات ناجحة، تعامل فيها ڤيك مع التصوّر الواسع النطاق، وتعامل فيها روجر مع التنفيذ الفعلي.

لشركة سوني مثلاً، قدّما صورة رجل يجلس القرفصاء على الممر الوسطي لأوتوستراد عرضه ستة عشر ممراً ويرتدي بذلة رسمية، وعلى

حُضنه راديو سوني كبير، وابتسامة ساحرة على شفتيه. والنص يقول: *فرقة بوليس، الرولينغ ستونز، فيفالدي، مايك والاس، كينغستون تريو، بول هارفي. باتي سميث، جيري فالويل.* وتحت ذلك: *مرحبا لوس أنجلوس!*

لجماعة ڤويت، صانعو معدات سباحة، قدّما إعلاناً يبيِّن رجلاً هو النقيض المطلق لفتى شاطئ ميامي. واقفاً بغطرسة بورك مخلوع على الشاطئ الذهبي لموقعٍ استوائيٍ ما، كان بطل الإعلان رجلاً في الخمسين من عمره على جسمه وشوم، وبطنه بدين، ويدان ورِجلان متهدّلي العضلات، وهناك ندبة على القسم العلوي لأحد فخذيه. وفي يدَي هذا الجندي المسحوق زوج زعانف سباحة ماركة ڤويت. النص يقول، *يا سيد أنا أغطس لكسب لقمة العيش. لا أعبث.* كان هناك أكثر بكثير تحته، أمورٌ يسمّيها روجر دائماً ثرثرةً، لكن النص المدوَّن بخط غامق كان الجاذب الحقيقي. وقد أراد ڤيك وروجره أن يكتبا "لا أقوم بألاعيب"، لكنهما لم يتمكنا من إقناع جماعة ڤويت بذلك. مؤسف، كان ڤيك يحبّ أن يقول دائماً أثناء تناول بعض الشراب. كان يمكنهم أن يبيعوا زعانف سباحة أكثر بكثير.

ثم أتت شركة شارپ.

كانت شركة شارپ من كليفلاند تحتل المرتبة الثانية عشرة في قائمة شركات البسكويت الأميركية عندما جاء مالكها العجوز إلى وكالة إليسون في نيويورك على مضض بعد تعامله لأكثر من عشرين سنة مع وكالة إعلانات في مسقط رأسه. وكان العجوز مولَعاً أن يشير إلى أن شارپ كانت أكبر من نابيسكو قبل الحرب العالمية الثانية. وكان إبنه مولَعاً بشكل مماثل تماماً أن يشير إلى أن الحرب العالمية الثانية انتهت منذ ثلاثين سنة.

سُلِّم الحساب - على أساس تجريبي لستة أشهر في البدء - إلى ڤيك ترنتون وروجر برايكستون. وفي نهاية الفترة التجريبية، قفزت شارپ من المرتبة الثانية عشرة في سوق البسكويت والكعكات والحبوب إلى المرتبة التاسعة. وبعد سنة، عندما انتقل ڤيك وروجر إلى ماين ليؤسسا شركتهما الخاصة، كانت شركة شارپ قد قفزت إلى المرتبة السابعة.

كانت حملتهما ساحقة. فقد طوَّرا شعار رامي الكعكات البارع، وهو عبارة عن رجل أمن غربي غير كفؤ مسدسه ذو الطلقات الستة يُطلق كعكات بدلاً من رصاصات، بفضل مساعدة قسم المؤثرات الخاصة - رقاقات شوكولا في بعض اللقطات، وقِطع زنجبيل في لقطات أخرى، وقِطع دقيق شوفان في لقطات أخرى أيضاً. وانتهت اللقطات دائماً مع وقوف الرامي البارع حزيناً في كومة كعكات شاهراً مسدسيه. "حسناً، لقد فرّ الأشرار"، يقول لملايين الأميركيين كل يوم تقريباً، "لكن معي الكعكات. أفضل كعكات في الغرب... أو في أي مكان آخر، برأيي". ثم يقضم الرامي البارع كعكةً. يوحي تعبيره أنه يشعر بالمرادف الغذائي لأول نشوة يختبرها فتى مراهق. ثم تتلاشى الصورة تدريجياً.

وبالنسبة للكعكات الجاهزة - ستة عشر صنفاً مختلفاً تتراوح من سمك إلى فتات خبز إلى جبن - كان هناك ما يسمّيه ڤيك "لقطة جورج وغرايسي". تظهر الصورة على جورج وغرايسي يغادران حفلة عشاء فاخرة تزخر فيها طاولة المقصف بكل أصناف الطعام الشهي. وتتلاشى الصورة إلى شقة صغيرة رثّة مضاءة بشكل قوي. جورج يجلس إلى طاولة مطبخ عادية عليها غطاء ذو مربعات. تأخذ غرايسي كعكة سمك صنع شارپ (أو كعكة جبن أو كعكة فتات خبز) من ثلاجة برادهما القديم وتضعها على الطاولة. لا يزال كلاهما يرتديان ملابس

نومهما. يتبسمان لبعضهما البعض بدفء وحب، شخصان منسجمان مع بعضهما البعض تماماً. وتتلاشى الصورة إلى الكلمات التالية المكتوبة بخط أسود: *كل ما تريده أحياناً هو كعكة شارپ*. لا تُنطَق أي كلمة في الإعلان كله. فاز ذلك الإعلان بجائزة كليو للإعلانات.

مثلما حصل أيضاً مع أستاذ حبوب شارپ، الذي أُشيد به على أنه "أكثر إعلان مسؤول أُنتِج يوماً لبرامج الأطفال". وقد اعتبره ڤيك وروجر ذروة إنجازاتهما... لكن طيف أستاذ حبوب شارپ الآن هو الذي عاد لكي يطاردهما.

كان أستاذ حبوب شارپ، الذي مثّله ممثل في أواخر منتصف عمره، إعلاناً معتدلاً للراشدين في بحر رسوم متحركة لأطفال يبيعون علكة، وألعاب مغامرات، ودمى... وحبوب المنافسين.

يبدأ الإعلان في غرفة تدريس مهجورة للصف الرابع أو الخامس، وهو مشهد من صباح السبت يستطيع مشاهدو ساعة باغز باني/ رودرانر التماهي معها بسهولة. كان أستاذ حبوب شارپ يرتدي بذلة، وكنزة مقوَّرة على شكل V، وقميصاً مفتوحاً عند الياقة. كان يبدو استبدادياً قليلاً في المنظر والنبرة؛ وقد تكلَّم ڤيك وروجر مع حوالي أربعين أستاذاً وستة أطباء نفسيين للأطفال واكتشفا أن هذا هو نوع القُدوة الأبوية التي ترتاح لها أكثرية الأولاد، والنوع الذي يتوفر في قلّة من المنازل في الواقع.

كان أستاذ الحبوب يجلس وراء مكتبه، ويلمّح إلى بعض الأشياء غير الرسمية – لصديق حقيقي مخفي في مكان ما تحت تلك البذلة الخضراء الرمادية، قد يفترض المُشاهد اليافع – لكنه يتكلَّم ببطء ورصانة. لم يستخدم نبرة أمر معه. لم يستهزئ به. ولم يتملّقه أو يبجّله.

كان يكلِّم ملايين مُشاهدي أفلام الكرتون الذين يرتدون قمصاناً تائيةً ويلتهمون حبوباً صباح أيام السبت كما لو أنهم *أشخاص حقيقيون*.

"صباح الخير يا أولاد"، يقول الأستاذ بهدوء. "هذا إعلان لصنف حبوب. اسمعوني جيداً، رجاءً. أعرف الكثير عن الحبوب، لأنني أستاذ حبوب شارپ. الحبوب صنع شركة شارپ - توينكلز، دببة الكاكاو، النخالة-16، ومزيج كل الحبوب - هي أطيب الحبوب في أميركا. وهي مفيدة لكم". صمت قصير، ثم يبتسم أستاذ حبوب شارپ... وعندها ستعرِفِ أن هناك صديقاً حقيقياً أمامك. "صدِّقوني، لأنني أعرف. وأمكم تعرف؛ وأردتُ فقط أن أتأكد أنكم تعرفون أيضاً".

يدخل شابٌ إلى الإعلان في تلك اللحظة، ويسلِّم أستاذ حبوب شارپ وعاء توينكلز أو دببة الكاكاو أو أي صنف آخر. يبدأ أستاذ حبوب شارپ في الأكل، ثم ينظر مباشرةً إلى كل غرفة جلوس في البلد ويقول، "لا، لا يوجد خطأ هنا".

لم يهتمّ مالك شارپ العجوز بهذه الجملة الأخيرة، أو بفكرة أن أي شيء يمكن أن يكون خطأً في أحد أصناف حبوبه. أنهكه ڤيك وروجر في نهاية المطاف، لكن ليس بحجج منطقية. فصناعة الإعلانات ليست مهنة منطقية. وغالباً ما تفعل ما تشعر أنه الصح، لكن ذلك لا يعني أنه يمكنك أن تفهم *لماذا* تشعر أنه صح. وقد شعَر ڤيك وروجر أن جملة الأستاذ الأخيرة تملك طاقةً بسيطةً وهائلةً في آن. وبما أنها صادرة عن أستاذ الحبوب، كانت مصدر الراحة التامة، بطانية أمانٍ كاملٍ. وتلمِّح إلى أنها لن تؤذي المشاهدين أبداً. في عالمٍ يتطلَّق فيه الوالدان، ويضربك أخوك الأكبر أحياناً ضرباً مبرحاً من دون أي سبب منطقي، ويهزأ لاعبو فريق البيسبول المنافس في الدوري الصغير أحياناً من

طريقتك في ضرب الكرة، ولا يفوز الأخيار دائماً مثلما يحصل في التلفزيون، ولا تُدعا دائماً إلى حفلات ذكرى الولادة *الجيدة*، في عالمٍ تحصل فيه أخطاء *كثيرة*، ستكون هناك دائماً حبوب توينكلز ودببة الكاكاو ومزيج كل الحبوب، وسيكون مذاقها لذيذاً دائماً. "لا، لا يوجد خطأ هنا".

بمساعدة صغيرة من إبن شارپ (لاحقاً، حسبما قال روجر، ستظن أن الولد فكَّر بالإعلان وكَتَبه بنفسه)، جاءت الموافقة على فكرة أستاذ الحبوب وملأت إعلاناته صباح أيام السبت على التلفزيون، زائد بعض البرامج الأسبوعية أمثال ستار بليزرز، يو أس أوف آرتشي، أبطال هوغان، وجزيرة غيليغان. حقَّقت حبوب شارپ مبيعات أعلى بكثير من بقية أصناف شارپ، وأصبح أستاذ الحبوب مؤسسةً أميركيةً. وأصبح شعاره، "لا، لا يوجد خطأ هنا"، إحدى العبارات الوطنية الشهيرة، ولها تقريباً نفس معنى العبارة "ابق هادئاً" و"لا غضاضة".

عندما قرَّر ڤيك وروجر أن يشقّا طريقهما الخاص، احترما بروتوكولاً صارماً ولم يتواصلا مع أي عميل من عملائهما السابقين إلى أن انقطعت كل اتصالاتهما بوكالة إليسون رسمياً – وودّياً. كانت أشهرهما الستة الأولى في بورتلاند مخيفةً، وشهدت ضغطاً شديداً لكليهما. كان سنّ إبن ڤيك ودونا، تاد، عاماً واحداً فقط. وكانت حالة دونا، المشتاقة كثيراً لنيويورك، تتأرجح بين متجهِّمة، ومشاكسة، وخائفة. وكان روجر يعاني من قرحة قديمة – وهي من ندوب حروب الإعلانات خلال سنوات إقامته في نيويورك – وعندما فَقَد وألثيا الطفل، اشتدّت عليه القرحة من جديد، وحوَّلته إلى خزّان دواء مضاد للحموضة. اعتقَد ڤيك أن حال ألثيا تحسّنت بأفضل ما يمكن في تلك الظروف؛ دونا هي

التي لفتت نظره إلى أن كوب شراب ألثيا الهادئ الواحد قبل العشاء تحوّل إلى كوبَين قبله وثلاثة أكواب بعده. أمضى الزوجان عطلةً في ماين، منفصلين عن بعض ومعاً، لكن ڤيك وروجر لم يُدركا عدد الأبواب الموصَدَة في البدء في وجه الأشخاص الذين ينتقلون إلى العيش هناك، على حد تعبير سكان ماين، من "خارج الولاية".

كانا ليغرقا بالكامل بالفعل، مثلما أشار روجر، لو لم تقرِّر شركة شارپ أن تبقى معهما. وفي مركز الشركة الرئيسي في كليفلاند، انقلبت الأدوار بشكل ساخر. فقد أصبح العجوز الآن هو الذي يريد البقاء مع ڤيك وروجر وإبنه (الذي أصبح وقتها في الأربعين من عمره) يريد التخلّص منهما، محاججاً ببعض المنطق أنه سيكون ضرباً من الجنون تسليم حسابهم إلى وكالة إعلانات متواضعة تبعُد ألف كيلومتر شمالي قلب نيويورك. وحقيقة أن آد ووركس كانت متحالفة مع شركة لتحليل السوق في نيويورك لم تشفع لدى الولد، ولم تشفع لدى الشركات الأخرى التي أعدّوا لها حملات في السنوات القليلة الماضية.

"لو كان الوفاء ورق مرحاض"، قال روجر بمرارة، "لكنا اضطررنا إلى أن نمسح مؤخرتنا به يا صديقي العزيز".

لكن شارپ زوّدتهما بالهامش الذي كانا بحاجة ماسّة إليه. "تدبّرنا أمورنا مع وكالة إعلانات هنا في البلدة منذ أربعين سنة"، قال مالك شارپ العجوز، "وإذا أراد أولئك الشابان الخروج من تلك المدينة اللعينة، فإنهما يتصرّفان بمنطق سليم".

وكان هذا فصل الختام. لقد نطقَ العجوز. وصمتَ الولد. وطوال السنتين ونصف الأخيرتين، راح رامي الكعكات البارع يطلق النار، وجورج وغرايسي يأكلان كعكات شارپ في شقتهما الباردة، وأستاذ

حبوب شارپ يُخبر الأولاد أنه لا يوجد خطأ هنا. وجرى إنتاج اللقطة الفعلية من قِبل ستديو مستقل صغير في بوسطن. راحت شركة تحليل السوق في نيويورك تؤدي عملها بكفاءة، ويسافر إما ڤيك أو روجر ثلاث أو أربع مرات في السنة إلى كليفلاند للتشاور مع كارّول شارپ وإبنه – قال إن شعر إبنه بدأ يصبح رمادياً عند صدغَيه. أما باقي التواصل بين العميل والوكالة فيتولاه مكتب البريد الأميركي وما بَلْ. كانت العملية غريبة ربما، ومرهِقة بالطبع، لكن بدا أنها تسير بشكل جيد.

ثم أتت حلوى توت العليق الأحمر.

عرَف ڤيك وروجر عن هذا الصنف من الحلوى منذ بعض الوقت، بالطبع، رغم أنه نزل إلى السوق العامة منذ حوالي شهرين فقط، في أبريل 1980. كانت معظم الحبوب صنع شركة شارپ محلاّة قليلاً أو غير محلاّة أبداً. وقد حقَّق مزيج كل الحبوب، وهو صنف شارپ في حلبة الحبوب "الطبيعية"، نجاحاً كبيراً. لكن حلوى توت العليق الأحمر كانت موجَّهة إلى المستهلكين الذين يحبّون السكريات: إلى مقدّمي الحبوب الجاهزة الذين يشترون أصناف حبوب مثل كاونت شوكولا، وفرانكبيري، ولاكي تشارمز، وأطعمة الفطور المحلاّة المشابهة التي يمكن تصنيفها في مرتبة وسطى بين الحبوب والحلوى.

في أواخر صيف وأوائل خريف العام 1979، نجح هذا الصنف من الحلوى في اختبارات السوق في بوْيسي وأيداهو وسكرانتون وبنسلفانيا، وفي بريدغتون مسقط رأس روجر المعتمَد في ماين. أخبر روجر ڤيك بارتعاشٍ أنه لن يدع التوأمين يقتربان منه بتاتاً (رغم أنه سُرَّ عندما أخبرته ألثيا أن الأولاد طالَبوا به بصخب عندما رأوه على الرفّ في

متجر غيغيور). "يحتوي على مقدار من السكر أكثر مما يحتوي على حبوب، ويشبه جانب حظيرة نار".

أومأ ڤيك برأسه وردَّ ببراءة كافية، من دون إحساس بالتوقّع، "أول مرة نظَرَتُ إلى داخل إحدى تلك العلب، اعتقَدتُ أنها مليئة بالدم".

"ما رأيك إذاً؟"، كرَّر روجر. كان قد أنهى نصف شطيرته بينما راجَع ڤيك سلسلة الأحداث الكئيبة في ذهنه. كان يصبح مقتنعاً أكثر فأكثر أن شارپ العجوز في كليفلاند وإبنه المُسنّ يفكّران مرة أخرى في إطلاق النار على الموفد بسبب الرسالة.

"أظن أن علينا المحاولة".

ربَّت له روجر على كتفه وقال له، "كُل يا رجل".

لكن ڤيك لم يكن جائعاً.

لقد دُعي الاثنان إلى كليفلاند لحضور "اجتماع طارئ" سيُعقَد بعد ثلاثة أسابيع من احتفال ذكرى الاستقلال - كان عدد كبير من مدراء المبيعات الإقليميين والمدراء التنفيذيين في شارپ يقضون عطلاتهم، وسيتطلب جمعهم كلهم في مكان واحد كل هذه المدة على الأقل. كان أحد البنود على جدول الأعمال يتعلق بشركة آد ووركس مباشرةً: "تقييمٌ للشراكة حتى هذه اللحظة"، قالت الرسالة. وهذا يعني، حسبما افترَض ڤيك، أن الإبن كان يستخدم فشل صنف الحلوى ليتخلّص منهما أخيراً.

بعد حوالي ثلاثة أسابيع من إنزال حلوى توت العليق الأحمر إلى السوق الوطني، بحماسة - ولو برصانة - بتوصية من أستاذ حبوب

شارب ("لا، لا يوجد خطأ هنا")، أخذت أول أم إبنتها الصغيرة إلى المستشفى، بأعصاب هستيرية تقريباً ومتيقّنةً أن طفلتها تنزف داخلياً. فقد تقيأت الصغيرة، التي لم تكن تعاني من أي شيء خطير أكثر من عدوى فيروس بسيط، ما اعتقدته أمها كمية ضخمة من الدم.

لا، لا يوجد خطأ هنا.

حصل ذلك في أيوا سيتي، أيوا. ثم شهد اليوم التالي سبع حالات إضافية. ثم أربع وعشرين حالة في اليوم التالي. في جميع الحالات، سارع أهل الأولاد المبتلين بتقيؤ أو إسهال، إلى نقل أولادهم إلى المستشفى، معتقِدين أنهم يعانون من نزيف داخلي. بعد ذلك، ارتفع عدد الحالات بشكل صاروخي – في حدود المئات أولاً، ثم الآلاف. في كل تلك الحالات، لم يكن التقيؤ و/أو الإسهال ناتجاً عن تناول الحبوب، لكن لم يُعر أحدٌ هذه الحقيقة أي اهتمام في موجة الغضب المتزايدة.

لا، لا يوجد أي خطأ هنا.

انتشرت الحالات من الغرب إلى الشرق. كانت المشكلة في صباغ الطعام الذي أعطى الحلوى لونها الأحمر ونكهتها الحادة. الصباغ نفسه لم يكن مؤذياً، لكن تم التغاضي عن هذه النقطة في الأغلب. لقد حصل خطأ ما، وبدلاً من أن يهضم الجسم البشري الصباغ الأحمر، مرَّره كما هو. لم يُستخدَم الصباغ الفاسد سوى في دُفعة واحدة من الحبوب، لكنها كانت دُفعة هائلة. أخبر طبيبٌ ڤيك أنه إذا تم تشريح جثة ولد تُوفِّي بعد تناوله وعاءً كبيراً من حلوى توت العليق الأحمر، فإن التشريح سيكشف جهازاً هضمياً أحمر مثل لافتة "قف". كان التأثير مؤقتاً حصراً، لكن تم التغاضي عن هذه الحقيقة أيضاً.

أرادهما روجر أن يهجما بكل أسلحتهما، إذا قُدّر لهما السقوط. اقترح عقد مؤتمرات ماراثونية مع جماعة إيميج آي في بوسطن، الذين صوّروا الإعلانات في الواقع. أراد أن يكلِّم أستاذ حبوب شارپ نفسه، الذي تعمّق في دوره كثيراً لدرجة أنه انهار عقلياً وعاطفياً مما حصل. ثم يسافر إلى نيويورك، ليكلِّم جماعة التسويق. لكن الأهم هو أن ذلك يعني قضاء أسبوعين تقريباً في فندق الريتز كارلتون في بوسطن وفندق اليو أن بلازا في نيويورك، أسبوعين سيقضيهما ڤيك وروجر معاً في الأغلب، يحلّلان الأرقام ويتبادلان الأفكار مثلما كانا يفعلان في الأيام الخوالي. كان يأمل روجر أن يخرجا من كل ذلك ومعهما حملة مضادة ستُبهر مالك شارپ العجوز وإبنه. وبدلاً من أن يذهبا إلى كليفلاند منهزمين ينتظران سقوط شفرة المِقصلة على رأسيهما، سيظهران وفي جُعبتهما خطة معركة لعكس تأثيرات فوضى الحلوى. هذه كانت النظرية. لكنهما أدركا عملياً أن فرصتهما في النجاح توازي فرصة لاعب بيسبول تقصَّد رمي الكرة بشكل ضعيف.

كان ڤيك يعاني من مشاكل أخرى. ففي الأشهر الثمانية الماضية تقريباً، شَعَرَ أنه وزوجته يبتعدان عن بعضهما ببطء. لا يزال يحبّها، ويحبّ تاد بجنون، لكن الوضع تبدَّل من مضطرب قليلاً إلى سيئ، وشَعَرَ أن هناك أشياء أسوأ - وأوقات أسوأ - بانتظاره خلف الأفق، ربما. ومجيء هذه الرحلة، هذه الجولة الكبيرة من بوسطن إلى نيويورك إلى كليفلاند، في الفترة التي عليه تمضيتها في المنزل، أي في الفترة التي عليه فعل بعض الأشياء معاً، لم يكن فكرة جيدة ربما. عندما كان ينظر إلى وجهها مؤخراً، كان يرى غريباً مختبئاً تحت حناياه وزواياه.

والسؤال. بقي يصول ويجول في ذهنه طوال الليالي التي لم يكن

قادراً فيها على النوم، وقد ازداد كثيراً عدد هكذا ليالي مؤخراً. هل لديها حبيب؟ فلم يعودا يجامعان بعضهما كثيراً. هل فعلت ذلك؟ كان يأمل خلاف ذلك، لكن ما رأيه الحقيقي؟ قل الحقيقة سيد ترنتون وإلا ستضطر إلى تحمُّل العواقب.

لم يكن أكيداً. لم يرغب أن يكون أكيداً. كان خائفاً أنه إذا أصبح أكيداً، فسينتهي زواجه. كان لا يزال متمسّكاً بها بالكامل، ولم تخطر على باله يوماً فكرة وجود علاقة خارج الزواج، ويمكنه أن يسامحها على ذلك. لكنه يرفض أن يكون الزوج المخدوع في منزله بالذات. لا أحد يريد أن تنبت له هكذا قرون؛ فهي تخرج من الأذنين، والأولاد يسخرون من الرجل المضحك في الشارع. إنه –

"ماذا؟"، قال ڤيك وهو يخرج من حالة شرود ذهنه. "لم أسمعك يا روجر".

"قلتُ، 'يا لتلك الحبوب الحمراء اللعينة'".

"أجل"، قال ڤيك. "معك حق".

جلَس غاري بيرفيير على مَرجته الأمامية الكثيرة الأعشاب الضارة عند أسفل تلة سِفن أوكس على طريق البلدة رقم 3 بعد أسبوع تقريباً على اجتماع الغداء المسبِّب للكآبة مع ڤيك وروجر في مطعم الغواصة الصفراء، وراح يشرب شراباً ماركة بوبوف مع عصير برتقال. جلَس في ظل شجرة دردار كانت في مراحلها الأخيرة من مرض الدردار الهولندي العنيف، مريحاً مؤخرته على الأحزمة البالية لكرسي حديقة كان في المراحل الأخيرة لخدمته المفيدة. كان يشرب شراب البوبوف لأن ثمنه رخيص. وقد اشترى غاري كمية كبيرة منه في نيو هامبشاير، حيث

الشراب أرخص، خلال فترة إسرافه الأخيرة على الشراب. كان شراب البوبوف رخيصاً في ماين، لكنه أرخص بكثير في نيو هامبشاير، وهي ولاية تشتهر بتوفيرها الأشياء الجذابة في الحياة - قرعة حظ دسمة أكثر، شراب رخيص، سجائر رخيصة، ومعالم سياحية مثل قرية سانتا ومدينة الغرب المتوحش. كانت نيو هامبشاير مكاناً قديماً رائعاً. استقرّ كرسي حديقته ببطء في المَرجة المشاغبة، حافراً حفراً عميقةً. والمنزل الواقع خلف المَرجة بدأ مشاغباته أيضاً؛ فقد كان عبارة عن كتلة خشبية رمادية يتقشّر الطلاء عنها وسقفها مترهّل. ومصاريع النوافذ متدلية في الهواء. والمدخنة واقفة في السماء مثل رجل ثمل يحاول النهوض بعد تعثّره. والألواح الخشبية التي تطايرت في العاصفة الكبيرة خلال الشتاء الماضي لا تزال تتدلّى بترهّل من بعض أغصان الدردار المُحتضَرة. المكان ليس تاج محل، كان غاري يقول أحياناً، لكن مَن يكترث لهذا؟

كان غاري، في هذا اليوم الحار بشكل خانق في أواخر يونيو، ثملاً جداً. ولم يكن هذا الأمر غريباً عليه. لم يكن يعرف روجر برايكستون أبداً. لم يكن يعرف ڤيك ترنتون أبداً. لم يكن يعرف دونا ترنتون أبداً، ولو كان يعرفها، لما اكترث أبداً حتى ولو كان الفريق الزائر يرمي كُرات منخفضة فوق الأرض إلى قفازها. كان يعرف آل كامبر وكلبهم كوجو؛ فالعائلة تعيش على رأس التلة، في نهاية طريق البلدة رقم 3. وقد عقد جلسات تناول شراب عديدة مع جو كامبر، وقد أدرَك غاري بأسلوب ضبابي نوعاً ما أن جو كامبر قد قطع شوطاً طويلاً من قبل على طريق أن يصبح مدمن شراب. كان طريقاً تجوَّل عليه غاري بنفسه كثيراً.

"مجرد ثمل فاشل ولا يهمّني!"، قال غاري للعصافير والألواح الخشبية على الدردار المريضة. شرب بعضاً من كوبه. وأخرَج ريحاً.

وضرب حشرةً. كان ضوء الشمس والظل يرقِّطان وجهه. وخلف المنزل، تجلس عدة سيارات منزوعة أحشاؤها مختفيةً تقريباً في الأعشاب الضارة الطويلة. واللبلاب الذي نما على الجهة الغربية لمنزله أصبح خارج السيطرة كلياً، ويكاد يغطيه بالكامل. وإحدى النوافذ تختلس النظر إلى الخارج - بالكاد - وتلمع في الأيام المشمسة مثل ماسة قذرة. منذ سنتين، وخلال نوبة ثمالة، اقتلَع غاري مكتباً من إحدى غرف الطابق العلوي ورماه من النافذة - لا يمكنه تذكُّر السبب الآن. أصلح زجاج النافذة بنفسه لأن الهواء كان قارساً في الشتاء، لكن المكتب لا يزال حيث سقط تماماً، وأحد جواريره خارجاً منه مثل لسان.

في العام 1944، عندما كان غاري بيرفيير في العشرين من عمره، اقتحم بمفرده متراساً ألمانياً في فرنسا، وبعد ذلك العمل البطولي، قاد بقايا فرقته لستة عشر كيلومتراً إضافيةً قبل أن ينهار بسبب الرصاصات الستة التي أُصيب بها خلال هجومه على منصة الرشاش. وقد كوفئ على ذلك بمنحه ميدالية الخدمة المتميزة، وهي أعلى ميدالية في الدولة. وفي العام 1968، استعان بصديقه بادي تورغيسون في كاسل فولز ليذيب له الميدالية إلى منفضة. بعد أن رأى الصدمة على وجه صديقه، أخبره غاري أنه كان ليطلب منه أن يصنع منها مرحاضاً لكي يتمكن من أن يتبرَّز فيها، لكنها لم تكن كبيرة كفاية. نشرَ بادي القصة، وربما هذه كانت نيّة غاري، أو ربما لا.

في الحالتين، أثار ذلك إعجاب الهيبّيين المحليين به كثيراً. وفي صيف 1968، كان معظم أولئك الهيبّيين في إجازة في منطقة البحيرات مع أهاليهم الأغنياء قبل عودتهم إلى كلياتهم في سبتمبر، حيث يبدو أنهم كانوا يتعلّمون كل شيء ممكن عن المظاهرات والمخدرات والمجامعة.

بعد أن حوَّل بادي تورغيسون ميدالية غاري إلى منفضة، وهو كان يقوم بأعمال تلحيم خاصة في وقت فراغه ويعمل لأيام في كاسل فولز إسّو (أصبحت كلها الآن محطات إكسون، ولم يكن غاري بيرفيير يكترث لهذا أبداً)، وصلت نسخة معدّلة عن القصة إلى كاسل روك كول. وقد كتبَ القصة مراسِل صحفي محلي جلف فسّرها كعملٍ ضد الحرب. عندها بدأ الهيبّيون يظهرون أمام منزل غاري على طريق البلدة رقم 3. أراد معظمهم إبلاغ غاري أنه "طليعيٌ". وأراد بعضهم إبلاغه أنه "عميقٌ". وأراد قلّة منهم إبلاغه أنه "رائعٌ جداً".

وقد أراهم غاري كلهم الشيء نفسه، وهو بندقيته الونشستر. وأمرهم أن يخرجوا من عقاره. بالنسبة له، كلهم مجموعة حمقى طويلي الشعر لا يهتمّون سوى بالمجامعة وتعاطي المخدرات. أخبرهم أنه لا يكترث إذا فجَّر لهم أحشاءهم وتطايرت من كاسل روك إلى فرايبورغ. فتوقَفوا عن القدوم بعد حين، وهذه كانت نهاية قصة الميدالية.

إحدى تلك الرصاصات الألمانية نسفت له خصيته اليمنى؛ وقد وجد المُسعِف معظمها ملطَّخاً على سرواله الداخلي. ونجا القسم الأكبر من خصيته الأخرى، ولا يزال قادراً على استخدام عضوه التناسلي أحياناً. وكثيراً ما أخبر جو كامبر أنه لا يكترث للمسألة كثيراً. فقد منحته دولته الممنونة ميدالية الخدمة المتميزة. وموظفو المستشفى الممنونون في باريس أخرجوه في فبراير 1945 مع 80 بالمئة من معاش تقاعد إعاقة وقرد مطلي بالذهب على ظهره. وأعطاه مسقط رأسه الممنون استعراضاً في ذكرى الاستقلال في العام 1945 (كان قد أصبح وقتها في الحادية والعشرين من عمره وليس في العشرين، وقادراً على أن يصوِّت، وأصبح شعره رمادياً عند الصدغين، شكراً جزيلاً). وأعفى

أعضاء البلدية الممنونون بيت والديه من الضرائب إلى الأبد. هذا كان جيداً، لأنه كان ليخسر البيت منذ عشرين سنة لولا ذلك. استبدَل المورفين الذي لم يعد قادراً على الحصول عليه بالشراب القوي، ثم شرعَ في أهم عمل في حياته، ألا وهو قتل نفسه ببطء وسرور قدر إمكانه.

الآن، في العام 1980، أصبح في السادسة والخمسين من عمره، وشعره رمادياً كلياً، وأكثر شراسة من ثور هائج. والأشخاص الثلاثة الوحيدون الذين يمكنه تحمّلهم هم جو كامبر وإبنه بْرَتّ وكلب بْرَتّ الكبير، كوجو.

مالَ إلى الوراء على كرسي الحديقة المضمحلّ، وكاد يسقط إلى الخلف، وشرب المزيد من شرابه الممزوج بعصير البرتقال. كان الشراب موضوعاً في كوب حصل عليه مجاناً من أحد مطاعم ماكدونالد. كان هناك نوعٌ من الحيوانات الأرجوانية على الكوب. شيء يسمّى تكشيرة. كان غاري يأكل الكثير من وجبات طعامه في ماكدونالد كاسل روك، حيث لا يزال بالإمكان الحصول على همبرغر رخيص. كانت شطائر الهمبرغر لذيذة. لكن بالنسبة للتكشيرة... والعُمدة ماكجبنة... والسيد رونالد ماكدونالد اللعين... لم يكن غاري بيرفيير يكترث لأيٍ منهم.

كان هناك شكل أسمر مصفَرٌّ عريضٌ يتنقّل في العشب العالي على يساره، وبعد لحظة ظهر كوجو، في إحدى نزهاته، في الفناء الأمامي الرثّ لبيت غاري. رأى غاري ونبَح مرةً، بتهذيب. ثم اقترب منه وهو يهزّ ذيله.

"كوجو، أيها اللعين"، قال غاري. ثم وَضَع كوب شرابه وبدأ يبحث بطريقة منهجية عن بسكويت للكلاب في جيوبه. كان يُبقي القليل منها معه دائماً لكوجو، الذي كان أحد الكلاب المخلصين على

الطراز القديم.

وجَد قطعتَي بسكويت في جيب قميصه ورفعهما له على يده.

"اجلس. اجلس في وضع مستقيم".

مهما يكن يشعر بالإحباط أو اليأس، فإن رؤية ذلك الكلب ذي التسعين كيلوغراماً جالساً أمامه مثل أرنب يسلّيه دائماً.

استوى كوجو جالساً، ورأى غاري خدشاً صغيراً لكن بشعاً يتعافى على خطمه. رمى له غاري قطعتَي البسكويت، اللتين كانتا على شكل عظمتين، والتقطهما كوجو في الهواء بسهولة. أفلَت واحدة بين كفّيه الأماميين وبدأ يقضم الأخرى.

"كلب مطيع"، قال غاري وهو يمدّ يده ليربِّت على رأس كوجو. "كلب –"

بدأ كوجو يزمجر. كان الصوت أشبه بلعلعة عميقة في حنجرته. نظر إلى غاري، وكان هناك شيء بارد وتأمليّ في عيني الكلب سبَّب قشعريرة لغاري فسحب يده بسرعة. لأن كلباً كبيراً بحجم كوجو ليس شيئاً يمكن استفزازه. إلا إذا أردتَ قضاء بقية حياتك تستخدم خطّافاً بدلاً من يدك.

"ما بالك؟"، سأل غاري. لم يسمع كوجو يزمجر أبداً من قبل طوال كل سنوات قدومه إلى بيت آل كامبر. الحق يُقال، لم يكن ليصدِّق أن كوجو قادر على الزمجرة.

هزَّ كوجو ذيله قليلاً واقترب من غاري لكي يربّت له، كما لو أنه خجِل من زلته الوجيزة جداً.

"هذا أفضل"، قال غاري وهو ينفش فرو الكلب الضخم. كان

هذا الأسبوع حارقاً، والحرّ سيزداد، وفقاً لجورج ميارا، الذي سمع ذلك من العمّة إيفيه تشالمرز. افترَض أن هذا هو السبب. فالكلاب تشعر بالحرّ حتى أكثر من الناس، واعتبر أنه لا شيء يمنع كلباً أخرق من أن يصبح نكِداً بين الحين والآخر. لكن سماعه كوجو يزمجر بهذه الطريقة كان مضحكاً. ولو أخبره جو كامبر بذلك، لما كان غاري صدَّقه.

"هيا كُل قطعة بسكويتك الأخرى"، قال غاري وأشار إليها.

استدار كوجو، وذهَب إلى قطعة البسكويت، والتقطها بفمه الذي سال خيط لعاب طويل منه، ثم أفلتها. نظَرَ إلى غاري نظرةً اعتذاريةً.

"أنت ترفض الطعام؟"، قال غاري غير مصدِّق. *"أنت؟"* .

رفَع كوجو قطعة البسكويت مرة أخرى وأكلها.

"هذا أفضل"، قال غاري. "بعض الحرّ لن يقتلك. ولن يقتلني أيضاً، لكنه يجعل البواسير تؤلمني كثيراً. حسناً، لا أكترث إذا كبُرَت إلى حجم كُرات الغولف اللعينة. هل تعرفها؟". وضرب بعوضةً.

استلقى كوجو بجانب كرسي غاري بينما رفَع غاري كوب شرابه مرة أخرى. كان قد أوشك وقت الدخول وإعادة ملء الكوب.

"عليَّ إعادة ملء الكوب"، قال غاري. وأومأ برأسه نحو سقف منزله، وسالَ مزيج لزج من عصير البرتقال والشراب على ذراعه الهزيلة المحترقة من الشمس. "انظر إلى هذه المدخنة اللعينة يا عزيزي كوجو. إنها تنهار تدريجياً. أتعرف ماذا؟ لا يهمّني. فلينهَر المكان بأكمله ولن أكترث البتّة. هل تعرف هذا؟".

هزَّ كوجو ذيله قليلاً. لم يكن يعرف ماذا يقول هذا الرجل، لكن إيقاعات صوته مألوفة ومهدئة للأعصاب. استمرت تلك المجادلات

عشر مرات في الأسبوع منذ... حسناً، بالنسبة لكوجو، منذ الأبد. كان كوجو يحبّ هذا الرجل، الذي يحمل معه الطعام دائماً. وفقط مؤخراً بدا كوجو أنه لا يريد الطعام، لكن إذا أراد الرجل إطعامه، فلن يمانع. ثم يمكنه الاستلقاء هنا - مثلما يفعل الآن - والاستماع إلى كلامه المهدئ للأعصاب. على العموم، لم يكن كوجو يشعر أنه بخير. فهو لم يزمجر على الرَجل لأنه يشعر بالحرّ، بل فقط لأنه لم يشعر أنه بخير. وللحظة - للحظة فقط - شعَر برغبة بأن يعضّ الرَجل.

"يبدو أنك حشرتَ أنفك في أجمة العليق"، قال غاري. "ماذا كنت تطارد؟ مرموطاً؟ أرنباً؟".

هزَّ كوجو ذيله قليلاً. وراحت الجداجد تغني في الأجمات الوافرة. خلف المنزل، نمت أجمة عسلة بشكل كبير، جاذبةً النحل النعسان في فترة بعد ظهر الصيف. كان يجب أن يكون كل شيء في حياة كوجو على ما يرام، لكنه لم يكن كذلك نوعاً ما. وهو لا يشعر أنه بخير أبداً.

"لا يهمّني حتى ولو سقطت كل أسنان عامل جورجيا ذاك"، قال غاري ونهض بتردّد. سقط كرسي الحديقة وانطوى على نفسه. إذا كنتَ قد خمَّنتَ أن غاري بيرفيير لم يكن يكترث، ستكون محقاً. "اعذرني يا عزيزي". دخل البيت وصبَّ لنفسه كوب شراب مع عصير برتقال آخر. كان المطبخ يعجّ بالذباب الذي يحوم حول أكياس نفايات خضراء مفتوحة، وعلب فارغة، وزجاجات شراب فارغة.

عندما عاد غاري إلى الخارج حاملاً كوب شرابه الجديد، كان كوجو قد غادر.

في آخر يوم من يونيو، عادت دونا ترنتون من وسط بلدة كاسل

روك (يسمّي السكان المحليون تلك البقعة "وسط الشارع"، لكنها على الأقل لم تكسب بعد *تلك* اللغة الخاصة بولاية ماين)، حيث أوصلت تاد إلى حصة مخيَّمه الصيفي بعد الظهر واشترت بعض البقالة من سوق أغواي. كانت تشعر بالحرّ والتعب، ورؤيتها شاحنة ستيف كيمب الرثّة المطلية بجداريات صحراوية مبهرَجة على جانبيها أثارت غضبها فجأة.

بقي الغضب يغلي ببطء في عروقها طوال اليوم. فقد أخبرها ڤيك عن رحلته الوشيكة عند الفطور، وعندما احتجّت من تركها لوحدها مع تاد لأكثر من عشرة أيام أو أسبوعين أو الله أعلم كم أكثر من ذلك، أوضح لها تماماً ما هي المخاطر التي تواجهه. لقد أخافها كلامه كثيراً، وهي لا تحبّ أن تكون خائفة. فوصولاً حتى هذا الصباح، كانت تعتبر مسألة حلوى توت العليق الأحمر نكتةً - ونكتةً مضحكةً على حساب ڤيك وروجر. لم تتوقّع أبداً أن هكذا أمرٍ منافٍ للعقل يمكن أن تكون له عواقب وخيمة إلى هذا الحد.

ثم بدأ تاد يتذمّر بشأن الذهاب إلى المخيَّم الصيفي، مشتكياً أن فتى أكبر منه أوقعه يوم الجمعة الفائت. كان الفتى الأكبر يدعى ستانلي دوبسون، وكان تاد يخشى أن يوقعه ستانلي دوبسون مرة أخرى اليوم. فراح يبكي ويتعلّق بها عندما أوصلته إلى حقل الفيلق الأميركي حيث يُقام المخيَّم، واضطرت إلى فكّ أصابعه عن بلوزتها بالقوة الواحد تلو الآخر، ما جعلها تشعر أنها نازيّة أكثر مما هي والدة: *ستذهب إلى المخيَّم الصيفي، مفهوم؟* كان تاد يبدو أحياناً *يافعاً جداً* لعمره، سريع العطب جداً. ألا يُفترَض أن يكون الأولاد مُبكري النضج وواسعي الحيلة؟ كانت أصابعه ملطَّخة بالشوكولا وبقيت آثار بصماته على بلوزتها. ذكَّرتها بالبصمات الملطَّخة بالدم التي تراها أحياناً في مجلات

الروايات البوليسية الرخيصة.

وزيادةً في المتعة، بدأت سيارتها الفورد بينتو تتصرّف بشكل مضحك في طريق عودتها إلى المنزل من السوق، فتهتزّ وترتعش كما لو أنها تعاني من حازوقة في حنجرتها. هدأ كل شيء بعد قليل، لكن ما يمكن أن يحصل مرةً يمكن أن يحصل مرة أخرى، و -

- وما زاد الطين بلّة، ها هو ستيف كيمب.

"حقاً؟"، تمتمت، وأمسَكت كيس بقالتها، وخرَجت من السيارة امرأةً داكنة الشعر في التاسعة والعشرين من عمرها، طويلةً، ذات عينين رماديتين. تمكّنت بطريقة أو بأخرى من أن تبدو نضرة رغم الحرّ الشديد، وبلوزتها الملطّخة بأصابع تاد، وشورتها الرمادي الذي بدا ملتصقاً بخصرها ومؤخّرتها.

صعدت السلالم بسرعة ودخلت المنزل عبر باب الشرفة. كان ستيف جالساً على كرسي ڤيك في غرفة الجلوس، ويشرب إحدى زجاجات شراب شعير ڤيك، ويدخّن سيجارةً - الأرجح سيجارته. كان التلفزيون مشتغلاً، ويعرض عذابات مسلسل *المستشفى العام* بألوان زاهية.

"وصلت الأميرة"، قال ستيف بابتسامته غير المتوازنة التي كانت تعتبرها فاتنة جداً وخطيرة بشكل يثير الاهتمام في يوم من الأيام. "اعتقَدتُ أنك لن تعودي أبداً -"

"أريدك أن تخرج حالاً أيها السافل"، قالت بصوت محايد، ودخلت المطبخ. وَضَعت كيس البقالة على المنضدة وبدأت ترتّب الأغراض في أماكنها. لا يمكنها أن تتذكّر آخر مرة كانت فيها غاضبة

إلى هذا الحد، غاضبة إلى درجة أن معدتها انقبضت بقوة. أحد الجدالات التي لا تنتهي مع أمها، ربما. إحدى التجارب المرعبة الحقيقية قبل أن تنصرف إلى المدرسة. عندما ظَهَر ستيف خلفها ولفَّ يدَيه المسمَرّتين حول بطنها العاري، تصرَّفت من دون أي تفكير؛ رفعت مِرفقها إلى الجزء السفلي من صدره. لم يهدأ مزاجها من الحقيقة الواضحة بأنه توقَّع حركتها. كان يلعب كرة المضرب كثيراً، وشَعَرت كما لو أن مِرفقها ارتطم بجدار حجريّ مطلي بطبقة مطاط صلب.

استدارت ونظرت إلى وجهه الملتحي المبتسم. كان طولها مئة وثمانين سنتيمتراً وهي أطول بسنتيمترين من ڤيك عندما ترتدي كعباً، لكن طول ستيف كان حوالي مئة وخمسة وتسعين سنتيمتراً.

"ألم تسمعني؟ أريدك أن تخرج من هنا!".

"الآن، لماذا؟"، سأل. "الصغير في الخارج يصنع مآزر مطرَّزة أو يطلق النار على تفاح موضوع على رؤوس المستشارين بقوسه وسهمه الصغيرين... أو مهما يكن ما يفعلونه هناك... وزوجك يكدح في المكتب... والآن هو الوقت المناسب لكي تقوم أجمل زوجة في كاسل روك وشاعر ومتشرِّد كرة المضرب في كاسل روك بقرع كل أجراس العلاقات الحميمة في تناغم جميل".

"أرى أنك رَكَنت في الممر الخاص لبيتنا"، قالت دونا. "لماذا لا تعلّق لافتة كبيرة على شاحنتك تقول 'إنني أجامع دونا ترنتون'، أو شيء ظريف مماثل؟".

"لديَّ سبب وجيه لأركن في الممر الخاص"، قال ستيف وهو لا يزال يبتسم. "معي خزانة الملابس تلك في الشاحنة. مجرَّدة من كل

ثياب كلياً. تماماً مثلما أتمنى أن تكوني دائماً، يا عزيزتي".

"يمكنك وضعها على الشرفة. وسأهتم بها. وبينما تفعل ذلك، سأكتب لك شيكاً".

خفّت ابتسامته قليلاً. لأول مرة منذ أن دخل، تضاءلت العذوبة السطحية قليلاً وأصبحت قادرة على رؤية الشخص الحقيقي تحتها. كان شخصاً لا يُعجبها أبداً، شخصاً يُرعبها عندما تفكّر فيه على تقارب مع نفسها. لقد كذَبت على ڤيك، تصرَّفت من وراء ظهره، لكي تتمكن من أن تجامع ستيف كيمب. تمنّت لو أن ما تشعر به الآن يمكن أن يكون شيئاً بسيطاً كبساطة إعادة اكتشاف نفسها، كما لو أنها أُصيبت بنوبة حمى بغيضة. أو إعادة اكتشاف نفسها كرفيقة ڤيك. لكن عندما تنظر تحت السطح، سترى الحقيقة البسيطة بأن ستيف كيمب - الشاعر، ومُجدِّد الأثاث الرحّالة، وصانع كراسي من قصب، ولاعب كرة مضرب هاوٍ، وحبيب ممتاز لفترة بعد الظهر - كان غبياً.

"كوني جدّية"، قال.

"نعم، لا أحد يستطيع أن يرفض ستيفن كيمب الوسيم والحسّاس"، قالت. "لا شك أنها نكتة. لكنها ليست كذلك. لذا ما ستفعله، يا ستيفن كيمب الوسيم والحسّاس، هو وضع خزانة الملابس على الشرفة، وتستلم شيكك، وتنصرف".

"لا تكلّميني هكذا يا دونا". وانتقلت يده إلى صدرها وضغط عليه. آلمها ذلك. وبدأت تشعر ببعض الخوف وكذلك الغضب (لكن ألم تكن خائفة قليلاً من البداية؟ ألم يكن ذلك جزءاً من التشويق الصغير البغيض للمسألة؟).

صفَعت يده لإبعادها عنها.

"لا تزعجيني يا دونا". لم يكن يبتسم الآن. "الجو اللعين حار جداً".

"*أنا؟ أزعجك؟* أنت كنت هنا عندما دخَلتُ". خوفها منه جعلها غاضبة أكثر من ذي قبل. كانت لحيته السوداء الكثيفة تصل عالياً إلى وجنتيه، وأدركت فجأة أنه رغم أنها رأت نصفه السفلي عارياً – وعلى مقربة من فمها – إلا أنها لم تنتبه أبداً إلى شكل وجهه حقاً.

"تقصدين"، قال، "أنه كانت لديك حكّة خفيفة وزالت الآن، لذا عليّ أن أنقلع. صح؟ مَن يكترث لمشاعري؟".

"إنك تتنفس عليّ"، قالت، ودفَعَته بعيداً عنها لتأخذ الحليب إلى البراد.

لم يكن يتوقع دفعها له هذه المرة، ففقد توازنه وتعثَّر إلى الخلف. تقسَّمت جبهته بخطوط فجأة، وظهر احمرار داكن على وجنتيه. لقد رأته بهذا المنظر أحياناً على ملاعب كرة المضرب خلف أبنية أكاديمية بريدغتون. عندما يخسر نقطة سهلة. وقد راقَبته يلعب عدة مرات – بما في ذلك بمجموعتين كسح فيهما زوجها المنقطعة أنفاسه بكل سهولة – وفي المرات القليلة التي رأته يخسر، جعلتها ردة فعله تتوتّر كثيراً بشأن تورّطها معه. لقد نشَر قصائد في أكثر من عشرين مجلة صغيرة، وكتاباً، *مطاردة الغروب*، توزيع دار نشر في باتون رُوج تدعى "الصحافة فوق المرأب". تخرَّج من درو، في نيوجيرسي؛ ولديه آراء قوية حول الفن الحديث، والاستفتاء النووي القادم في ماين، وأفلام آندي وورهول، ويستاء من ارتكابه خطأً مزدوجاً بنفس طريقة استياء تاد عند إخباره

أنه حان وقت نومه.

لحقها الآن، وأمسَك كتفها، وأدارها لكي تواجهه. سقطت علبة الحليب من يدها وتطاير السائل على الأرض.

"انظر ماذا فعلت"، قالت دونا. "شكراً أيها الأحمق".

"اسمعي، لن أقبل أن تتجاهليني. هل –"

"اخرج من هنا!"، صَرَخت في وجهه. وغطى رذاذ لعابها خدّيه وجبهته. *"ماذا عليَّ أن أفعل لكي تقتنع؟ هل تحتاج إلى صورة؟ ليس مُرحَّباً بك هنا! كن هديّةً قيمةً لامرأة أخرى!"*.

"أيتها الحقيرة اللعينة"، قال بصوت متجهِّم ووجه مكفهرّ. لم يُفلِت ذراعها.

"وخذ المكتب معك. ارمه في مكبّ النفايات".

حرَّرت نفسها منه وأخذت المنشفة من مكانها المعلَّق فوق حنفية المغسلة. كانت يداها ترتعشان، ومعدتها منقبضة، وبدأت تشعر بصُداع. اعتقَدت أنها ستتقيأ قريباً.

قرفصت على يديها ورُكبتيها وبدأت تمسح الحليب المسكوب.

"تظنين نفسك شخصاً مهماً"، قال. "متى أصبح منفرج ساقيك من ذهب؟ كنت تحبِّين ما نفعله. وتصرخين مطالبةً بالمزيد".

"لقد استخدمتَ صيغة الماضي الصحيحة، على أي حال، أيها البطل"، قالت دون أن ترفع نظرها إليه. كان شعرها متدلياً على وجهها وقد أعجبها ذلك كثيراً. فلم تكن تريده أن يرى مدى شحوب لونها. شعَرت كما لو أن شخصاً دفَعَها إلى كابوس. شعَرت أنه إذا نظَرَت إلى نفسها في مرآة في هذه اللحظة، فسترى مشعوذة بشعة.

"اخرج يا ستيف. لن أقولها لك مرة أخرى".

"وماذا لو لم أخرج؟ هل ستتصلين بالمأمور بانرمان؟ بالتأكيد. فقط قولي، 'مرحبا يا جورج، أنا زوجة رجل الأعمال المحترم، والشاب الذي كنتُ أجامعه واقف بجانبي ويرفض الرحيل. هل يمكنك القدوم وطرده من فضلك؟'. هل هذا ما ستقولينه؟".

عمَّ الرعب فيها الآن. فقبل زواجها من ڤيك، كانت أمينة مكتبة في مدرسة وستشستر، ولطالما كان كابوسها الشخصي أن تطلب من الأولاد للمرة الثالثة – بأعلى درجات صوتها – أن يهدأوا *فوراً*، رجاءً. عندما فعلت ذلك، ينصاعون دائماً – بما يكفيها لكي تُنهي نوبة عملها، على الأقل – لكن ماذا لو لم ينصاعوا؟ هذا كان كابوسها. ماذا لو لم ينصاعوا أبداً؟ ماذا يترك لها هذا؟ السؤال أخافها. أخافها أن يكون هكذا سؤال مطروحاً من الأساس، حتى لنفسها، في ظلمة الليل. كانت تخشى أن تستخدم أعلى درجات صوتها، وقد فعلت ذلك عند الضرورة القصوى فقط. لأنه في هكذا حالات تتوقف الحضارة فجأة. وهذا هو المكان الذي يتحوَّل فيه القطران إلى قذارة. فإذا لم ينصاعوا لك عندما تستخدم أعلى درجات صوتك، يصبح الصراخ ملجأك الوحيد.

كان هذا نفس نوع الخوف. والجواب الوحيد على سؤال الرجل، بالطبع، هو أنها ستصرخ إذا اقترَب منها. لكن هل ستصرخ؟

"اذهب"، قالت بصوتٍ منخفضٍ. "رجاءً. كل شيء انتهى".

"ماذا لو قرَّرتُ خلاف ذلك؟ ماذا لو قرَّرتُ أن أغتصبك هنا فوق هذا الحليب المسكوب اللعين؟".

رفعت نظرها إليه من داخل شعرها المتشابك. كان وجهها لا يزال شاحباً، وعيناها المتوسِّعتان مطوَّقتين بلحم أبيض. "ستجد نفسك عندها في عراك شديد. وإذا تسنَّت لي فرصة أن أمزِّق إحدى خصيتيك أو أقلع إحدى عينيك، فلن أتردد".

للحظة واحدة، وقبل أن ينغلق وجهه، اعتقَدت أنه بدا غير أكيد من نفسه. كان يعرِف أنها سريعة، وأن صحتها جيدة جداً. يمكنه أن يهزمها في كرة المضرب، لكنها ستجعله يتعرَّق ليحقِّق ذلك. خصيتاه وعيناه بأمان على الأرجح، لكنها قد تُحدث بعض الخدوش على وجهه. المسألة برمّتها هي إلى أي مدى يريد أن يذهب. شمَّت رائحة شيء سميك وبغيض في مطبخها، رائحة أدغالٍ، وأدركت مرتعبةً أنها مزيج من خوفها وغضبه. كانت تنبعث من مسامهما.

"سأُعيد المكتب إلى متجري"، قال. "لماذا لا ترسلين زوجك الوسيم ليأخذه يا دونا؟ يمكنني إجراء حديث لطيف معه. عن التعرّي".

ثم خرج، مُغلقاً خلفه الباب الذي يفصل بين غرفة الجلوس والشرفة بقوة كفاية لكسر الزجاج. ثم سمعت بعد لحظة محرّك شاحنته يشتغل، ثم زعيق عجلاتها وهو يبتعد.

أنهت دونا مسح الحليب ببطء، وراحت تنهض من وقت لآخر لتعصر خرقتها في مغسلة الفولاذ الذي لا يصدأ، وهي تراقب خيوط الحليب تختفي في البالوعة. كانت ترتعش بالكامل، جزئياً من تصرّفها، وجزئياً من ارتياحها. وبالكاد سمِعت تهديد ستيف المبطَّن بإخبار فيك. لم تكن قادرة سوى على التفكير، مراراً وتكراراً، بسلسلة الأحداث التي أدّت إلى هكذا مشهد بشع.

صدَّقت حقاً أنها انحرَفت في علاقتها مع ستيف كيمب عن غير قصد تقريباً. كان ذلك أشبه بانفجار أنبوب صرف صحي مدفون في الأرض. وصدَّقت أن هناك أنبوب صرف صحي مشابهاً يمتدّ بشكل أنيق تحت مرج كل زواج في أميركا تقريباً.

لم تكن تريد أن تأتي إلى ماين وارتعبت عندما عرض عليها ڤيك الفكرة. فرغم العطلات التي أمضتها هناك (والعطلات نفسها قد تكون عزّزت هذا الشعور)، كانت تعتبر الولاية أرضاً قاحلةً تعجّ بالغابات، مكاناً يتراكم فيه الثلج في الشتاء إلى ارتفاع ستة أمتار وينعزل الناس عن بقية العالم بشكل كلي تقريباً. وأرعبتها فكرة أخذ طفلهما إلى هكذا بيئة. وقد تخيَّلت - لنفسها وبصوتٍ عالٍ مع ڤيك - هبوب عواصف ثلجية فجأة، فتعزله في بورتلاند وتعزلها في كاسل روك. فكَّرت وتكلَّمت عن تاد يبتلع حبوباً في هكذا حالة، أو يحرق نفسه على الموقد، أو أي كارثة أخرى. وربما جزءٌ من مقاوَمتها كان رفضاً عنيداً للتخلّي عن الإثارة والهرج والمرج التي توفّرها نيويورك.

حسناً، في الحقيقة - الأسوأ لم يكن أحد تلك الأشياء. بل كان اقتناعاً مزعجاً بأن آد ووركس ستفشل وسيعودون جارّين أذيال الخيبة. لكن ذلك لم يحصل، لأن ڤيك وروجر كدَّا وجهدا قدر استطاعتهما. مما عنى أيضاً أنها بقيت مع ولد يكبُر في السنّ والكثير من وقت الفراغ.

كان يمكنها أن تعدّ صديقات عمرها المقرّبات على أصابع اليد الواحدة. وكانت واثقة أنهن سيبقين صديقاتها إلى الأبد، مهما بلغت الشدائد، لكنها لم تكسب صديقات جديدات بسرعة أو سهولة. وفكَّرت في معادلة شهادتها في ماين - كانت شهادات ماين ونيويورك متبادلة؛ والمسألة في أغلبها لا تتطلّب سوى ملء بعض النماذج. ثم

يمكنها الذهاب لمقابلة المُشرِف على المدارس وتضع إسمها على القائمة الفرعية لثانوية كاسل روك. كانت الفكرة مضحكة، وتغاضت عنها بعد احتسابها بعض الأرقام على آلتها الحاسبة. فكلفة الوقود وجليسة الأطفال ستقضي على القسم الأكبر من الدولارات الثمانية والعشرين التي ستتقاضها في اليوم.

لقد أصبحتُ سيدة المنزل الأميركية الأسطورية، فكّرت في سرّها في أحد أيام الشتاء الفائت، أثناء مراقبتها هطول المطر المُثلِج على نوافذ الشرفة. كانت تلازم المنزل، وتُطعم تاد حبوباً وشطائر جبنة محمَّصة وحساء كامبل على الغداء، وتسلّي نفسها بمشاهدة المسلسلات التلفزيونية والاستماع إلى البرامج الإذاعية. كان يمكنها زيارة جارتها جواني وَلش، التي كانت لديها طفلة صغيرة في نفس سنّ تاد تقريباً، لكن جواني كانت تُشعرها بالاضطراب دائماً. فقد كانت أكبر من دونا بثلاث سنوات وأسمن منها بخمسة كيلوغرامات. لم يكن يبدو عليها أنها منزعجة من تلك الكيلوغرامات الخمسة الزائدة. وتقول إن زوجها يحبّها بهذا الشكل. كانت جواني راضية بطبيعة الحياة في كاسل روك.

تدريجياً، بدأ الصرف الصحي يسير عكسياً في الأنبوب. وبدأت تنتقد ڤيك على أشياء صغيرة، وتضخّم الأمور الكبيرة لأن تعريفها كان صعباً، والتعبير عنها أصعب أكثر. أشياء مثل الخسارة والخوف والتقدّم في السنّ. أشياء مثل الوحدة ثم الرعب من أن تصبح وحيدة. أشياء مثل سماع أغنية على الراديو تذكّرها بالمدرسة فتنفجر بكاءً بدون أي سبب. الغيرة من ڤيك لأن حياته كفاحٌ يوميّ لبناء شيء، لأنه كان فارساً مغامراً يحمل درعاً منقوشاً عليه شعار عائلةٍ، وكانت حياتها

تمضي هنا في الاعتناء بتاد، وتسليته عندما يكون ضجراً، والاستماع إلى تذمّره، وإعداد وجبات الطعام له. كانت حياةً تشبه الحياة في الخنادق. يقتصر قسمها الأكبر على الانتظار والترقّب.

بقيت تتوقع أن يتحسّن الوضع عندما يكبُر تاد في السنّ؛ واكتشافها عدم صحة ذلك سبَّب لها رعباً عميقاً. هذه السنة الماضية كان يغادر المنزل إلى الحضانة لثلاثة أيام في الأسبوع؛ وبدأ هذا الصيف يمضي خمس فترات بعد الظهر في الأسبوع في مخيَّم اللعب. كان المنزل يبدو فارغاً بشكل مروع في غيابه. والمداخل تفتح فاهها من دون وجود تاد ليملأها؛ والسُلّم يتثاءب من دون جلوس تاد على إحدى درجاته مرتدياً بيجامته ومتصفّحاً أحد كتبه المصوَّرة.

كانت الأبواب أفواهاً، والسلالم حناجر. وأصبحت الغرف الفارغة أفخاخاً.

لذا راحت تنظّف أرضيات لا تحتاج إلى تنظيف. وتشاهد مسلسلات تلفزيونية طويلة. تذكّرت ستيف كيمب، الذي تبادلت معه بعض الغزل منذ أن وصل إلى البلدة في الخريف الفائت على متن شاحنة تنتمي لوحتها إلى ولاية فيرجينيا، وأنشأ متجراً صغيراً لتجديد الأثاث. وجدت نفسها تجلس أمام التلفزيون من دون أي فكرة عما يُعرَض عليه لأنها كانت تفكّر بمدى تباين سُمرته القوية مع بياض ملابسه لكرة المضرب، أو طريقة تكوُّر مؤخرته عندما يسير بسرعة. وأخيراً فعلت شيئاً. وشعَرت اليوم بانقباض في معدتها وهرعت إلى الحمّام، واضعةً يديها على فمها، وعيناها تحدِّقان في الفراغ. بالكاد تمكّنت من الوصول، وتقيأت كل شيء. نظَرت إلى الفوضى التي تسببّت بها، وكرَّرت التقيؤ مرة أخرى.

عندما شَعَرت بتحسّن في معدتها (لكن رجليها بقيتا ترتعشان، حيث أنها خسرت شيئاً وكسبت شيئاً آخر)، نظَرَت إلى نفسها في مرآة الحمّام. كان الضوء الفلوري يلقي ارتياحاً صعباً وغير مُتملِّق على وجهها. بدت بشرتها شديدة البياض، وعيناها حمراوين، وشعرها ملتصقاً بجمجمتها كأنه خوذة. رأت كيف سيصبح شكلها عندما تصبح عجوزاً، وأكثر شيء روَّعها الآن هو شعورها أنه إذا كان ستيف كيمب هنا، لتركته يجامعها إذا فقط احتضنها وقبَّلها وأخبرها أنه لا داعي لأن تكون خائفة، وأن الوقت خرافةٌ والموت حلمٌ، وأن كل شيء على ما يرام.

خرج صوتٌ منها، شهقةٌ صارِخةٌ لا يمكن بالتأكيد أن تكون قد نشأت في صدرها. كان صوت امرأة مجنونة.

أخفضت رأسها وراحت تبكي.

جلست تشاريتي كامبر على السرير المزدوج الذي تتشاركه مع زوجها جو، وأخفَضت نظرها إلى شيء كانت تحمله في يديها. لقد عادت من المتجر للتو، نفس المتجر الذي تتردَّد عليه دونا ترنتون. كانت تشعر بخدر وبرودة الآن في يديها وقدميها وخدّيها، كما لو أنها خرجت مع جو على درّاجة الثلج لفترة طويلة جداً. لكن بما أن الغد هو الأول من يوليو، كانت درّاجة الثلج مركونة بشكل أنيق في الحظيرة الخلفية ومغطاة بالملاءة الواقية للماء.

لا يُعقَل. هناك خطأ ما.

لكن لم يكن هناك خطأ. لقد أعادت الفحص ست مرات، ولم يكن هناك خطأ.

في النهاية، يجب أن يحصل ذلك لأحدهم، أليس كذلك؟

نعم، بالطبع. *لأحدهم*. لكن لها هي؟

كان يمكنها سماع جو يطرق شيئاً في مرأبه، وكان الصوت عالياً، يشقّ طريقه في فترة بعد الظهر الحارة مثل مطرقة تشكّل معدناً رفيعاً. ساد صمتٌ قصيرٌ، ثم سمعته يقول بشكل خافت: "تباً!".

ضرب بالمطرقة مرة أخرى وساد صمتٌ أطول. ثم صاح زوجها: "*برَتّ!*".

لطالما ارتعدت خوفاً قليلاً عندما يرفع صوته بهذه الطريقة وينادي الفتى. كان بْرَتّ يحبّ أباه كثيراً، لكن تشاريتي لم تكن أكيدة أبداً من شعور جو تجاه إبنه. من المُرعِب التفكير بهكذا شيء، لكنه حقيقيٌ. ففي إحدى المرات، منذ حوالي سنتين، رأت كابوساً رهيباً، واحداً لم تعتقد أنها ستنساه أبداً. حلَمت أن زوجها قاد المذراة نحو صدر بْرَتّ مباشرة. اخترقته الأشواك مباشرةً ومزّقت له الجهة الخلفية لقميصه التائي، ورفعته مثلما ترفع الأوتاد خيمةً في الهواء. *الأبله الصغير لم يأت عندما ناديُته*، قال زوجها في الحلم، واستيقظت مرتعشةً بجانب زوجها الحقيقي، الذي كان يغطّ في النوم في سرواله الداخلي. كان ضوء القمر يفيض بارداً وغير مكترث من النافذة إلى السرير حيث تجلس الآن، وفهِمت مقدار الخوف الذي يمكن أن يشعر به أي شخص، مقدار الرعب الذي يسبّبه وحش ذو أسنان صفراء يسعى إلى أن يأكل الغافلين وغير الأكفاء. ضربها جو بضع مرات خلال زواجهما، وتعلّمت. ربما لم تكن عبقرية، لكن أمها لم تربّي أي *مغفّلين*. وهي *الآن* تفعل ما يطلبه منها جو ونادراً ما تجادله. تعتقد أن بْرَتّ مثلها في هذا. لكنها تخاف على الفتى أحياناً.

ذهَبت إلى النافذة في الوقت المناسب لترى بْرَتّ يركض نحو الحظيرة، وكوجو يتبعه وقد بدا كئيباً ويشعر بالحرّ.

بصوت خافت: "أمسك لي هذا يا بْرَتّ".

بصوت خافت أكثر: "طبعاً يا أبي".

بدأ الطرق مرة أخرى، صوت مِعوَل الثلج العديم الرحمة ذاك: *طاخ! طاخ! طاخ!* تخيَّلت بْرَتّ يُمسك شيئاً على شيء - إزميل على سناد متجمِّد، ربما، أو مسمار مربّع على برغي ملولب. وزوجها يقلِّب سيجارةً بنرفزة عند طرف فمه الرفيع، وقد طوى أكمام قميصه التائي إلى أعلى، ويلوِّح بمطرقة وزنها كيلوغرامين. وإذا كان ثملاً... إذا انحرفت يده عن الهدف ولو قليلاً...

كان يمكنها سماع صراخ بْرَتّ المعذَّب في ذهنها بينما تهرس المطرقة يده وتحوِّلها إلى كتلة حمراء مشظّاة، ووضعت يديها على عينيها لتحجب عنها هذه الصورة.

نظَرَت إلى الشيء الذي في يدها مرة أخرى وتساءلت إن كانت هناك طريقة لاستخدامه بها. أكثر من أي شيء آخر في العالم، أرادت الذهاب إلى كونّكتيكت لتزور أختها هولي. لقد مرّت ست سنوات الآن، في صيف 1974 - تتذكَّر التاريخ جيداً، لأنه كان صيفاً سيئاً لها ما عدا لعطلة نهاية الأسبوع اللطيفة تلك. "كانت السنة 1974 هي السنة التي بدأت فيها مشاكل بْرَتّ الليلية - تململ، أحلام مزعجة، وتزايد مطرِّد في حوادث السير أثناء النوم. كانت أيضاً السنة التي بدأ فيها جو يشرب بكثرة. زالت ليالي بْرَتّ المزعجة وتوقف عن السير أثناء نومه في نهاية المطاف. لكن جو بقي يشرب.

كان بْرَتّ في الرابعة من عمره وقتها؛ وهو الآن في العاشرة ولا يتذكَّر الخالة هولي التي تزوَّجت منذ ست سنوات. رُزقَت بطفل أسمته على إسم زوجها، ثم بطفلة. لم تر تشاريتي كِلا الطفلين أبداً، إبن وإبنة أختها، ما عدا في الصور التي ترسلها هولي من وقت لآخر في البريد.

خافت أن تسأل جو. فقد سئم من سماعها تتكلم عن هذا الموضوع، وقد يضربها إذا سألته مرة أخرى. لقد مرَّ ستة عشر شهراً تقريباً منذ أن سألته لآخر مرة إن كان يمكنهم أخذ عطلة صغيرة إلى كونّكتيكت. لم يكن جو يحبّ السفر كثيراً. وكان راضياً ومقتنعاً بالحياة في كاسل روك. ومرةً في السنة، يذهب مع ذلك العجوز مدمن الشراب غاري بيرفيير وبعض المقرَّبين منهما شمالاً إلى مُوسهَد لاصطياد الغزلان. أراد أن يأخذ بْرَتّ معه في نوفمبر الأخير. رفضت رفضاً قاطعاً *وأصرّت* على موقفها، رغم تمتمات جو المتجهِّمة وعينَي بْرَتّ المجروحتين. لم تكن لتدعَ الفتى يذهب مع تلك المجموعة من الرجال لأسبوعين، ويستمع إلى الكثير من الكلام السوقيّ والنكات البذيئة ويرى صنف الحيوانات التي يمكن أن يصبح عليها الرجال عندما يتناولون الشراب بلا توقف لمدة أيام وأسابيع. وكلهم يحملون بنادق، ويسيرون في غابات كثيفة. دائماً يتأذى أحدهم عاجلاً أم آجلاً، سواء كانوا يرتدون قبعات وسترات برتقالية فلورية أم لا. لن تقبل أن يكون بْرَتّ ذلك الشخص.

بقيت المطرقة تضرب الفولاذ بثبات، بشكل إيقاعي. ثم توقَفت. فخفَّ توتّرها قليلاً. ثم عاد الطرق من جديد.

افترَضت أنه سيأتي يوم سيذهب فيه بْرَتّ معهم، وهذه ستكون نهايته بالنسبة لها. سينضم إلى ناديهم، وستصبح بعد ذلك مجرد خادمة مطبخ تحافظ على نظافة النادي. نعم، تعرِف أن ذلك اليوم سيأتي،

وتشعر بالحزن لذلك. لكنها تمكّنت على الأقل من تأجيله سنة أخرى.

وهذه السنة؟ هل ستتمكن من إبقائه معها في المنزل في نوفمبر هذا؟ ربما لا. في الحالتين، سيكون أفضل - ليس على ما يرام كلياً لكن على الأقل أفضل - لو تمكّنت من أخذ بْرَتّ إلى كونّكتيكت أولاً. من أن تأخذه إلى هناك وتُريه كيف...

... كيف...

مكتبة
t.me/soramnqraa

آه، قوليها، حتى ولو لنفسك فقط.

(كيف يعيش بعض الناس المحترمين).

إذا سمح لهما جو بالذهاب لوحدهما... لكن لا فائدة من التفكير هكذا. بإمكان جو أن يذهب إلى أي مكان لوحده أو مع أصدقائه، لكن لا يمكنها فعل ذلك، حتى ولو كان بْرَتّ معها. هذه إحدى القواعد الأساسية لزواجهما. لكن لم يكن بوسعها عدم التفكير كم سيكون الحال أفضل من دونه - من دون جلوسه في مطبخ هولي، يُسرف في شرب شراب الشعير، وينظر صعوداً ونزولاً بعينيه البنيتين الوقِحتين إلى جيم زوج هولي. سيكون الحال أفضل من دون نفاد صبره للمغادرة، إلى أن ينفد صبر هولي وجيم أيضاً ويصبحان بشوق لكي يغادروا...

هي وبْرَتّ.

فقط هما الاثنان.

يمكنهما الذهاب في الحافلة.

فكَّرت: نوفمبر الفائت، أراد أن يأخذ بْرَتّ إلى الصيد معه.

فكَّرت: هل يمكنها عقد صفقة معه؟

شعرت بالبرد يملأ تجاويف عظامها. هل *ستوافق* حقاً على هكذا صفقة؟ يمكنه أخذ بْرَتّ معه إلى مُوسهَد في الخريف إذا وافق جو بدوره أن يدعهما يذهبان إلى ستراتفورد في الحافلة -؟

كان هناك مال يكفي - الآن على الأقل - لكن المال لوحده لن يُنجح خطتها. سيأخذ المال ولن ترى قرشاً واحداً منه مرة أخرى. إلا إذا لعِبت أوراقها بشكل صحيح. بشكل... صحيح.

بدأ عقلها يدور بشكل أسرع. وتوقف الطرق في الخارج. رأت بْرَتّ يغادر الحظيرة، وهو يخبّ، وشعرت ببعض السرور. كان جزءٌ منها مقتنعاً أنه إذا أُصيب الفتى بأذى خطير، فسيكون في ذلك المكان المظلم الذي تنتشر فيه نشارة الخشب فوق الشحوم القديمة على الأرضية الخشبية.

هناك حل. يجب أن يكون هناك حل.

إذا كانت مستعدة أن تغامر.

كانت تُمسك بطاقة قرعة حظ بين أصابعها. راحت تقلّبها في يدها أثناء وقوفها عند النافذة، وتفكّر.

عندما عاد ستيف كيمب إلى متجره، كان يشعر بنشوة غاضبة نوعاً ما. كان متجره في الضواحي الغربية لكاسل روك، على الطريق رقم 11، وقد استأجره من مُزارع لديه ممتلكات في كاسل روك وفي بريدغتون المجاورة أيضاً. لم يكن المُزارع مجرد أحمق؛ بل أحمق بامتياز.

كان برميل التقشير الخاص بستيف يهيمن على المتجر، بالإضافة إلى وعاء حديدي مموَّج يبدو كبيراً كفاية ليغلي عدداً من الناس دفعة

واحدة. وكانت أعماله تجلس حوله مثل أقمار صغيرة حول كوكب كبير: مكاتب، خزائن ملابس، خزائن زخف، خزائن كتب، طاولات. كان الهواء يعبق برائحة الورنيش، وسوائل التقشير، وزيت الكتّان.

كانت معه ملابس نظيفة في حقيبة سفر رثّة عليها شعار الخطوط الجوية TWA؛ فقد كان ينوي أن يغيِّر ملابسه بعد أن يجامع الحقيرة. لكنه قذفَ الحقيبة الآن في المتجر. فارتدت عن الجدار البعيد وحطَّت فوق خزانة ملابس. سار إليها ودفعها جانباً. ثم ركلها أثناء سقوطها، فارتطمت بالسقف قبل أن تقع على جانبها مثل مرموط ميت. ثم وَقَف صامتاً، يتنفّس بصعوبة، ويستنشق الرائحة الثقيلة، ويحدِّق في الكراسي الثلاثة التي وعَد بأن يُصلحها قبل نهاية الأسبوع. كان إبهاماه موضوعين في حزامه. وأصابعه ملفوفة في قبضتين. وشفته السفلى مدفوعة إلى الخارج. بدا مثل ولد حَرِد بعد تعرّضه للتأنيب.

"*الحقيرة!*" ، قال بغضب، وتوجّه إلى حقيبة السفر. لوّح برجله كما لو أنه يريد أن يركلها مرة أخرى، ثم غيَّر رأيه ورفعها عن الأرض. سار في الحظيرة ودخل المنزل ذا الغرف الثلاثة الذي يجاور المتجر. كان الجو حاراً أكثر هناك. حرّ يوليو المجنون الذي يصيب الرأس. كان المطبخ مليئاً بأطباق قذرة. والذباب يئزّ حول كيس قمامة بلاستيكي أخضر مليء ببقايا طعام وعلب سردين فارغة. وهناك تلفزيون أسود وأبيض كبير قديم ماركة زينيت يهيمن على غرفة الجلوس كان قد أنقَذه من مكبّ نفايات نابولي. وقط مرقَّط كبير، يدعى بيربي كاربو، ينام فوقه مثل شيء ميت.

كانت غرفة النوم هي المكان الذي يعمل فيه على كتاباته. والسرير نفسه ذو عجلات، وغير مرتَّب، والملاءة متيبّسة من السائل

المنوي. مهما يكن مقدار المجامعة التي يحصل عليها (وهذا كان صفراً في الأسبوعين الأخيرين)، كان يستمني كثيراً. فهو يعتبر أن الاستمناء دلالة على الإبداع. كان مكتبه بجانب السرير، وعليه آلة كاتبة كبيرة قديمة الطراز مكدَّسةٌ مخطوطاتٍ على جانبيها. وهناك مزيد من المخطوطات، بعضها في علب، وبعضها مثبَّت بأحزمة مطاطية، مكوَّمة في إحدى الزوايا. كان يكتب كثيراً ويتنقّل كثيراً وعمله هو أمتعته الرئيسية - في أغلبه قصائد، وبضع قصص، ومسرحية سريالية تتكَّلم فيها الشخصيات ما مجموعه تسع كلمات، ورواية هاجَمها بشدّة من ست زوايا مختلفة. لقد مرَّت خمس سنوات منذ أن عاش في مكان واحد لمدة طويلة كفاية لكي يفرِّغ حقائبه بالكامل.

ديسمبر الفائت، وبينما كان يحلق في أحد الأيام، اكتشَف أولى الشعرات الرمادية في لحيته. سبَّب له هذا الاكتشاف إحباطاً كبيراً، وأبقاه مكتئباً لأسابيع. بقي لا يلمس الشفرة لفترة طويلة بين الحين والآخر، كما لو أن الحلاقة هي التي سبَّبت ظهور الرمادي بطريقة أو بأخرى. كان في الثامنة والثلاثين من عمره. ورفَض تقبُّل فكرة أن يكون في ذلك السنّ، لكنها تتسلَّل إلى الجهة العمياء لذهنه أحياناً وتفاجئه. فأن يكون في ذلك السنّ - وجود أقل من سبعمئة يوم تفصله عن أن يصبح في الأربعين من عمره أرعبه. كان مقتنعاً حقاً أن سنّ الأربعين هو للأشخاص الآخرين.

تلك الحقيرة، فكَّر في سرّه مراراً وتكراراً. تلك *الحقيرة*.

كان قد هجر عشرات النساء منذ أول جماع له مع مدرِّسة بديلة للغة الفرنسية غامضة وجميلة وعاجزة بلطف عندما كان لا يزال في الثانوية، لكنه لم يُهجَر سوى مرتين أو ثلاث مرات. كان بارعاً في رؤية

الهوّة قادمة نحوه فيخرج من العلاقة قبلهن. كان هذا تدبيراً وقائياً، مثل رمي ورقة ملكة البستوني لشخص آخر في لعبة الليخة. عليك أن تفعل ذلك فور سناح الفرصة لك، وإلا فقد ترتدّ المصيبة عليك. عليك أن تحمي نفسك. كان يعرف أن دونا تتصرّف بلا مبالاة تجاه علاقتهما، لكنها أشعرته أنها امرأة يمكن التلاعب بها من دون صعوبة كبيرة، على الأقل لبعض الوقت، عبر مزيج من عوامل نفسية وجنسية. وعبر عامل الخوف، إذا أردتَ أن تكون فظاً. وعدم سير الأمور على هذا المنوال جعله يشعر بالألم والغضب، كما لو أنه جُلِدَ عاري الظهر.

خلع ملابسه، ورماها مع محفظته على مكتبه، ودخل الحمّام، واستحمّ. شعَر بتحسّن بسيط عندما خرج. ارتدى ملابسه مرة أخرى، ساحباً سروال جينز وقميصاً قطنياً رقيقاً باهتاً من حقيبة السفر. رفعَ قطعه النقدية الصغيرة، ووضعها في جيب أمامي، ثم توقف مؤقتاً وراح يتأمل محفظته. كانت بعض بطاقات تعريف المهنة قد سقطت منها. كان هذا يحصل دائماً، لأن عددها كبير جداً.

كانت محفظة ستيف كيمب تهوى تجميع الأشياء التافهة. وأحد الأشياء التي يلتقطها ويخزّنها فيها تقريباً دائماً هي بطاقات تعريف المهنة. كانت تشكِّل إشارات مرجعية لطيفة، والمساحة الفارغة على جهتها الخلفية توفِّر مكاناً ممتازاً لتدوين عنوانٍ، أو اتجاهات بسيطة، أو رقم هاتف. يأخذ بطاقتين أو ثلاث أحياناً إذا صدفَ وكان في متجر سمكرة أو إذا أوقفه بائع بوالص تأمين. ستيف من الأشخاص الذين لا يتورّعون عن طلب بطاقة تعريف المهنة من عامل المتجر بابتسامة كبيرة.

عندما كانت العلاقة بينه وبين دونا تسير بقوة وزخم، صدفَ ولاحظ إحدى بطاقات تعريف مهنة زوجها على التلفزيون. كانت دونا

تستحمّ أو شيئاً من هذا القبيل. فأخذ البطاقة. بلا سبب كبير. فقط بدافع هواية تجميع الأشياء التافهة.

فتَح محفظته الآن وراح يبحث بين البطاقات، بطاقات من وكلاء تأمين في فيرجينيا، وسماسرة عقاريين في كولورادو، وعشرات الشركات الأخرى. ظنَّ للحظة أنه أضاع بطاقة الزوج الوسيم، لكنها كانت قد انزلَقت بين ورقتَي عملة. أخرجها ونظَرَ إليها. بطاقة بيضاء، ونص أزرق مكتوب بحالة أحرف صغيرة. السيد رجل الأعمال المنتصِر. هادئ لكن مؤثّر. لا شيء مبهرَج.

روجر برايكستون   آد ووركس   فيكتور ترنتون
1633 شارع الكونغرس
تلكس: آدووركس   بورتلاند، ماين   04001
هاتف (207) 799-8600

سحَب ستيف ورقة من كومة ورق نسخ رخيص وأفسح مجالاً في المكان أمامه. نظر للحظة إلى آلته الكاتبة. لا. فالأحرف المطبوعة على كل آلةٍ كاتبةٍ فريدةٌ من نوعها مثل بصمة الإصبع. حرفه الـ a الصغير المعقوف هو الدليل القاطع حضرة المفتّش. لم تحتج هيئة المحلّفين إلى وقت طويل لتُصدر حكمها.

لن تكون هذه قضية لدى الشرطة، البتّة، أبداً، لكن الحذر واجب في كل الظروف. ورق رخيص، متوفر من أي مكتبة، بلا آلة كاتبة.

أخذ قلم حبر جاف من علبة القهوة على زاوية المكتب وكتبَ بأحرف كبيرة:

مرحباً، فيك
لديك زوجة لطيفة
استمتعتُ بمجامعتها ليلاً نهاراً.

توقف مؤقتاً، وراح يطرق القلم على أسنانه. بدأ يشعر بتحسّن. بأنه عاد إلى التحكم بزمام الأمور. إنها امرأة جميلة بالطبع، وافترَض الاحتمال الوارد جداً بأن ترنتون سيتجاهل ما كتبه له حتى الآن. فالكلام رخيص، ويمكنك أن ترسل رسالةً إلى شخص بأقل من ثمن كوب قهوة. لكن هناك شيء... دائماً يوجد شيء. ماذا قد يكون؟

ابتسم فجأة؛ عندما يبتسم بهذه الطريقة يُضيئ وجهه كله، وكان من السهل رؤية لماذا لم يواجه أبداً متاعب كثيرة مع النساء منذ تلك الأمسية مع المدرِّسة البديلة للغة الفرنسية الغامضة والجميلة.

كتَب:

ما رأيك بتلك الشامة الموجودة فوق
منفرج ساقيها مباشرة؟
إنها تبدو لي كعلامة استفهام.
هل لديك أي أسئلة؟

كان هذا كافياً؛ كانت أمه تقول دائماً إن وجبة طعام لذيذة توازي مأدبةً كاملةً. وجَد مغلفاً ووضع الرسالة داخله. بعد تردّد قصير، وضع بطاقة تعريف المهنة أيضاً، وعنونَ المغلف، بأحرف كبيرة أيضاً، بعنوان مكتب ڤيك. بعد لحظة تفكير، قرَّر إظهار بعض الرحمة للقذِر المسكين وأضاف كلمة "شخصي" تحت العنوان.

أسنَد الرسالة على عتبة النافذة ومال إلى الوراء على كرسيه، وهو يشعر بتحسّن كبير. سيكون قادراً على الكتابة هذه الليلة. كان متأكداً من ذلك.

في الخارج، توقفت شاحنةٌ لوحتها من خارج الولاية في الممر الخاص لبيته. شاحنة محمَّلة خزانة كبيرة رائعة. هناك أشخاص محظوظون

بحصولهم على هكذا صفقة رابحة من أحد المتاجر.

نهض ستيف عن كرسيه. سيسرُّه أن يأخذ مالهم وخزانتهم، لكنه شكَّ حقاً أن يتسنّى له وقت ليُنهي هذه المهمة. فبعدما تُرسَل الرسالة بالبريد، قد يحصل تغييرٌ في الأجواء. لكنه لن يكون تغييراً كبيراً، على الأقل ليس قبل مرور بعض الوقت. شعَر أنه مَدين لنفسه بأن يبقى في الأرجاء لمدة كافية ليقوم بزيارة أخرى واحدة على الأقل إلى السيدة محظوظة... بالطبع بعدما يتأكد أن الزوج الوسيم ليس في المنزل. لقد لعِب ستيف كرة المضرب مع الرجل وهو ليس لاعباً بارعاً – نحيل، نظارات سميكة، ضرباته بظهر المضرب ضعيفة – لكن لا أحد يعلم متى يُجنّ جنون الزوج الوسيم ويفعل شيئاً لا اجتماعياً. فعدد كبير من الأزواج الوسيمين يحتفظون بمسدسات في منازلهم. لذا عليه أن يتفحّص المكان جيداً قبل الذهاب إلى هناك. سيسمح لنفسه بالقيام بالزيارة الوحيدة تلك ثم يُنهي هذه المسرحية كلياً. قد ينتقل إلى أوهايو لبعض الوقت. أو بنسلفانيا. أو تاوُس، نيو مكسيكو. لكن مثل أي مُعدّ مقالب وضعَ مفرقعة صغيرة في سيجارة شخصٍ، أراد الانتظار (على مسافة متعقّلة، بالطبع) ومشاهدتها تنفجر.

كان سائق الشاحنة وزوجته يحدِّقان في المتجر لكي يريا إن كان في الداخل. تمشّى ستيف إلى الخارج، واضعاً يديه في جيبَي سرواله الجينز، ومبتسماً. ابتسمت له المرأة فوراً. "مرحبا، هل يمكنني مساعدتكما؟"، سأل، وفكَّر أنه سيرسل الرسالة بالبريد حالما يمكنه التخلّص منهما.

في ذلك المساء، ومع غروب الشمس حمراء ومستديرة وحارّة في الغرب، وقفَ ڤيك ترنتون، بقميصه المعقودان كُمّاه حول خصره، ينظر

إلى محرّك بينتو زوجته. كانت دونا تقف بجانبه حافية القدمين، وتبدو يافعةً ومنتعشةً في شورت أبيض وبلوزة ذات مربعات حمراء وبلا أكمام. وكان تاد، الذي يرتدي ثوب سباحته فقط، يقود دراجته الثلاثية العجلات بجنون صعوداً ونزولاً على الممر الخاص للبيت، ويلعب لعبةً ذهنيةً ما يبدو أنها تتضمن پونش وجون من مسلسل "تشيبس" في معركة ضد دارث فايدر.

"اشرب شايك المُثلَّج قبل أن يسخن"، قالت دونا لڤيك.

"آه". كان الكوب على طرف مقصورة المحرّك. شرب ڤيك جرعتين منه، وأعاده إلى مكانه دون أن ينظر، فسقط - في يد زوجته.

"التقاط مدهش"، قال.

ابتسمت. "كل ما في الأمر هو أنني أعرفك عندما يكون ذهنك في مكان آخر. انظر. لم تتم إراقة أي قطرة".

ابتسما لبعضهما البعض للحظة - للحظة *جيدة*، فكّر ڤيك في سرّه. ربما كان ذلك من مجرد خياله، أو من تفكيره بالتمني، لكن بدا له مؤخراً أن عدد اللحظات الجيدة ازداد. وقلَّ عدد الكلمات الجارحة. كما قلَّت فترات الصمت البارد، أو - ربما هذا أسوأ - غير المبالي فقط. لم يعرف السبب، لكنه كان ممنوناً.

"نادي تمرين من الطراز الرفيع حصراً"، قال. "لديك طرقك الخاصة للوصول إلى دوري الكبار يا فتاة".

"ما مشكلة سيارتي إذاً أيها المدرِّب؟".

كان قد نزعَ مصفاة الهواء ووضعها على الممر الخاص للبيت. "لم أر أبداً صحن فريسبي مثل هذا من قبل"، قال تاد بنبرة واقعية منذ بضع

لحظات، مستديراً بدراجته الثلاثية العجلات حولها. مال ڤيك إلى الوراء وراح يطرق رأس مفكّ البراغي بشكل خفيف على الـمُكربِن.

"المشكلة في الـمُكربِن. أعتقد أن صمام الإبرة ناتئ".

"وهل هذا سيئ؟".

"ليس كثيراً"، قال، "لكن يمكنه إيقاف السيارة إذا قرَّر أن ينغلق. فصمام الإبرة يتحكّم بتدفّق الوقود إلى الـمُكربِن، ولن تتقدّمين خطوة واحدة من دون وقود. هذا يشبه قوانين الدولة يا عزيزتي".

"بابا، هل تدفعني على الأرجوحة؟".

"أجل، بعد قليل".

"جيد! سأنتظرك في الخلف!".

بدأ تاد يستدير حول المنزل نحو الأرجوحة/الصالة الرياضية التي أعدّها ڤيك الصيف الفائت، بينما كان يُنعش نفسه بأكواب شراب، ويعمل وفق مجموعة خرائط بعد العشاء في ليالي الأسبوع وعطل نهاية الأسبوع، ومستمعاً إلى أصوات معلّقي بوسطن ريد سوكس تدوّي من الراديو الذي بجانبه. وبقي تاد، الذي كان وقتها في الثالثة من عمره، يجلس بوقار على حاجز القبو أو السلالم الخلفية، مُسنداً ذقنه على يديه، ومُحضراً له بعض الأشياء أحياناً، ومراقباً بصمت في أغلب الأحيان. الصيف الفائت. صيفٌ جيدٌ، وليس حاراً جداً مثل هذا الصيف. بدا له وقتها أن دونا تأقلمت أخيراً وبدأت ترى أن ماين وكاسل روك وآد ووركس يمكن أن تكون أشياء جيدة لهم جميعاً.

ثم البقعة السيئة الـمُحيِّرة، وأسوأ ما فيها هو ذلك الشعور المزعج، التوقّعي تقريباً، بأن الأمور خاطئة حتى أكثر مما أراد أن يعتبرها. بدأت

الأمور في المنزل تبدو غير صائبة، كما لو أن يدين غير مألوفتين تحرّكها. وخطرت على باله الفكرة المجنونة – هل كانت مجنونة؟ – بأن دونا تغيّر الملاءات كثيراً. كانت نظيفة دائماً، وفي إحدى الليالي لمعَ ذلك السؤال الأزليّ في ذهنه، وتردَّد صداه بشكل بغيض: *مَن كان ينام في سريري؟*

بدت الأمور تتهادى الآن. ولولا مشكلة حلوى توت العليق المجنونة والرحلة البغيضة التي تنتظره، لشعَرَ أن هذا الصيف يمكن أن يكون صيفاً جيداً جداً أيضاً. يفوز المرء أحياناً. وليست كل الآمال عقيمة. صدَّق ذلك، رغم أنه لم يختبر إلهامه بشكل جدّي أبداً.

"تاد!"، صاحت دونا بشكل جعل الفتى يوقف دراجته مع زعيق من عجلاتها. "ضع دراجتك الثلاثية العجلات في المرأب".

"ماماااا!".

"الآن، رجاءً يا سيد".

"شيد"، قال تاد وضحِك في يديه. "لم تركني السيارة يا ماما".

"بابا يُصلحها لي".

"نعم، لكن –"

"اسمع كلام أمك يا تادر"، قال ڤيك وهو يرفع مصفاة الهواء عن الأرض. "سأكون معك بعد قليل".

ركب تاد على دراجته الثلاثية العجلات وقادها إلى المرأب، مرافقاً نفسه مع عويل إسعاف صاخب.

"لماذا تعيده إلى مكانه؟"، سألت دونا. "ألن تُصلحه؟".

"إنه عمل دقيق"، قال ڤيك. "ولا أملك الأدوات له. وحتى لو كنتُ أملكها، سأتلفه على الأرجح بدلاً من إصلاحه".

"تباً"، قالت بتجهّم، وركلت عجلةً. "هذه الأشياء لا تحصل أبداً إلا بعد أن تنتهي فترة الكفالة، أليس كذلك؟". لم تقطع البينتو سوى 30,000 كيلومتر، ولا تزال هناك ستة أشهر قبل أن تصبح ملكهم كلياً.

"هذا يشبه قوانين الدولة أيضاً"، قال ڤيك. أعاد وَضَع مصفاة الهواء مكانها وشدَّ الصمولة.

"أظن أنه يمكنني أخذها إلى ساوث باريس بينما يكون تاد في المخيَّم الصيفي. لكنني سأحتاج إلى أن استأجر سيارة، بما أنك غائب. هل ستوصلني إلى ساوث باريس يا ڤيك؟".

"بالتأكيد. لكنك لست مضطرة إلى فعل ذلك. خذيها إلى مرأب جو كامبر. إنه يبعُد عشرة كيلومترات فقط، وهو بارع في عمله. هل تتذكَّرين عندما تعطَّل سناد العجلة في الجاغوار؟ لقد نزعه باستخدام رافعة مصنوعة من عمود هاتف قديم وتقاضى عشرة دولارات. يا إلهي لو ذهبتُ إلى ذلك المكان في بورتلاند، لكانوا أفرغوا لي حسابي المصرفي بلمح البصر".

"لقد وتّرني ذاك الرجل"، قالت دونا. "بالإضافة إلى حقيقة أنه كان ثملاً".

"كيف وتّرك؟".

"عينان فضوليتان".

ضحِك ڤيك. "عزيزتي، هناك أمور كثيرة معك ليكون المرء فضولياً بشأنها".

"شكراً"، قالت، "المرأة لا تمانع بالضرورة أن يُنظَر إليها. ما يوتّر هو عندما يعرّيها الآخر في ذهنه". صمتت قليلاً، وشعَرَ أن صمتها

غريب، وأشاحت بنظرها إلى الضوء الأحمر المتجهّم في الغرب. ثم عادت والتفَتت إليه. "يُشعرنا بعض الرجال أن هناك فيلماً صغيراً يدعى *اغتصاب نساء سابيون* يُعرَض في أذهانهم طوال الوقت ويعطوننا... دور البطولة فيه".

تملّكه ذلك الشعور الفضولي البغيض بأنها تتكلم عن عدة أشياء دفعة واحدة – مرة أخرى. لكنه لم يرغب أن يناقش ذلك هذه الليلة، ليس عندما كان يخرج أخيراً من شهر رديء.

"عزيزتي، الأرجح أنه غير مؤذٍ أبداً. لديه زوجة، وولد –

"نعم، أنت محق على الأرجح". لكنها شبكت يديها فوق صدرها وأمسكت مِرفقيها براحتَيها، وهذه حركة تُظهر عصبيتها عادة.

"اسمعي"، قال. "سآخذ البينتو إلى هناك هذا السبت واتركها لديه إذا اضطررتُ، موافقة؟ الأرجح أنه سيتمكن من إصلاحها فوراً. سأتناول كوبَي شراب شعير معه وألاعب كلبه. هل تتذكَّرين ذلك الكلب الذي من فصيلة السانت برنارد؟".

كشَّرت دونا. "حتى إنني أتذكَّر إسمه. كاد يوقع تاد أرضاً عندما راح يلعقه. هل تتذكَّر؟".

أومأ ڤيك برأسه. "أمضى تاد بقية بعد الظهر يركض وراءه ويناديه 'كوووجو... تعال، كوووجو'".

ضحِكا معاً.

"أشعر أنني غبية جداً أحياناً"، قالت دونا. "لو كنتُ قادرة على قيادة سيارة ذات مبدّل تروس يدوي، لكنتُ قدتُ الجاغوار في غيابك".

"هذا أفضل لك. فتلك الجاغوار غريبة الأطوار. عليك التكلم

معها". خَبَط غطاء البينتو مُغلقاً إياه.

"آه، أيها الأحمق!" ، صاحت. "كوب الشاي المُثلَّج هناك!".

وبدا متفاجئاً جداً لدرجة أنها انفجرت ضاحكةً. ثم انضم إليها بعد دقيقة. ازدادت حدّة الضحك أخيراً لدرجة أنهما اضطرا إلى الاستناد على بعضهما البعض مثل ثملَين. عاد تاد إلى الجهة الخلفية للمنزل ليرى ما الذي يجري، وبدت الحيرة في عينيه. أخيراً، مُقتنِعاً أنهما بخير في الأغلب رغم تصرّفهما بشكل مخبول، انضم إليهما. كان هذا نفس الوقت تقريباً الذي أرسل فيه ستيف كيمب رسالته بالبريد على بُعد أقل من ثلاثة كيلومترات.

لاحقاً، مع حلول الغسق وتراجع حدّة الحرّ قليلاً وبدء أولى اليراعات تُضيء الباحة الخلفية لمنزلهم، دفَع ڤيك إبنه على الأرجوحة.

"أعلى، بابا! أعلى!".

"أعلى من ذلك وستدور دورة كاملة يا ولد".

"إذاً ادفعني من الأسفل يا بابا! ادفعني من الأسفل!".

دفعَ ڤيك تاد دفعةً قويةً جعلت الأرجوحة تطير نحو سماء بدأت طلائع النجوم تظهر فيها، وركض تحت الأرجوحة إلى الجهة المقابلة. راح تاد يصرخ بفرح، مُميلاً رأسه إلى الخلف، وشعره يتطاير في الهواء.

"هذا *رائع* يا بابا! ادفعني من الأسفل مرة أخرى!".

دفعَ ڤيك إبنه دفعةً قويةً أخرى، من الأمام هذه المرة، فحلَّق تاد في الليل الذي لا يزال حاراً. كانت العمّة إيفيه تشالمرز تسكن على مقربة من هناك، وصرخات انشراح تاد المرتعبة كانت آخر أصوات

سمعتها وهي تموت؛ فقد توقف قلبها عن الخفقان، بعد أن تمزّق أحد جدرانه الرقيقة جداً فجأة (وبلا ألم تقريباً) أثناء جلوسها على كرسي مطبخها، مُمسكةً فنجان قهوة بيدٍ وثامن سيجارة متتالية باليد الأخرى؛ مالت إلى الوراء وأظلَمَت الدنيا في عينيها وسمِعت ولداً يصرخ في مكان ما، وبدا لها ذلك الصراخ للحظة فرِحاً، لكن مع خروج الصرخات كما لو أنها ناتجة عن دفعة قوية لكن غير قاسية من الخلف، بدا لها أن الولد يصرخ خوفاً؛ ثم غادرت، وستجدها إبنة أخيها آبي في اليوم التالي، مع قهوتها الباردة مثل جسمها، وسيجارتها أنبوبٌ مثاليٌّ ومُرهَفٌ من الرماد، وطقم أسنانها السفلي ناتئ من فمها المجعَّد مثل فتحة مليئة بأسنان.

قبل موعد نوم تاد بقليل، جلَس مع ڤيك على منصة البيت الخلفية. ڤيك يحمل كوب شراب شعير. وتاد كوب حليب.

"بابا؟".

"ماذا؟".

"أتمنى لو لم تكن مضطراً إلى السفر الأسبوع القادم".

"سأعود".

"نعم، لكن –"

كان تاد ينظر إلى أسفل، يكافِح الدموع. وَضَع ڤيك يده على عنقه.

"لكن ماذا أيها البطل؟".

"مَن سيقول الكلمات التي تُبقي الوحش بعيداً عن الخزانة؟ ماما لا تعرفها! أنت فقط مَن يعرفها!".

انهمرت الدموع الآن على خدَّي تاد.

"هل هذا كل شيء؟"، سأل ڤيك.

بدأت كلمات الوحش (سمّاها ڤيك في الأصل تعليمات الوحش، لكن تاد وجد صعوبة مع تلك الكلمة، لذا تم تعديلها) في أواخر الربيع، عندما بدأت أحلام تاد المزعجة ومخاوفه الليلية. قال إن هناك شيئاً في خزانته؛ ويُفتَح باب خزانته في الليل أحياناً فيراه هناك، شيء له عينان صفراوان تريدان التهامه. ظنَّت دونا أن ذلك قد يكون من تداعيات كتاب موريس سنداك *أين هي الأشياء الوحشية*. وتساءل ڤيك بصوتٍ عالٍ أمام روجر (لكن ليس أمام دونا) إن كان تاد سمع معلومات مشوهة عن جرائم القتل الجماعي التي حصلت في كاسل روك وقرّر أن القاتل - الذي أصبح بُعبُعاً للبلدة - حيّ وبصحة جيدة في خزانته. قال روجر إنه يفترض أن هذا ممكن؛ *فكل شيء* ممكن مع الأولاد.

ودونا نفسها بدأت ترتعب قليلاً بعد أسبوعين من هذا؛ فقد أخبرت ڤيك في صباح أحد الأيام بابتسامة متوترة أن الأشياء في خزانة تاد تظهر في غير مكانها أحياناً. حسناً، لا شك أن تاد فعل ذلك، أجابها ڤيك. أنتَ لا تفهم، قالت دونا. إنه لم يعد يفتحها، يا ڤيك... أبداً. يخاف ذلك. وأضافت أن رائحة الخزانة في الواقع تبدو كريهة أحياناً بعد كابوس تاد. كما لو أن حيواناً محبوسٌ هناك. مضطرباً، دخلَ ڤيك الخزانة ليشمَّها، وفي ذهنه نصف يقينٍ أن تاد ربما يسير أثناء نومه؛ وربما يدخل خزانته ويبوِّل فيها كجزء من دورة أحلام غريبة. لم يشمّ رائحة أي شيء سوى كرات العث. الخزانة، التي كان الجدار أحد جانبيها وألواح خشبية جانبها الآخر، تمتدّ حوالي مترين ونصف إلى الخلف. كانت ضيقة مثل عربة القطار. لم يكن هناك بُعبُع داخلها،

وڤيك بكل تأكيد لم يخرج منها إلى عالم نارنيا. بل علق بعض بيوت العناكب في شعره. هذا كل شيء.

اقترحت دونا أولاً ما أسمَته "أفكار الأحلام السعيدة" لمحاربة مخاوف تاد الليلية. أجاب تاد بأن الشيء الموجود داخل خزانته سرق منه أفكاره للأحلام السعيدة. توتَّر مزاجها - ربما جزئياً لأنها كانت مرتعبةً من خزانة تاد نفسها. ففي إحدى المرات، وأثناء تعليقها بعض قمصان تاد هناك، انغلق الباب بهدوء خلفها ومرّت عليها أربعون ثانية سيئة وهي تبحث بارتباك عن الباب لتخرج. شمَّت شيئاً هناك تلك المرة - شيئاً حاراً وقريباً وعنيفاً. رائحة متلبِّدة. ذكَّرتها تلك الرائحة قليلاً برائحة عرق ستيف كيمب بعد انتهائهما من المجامعة. كانت الخلاصة هي اقتراحها المقتضب بأنه بسبب عدم وجود الوحوش، يجب على تاد أن يضع المسألة بأكملها خلف ظهره، ويعانق دبدوبه، وينام.

إما كانت لڤيك نظرة أعمق أو أنه تذكَّر بوضوح أكثر باب الخزانة الذي تحوّل إلى فمٍ أحمق معتوهٍ في ظلمة الليل، مكانٍ تُصدِر فيه الأشياء الغريبة حفيفاً أحياناً، مكانٍ تتحوّل فيه الملابس المعلَّقة إلى رجال معلَّقين أحياناً. تذكَّر بغموض الظلال التي يمكن أن يلقيها عمود الإنارة على الجدار في الساعات الأربعة اللانهائية في نهاية اليوم، وأصوات الصرير التي ربما كانت صادرة عن استرخاء المنزل أو ربما - فقط *ربما* - عن تسلّق شيء على الجدار.

كانت تعليمات الوحش، أو فقط كلمات الوحش إذا لم تكن متشدِّداً بعلم المعاني، هي الحل الذي اقترحه. في الحالتين، كان مجرد تعويذة بدائية للبقاء بمنأى عن الشر. اخترَعها ڤيك في أحد الأيام خلال تناوله الغداء، وقد نجحت أمام ارتياح دونا الممزوج بالكَدَر حين

فشلت جهودها باستخدام علم النفس، والتدريب على تحسين فعالية الأهل، وأخيراً، التأديب الفظ. فراح ڤيك يقولها فوق السرير كل ليلة بينما تاد مستلقٍ عارياً تحت ملاءة فردية في الظلمة الخانقة.

"هل تعتقد أن ذلك سيفيده على المدى الطويل؟"، سألت دونا. بدا صوتها يحمل نبرة لهو وغضب في آن. حصل ذلك في منتصف مايو، عندما كان التوتّر بينهما على أشدّه.

"وكلاء الإعلانات لا يهتمّون بالمدى الطويل"، أجاب ڤيك. "بل يهتمون بالارتياح السريع، السريع، السريع. وأنا بارع في عملي".

"نعم، لا أحد يقول كلمات الوحش، هذه هي المسألة، هذه هي *أغلب* المسألة"، أجاب تاد الآن وهو يمسح الدموع عن خدّيه باشمئزاز وإحراج.

"حسناً، اسمعني جيداً"، قال ڤيك. "إنها مكتوبة. لهذا السبب يمكنني قولها نفسها كل ليلة. سأطبعها على ورقة وأعلّقها على جدارك. وهكذا ستتمكن ماما من قراءتها لك كل ليلة أكون غائباً فيها".

"حقاً؟ هل ستفعل ذلك؟".

"بالتأكيد. لقد قلتُ إنني سأفعله".

"ألن تنسى؟".

"أبداً. سأفعل ذلك هذه الليلة".

وضع تاد يدَيه حول أبيه، وعانَقه ڤيك بقوة.

في تلك الليلة، بعدما نام تاد، دخل ڤيك غرفة الفتى بهدوء وعلَّق ورقة على الجدار بدبوسٍ. وَضَعها بجانب تقويم الرسوم المتحركة لتاد، حيث لا يمكن أن يغفل عنها الولد. وكان ما يلي مطبوعاً على تلك

الورق بأحرف كبيرة وواضحة:

كلمات الوحش

من أجل تاد

أيتها الوحوش، ابقي خارج هذه الغرفة!
ليس لديك عمل هنا.
لا للوحوش تحت سرير تاد!
لا يمكنك أن تتسعي هناك.
ممنوع اختباء الوحوش في خزانة تاد!
المكان ضيق جداً هناك.
لا للوحوش خارج نافذة تاد!
لا يمكنك المكوث هناك.
لا لمصّاصي الدماء، لا للمستذئبين، لا للأشياء التي تعضّ.
ليس لديك عمل هنا.
لا شيء سيلمس تاد، أو يؤذي تاد، طوال هذه الليلة.
ليس لديك عمل هنا.

بقي ڤيك ينظر إلى هذا لوقت طويل وذكَّر نفسه بأن يُخبر دونا مرتين إضافيتين على الأقل قبل أن يغادر لكي تقرأها للولد كل ليلة. ليُفهمها مدى أهمية كلمات الوحش بالنسبة لتاد.

في طريقه للخروج، رأى أن باب الخزانة مفتوحٌ. قليلاً فقط. فأغلَقه بإحكام وخرج من غرفة إبنه.

في وقت لاحق من ذلك المساء، تأرجح الباب مفتوحاً مرة أخرى. وراح برق الحرّ يترجرج بشكل متشتّت، واشماً ظلالاً مجنونةً هناك.

لكن تاد لم يستيقظ.

عند السابعة والربع من صباح اليوم التالي، مرَّت شاحنة ستيف

كيمب على الطريق 11 متوجّهةً إلى الطريق 302. سينعطف يساراً هناك ويقود نحو الجنوب الشرقي، قاطعاً حدود الولاية إلى بورتلاند. كان ينوي المكوث في جمعية الشبّان في بورتلاند لبعض الوقت.

كانت توجد مجموعة أنيقة من رسائل البريد المعنونة على لوحة القيادة في الشاحنة – غير مكتوبة بأحرف كبيرة هذه المرة بل مطبوعة على آلته الكاتبة، التي كانت موضوعة الآن في مؤخرة شاحنته، إلى جانب بقية أغراضه. لم يحتج إلى أكثر من ساعة ونصف ليوضّب أمتعته في كاسل روك، بما في ذلك بيرني كاربو، الذي كان يأخذ قيلولة الآن في علبته بجانب الباب الخلفي.

كانت الطباعة على المغلفات ذات نوعية محترفة. لأن ست عشرة سنة من التأليف الإبداعي حوّلته إلى ضارب ممتاز على الآلة الكاتبة، إذا لم يكن هناك شيء آخر. وقد أخذ من نفس العلبة التي وضع في أحد مغلفاتها الرسالة المجهولة إلى ڤيك ترنتون في الليلة السابقة. لم يكن ليكترث أبداً أن يغادر دون تسديد كامل إيجار المتجر والمنزل لو كان ينوي مغادرة الولاية، لكن بما أنه كان ذاهباً إلى بورتلاند فقط، شعَر أنه من الحكمة إتمام كل شيء بشكل قانوني. لا يمكنه ترك بعض الأمور عالقة هذه المرة؛ كان معه أكثر من ستمئة دولار نقداً مخبأة في الحُجَيرة الصغيرة خلف حُجَيرة القفاز في الشاحنة.

بالإضافة إلى شيك يغطي الإيجار المستحق عليه، كان يعيد العربون إلى كل شخص دفعه له لتنفيذ مهمة كبيرة. وإلى جانب كل شيك ملاحظةٌ مهذّبةٌ تقول إنه آسف جداً لتسبّبه بأي إزعاج لكن أمه مرضت مرضاً خطيراً فجأة (كل أميركي شجاع كان يتفاعل مع قصة حزينة). ويستطيع الأشخاص الذين أوكلوه بالقيام بعمل ما أن يأخذوا

أثاثهم من المتجر – المفتاح موضوع على الحافة فوق الباب، مباشرة على اليمين – وأن يعيدوه رجاءً إلى المكان نفسه بعد ذلك. شكراً، شكراً، ثرثرة ثرثرة، هراء هراء. سينزعج بعض الأشخاص، لكن لن تكون هناك مشاحنات حقيقية.

رمى ستيف الرسائل في صندوق البريد. وانتابه شعور بالرضى من أنه حمى نفسه جيداً. قاد بعيداً نحو بورتلاند، وهو يغني "شوغاري" مع أعضاء فرقة غرايتفول دَدّ. زاد سرعة الشاحنة إلى تسعين كيلومتراً في الساعة، على أمل أن تبقى حركة المرور خفيفةً لكي يتمكن من الوصول إلى بورتلاند باكراً كفاية ليجد ملعب كرة مضرب فارغاً في ماين. بدا اليوم جيداً على العموم. وإذا لم يكن رجل الأعمال المحترم قد استلم قنبلته الصغيرة بعد، فسيستلمها اليوم بالتأكيد. جميل، فكّر ستيف في سرّه، وانفجر ضاحكاً.

عند السابعة والنصف، وبينما كان ستيف كيمب يفكِّر بكرة المضرب وڤيك ترنتون يذكِّر نفسه بضرورة أن يتصل بجو كامبر ليسأله عن بينتو زوجته، كانت تشاريتي كامبر تُعدّ الفطور لإبنها. كان جو قد غادر إلى لويستون منذ نصف ساعة، آملاً أن يجد زجاجاً أمامياً لسيارة كامارو موديل 1972 في أحد مستودعات خردة السيارات أو قِطع الغيار المستعملة في المدينة. هذا لاءم خطة تشاريتي جيداً، التي كانت قد وضعتها ببطء وعناية.

وَضَعت طبق البيض المخفوق واللحم المقدَّد أمام بْرَتّ ثم جلست بجانب الفتى. رفع بْرَتّ نظره من الكتاب الذي كان يقرأه متفاجئاً قليلاً. فبعد إعدادها الفطور له، تبدأ أمه عادةً دورة أعمالها الصباحية.

وإذا تكلَّم معها كثيراً قبل أن تصبّ لنفسها فنجان قهوةٍ ثانٍ، ستُذيقه مرّ لسانها.

"هل يمكنني أن أكلّمك لدقيقة يا بْرَتّ؟".

تحوَّل التفاجؤ الطفيف إلى شيء يشبه الدهشة. فقد رأى شيئاً غريباً تماماً على طبيعة أمه القليلة الكلام. كانت متوترة. أغلَق الكتاب وقال، "بالتأكيد يا ماما".

"هل تودّ –". تنحنحت وبدأت مرة أخرى. "ما رأيك بالذهاب إلى ستراتفورد، كونّكتيكت، وزيارة خالتك هولي وزوجها جيم؟ ونسيبَيك؟".

ابتسم بْرَتّ. فهو لم يخرج من ماين إلا مرتين في حياته، وآخر مرة مع أبيه في رحلة إلى بورتسموث، نيو هامبشاير، حيث زارا مزاداً علنياً للسيارات المستعملة واشترى جو سيارة فورد 1958 ذات محرّك نصف كروي. "بالتأكيد!"، قال. "متى؟".

"كنت أفكّر بالاثنين"، قالت. "بعد عطلة نهاية أسبوع ذكرى الاستقلال. سنغيب لأسبوع. هل يمكنك فعل ذلك؟".

"*أظن!* يا إلهي، لقد ظننتُ أن لدى أبي عملاً كثيراً في الأسبوع القادم. لا شك أنه –"

"لم أُخبر أبيك بهذا بعد".

زالت ابتسامة بْرَتّ. رفَع قطعة لحم مقدَّد وبدأ يأكلها. "حسناً، أعرف أنه وعَد ريتشي سيمز بإصلاح محرّك شاحنته إنترناشونال هارفيستير. والسيد ميلر من المدرسة سيُحضر سيارته الفورد لأن ناقل الحركة فيها معطَّل. و–"

"فكّرتُ أن نذهب نحن الاثنان"، قالت تشاريتي. "في الحافلة من بورتلاند".

بدا بْرَتّ مرتاباً. خارج منخل الشرفة الخلفية، صعد كوجو السلالم ببطء واستلقى في الظل وهو ينخر. نظَرَ إلى الفتى والمرأة بعينين حمراوين مُنهَكتين. بدأ يشعر أنه بحال سيئة جداً الآن، سيئة فعلاً.

"يا إلهي، لا أعرف يا ماما –"

"لا تتكلّم بهذه الطريقة".

"آسف".

"هل تودّ أن تذهب؟ إذا وافق أبوك؟".

"نعم، بالتأكيد! هل تعتقدين أنه يمكننا الذهاب حقاً؟".

"ربما". كانت تنظر خارج النافذة التي فوق المغسلة بتبصّر.

"كم تبعُد ستراتفورد يا ماما؟".

"أظن حوالي خمسمئة وخمسين كيلومتراً".

"يا إلهي – أقصد، آه كم المسافة بعيدة. هل –"

"بْرَتّ".

نظَرَ إليها بانتباه. لقد عادت النزعة القوية الفضولية إلى صوتها ووجهها. ذلك التوترّ.

"ماذا يا ماما؟".

"هل يمكنك أن تفكّر بأي شيء يحتاج إليه أبوك في المتجر؟ أي شيء كان يحاول الحصول عليه؟".

شردت عينا بْرَتّ قليلاً. "حسناً، يحتاج دائماً إلى مفاتيح ربط قابلة للتعديل... وكان يريد مجموعة جديدة من المفاصل الكروية...

ويمكنه الاستعانة بخوذة تلحيم جديدة بما أنه يوجد تشقّق في اللوح الزجاجي للخوذة القديمة –"

"لا، أقصد أي شيء كبير. مُكلف".

فكَّر بْرَتّ لبرهة، ثم ابتسم. "حسناً، أظن أن ما يودّ الحصول عليه حقاً هو رافعة يورغن جديدة. تُخرج المحرّك القديم من شاحنة ريتشي سيمز بكل سهولة". تورَّد خجلاً وأكمل يقول. "لكن لا يمكنك أن تشتري له شيئاً كهذا يا ماما. إنها رافعة عزيزة حقاً".

عزيزة. كلمة جو التي يقصد بها مُكلفة. إنها تكره هذه الكلمة.

"كم؟".

"حسناً، ثمن التي في الكتالوغ ألف وسبعمئة دولار، لكن أبي يستطيع على الأرجح الحصول عليها من متجر السيد بيلاسكو في بورتلاند بسعر الجملة. يقول أبي إن السيد بيلاسكو يخاف منه".

"هل تعتقد أن هناك ذكاءً في ذلك؟"، سألت بحدّة.

استراح بْرَتّ على كرسيه، خائفاً قليلاً من شراستها. لا يمكنه أن يتذكَّر أمه تتصرّف هكذا أبداً من قبل. حتى كوجو، المستلقي على الشرفة، رفع أذنيه قليلاً.

"ماذا؟ أجبني؟".

"لا يا ماما"، قال، لكن تشاريتي كانت تعرَف بطريقة يائسة أنه يكذب. إذا استطعتَ إخافة أحدهم لكي يعطيك سعر البيع بالجملة، فستكون تاجراً ذكياً. لقد سمِعت الإعجاب في صوت بْرَتّ، حتى ولو لم يسمعه الفتى نفسه. *يريد أن يكون مثله بالضبط. يظن أن أبيه بارع عندما يخيف أحدهم. يا إلهي.*

"لا ذكاء في القدرة على إخافة الأشخاص"، قالت تشاريتي. "فكل ما يلزم هو صوت جهوريّ وبعض الدناءة. لا ذكاء أبداً في شيء كهذا". أخفضت صوتها ولوَّحت له بيدها. "اذهب وكُل البيض. لن أصرخ عليك. أظنه الحرّ".

أكَل، لكن بهدوء وحذر، وهو ينظر إليها بين الحين والآخر. كانت هناك ألغام مخفية هذا الصباح.

"أتساءل كم سعر البيع بالجملة؟ ألف وثلاثمئة دولاراً؟ ألف؟".

"لا أعرف يا ماما".

"هل بيلاسكو هذا يوصل البضاعة إلى المنزل؟ للطلبيات الكبيرة كهذه؟".

"أظن ذلك. إذا كان معنا هذا المبلغ".

مدَّت يدها إلى جيب فستانها المنزلي. كانت بطاقة قرعة الحظ هناك. والرقم الأخضر عليها، 76، والرقم الأحمر، 434، يطابقان الرقمين المسحوبين من قِبل لجنة قرعة الدولة قبل أسبوعين. تحقّقت من ذلك عشرات المرات، غير قادرة على تصديق الأمر. لقد استثمَرت خمسين سنتاً ذلك الأسبوع، على غرار ما بقيت تفعله كل أسبوع منذ بدء القرعة في العام 1975، وقد فازت بخمسة آلاف دولار هذه المرة. لم تقبض الجائزة بعد، لكنها لم تدع البطاقة تغيب عن نظرها أو متناول يدها منذ أن عرَفت.

"لدينا هذا المبلغ"، قالت. فراح بْرَتّ يحملق فيها.

عند العاشرة والرُبع، خرج ڤيك خلسةً من مكتب آد ووركس

وذهَب إلى بنتلي ليشرب قهوته الصباحية، غير قادر على مواجهة القهوة المتوفرة في المكتب. كان قد أمضى الصباح في كتابة إعلانات لمزارع ديكوستر للبيض. لكن الأمور صعبة. فهو يكره البيض منذ صباه، عندما كانت أمه تجبره على تناول واحدة لأربعة أيام في الأسبوع. وأفضل ما توصّل إليه حتى الآن كان "البيض يعبّر عن الحب... بشكل خفي". ليس جيداً جداً. فالجزء "بشكل خفي" جعله يتخيّل صورة فوتوغرافية مركَّبة تُظهر بيضةً مع سحّاب في وسطها. كانت صورة جيدة، لكن إلى أين تؤدي؟ ليس إلى أي مكان يمكنه أن يكتشفه. عليه أن يسأل تادر، فكّر في سرّه، بينما أحضَرت له النادلة قهوته وكعكة مافن بالأويسة. لأن تاد يحبّ البيض.

لم يكن إعلان البيض حقاً الذي أحضره إلى هنا، بالطبع. بل فكرة سفره لإثني عشر يوماً. حسناً، عليه فعل ذلك، بعد أن أقنَعه روجر به. سيكون عليهما الذهاب إلى هناك وبذل أقصى ما بوسعهما.

روجر الثرثار، الذي يحبّه ڤيك مثل أخ تقريباً. كان روجر ليحبّذ كثيراً القدوم معه إلى بنتلي، ليشرب القهوة معه، ويقرع رأسه بالثرثرة. لكن هذه المرة بالذات، احتاج ڤيك إلى أن يكون لوحده. ليفكِّر. فسيُمضيان معظم فترات الأسبوعين القادمين معاً بدءاً من الاثنين، يبذلان قصارى جهدهما، وهذا أكثر من كافٍ، حتى لأعز الأصدقاء.

عاد تفكيره إلى الفشل الذريع لحلوى توت العليق الأحمر، وتركه يجول في ذهنه، عالماً أن مراجعة بلا ضغوط وخاملة تقريباً لحالةٍ سيئةٍ يمكنها - على الأقل له - أن تؤدي إلى بصيرة جديدة، إلى زاوية جديدة.

ما حصل كان سيئاً كفاية، وسُحبت الحلوى من السوق. سيئاً

كفاية، لكن ليس فظيعاً. لم يكن مماثلاً لحالة الفطر المعلَّب ذاك؛ فلا أحد مرِضَ أو تُوفِّي، وحتى المستهلكين أدركوا أن أي شركة يمكنها أن ترتكب غلطة مثيرة للسخرية بين الحين والآخر. انظر إلى الكوب الهدية الذي وزّعته سلسلة مطاعم ماكدونالد منذ حوالي ثلاث سنوات. وُجد أن الطلاء على الكوب يحتوي على نسبة مرتفعة بشكل غير مقبول من الرصاص. لذا سُحبت الأكواب بسرعة، وأُرسلت إلى ذلك المستودع الترويجي المسكون بأشياء مثل سبيدي ألكاسيلتزر، وكذلك علكة ديك الكبيرة، وهي أكثر غرض مفضَّل لدى ڤيك.

شكَّلت الأكواب صيتاً سيئاً لشركة ماكدونالد، لكن لا أحد اتَّهم رونالد ماكدونالد بمحاولة تسميم جمهور المراهقين. ولا أحد اتَّهم أستاذ حبوب شارب أيضاً، رغم أن الكوميديين بدءاً من بوب هوب إلى ستيف مارتن سخروا منه، وجوني كارسون قدَّم مونولوجاً كاملاً – مبطّناً بمعانٍ مزدوجةٍ – عن مسألة حلوى توت العليق الأحمر في إحدى إطلالاته المسائية على التلفزيون. لا داعي للقول إنه تم إيقاف عرض إعلانات أستاذ حبوب شارب. ولا داعي للقول أيضاً إن الممثل الذي لعب شخصية الأستاذ أصبح فظاً تجاه الأحداث التي حصلت معه.

يمكنني تخيّل حالة أسوأ من ذلك، قال روجر بعد أن هَمَدت موجات الاعتراض الأولى قليلاً، ولم تعد المكالمات البعيدة المسافة بين بورتلاند وكليفلاند بنفس الكثافة اليومية.

ماذا؟، سأل ڤيك.

حسناً، أجاب روجر بنبرة جدّية، *يمكننا أن نعمل على حساب بون فيفانت فيشيسواز.*

"مزيد من القهوة يا سيد؟".

رفع ڤيك نظره إلى النادلة. كان على وشك أن يرفض، ثم أومأ برأسه وقال، "نصف كوب من فضلك".

صَبَّت له وابتعدت. راح ڤيك يحرِّك قهوته عشوائياً، ولم يشربها.

مرَّت فترة خوف صحي قصيرة قبل أن يبدأ عدد من الأطباء بالتصريح على التلفزيون وفي الصحف بأن التلوين غير ضارٍ. حصل شيء مماثل لهذا في السابق؛ فقد وُجد لون برتقالي غريب في اليخنات المقدَّمة في رحلات شركة طيران تجارية تبيَّن لاحقاً أنه فقط من آثار الصباغ البرتقالي على سترات النجاة التي تستخدمها المضيفات عند توضيح إجراءات السلامة للركاب قبل الإقلاع. وقبل ذلك بسنوات، سبَّب صباغ الطعام في أحد أصناف شطائر النقانق موجةً داخليةً مماثلةً لحلوى توت العليق الأحمر.

رفع محامو شارپ دعوى قضائية ضد صانع الصباغ لمطالبته بدفع عطل وضرر تصل قيمته إلى عدة ملايين من الدولارات، وهي دعوى ستستغرق ثلاث سنوات على الأرجح في المحاكم. في جميع الأحوال، شكَّلت الدعوى منتدىً لإعلام الرأي العام بأن الخلل - الخلل *المؤقت كلياً*، الخلل غير *المؤذِ أبداً* - لم يكن ذنب شركة شارپ.

ومع ذلك، انخفض سعر سهم شارپ في البورصة بحدّة. وقد عوَّض منذ ذلك الوقت أقل من نصف قيمة انخفاضه الأصلية. كما انخفضت مبيعات الحبوب نفسها بشكل مفاجئ، لكنها عوَّضت منذ ذلك الحين معظم الخسائر التي شهدتها بعد حادثة الحلوى. في الواقع، كان مزيج كل الحبوب يحقّق مبيعات أفضل من أي وقت مضى.

لذا لم يكن هناك خطأ، صح؟

خطأ. خطأ كبير.

كان أستاذ حبوب شارپ هو الخطأ. فالمسكين لم يتمكن أبداً من استعادة صورته الناصعة. بعد الخوف تأتي السخرية، وقد تعرَّض الأستاذ، بسِحنته الواعية ومحيطه التعليمي، لسخرية لا توصف.

جورج كارلن، في فقرته في النادي الليلي: "نعم، إنه عالم مجنون. عالم مجنون". يميل رأسه فوق المذياع للحظة متأمّلاً، ثم يرفع نظره مرة أخرى ويقول، "فريق ريغن يُجري حملته اللعينة على التلفزيون، صح؟ الروس يسبقون الأميركيين في سباق التسلّح. الروس يُنتجون الصواريخ بالآلاف، صح؟ لذا يظهر جيمي على التلفزيون ليقدِّم أحد عروضه ويقول، 'أحبائي الأميركيين، اليوم الذي يسبقنا فيه الروس في سباق التسلّح سيكون اليوم الذي يتبرَّز فيه الشباب الأميركي برازاً أحمر'".

يضحك الجمهور كثيراً.

"لذا يتصل روني بجيمي هاتفياً ويقول له، 'سيدي الرئيس، ماذا تناولت آيمي على الفطور؟'".

يضحك الجمهور كثيراً. يصمت كارلن قليلاً. ثم يقول الذروة *الحقيقية* للنكتة بنبرةٍ منخفضةٍ متملّقةٍ:

"لاااااا... لا يوجد خطأ هنا".

يدوّي تصفيق الجمهور بقوة. يهزّ كارلن رأسه بحزن. "براز أحمر يا رجل. مدهش. هيا نطمره".

هذه كانت المشكلة. جورج كارلن كان المشكلة. بوب هوب كان المشكلة. جوني كارسون كان المشكلة. ستيف مارتن كان المشكلة. كل نكتة في صالون حلاقة في أميركا كانت المشكلة.

ثم فكّروا بهذا: انخفض سعر سهم شارپ تسع نقاط ولم يستعد منها سوى أربع نقاط وربع. ومالكو الأسهم سيطالبون برأس أحدهم. لنرى... رأس مَن سنعطيهم؟ مَن اقترح الفكرة اللامعة بابتكار شخصية أستاذ حبوب شارپ في المقام الأول؟ ما رأيكم بأولئك الشباب؟ لا تهتمّوا بحقيقة أن شخصية الأستاذ ظهرت قبل أربع سنوات من أزمة الحلوى. لا تهتمّوا بحقيقة أنه عند ظهور أستاذ حبوب شارپ (وأترابه رامي الكعكات البارع وجورج وغرايسي)، كان سعر سهم شارپ أقل بثلاث نقاط وربع من سعره الحالي.

لا تهتمّوا بكل ذلك. اهتمّوا فقط بالتالي: مجرد *حقيقة*، مجرد *الإعلان العام* في الإعلام بأن آد ووركس خسِرت حساب شارپ – مجرد ذلك سيجعل سعر السهم يرتفع نقطة ونصف أخرى إلى نقطتين على الأرجح. وعندما تبدأ حملة إعلانية جديدة فعلياً، سيعتبرها المستثمرون دلالةً على أن الشركة تخطّت أخيراً الويلات القديمة، وقد يرتفع سعر السهم نقطة أخرى.

بالطبع، فكّر ڤيك في سرّه وهو يحرّك السكر في قهوته، هذه مجرد نظرية. فحتى لو تبيَّن أن النظرية حقيقية، يعتقد مع روجر أن مكسباً لشارپ على المدى القصير سيكون أكثر من نكسة إذا لم تنجح حملة إعلانية جديدة، أعدّها بتهوّر أشخاصٌ لا يعرفون شركة شارپ مثلما يعرفها وروجر، أو لا يعرفون سوق الحبوب التنافسية بشكل عام.

وفجأة لمعَ ذلك الموقف الجديد، تلك الزاوية الجديدة، في ذهنه. حصل ذلك بشكل متطفِّل وغير متوقَع. توقف فنجان قهوته في منتصف الطريق إلى فمه واتّسعت عيناه. تخيَّل رجلين – ربما هو وروجر، وربما مالك شارپ العجوز وإبنه المُسنّ – يملأون قبراً. كانت

مجارفهم تتطاير، وهناك فانوسٌ يرتعش نوره بشكل متقطّع في الليل العاصف، وقطرات المطر تنهمر. وألقى رعاة الشركة أولئك لمحة مستترة عَرَضيّة خلفهم. كان دفناً يجري في الليل، عملاً خفياً يُنفَّذ في جنح الظلام. كانوا يدفنون أستاذ حبوب شارپ في السر، *وهذا كان خطأ*.

"خطأ"، تمتم بصوتٍ عالٍ.

بالتأكيد كان خطأ. لأنهم إذا دفنوه في الليل، لن يتمكّن أبداً من قول ما عليه أن يقوله: أنه آسف.

أخذ قلم حبره من جيب معطفه الداخلي، وأخذ منديلاً من الحاملة، وكَتَب عليه بسرعة:

يجب على أستاذ حبوب شارپ أن يعتذر.

نظَرَ إلى ما كتبه. كانت الأحرف تكبُر مع تشرّب المنديل للحبر. ثم أضاف تحت تلك الجملة الأولى:

دفن أنيق.

وتحت ذلك:

دفن في وضح النهار.

لا يزال غير أكيد من معنى هذا؛ كان مجازياً أكثر منه ملموساً، لكن هكذا كانت تأتيه أفضل أفكاره. ويوجد شيء هنا. كان متأكداً من ذلك.

كان كوجو مستلقياً على أرضية المرأب نصف مكتئب. الجو حار هنا لكنه حتى أسوأ في الخارج... وضوء النهار في الخارج ساطع جداً. لم يكن هكذا أبداً من قبل؛ في الواقع، لم يلاحظ أبداً نوعية الضوء من

قبل. لكنه يلاحظه الآن. رأسه يؤلمه. عضلاته تؤلمه. والضوء الساطع يجعل عينيه تؤلمانه. إنه يشعر بالحرّ. وخطمه لا يزال يؤلمه حيث خُدِشَ. يؤلمه ويتقيَّح.

لقد اختفى الرجل في مكان ما. وبعد فترة قصيرة من مغادرته، ذهب الفتى والمرأة إلى مكان ما، وتركاه لوحده. كان الفتى قد وضع طبقاً كبيراً من الطعام لكوجو، وقد أكَل منه قليلاً. الطعام جعل شعوره أسوأ وليس أفضل، فترَك ما تبقى منه وشأنه.

سمع الآن هدير شاحنة تدخل الممر الخاص للبيت. نهض كوجو وذهَب إلى باب الحظيرة، وهو يعرف مسبقاً أنه شخص غريب. فقد كان يعرف صوت شاحنة الرجل وسيارة العائلة. وَقَف في المدخَل، مادّاً رأسه في الوهج الساطع الذي يؤلم عينيه. سارت الشاحنة عكسياً في الممر الخاص ثم توقفت. نزَل منها رجلان وذهبا إلى مؤخرتها، وفتح أحدهما بابها الخلفي المتحرّك. صوت الطرطقة القوي أزعج أذنيَ كوجو. فانتحَب وانسحَب إلى الظُلمة المريحة.

كانت الشاحنة من بورتلاند للآلات. فقبل ثلاثة ساعات، ذهبت تشاريتي كامبر مع إبنها الذي لا يزال منبهراً إلى المكتب الرئيسي لبورتلاند للآلات على جادة برايتون وكتبت شيكاً شخصياً لشراء رافعة يورغن جديدة تبيَّن أن سعرها بالجملة هو $1,241.71 بالضبط، وهذا يشمل الضريبة. قبل ذهابها إلى بورتلاند للآلات، ذهبت إلى المتجر في شارع الكونغرس لتملأ استمارةً للمطالبة بجائزة قرعة الحظ. بْرَتّ، الذي كان ممنوعاً عليه بتاتاً الدخول معها إلى المتجر، وَقَف على الرصيف واضعاً يديه في جيوبه.

قال البائع لتشاريتي إنها ستستلم شيكاً من لجنة قرعة الحظ في البريد. بعد كم من الوقت؟ أسبوعان كحد أقصى. سيأتي محسوماً منه حوالي ثمانمئة دولار للضرائب. كان هذا المبلغ يستند على تصريحها بشأن مدخول جو السنوي.

المبلغ المحسوم للضرائب لم يُغضِب تشاريتي أبداً. فحتى اللحظة التي تحقّق فيها البائع من رقمها على ورقته، كانت تحبس أنفاسها، ولا تزال غير مصدِّقة أن هذا حصل لها حقاً. ثم أومأ البائع برأسه، وهنّأها. كل ذلك لا يهمّ. ما يهمّ هو أنه يمكنها أن تتنفّس من جديد الآن، والبطاقة لم تعد مسؤوليتها. لقد عادت إلى أحشاء لجنة قرعة الحظ. سيكون شيكها في البريد - جملة مدهشة، غامضة، رائعة.

ومع ذلك فقد شعَرت ببعض الانقباض وهي تراقب البطاقة ذات الطرف المطوي، المترهّلة من تعرّقها العصبي، تسقط مع الاستمارة التي عبّأتها ثم تُخزَّن بعيداً. لقد أصابها الحظ بذاتها من بين سائر كل الناس. لأول مرة في حياتها - وربما للمرة الوحيدة في حياتها - ارتعَشت الستارة القطنية الثقيلة للحياة اليومية قليلاً، مُظهرةً لها عالماً لامعاً ما وراءها. كانت امرأة عملانية، وعرَفت في قلبها أنها تكره زوجها كثيراً، وتخاف منه كثيراً، لكنهما سيكبُران معاً، وسيموت يوماً ما تاركاً لها ديونه و - لن تقرّ بهذا بالتأكيد حتى في سرّها، لكنها تخاف من ذلك الآن! - ربما مع إبنه المدلَّل.

إذا سُحب إسمها من الأسطوانة الكبيرة في القرعة الكبيرة التي تجري مرتين في السنة، وإذا فازت بالخمسة آلاف دولار عشر مرات، لربما كانت رفَّهت نفسها بفكرة فتح تلك الستارة القطنية المملة، وأخذ إبنها بيده إلى المجهول الموجود بعد طريق البلدة رقم 3 ومرأب كامبر،

"السيارات الأجنبية اختصاصنا"، وكاسل روك. ربما ستأخذ بْرَتّ إلى كونّكتيكت بهدف محدَّد هو سؤال أختها عن ثمن شقة صغيرة في ستراتفورد.

لكن ما حصل كان مجرد ارتعاش في الستارة. هذا كل شيء. لقد حالفها الحظ للحظة عابرة، للحظة مدهشة، محيِّرة، يتعذَّر تفسيرها، مثل فتاة صغيرة ترقص تحت الضوء النَدِيّ للفجر. لذا شعَرت بانقباض عندما اختفت البطاقة عن أنظارها، رغم أنها كانت قد سرقت منها نومها. فهِمت أنها ستشتري بطاقة قرعة حظ كل أسبوع لبقية حياتها ولن تربح أبداً أكثر من دولارين بالصدفة.

لا يهمّ. فالمرء لا يعدّ الأسنان في حصان طروادة. ليس إذا كان ذكياً.

ذهبا إلى بورتلاند للآلات وكتبت الشيك، وذكَّرت نفسها بزيارة المصرف في طريق عودتهما إلى المنزل لتنقل مبلغاً كافياً من حساب توفيرها إلى حسابها الجاري لكي لا يُرفض الشيك لعدم وجود رصيدٍ كافٍ. كانت تملك مع جو أكثر من أربعة آلاف دولار بقليل في حساب توفيرهما بعد خمس عشرة سنة. وهذا بالكاد يكفي لتغطية ثلاثة أرباع ديونهما، إذا استثنت الرهن على المزرعة. لم يكن لديها الحق بأن تستثني ذلك، بالطبع، لكنها فعلت ذلك دائماً. ولم تكن قادرة على إجبار نفسها على التفكير بالرهن سوى دفعة واحدة تلو الأخرى. لكن يمكنهما إزعاج مدّخراتهما كيفما يشاءون الآن، ثم إيداع شيك لجنة قرعة الحظ في ذلك الحساب عند وصوله. وكل ما سيخسرونه هو فائدة أسبوعين فقط.

قال الرجل من بورتلاند للآلات، لويس بيلاسكو، إنه سيسلِّم

الرافعة بعد ظهر ذلك اليوم بالذات، وهو رجل يحترم كلمته.

وضع جو ماغرودر وروني دوباي الرافعة على آلة التحميل، وراحت تُصدر أزيزاً لطيفاً على الممر الترابي عند هبوب الهواء.

"طلبية كبيرة جداً لجو كامبر"، قال روني.

أومأ ماغرودر برأسه. "طلبت زوجته أن نضعها في الحظيرة. إنها مرأبه. من الأفضل أن تُمسكها جيداً يا روني. فهذه آلة ثقيلة".

أحكم جو ماغرودر قبضته، وكذلك فعل روني، وراح الرجلان يدفعانها مرةً ويحملانها مرةً بأنفاس منقطعة إلى الحظيرة.

"لنضعها أرضاً قليلاً"، تمكّن روني من أن يقول. "لا يمكنني أن أرى إلى أين أسير. دعنا نسمح لعينينا بأن تعتادا على الظلمة قبل أن نتعثّر ونقع".

وضعا الرافعة أرضاً مع دوّي. بعد وهج بعد الظهر الساطع في الخارج، كان جو بالكاد قادراً على أن يرى. ولا يمكنه سوى رؤية الأطياف الغامضة للأشياء - سيارة مرفوعة على رافعة، منضدة عمل، عوارض تمتدّ صعوداً إلى دور علوي.

"هذا الشيء يجب أن -"، بدأ روني يقول، ثم صمت فجأة.

خارجةً من الظلمة التي وراء الطرف الأمامي للسيارة المرفوعة كانت زمجرة منخفضة حادّة. شعَر روني بعرقه يصبح دَبِقاً فجأة. ووقفت الشعرات على مؤخرة عنقه.

"يا إلهي، هل سمعت ذلك؟"، همَس ماغرودر. كان روني قادراً على رؤية جو الآن، بعينيه الكبيرتين والرعب البادي على وجهه.

"أسمعه".

كان صوتاً منخفضاً مثل محرّك خارجي قوي. عرَف روني أن هكذا صوت لا يصدر إلا عن كلب ضخم. وعندما يُصدر كلب ضخم هكذا صوت، فإن نواياه تكون جدّية في أغلب الأحيان. لم ير لافتة "احذر من الكلب" عندما ركنا في الخارج، لكن أولئك الساذجين لا يتكبّدون عناء تعليق واحدة أحياناً. تمنّى من كل قلبه أن يكون الكلب الذي يُصدر هذا الصوت مقيّداً بسلسلة.

"جو؟ هل أتيت إلى هنا من قبل؟".

"مرةً. إنه من فصيلة السانت برنارد. كبير مثل منزل لعين. لكنه لم يفعل هذا من قبل". بلع جو ريقه. وسمِع روني شيئاً يطقطق في حنجرته. "يا إلهي. انظر إلى هناك يا روني".

أصبحت عينا روني معتادتين جزئياً على الظلمة، ومكّنه نصف بصره من رؤية أن ما كان يلمحه هو طيف خارق تقريباً. عرَف أنه لا يجب أن تُظهر خوفك لكلب دنيء أبداً – فالكلاب قادرة على أن تشمّ ذلك فيك – لكنه بدأ يرتجف بعجز على أي حال. لم يكن قادراً على منع نفسه من فعل ذلك. كان الكلب وحشاً يقف عميقاً في الحظيرة، وراء السيارة المرفوعة. كان من فصيلة السانت برنارد بالتأكيد؛ لا مجال لِلَّبس بشأن الفرو السميك، الأسمر المصفَرّ حتى في الظلمة، والكتفين العريضين. كان رأسه منخفضاً، وعيناه تحملقان فيهما بعَداء هادئ غائر.

لم يكن مقيَّداً بسلسلة.

"تراجع ببطء"، قال جو. "وإياك أن تركض".

بدأا يتراجعان، لكن الكلب بدأ يتقدَّم نحوهما ببطء. كان سيرٌ متوترٌ؛ لم يكن سيراً أبداً، فكّر روني في سرّه. كان *مطاردةً*. كان هذا الكلب اللعين جدّي كلياً. ومحرّكه يعمل وجاهز للانطلاق. بقي رأسه منخفضاً. وحدّة تلك الزمجرة لم تخفّ أبداً. راح يخطو خطوة إلى الأمام لكل خطوة يخطيانها إلى الوراء.

أسوأ لحظة بالنسبة لجو ماغرودر هي عندما خرجا إلى ضوء الشمس الساطع من جديد. فقد أبهَرهما، أعماهما. لم يعد قادراً على رؤية الكلب. إذا انقضّ عليه الآن –

راح يتلمّس وراءه، وشعَر بطرف الشاحنة. كان هذا كافياً ليُتلف له أعصابه. فأسرع ليركبها.

على الجهة الأخرى، فعل روني دوباي الشيء نفسه. مدَّ يده إلى باب الراكب وراح يبحث بارتباك عن المزلاج لمدة بدت لا تنتهي. قبض عليه بكل قوته، وهو لا يزال قادراً على سماع تلك الزمجرة المنخفضة، التي تشبه إلى حد بعيد صوت محرك قوته 80 حصاناً. بقي الباب موصداً. وانتظَر أن يقتطع الكلب قطعة من مؤخرته. عثر إبهامه على زر الباب أخيراً، وفتحه، وقفز إلى الداخل وهو يلهث.

نظَرَ في مرآة الرؤية الخلفية المثبّتة خارج نافذته ورأى الكلب يقف بلا حركة عند باب الحظيرة المفتوح. نظر إلى جو الجالس خلف المِقوَد والمبتسم له بخجل. فابتسم له روني بدوره ابتسامته المتزعزعة.

"مجرد كلب"، قال روني.

"نعم. نباحه أسوأ من عضّته".

"صح. هيا نعود إلى الداخل ونلهو بتلك الرافعة قليلاً".

"تباً لك"، قال جو.

ضحِكا معاً. ومرَّر له روني سيجارةً.

"ما رأيك أن نغادر؟".

"سمعاً وطاعاً" قال جو، وشغّل محرّك الشاحنة.

في منتصف طريق عودتهما إلى بورتلاند، قال روني، لنفسه تقريباً: "ذاك الكلب يتحوّل إلى شرير".

كان جو يقود واضعاً مِرفقه خارج النافذة. ألقى نظرة سريعة على روني. "كنتُ خائفاً، ولا أمانع من قول هذا. إذا أرعبني أحد تلك الكلاب الصغيرة في حالة كهذه، ولم يكن هناك أحد في المنزل، سأركله على مؤخرته بكل قوتي، أتعرف؟ أعني، إذا لم يقيِّد الناس كلباً يعضّ بسلسلة، فإنهم يستحقون ما يحصل لهم، أتعرف؟ *ذلك* الشيء اللعين... هل رأيته؟ أنا متأكد أن وزنه تسعون كيلوغراماً".

"ربما عليَّ أن أتصل بجو كامبر"، قال روني. "وأخبره بما حصل. قد أنقذ له ذراعه من المضغ. ما رأيك؟".

"ماذا فعل لك جو كامبر مؤخراً؟"، سأل جو ماغرودر مكشّراً.

أومأ روني برأسه بتبصّر. "لا يُمتعني مثلك، هذا صحيح".

"آخر متعة حصلت عليها كانت من زوجتك. لم يكن ذلك سيئاً جداً أيضاً".

"تباً لك أيها التافه".

ضحِكا معاً. لم يتصل أحدٌ بجو كامبر. وعندما عادا إلى بورتلاند للآلات، كان وقت الإقفال وشيكاً. استغرقا خمس عشرة دقيقة في

كتابة تقرير الرحلة. ظَهَر بيلاسكو وسألهما إن كان كامبر موجوداً ليستلم الرافعة. فأكَّد له روني دوباي ذلك. فانصرف بيلاسكو، الذي كان حقيراً من الطراز الأول. تمنّى جو ماغرودر لروني عطلة نهاية أسبوع لطيفة وذكرى استقلال لعين سعيدة. فقال روني إنه يخطِّط أن يبقى في السرير حتى ليل الأحد. سجّلا خروجهما من الوظيفة.

لم يفكِّرا بكوجو مرة أخرى إلى أن قرأا عنه في الصحيفة.

أمضى ڤيك معظم بعد ظهر ذلك اليوم قبل نهاية الأسبوع الطويلة يستعرض تفاصيل الرحلة مع روجر. كان روجر دقيقاً جداً بالتفاصيل حتى درجة الهوس تقريباً. وقد حجز تذاكر الطائرة وغرف الفندق عبر وكالةٍ. ستُقلع رحلتهما إلى بوسطن من مطار بورتلاند عند الساعة 7:10 صباح الاثنين. وقال ڤيك إنه سيُقلّ روجر في الجاغوار عند الساعة 5:30. كان يعرف أن هذا مُبكر بشكل غير ضروري، لكنه يعرف روجر وألاعيبه. تكلّما عن الرحلة بشكل عام، وتجنّبا الخصوصيات عمداً. احتفظ ڤيك بأفكاره خلال استراحة القهوة لنفسه وخبّأ المنديل بأمان في جيب سترته الرياضية. سيكون روجر متقبِّلاً أكثر للأفكار بعدما يغادران.

فكّر ڤيك بالمغادرة باكراً وقرّر أن يعود ويتفحَّص بريد بعد الظهر أولاً. كانت ليزا، سكرتيرتهما، قد غادرت وظيفتها باكراً هذا اليوم، استعداداً لنهاية أسبوع الاحتفال. تباً، لم يعد بإمكانك جعل السكرتيرة تبقى حتى الخامسة، سواء كانت نهاية أسبوع الاحتفال أم لا. بالنسبة لڤيك، كانت هذه مجرد دلالة أخرى على الإضمحلال المتواصل للثقافة الغربية. على الأرجح أن ليزا في هذه اللحظة بالذات، والتي كانت فتاة

جميلة، بالكاد في الحادية والعشرين من عمرها، وصدرها صغير جداً، تدخل زحمة السير على الطريق بين الولايات، متوجّهةً جنوباً إلى أولد أوركارد أو الهامبتونز، مرتديةً سروال جينز ضيقاً ولا حمّالة صدر. لا تتوقفي عن الرقص يا ليزا. فكّر ڤيك في سرّه، وابتسم قليلاً.

كانت هناك رسالة غير مفتوحة واحدة على مكتبه.

رفعها بفضول، ولاحظ أولاً كلمة "شخصي" المدوَّنة تحت العنوان، وثانياً حقيقة أن عنوانه مدوَّن بأحرف كبيرة.

أمسكها، وراح يقلّبها بين يديه، وشعر ببعض الانزعاج يُفسد له مزاجه العام. وفي اللاوعي البعيد في ذهنه، نشأ إلحاحٌ مفاجئٌ بأن يمزّق الرسالة إلى قطع صغيرة ويرميها في سلة المهملات.

لكنه فتح المغلف بدلاً من ذلك، وأخرج ورقة واحدة منه.

المزيد من الأحرف الكبيرة.

أصابته الرسالة البسيطة - ست جمل - مثل رصاصة مباشرة تحت قلبه. لم يجلس على كرسيه بقدر ما انهار عليه. وخرج منه نخرٌ طفيفٌ أشبه بصوت رجل فقدَ كل أنفاسه فجأة. وأصبح ذهنه خالياً من كل شيء ما عدا من ضجة بيضاء لفترة زمنية لم يكن قادراً على فهمها أو تقديرها. لو دخل عليه روجر الآن، لظنَّ على الأرجح أنه يتعرَّض لنوبة قلبية. كان هذا صحيحاً، إلى حد ما. فقد ابيضَّ وجهه بالكامل، وبقي فمه مفتوحاً. وظهر ازرقاق تحت عينيه.

قرأ الرسالة مرة أخرى.

ثم مرة أخرى.

تركَّزت عيناه أولاً على السؤال الأول:

ما رأيك بتلك الشامة الموجودة فوق منفرج ساقيها مباشرة؟

هذا خطأ، قال لنفسه بارتباك. *لا أحد يعرف عن تلك الشامة غيري... حسناً، أمها. وأبوها.* ثم شعَر بطلائع الغيرة: *حتى ثوب سباحتها ذو القطعتين يغطيها... ثوب سباحتها ذو القطعتين الصغير...*

مسَّد شعره بيده. ثم وَضَع الرسالة على الطاولة ومسَّد شعره بيديه. كان ذلك الشعور بانقطاع الأنفاس لا يزال في صدره. الشعور بأن قلبه يضخّ هواءً وليس دماً. شعَر برعب وألم وإرباك. لكن الرعب الفظيع كان الشعور المسيطر بين هذه الأحاسيس الثلاثة.

حملَقت فيه الرسالة وصرخت في وجهه:

استمتَعتُ بمجامعتها ليلاً نهاراً.

أصبحت عيناه تركّزان على هذا السطر، وترفضان أن تحيدا عنه. كان قادراً على سماع صوت طائرة في السماء في الخارج، تغادر المطار، وترتفع في الجو، متوجّهة إلى وجهة مجهولة، وفكّر في سرّه، "استمتَعتُ بمجامعتها ليلاً نهاراً". *هذا فظ، فظ جداً*. نعم سيدي ونعم سيدتي، نعم بالفعل. كان أشبه بتلقي ضربة من سكين كليلة. "بمجامعتها ليلاً نهاراً"، يا لها من صورة. لا شيء فاخر في ذلك. كان أشبه بطرطشة العينين بحمض بطارية.

بذَل جهداً ليفكِّر بشكل متماسك و

(استمتَعتُ)

لم يتمكن

(بمجامعتها ليلاً نهاراً)

من ذلك.

انتقلت عيناه الآن إلى السطر الأخير الذي راح يقرأه مراراً وتكراراً، كما لو أنه يحاول حشر مشهده في ذهنه بطريقة أو بأخرى. بقي ذلك الشعور الكبير بالرعب يعترض طريقه.

هل لـديـك أي أسـئـلـة؟

نعم. فجأة أصبحت لديه كل أصناف الأسئلة. لكن الغريب هو أنه بدا غير راغب بالحصول على جواب على أي واحد منها.

خطرت فكرة جديدة على باله. ماذا لو لم يعُد روجر إلى المنزل؟ فهو كان معتاداً على النظر إلى مكتب ڤيك قبل أن يغادر ليرى إن كان ضوؤه مُناراً أم لا. وكان احتمال أن يفعل ذلك هذه الليلة أكثر ترجيحاً، بما أن هناك رحلة تنتظرهما. الفكرة أذعرته، وعادت صورة سخيفة لتحتلّ ذاكرته: كل تلك الأوقات التي أمضاها في مراهقته يستمني في الحمّام، غير قادر على منع نفسه من فعل ذلك، وخائف أن يكتشف الجميع ما الذي يفعله في الداخل بالضبط. إذا دخَل روجر، سيرى أن هناك مكروهاً ما. لم يرغب حصول ذلك. فنهض وذهَب إلى النافذة، التي تعلو ستة طوابق فوق مرأب سيارات المبنى. كانت سيارة روجر الهوندا سيفيك الصفراء الساطعة قد اختفت من مكانها. لقد عاد إلى المنزل.

منسلخاً من نفسه، راح ڤيك يُنصت إلى مكاتب آد ووركس الصامتة كلياً. كان هناك صوت الهدوء الطاغي الذي يبدو أنه الميزة الوحيدة للمكاتب بعد ساعات الدوام. لم يكن هناك حتى صوت العجوز ستاغماير، القيّم على المبنى. عليه أن يسجّل خروجه في الردهة. عليه أن –

كان هناك صوت الآن. لم يعرف صوت مَن في البدء. ثم تعرَّف عليه بعد لحظة. كان يئنّ. صوت حيوان قدمه محطَّمة. بقي ينظر خارج النافذة، ورأى السيارات تغادر مرأب السيارات الواحدة تلو الأخرى، عبر غشاء من الدموع.

لماذا لم يُصَب بالجنون؟ لماذا عليه أن يكون *خائفاً* إلى هذا الحد اللعين؟

خطرت كلمة قديمة سخيفة على باله. *مهجور. لقد هُجرتُ.*

بقيت أصوات الأنين تقترب منه. حاوَل أن يكتم حنجرته، ولم ينفعه ذلك. أخفَض رأسه وأمسَك شبك المسخِّن بالحمل الحراري الذي يمتدّ تحت النافذة عند مستوى الخصر. أمسَكه إلى أن آلمته أصابعه، إلى أن أصدر المعدن صريراً واحتجّ.

كم مرّ من وقت منذ أن بكى لآخر مرة؟ لقد بكى في الليلة التي وُلد فيها تاد، لكنها كانت دموع ارتياح. وبكى عندما تُوفِّي أبوه بعد أن بقي يحارب لحياته لثلاثة أيام بعد إصابته بنوبة قلبية قوية، وتلك الدموع، التي ذرفها في سنّ السابعة عشرة، كانت مثل هذه الدموع، حارقة ولا ترغب أن تخرج؛ كانت أشبه بنزيف وليس بدموع. لكن في سنّ السابعة عشرة، يكون البكاء والنزيف أسهل. فعندما تكون في السابعة عشرة من عمرك، يكون لديك توقّع أن تنال حصتك من كلا الأمرين.

توقَف الأنين. ظنَّ أنه انتهى. ثم خرجت منه صرخة منخفضة، صوت حادّ متمايل، وفكّر في سرّه: *هل كان هذا أنا؟ هل أنا مَن أصدر هذا الصوت؟*

بدأت الدموع تنهمر على خدّيه. وصدر صوت حادّ آخر، ثم آخر. أمسَك شبك المسخّن بالحمل الحراري وراح يصيح.

بعد أربعين دقيقة كان يجلس في منتزه ديرينغ أوكس. اتصل بالمنزل وأخبر دونا أنه سيتأخر. بدأت تسأله عن السبب، وعن سبب الغرابة في صوته. فأخبرها أنه سيعود إلى المنزل قبل حلول الظلام. أخبرها أن تُطعم تاد ولا تنتظره. ثم أغلق الخط قبل أن تسنح لها الفرصة لتقول أي شيء آخر.

كان يجلس في المنتزه الآن.

وقد حرقت الدموع معظم خوفه. وما بقي كان كومة بشعة من الغضب. كان هذا المستوى التالي في عمود المعرفة الجيولوجي هذا. لكن الغضب ليست الكلمة الصحيحة. كان ساخطاً. كان حانقاً. كان كما لو أن شيئاً لسعه. أدرك جزء منه أنه سيكون خطيراً عليه أن يذهب إلى المنزل الآن... خطيراً على ثلاثتهم.

سيكون ممتعاً جداً إخفاء الحطام بصنع المزيد منه؛ وستكون (بصراحة) ممتعةً كثيراً مواجهتها بحقيقة خيانتها.

كان يجلس بجانب بركة البط. وعلى الجهة الأخرى، تُقام مباراة مُفعَمة بالحيوية بصحن فريسبي. لاحَظ أن كل الفتيات الأربعة – وفتَيان – يلعبون على زلاّجات ذات عجلات. كانت الزلاّجات ذات العجلات رائجة جداً هذا الصيف. وقد رأى فتاة يافعة ترتدي بلوزة بلا أكمام ولا أكتاف تدفع عربة لبيع الكعك المملَّح الجاف والفول السوداني والمشروبات الغازية المعلَّبة. كان وجهها ناعماً وبريئاً. رمى لها أحد الفتية صحن الفريسبي؛ فالتقَطته بلباقة وأعادت رميه له. في

الستينات، فكّر ڤيك في سرّه، كانت لتكون في مزرعة تنزع بإتقان الحشرات عن نباتات الطماطم. وهي الآن على الأرجح عضواً فاعلاً في الإدارة المهنية الصغيرة.

كان معتاداً أن يأتي إلى هنا مع روجر ليتناولا غداءهما أحياناً في سنتهما الأولى. ثم لاحَظ روجر أن هناك رائحة تعفُّن باهتة لكن واضحة حول البركة، رغم منظرها الجميل... وأن المنزل الصغير على الصخرة الموجودة في وسطها أبيض ليس من الطلاء بل من براز النورس. بعد بضعة أسابيع، لاحَظ ڤيك جرذاً يتعفّن وسط الواقيات الذكرية وأغلفة العلكة عند حافة البركة. لم يُدرك أنها عادت منذ ذلك الوقت.

حلَّق صحن الفريسبي، الأحمر الساطع، في السماء.

بقيت الصورة التي أثارت غضبه تعود إليه. لم يكن قادراً على طردها من ذهنه. كانت فظّة مثل الكلمات التي اختارها مراسله المجهول، لكنه لم يقدر على التخلّص منها. رآهما يجامعان بعضهما في غرفة نومه ودونا. يجامعان بعضهما على سريرهما. ما رآه في هذا الفيلم الذهني كان علنياً مثل تلك الأفلام الإباحية البذيئة التي تُعرَض في الصالات المشبوهة في شارع الكونغرس. كانت تتأوه، جميلة، وجسمها يلمع قليلاً بسبب تعرّقها. وكل عضلاتها مشدودة. وفي عينيها تلك النظرة الجائعة التي تظهر عليها عندما تكون المجامعة جيدة، فيصبح لونهما داكناً أكثر. كان يعرف التعبير، يعرف الوضعية، يعرف الأصوات. وكان يظنّ - *يظنّ* - أنه الوحيد الذي يعرف ذلك. حتى أمها وأبوها لا يعرفان ذلك.

ثم راح يفكِّر بالرجل فوقها وداخلها. *على صهوة الفرس*؛ جاءته هذه الجملة وعلقت في ذهنه إلى حد الغباء، ورفضت أن تزول. رآهما

يجامعان بعضهما على إحدى أغاني جين أوتري: *لقد عدتُ إلى صهوة الفرس مرة أخرى، إلى حيث الصديق صديق...*

جعله ذلك يشعر بالقرف. جعله يشعر بالغضب. جعله يشعر *بالحنق*.

حلَّق صحن الفريسبي وانخفَض. تبَع ڤيك مساره.

لقد شكَّ بوجود شيء غريب، نعم. لكن الشك لا يشبه المعرفة؛ هذا ما أصبح يعرفه الآن، بالحد الأدنى. يمكنه كتابة مقال عن الفرق بين الشك والمعرفة. وما جعل المسألة وحشية بشكل مضاعَف هي حقيقة أنه بدأ يقتنع حقاً أن الشكوك واهية. وحتى لو لم تكن واهية، فإن ما لا تعرفه لا يمكن أن يؤذيك. أليس كذلك؟ إذا اجتاز رجلٌ غرفة مظلمة في وسطها حفرة عميقة، وإذا مرَّ على بُعد سنتيمترات منها، لا يحتاج إلى معرفة أنه كاد يسقط. لا حاجة للخوف. ليس إذا كانت الأضواء مُطفأة.

حسناً، لم يسقط. بل *دُفِع*. والسؤال هو ماذا سيفعل حيال ذلك؟ الجزء الغاضب منه، المتألم، المرضوض، الصارخ، ليست لديه أي نيّة ليكون "راشداً"، ليعترف بوجود هفوات من أحد الطرفين أو من كليهما في عدد كبير من الزيجات. تباً للمصطلح المخفَّف الذي يستخدمونه لوصف هكذا حالات هذه الأيام، إننا نتكلم عن *زوجتي*، وهي كانت تجامع شخصاً

(حيث الصديق صديق)

عندما كنتُ أدير ظهري، عندما كان تاد خارج المنزل –

بدأت الصور تتكرَّر أمام عينيه مرة أخرى، ملاءة متجعِّدة،

أجساد جامحة، أصوات ناعمة. وبقيت جمل بشعة، مصطلحات فظيعة تحتشد في ذهنه مثل مجموعة حمقى ينظرون إلى حادث: *جماع، فطيرة شعر، ركلتها، أفرغت حمولتي، أنا لا أجامع للحظ ولا أجامع للشهوة لكن الطريقة التي أجامعها بها مُخجلة حقاً، سلحفاتي في وحلك، مصرف للعدّة، منصة للجنود* -

داخل زوجتي! راح يفكّر، وهو يتعذّب ويشدّ قبضتيه. *داخل زوجتي!*

لكن الجزء الغاضب والمتألم منه أقرّ على مضض أنه لا يمكنه أن يذهب إلى المنزل ويضرب دونا ضرباً مبرحاً. لكن يمكنه أن يأخذ تاد ويرحل. لا تهمّه التفسيرات. ولتحاول أن تمنعه، إذا كانت لديها الوقاحة الكافية لتفعل ذلك. لا يعتقد أنها ستفعل ذلك. سيأخذ تاد، ويذهب إلى فندق رخيص، ويوكل محامياً. اقطع الحبل بنظافة، ولا تلتفت إلى الوراء.

لكن إذا أمسَك تاد وأخذه إلى فندق رخيص، ألن يخاف الفتى؟ ألن يريد تفسيراً؟ إنه في الرابعة من عمره فقط، لكنه كبير كفاية ليعرف أن هناك خطأ كريهاً ومخيفاً. ثم هناك مسألة الرحلة - بوسطن، نيويورك، كليفلاند. لا يكترث ڤيك للرحلة اللعينة، ليس الآن؛ يستطيع مالك شارپ العجوز وإبنه ضرب رأسيهما بالجدار إذا أرادا. لكنه ليس لوحده في هذه المعمعة. لديه شريك. وشريك لديه زوجة وولدان. حتى في هذه الظروف، وهو يتألم بشكل كبير، أقرّ ڤيك بمسؤوليته بمحاولة إنقاذ الحساب على الأقل - وهذا يوازي محاولة إنقاذ آد ووركس نفسها.

ورغم أنه لم يرغب بأن يطرحه، إلا أن هناك سؤالاً آخر: لماذا يريد أخذ تاد والرحيل بالضبط، من دون حتى سماع وجهة نظرها؟ لأن

خيانتها كانت تؤذي أخلاقيات تاد؟ لا يعتقد ذلك. بل لأن ذهنه تشبَّث فوراً بحقيقة أن أفضل وأقسى طريقة لإيذائها (بنفس مقدار الأذى الذي يشعر به الآن) هي من خلال تاد. لكن هل يريد تحويل إبنه إلى المرادف العاطفي لعتلةٍ، أو مطرقةٍ؟ لا يظنّ ذلك.

أسئلة أخرى.

الرسالة. فكِّر بالرسالة لدقيقة. ليس فقط ما قالته، ليس فقط تلك الأسطر الستة ذات القذارة مثل حمض البطارية؛ فكِّر *بحقيقة* الرسالة. لقد قتل أحدهم الدجاجة التي تبيض ذهباً. لماذا سيرسل حبيب دونا هذه الرسالة؟

لأن الدجاجة لم تعد تبيض، بالطبع. ورجل الظل الذي أرسل الرسالة قد جُنّ جنونه.

هل هجرت دونا الرجل؟

حاوَل النظر إلى المسألة من زاوية أخرى ولم يستطع. عند تجريدها من قوتها المروعة المفاجئة، ألا تصبح الجملة "استمتَعتُ بمجامعتها ليلاً نهاراً" الحيلة الكلاسيكية للكلب في معلف الدابّة؟ فإذا لم تعد تستطيع أن تستخدم أحد الأشياء، بوِّل عليه لكي لا يتمكن أحدٌ غيرك من استخدامه. هذا غير منطقي، لكنه مُرضٍ جداً. الجو الجديد الألطف في المنزل يطابق هذا التفسير جيداً. الإحساس الكبير بالارتياح الذي بدت عليه دونا مؤخراً. لقد طردت رجل الظل، وقد انتقم منها رجل الظل بإرسال رسالة مجهولة إلى زوجها.

سؤال أخير: هل يشكّل هذا أي فارق؟

أخرج الرسالة من جيب سترته مرة أخرى وراح يقلّبها في يديه،

دون أن يفتحها. راقَب صحن الفريسبي الأحمر يعوم في السماء وتساءل ماذا كان سيفعل.

"بالله عليك ما هذا؟"، سأل جو كامبر.

خرجت كل كلمة من فمه متباعدة، وبنفس النبرة تقريباً. كان يقف عند المدخَل، ينظر إلى زوجته تشاريتي التي تُعد له مكانه بعد أن أكلت مع بْرَتّ من قبل. كان جو قد جاء في شاحنة محمَّلة ببنود متفرقة، وبدأ يدخل المرأب عندما رأى ما كان ينتظره.

"إنها رافعة"، قالت. لقد أرسَلت بْرَتّ ليلعب مع صديقه دايف بيرجيرون للمساء. لم تُرده أن يكون حاضراً إذا ساءت الأمور كثيراً. "قال بْرَتّ إنك تريد واحدةً. رافعة يورغن، قال".

اجتاز جو الغرفة. كان رجلاً نحيلاً ذا بنية هزيلة قوية، وأنف كبير رفيع، ومشية هادئة رشيقة، وقبعته الخضراء المصنوعة من لبّاد مائلة إلى الخلف على رأسه لإظهار خط شعره المنحسِر. كانت هناك لطخة شحم على جبهته، وآثار شراب شعير في أنفاسه، وعيناه الزرقاوان صغيرتين وحادّتين. كان رجلاً لا يحبّ المفاجآت.

"أخبريني يا تشاريتي"، قال.

"اجلس. سيبرد عشاؤك".

انطلقت ذراعه مثل مكبس، وضغطت أصابعه على ذراعها. "ماذا تنوين أن تفعلي؟ هيا أخبريني".

"لا تشتم أمامي يا جو كامبر". كان يؤلمها كثيراً، لكنها لن تُرضيه بأن تسمح له برؤية ذلك على وجهها أو في عينيها. كان مثل وحش

بعدة طرق، ورغم أن هذا أثار حماستها عندما كانت يافعة، إلا أنه لم يعد له ذلك التأثير عليها. فقد أدركت خلال سنواتهما معاً أنه يمكن أن تكون لها اليد الطولى أحياناً بمجرد التظاهر بالشجاعة. ليس دائماً، لكن أحياناً.

"هيا أخبريني ماذا كنت تفعلين يا تشاريتي!".

"اجلس وكُل"، قالت بهدوء، "وسأخبرك".

جلَس وأحضَرت له طبقاً عليه شريحة من لحم الخاصرة.

"منذ متى يمكننا أن نتحمّل كلفة أن نأكل مثل آل روكفلر؟"، سأل. "أرى أن لديك شرحاً طويلاً جداً".

أحضَرت له قهوته وبطاطا مشوية. "هل يمكنك الاستفادة من الرافعة؟".

"لم أقل أبداً إنني لن أستفيد منها. لكنني لا أستطيع تحمّل ثمنها اللعين". بدأ يأكل، دون أن يشيح بنظره عنها. تعرف أنه لا يمكنه أن يضربها الآن. هذه فرصتها، بينما لا يزال واعياً نسبياً. إذا كان سيضربها، فسيكون ذلك بعد أن يعود من مقصف غاري بيرفيير، ثملاً تماماً وكبرياؤه مجروح.

جلست تشاريتي مقابله وقالت، "لقد فزتُ بقرعة الحظ".

جمُد فكّه ثم بدأ يتحرّك من جديد. وضع قطعة لحم في فمه وقال، "بالتأكيد. وغداً كوجو العزيز سيتبرَّز بعض الأزرار الذهبية". أشار بشوكته نحو الكلب الذي كان يسير بلا هوادة ذهاباً وإياباً على الشرفة. لم يكن بْرَتّ يحبّ أن يأخذه إلى منزل آل بيرجيرون لأن لديهم أرانب في قفص تُثير جنون كوجو.

مدّت تشاريتي يدها إلى جيب مئزرها، وأخرَجت نسختها من استمارة المطالبة بالجائزة التي ملأها الوكيل، ومرّرتها له عبر الطاولة.

مسَّد كامبر الورقة بأصابعه الجلفة وراح يحدِّق فيها إلى الأعلى والأسفل، مركِّزا عينيه على الرقم. "خمسة -"، بدأ يقول، ثم صمت فجأة.

راقَبته تشاريتي دون أن تقول شيئاً. لم يبتسم. ولم ينهض عن الطاولة ويقبِّلها. فكّرت بمرارة أن رجلاً بذهنيته يعتبر الحظ الجيد يعني فقط أن هناك شيئاً ينتظره وراء الناصية.

رفع نظره أخيراً. "فزتِ بخمسة آلاف دولار؟".

"أقل بعد حسم الضرائب".

"منذ كم من الوقت تشاركين في القرعة؟".

"أشتري بطاقة بخمسين سنتاً كل أسبوع... وإياك أن توبِّخني بشأن ذلك يا جو كامبر، مع كل شراب الشعير الذي تشتريه".

"انتبهي لكلامك يا تشاريتي"، قال وعيناه الزرقاوان اللامعتان لا ترمشان البتّة. "فقط انتبهي لكلامك، وإلا قد تجدين فمك قد تورَّم فجأة". بدأ يأكل شريحة لحمه من جديد، واسترخت قليلاً خلف قناع وجهها. لقد دفعت الكرسي في وجه النمر لأول مرة، ولم يعضّها. على الأقل حتى الآن. "هذا المال. متى نحصل عليه؟".

"سيصل الشيك في غضون أسبوعين أو أقل. اشتريتُ الرافعة من المال الذي في حساب توفيرنا. استمارة المطالبة هذه مضمونة كالذهب تماماً. هذا ما قاله لي الوكيل".

"خرَجتِ واشتريتِ هذا الشيء؟".

"سألتُ بْرَتّ ما برأيه أكثر شيء تريده. إنها هدية".

"شكراً". تابع يأكل.

"لقد أعطيتُك هدية"، قالت. "والآن ستعطيني هدية أيضاً يا جو. موافق؟".

تابع يأكل وينظر إليها بعينين غير معبِّرتين أبداً. لم يقل شيئاً. كان يأكل مرتدياً قبعته، التي لا تزال مدفوعةً إلى الخلف على رأسه. كلَّمته ببطء، بتأنٍ، مُدركةً أن التسرّع سيكون خطأ. "أريد أن أغيب لأسبوع. مع بْرَتّ. لزيارة هولي وجيم في كونّكتيكت".

"لا"، قال، وتابع يأكل.

"يمكننا السفر في الحافلة. سنقيم لديهما. ستكون الرحلة رخيصة. وسيبقى لدينا الكثير من المال. ستكون الكلفة ثلث ثمن تلك الرافعة. لقد اتصلتُ بمحطة الحافلات وسألتهم عن ثمن التذكرة ذهاباً وإياباً".

"لا. أحتاج إلى بْرَتّ هنا ليساعدني".

شبكت يديها ببعضهما بقوة تحت الطاولة، لكنها أبقت وجهها هادئاً وناعماً. "لقد تدبّرت أمورك من دونه خلال السنة الدراسية".

"قلتُ لا يا تشاريتي"، قال، ورأت بيقين مثير للسخط أنه يستمتع بذلك. فقد رأى كم تريد هذا. كم خطَّطت له. كان يستمتع بألمها.

نهضت وذهَبت إلى المغسلة، ليس لأن لديها أي شيء لتفعله هناك، لكن لأنها احتاجت إلى بعض الوقت لتتمالك نفسها. اختلست نجمة المساء النظر إليها، من مكانها الشاهق والبعيد. فتحت حنفية الماء فوق الخزف المصفَرّ المُفسدَة ألوانه. كان الماء عسراً، مثل جو.

ربما خاب أمله من شعوره أنها استسلمت بسهولة كبيرة،

فاستفاض كامبر بكلامه وقال، "يجب أن يتعلّم الفتى بعض المسؤولية. لن تؤذيه مساعدتي هذا الصيف بدلاً من الفرار إلى منزل دايفي بيرجيرون كل لحظة وأخرى".

أغلقت حنفية الماء. "أنا أرسَلتُه إلى هناك".

"حقاً؟ لماذا؟".

"لأنني اعتقَدتُ أن الأمور قد تسير هكذا"، قالت وهي تلتفت نحوه. "لكنني أخبرته أنك ستوافق، بسبب المال والرافعة".

"لم يكن ينبغي عليك أن تُذنبي مع الفتى"، قال جو. "أظن أنك ستفكّرين في المرة القادمة قبل أن تطلقي العنان للسانك". ابتسم لها بفم مليء بالطعام ومدَّ يده ليأخذ بعض الخبز.

"يمكنك أن تأتي معنا إذا أردت".

"بالتأكيد. سأُخبر ريتشي سيمز ببساطة أن ينسى شاحنته هذا الصيف. بالإضافة إلى ذلك، لماذا سأريد الذهاب إلى هناك ورؤيتهما؟ استناداً إلى ما رأيته منهما وما أخبرتني عنهما، بدأت أظن أنهما متعجرفان من الطراز الأول. والسبب الوحيد الذي يجعلك معجبة بهما هو لأنك تريدين أن تكوني متعجرفة مثلهما". كان صوته يرتفع تدريجياً. وبدأ الطعام يتطاير من فمه. كان يخيفها عندما يصبح على هذه الحال وتستسلم. في معظم الأوقات. لكنها لن تفعل ذلك هذه الليلة. "وأغلب الظن أنك تريدين أن يكون الفتى متعجرفاً مثلهما. هذا رأيي. أظن أنك تودّين أن تقلبيه ضدي. هل أنا مخطئ؟".

"لماذا لا تناديه بإسمه أبداً؟".

"من الأفضل لك أن تصمتي الآن يا تشاريتي"، قال وهو ينظر

إليها بحدّة. تورَّد خدّاه وجبهته. "انصرفي عني".

"لا"، قالت. "هذه ليست النهاية".

أفلَت شوكته، مندهشاً. "*ماذا!* ماذا قلتِ؟".

سارت نحوه، سامحةً لنفسها برفاهية الغضب التام لأول مرة في زواجهما. لكن كل ذلك كان داخلها، يحرقها مثل الحمض. يمكنها الشعور به يأكلها. لم تجرؤ على أن تصرخ. فالصراخ سيكون النهاية بالتأكيد. أبقت صوتها منخفضاً.

"نعم، طبعاً هذا سيكون رأيك بأختي وزوجها. انظر إلى نفسك، تجلس هنا وتأكل بيديك القذرتين والقبعة لا تزال على رأسك. لا تريده أن يذهب إلى هناك ويرى كيف يعيش الآخرون. تماماً مثلما لا أريده أن يرى كيف تعيش وأصدقاؤك عندما تكونون على سجيتكم. لهذا السبب لم أدعه يذهب معك في رحلة الصيد نوفمبر الفائت".

صمتت قليلاً وبقي جالساً هناك، وفي يده شرحة خبز نصف مأكولة، وبعض مرق اللحم على ذقنه. شعرت أن الشيء الوحيد الذي جعله لا يهجم عليها هو دهشته التامة من قولها هذه الأشياء.

"لذا سأعقد صفقة معك"، قالت. "لقد اشتريت لك تلك الرافعة وأنا مستعدة أن أعطيك بقية المال – كُثُر لن يفعلوا ذلك – لكن إذا كنتَ ستتصرّف بهذا الجحود، سأعطيك شيئاً إضافياً. دعه يذهب معي إلى كونّكتيكت، وسأدعه يذهب معك إلى مُوسهَد في موسم صيد الغزلان القادم". شعَرت بقشعريرة في كل جسمها، كما لو أنها وقَّعت حكم إعدامها بنفسها.

"تستحقين الجَلد"، قال لها متعجّباً كما لو أنها طفلة أساءت فهم

حالة بسيطة جداً من السببية. "سآخذه معي إلى الصيد إذا شئتُ، ومتى أشاءُ. ألا تعرفين هذا؟ إنه إبني. بالله عليك. إذا شئتُ، ومتى أشاءُ". ابتسم قليلاً، مسروراً من الرنين الذي تُحدثه هذه الجملة. "الآن – هل كلامي واضح؟".

ثبّتت نظرها بنظره. "لا"، قالت. "لن تفعل ذلك".

نهض على عجل، وسقطت كرسيه أرضاً.

"سأضع حداً لهذا"، قالت. أرادت أن تخطو إلى الوراء للابتعاد عنه، لكن ذلك سيضع حداً للمسألة أيضاً. فأي حركة خاطئة، أي دلالة على الاستسلام، وسيصبح فوقها.

كان يفك حزامه. "سأجلدك يا تشاريتي"، قال متحسّراً.

"سأضع حداً لهذا بأي طريقة ممكنة. سأذهب إلى المدرسة وأبلّغ أنه متغيّب عن الدراسة. سأذهب إلى المأمور بانرمان وأبلّغ أنه مخطوف. لكن أهم شيء... سأضمن أن بْرَتّ نفسه لا يريد الذهاب".

سحَب حزامه من حلقات سرواله وأمسكه بحيث راح الإبزيم يتأرجح ذهاباً وإياباً فوق الأرض.

"الطريقة الوحيدة التي ستأخذه بها إلى هناك مع أولئك الثملين والحيوانات قبل أن يصبح في الخامسة عشرة من عمره هي إذا سمحتُ له أنا بالذهاب"، قالت. "لوّح بحزامك أمامي قدر ما تشاء، جو كامبر. لا شيء سيغيِّر ذلك".

"حقاً؟".

"أنا أقف هنا وأخبرك ذلك".

لكنه بدا فجأة كما لو أنه لم يعد معها في الغرفة. فقد شردت

عيناه، متأمّلاً. لقد رأته يفعل هذا مرات عديدة. شيءٌ خطر على باله للتو، حقيقة جديدة يجب إضافتها إلى المعادلة. صلّت أن يكون ذلك الشيء لصالحها. لم تقف في وجهه بهذه الطريقة أبداً من قبل، وكانت خائفة.

ابتسم كامبر فجأة. "أنت سريعة الغضب، أليس كذلك؟".

لم تقل شيئاً.

بدأ يعيد إدخال حزامه في حلقات سرواله. كان لا يزال يبتسم، وعيناه لا تزالان شاردتين. "هل تظنين أنه يمكنك أن تجامعي مثل أحد أولئك السريعي الغضب؟ مثل أحد أولئك المكسيكيين الصغار السريعي الغضب؟".

بقيت لا تقول شيئاً، وكانت حذِرة.

"إذا وافقتُ على ذهابكما، ماذا بعد ذلك؟ هل تظنين أنه يمكننا أن نصبو إلى القمر؟".

"ماذا تقصد؟".

"أقصد أنني موافق"، قال. "أنتما الاثنان".

اجتاز الغرفة بطريقته السريعة الرشيقة، واقشعرّ بدنها عند تفكيرها بالسرعة التي كان يمكنه اجتيازها قبل دقيقة، بالسرعة التي كان يمكنه ضربها بحزامه. ومَن سيكون هنا لإيقافه؟ فما يفعله الرجل لزوجته أو معها هو شأنهما لوحدهما. ولن تكون قادرة على فعل شيء، أو قول شيء. بسبب بْرَتّ. بسبب كبريائها.

وَضَع يده على كتفها. وأنزلها إلى صدرها. وضغطَ. "هيا"، قال. "أنا مستثار".

"بْرَتّ –"

"لن يعود قبل التاسعة. هيا. لقد أخبرتُك، يمكنكما الذهاب. ألا يمكنك أن تشكريني على الأقل؟".

ارتفع نوعٌ من السخافة الكونية إلى شفتيها وحرّكهما قبل أن يتسنّى لها إيقافهما: "اخلع قبعتك".

رماها بلا اكتراث في المطبخ. كان يبتسم. وأسنانه صفراء جداً. كان السنّان العلويان في الأمام اصطناعيين. "لو كان المال معنا الآن، لكنا مارسنا هذا فوق سرير مغطى بأوراق العملة"، قال. "رأيت هذا في فيلم مرةً".

أخذها إلى الطابق العلوي وبقيت تتوقعه أن ينقلب إلى وحش، لكنه لم يفعل ذلك. كانت طريقته في الجماع كالعادة، سريعة وقاسية، لكنه لم يكن وحشياً. لم يؤذها عن قصد، وهذه الليلة، ربما للمرة العاشرة أو الحادية عشرة منذ أن تزوّجا، بلغت الذروة. تركت نفسها تذهب إليه، مُغلقة عينيها، وهي تشعر بذقنه يحفر في أعلى رأسها. كبتت الصرخة التي وصلت إلى شفتيها. ستثير الشكّ لديه لو صرَخت. لم تكن أكيدة أنه يعرف حقاً أن ما يحصل في النهاية للرجال دائماً يحصل للنساء أحياناً.

بعد فترة قصيرة (ولا تزال هناك ساعة قبل عودة بْرَتّ من منزل آل بيرجيرون) ترَكها، دون أن يُخبرها إلى أين يذهب. خمَّنت أنه ذاهب إلى مقصف غاري بيرفير، حيث ستبدأ جولة الشرب. بقيت مستلقية على السرير وتساءلت إن كان ما فعلته وما وعَدت أن تفعله يستحق العناء. حاولت دموعها أن تنهمر فحبستها في الداخل. قبل دخول بْرَتّ،

الذي علمت بوصوله من خلال نباح كوجو والإغلاق العنيف لمنخل الباب الخلفي، ارتفع القمر بكل بهائه الفضيّ المتحرّر. *القمر لا يهتّم*، فكّرت تشاريتي في سرّها، لكن الفكرة لم تسبّب لها أي ارتياح.

"ما الأمر؟"، سألت دونا.

كان صوتها باهتاً، مهزوماً تقريباً. كان كلاهما جالسين في غرفة الجلوس. لم يعُد ڤيك إلى المنزل إلا بعد وقت نوم تاد تقريباً، وكان ذلك قبل نصف ساعة من الآن. كان نائماً في غرفته في الطابق العلوي، وكلمات الوحش معلَّقةً فوق سريره، وباب الخزانة مُغلقاً بإحكام.

نهض ڤيك ووقف قرب النافذة، التي تُطلّ الآن على ظلمة فقط. إنها تعرف، فكّر في سرّه متجهّماً. ربما ليست لديها صورة واضحة، لكن الصورة تتوضَّح لديها تدريجياً. بقي طوال طريق العودة إلى المنزل يحاول أن يقرِّر ما إذا عليه أن يواجهها، أن يأخذ إجراءات حاسمة، أن يحاول العيش مع القيح الحميد... أو ما إذا عليه أن يتجاهل المسألة برمّتها. مزَّق الرسالة بعد مغادرته ديرينغ أوكس، ثم رمى القصاصات من النافذة في الشارع 302. ترنتون مُلقي النفايات، فكّر في سرّه. والآن لم يعد الخيار في يديه. يمكنه رؤية انعكاسها الشاحب على الزجاج الداكن، وجهها دائرةٌ بيضاء في ضوء المصباح الأصفر.

استدار نحوها، ولم تكن لديه أي فكرة ماذا سيقول.

إنه يعرف، كانت دونا تفكِّر في سرّها.

لم تعد فكرة جديدة الآن، لأن الساعات الثلاثة الأخيرة كانت أطول ثلاث ساعات في حياتها كلها. لقد سمِعت المعرفة في صوته

عندما اتصل ليُخبرها أنه سيتأخر في العودة إلى المنزل. شعرت بذعر في البدء – بالذعر التام الذي يشعر به عصفور عالق في مرأب. تراءت لها الفكرة بأحرف مائلة تليها علامات تعجّب على طريقة القصص المصوَّرة: *إنه يعرف! يعرف! يعرف!!* أعدّت العشاء لتاد وهي تشعر بالخوف، وحاولت أن تتخيّل ما قد يحصل منطقياً، لكنها لم تكن قادرة على ذلك. سأغسل الأطباق، فكّرت في سرّها. ثم أجفّفها. ثم أضعها في أماكنها. ثم اقرأ بعض القصص لتاد. ثم سأُبحر إلى أقاصي العالم.

حل الذنب محل الذعر. ثم حل الرعب محل الذنب. ثم شعرت بنوعٍ من اللا مبالاة الحتمية بعد أن أطفأت بعض الدارات العاطفية نفسها بهدوء. حتى إن بعض الارتياح رافَقَ اللا مبالاة. لقد انكشف السر. تساءلت إن كان ستيف مَن فعل ذلك، أو ڤيك افترضه من تلقاء نفسه. برأيها ستيف فعل ذلك، لكن هذا لا يهمّ حقاً. شعرت بارتياح أيضاً أن تاد نائم بأمان في سريره. لكنها تساءلت عن نوع الصباح الذي سيجده عندما يستيقظ. وهذه الفكرة أعادتها دورةً كاملةً إلى ذعرها الأصلي. شعَرت بالغثيان، بالضياع.

استدار نحوها من النافذة وقال، "تلقيتُ رسالةً اليوم. رسالة غير موقَّعة".

لم يتمكن من إنهاء كلامه. اجتاز الغرفة مرة أخرى، بلا هوادة، ووجَدت نفسها تلاحظ كم هو وسيم، وأنه مؤسف جداً أن شعره يشيب باكراً إلى هذا الحد. يبدو الشَيب جميلاً لدى بعض الشباب، لكن ليس على ڤيك لأنه سيجعله يبدو عجوزاً قبل أوانه و –

– ولماذا تفكِّر في شعره؟ ليس شعره ما عليها أن تقلق بشأنه، أليس كذلك؟

بلطف كبير، وهي لا تزال تسمع الارتعاش في صوتها، قالت كل شيء كان بارزاً، بصقته كما لو أنه دواء مرّ جداً لكي تقدر على بلعه. "ستيف كيمب. الرجل الذي جدَّد مكتبك. خمس مرات. ليس في سريرنا يا ڤيك. أبداً".

مدَّ ڤيك يده إلى علبة السجائر على الطاولة الصغيرة بجانب الأريكة فأوقعها على الأرض. رفعها، وأخذ سيجارة منها، وأشعلها. كانت يداه ترتعشان بشكل سيئ. لم يتبادلا النظرات. *هذا سيئ*، فكَّرت دونا في سرّها. *يجب أن نتبادل النظر*. لكن لا يمكنها أن تكون مَن يبادر إلى ذلك. كانت خائفة وخجِلة. كان خائفاً فقط.

"لماذا؟".

"هل هذا مهم؟".

"إنه مهم لي. يعني لي الكثير. إلا إذا كنت تريدين الانفصال. عندها، أظن أنه غير مهم. لقد جُنّ جنوني يا دونا. وأحاول عدم ترك ذلك... ذلك الجزء يطفو على السطح، لأننا إذا لم نتكلم بصراحة مرة أخرى أبداً، علينا أن نفعل ذلك الآن. هل تريدين الانفصال؟".

"انظر إليَّ يا ڤيك".

ففعل، بعد جهد كبير. ربما جُنّ جنونه مثلما قال، لكن يمكنها رؤية فقط طيف رعب بائس. فجأة، مثل لكمة قفاز ملاكمة على فمها، رأت كم كان قريباً من حافة كل شيء. كانت الوكالة تترنَّح، وهذا سيئ كفاية، والآن، فوق كل ذلك، مثل قطعة حلوى مروِّعة بعد طبق رئيسي نتِن، كان زواجه يترنَّح أيضاً. شعَرت بفورة دفء نحوه، نحو هذا الرجل الذي كرهته أحياناً، وخلال الساعات الثلاثة الأخيرة، على

الأقل، خافت منه. ملأها نوعٌ من الإدراك. والأهم أنها أمِلت أن يظنّ دائماً أنه جُنّ جنونه، ولا يكون... مثلما يبدو على وجهه.

"لا أريد الانفصال"، قالت. "أحبك. أعتقد أنني أعدتُ اكتشاف هذا في الأسابيع القليلة الماضية".

بدا مرتاحاً للحظة. عاد إلى النافذة، ثم إلى الأريكة. ارتمى هناك ونظَرَ إليها.

"لماذا إذاً؟".

ضاع الإدراك في غضب ساخط. *لماذا*، هذا سؤال ذكوريّ. يعود أصله بعيداً إلى مفهوم الذكورة لدى الرجل الغربي الذكي في أواخر القرن العشرين. *عليَّ أن أعرف لماذا فعلتِ ذلك.* كما لو أنها سيارة تعطَّل صمام الإبرة فيها فجعلها تسير بتقطّع، أو روبوتاً تشابكت أسلاكه فأصبح يقدِّم رغيف لحم عند الصباح وبيضاً مخفوقاً عند المساء. ما يثير جنون النساء، فكّرت فجأة، لم يكن حقاً هضم حقوق المرأة أبداً، ربما. بل كان هذا المسعى الذكوري المجنون للفعالية.

"لا أعرف إذا كنتُ سأتمكن من شرح الوضع. أخشى أن يبدو غبياً وتافهاً وعادياً".

"حاولي. هل كان...". تنحنح، وبدا أنه يصق عقلياً على يديه (تلك *الفعالية* البغيضة مرة أخرى) ثم أخرَج الشيء بقوة نوعاً ما. "ألم أكن أرضيكِ؟ هل هذا هو السبب؟".

"لا"، قالت.

"لماذا إذاً؟"، قال بعجز. "بالله عليك، *لماذا*؟".

حسناً... أنت طَلَبت ذلك.

"الخوف"، قالت. "في الأغلب، أعتقد أنه كان الخوف".

"الخوف؟".

"عندما ذهَب تاد إلى المدرسة، لم يكن هناك شيء يمنعني من أن أخاف. كان تاد مثل... ماذا يسمّونه؟... ضجة بيضاء. الصوت الذي يصدر عن التلفزيون عندما لا يكون مضبوطاً عند محطة تبثّ".

"لم يكن في مدرسة حقيقية"، قال ڤيك بسرعة، وعرَفت أنه كان يستعد ليغضب، يستعد ليتّهمها بمحاولة إلقاء اللوم على تاد، وبعدما يغضب، ستظهر أمور بينهما لا يجب الحديث عنها، على الأقل ليس بعد. هناك أمور عليها أن تستعد لها. سيحصل تصعيد في الحالة. هناك شيء سريع العطب الآن يتقاذفانه ذهاباً وإياباً. ويمكن أن يسقط على الأرض ويتهشّم بسهولة.

"هذا جزء من السبب"، قالت. "لم يكن في مدرسة حقيقية. ولا يزال معي معظم الأوقات، وخلال الفترة التي يغيب فيها... كان هناك تباين...". نظَرَت إليه. "بدا الهدوء صاخباً جداً بالمقارنة. عندها بدأتُ أخاف. روضة أطفال في السنة التالية. نصف يوم كل يوم بدلاً من نصف يوم ثلاث مرات في الأسبوع. والسنة التي تلي ذلك، كل يوم خمسة أيام في الأسبوع. وستبقى لديَّ كل تلك الساعات لأملأها. وخفتُ ببساطة".

"لذا فكّرتِ بملء بعض ذلك الوقت عبر مجامعة أحدهم؟"، سأل بمرارة.

ألمها هذا، لكنها تابَعت بتجهّم، متتبّعةً إياه بأفضل ما يمكنها، دون أن ترفع صوتها. لقد سألها. وستجيبه.

"لم أرغب أن أكون في لجنة المكتبة، أو في لجنة المستشفى وأدير معارض المنتجات المنزلية، أو أكون مسؤولة عن تغيير الطبق الرئيسي أو التأكد من عدم إعداد الجميع لنفس صنف الطعام لعشاء سهرة السبت. لم أرغب برؤية نفس تلك الوجوه المسبِّبة للكآبة مراراً وتكراراً والاستماع إلى نفس الثرثرة عما فعل هذا أو ذاك في هذه البلدة. لم أرغب أن أشحذ مخالبي على حساب سُمعة أي شخص آخر".

بدأت الكلمات تفيض منها الآن. لم تكن قادرة على إيقافها حتى لو أرادت ذلك.

"لم أرغب أن أبيع حاويات بلاستيكية أو مستحضرات تجميل أو منتجات تساعد على تخفيف الوزن. أنت –"

صمتت لأقل من ثانية، وهي تستشعر وزن الفكرة.

"لا تعرف عن الفراغ يا ڤيك. لا تُخطئ وتظن العكس. أنت رجل، والرجال *يكافحون*. الرجال يكافحون، والنساء ينفضن الغبار. ستنفض الغبار عن الغرف الفارغة وتستمع إلى هبوب الرياح في الخارج أحياناً. وأحياناً فقط تبدو الرياح كما لو أنها تهبّ في الداخل، أتعرف؟ لذا تضع أسطوانة موسيقية، بوب سيغر أو ج. ج. كايل أو شخص آخر، *وسيظل* بإمكانك سماع الرياح، وتخطر أفكار على بالك، لا شيء جيد فيها، لكنها تخطر. لذا تنظّف المراحيض والمغاسل، وتجد نفسك في أحد الأيام واقفاً في أحد المتاجر القديمة تنظر إلى آنية فخارية رخيصة، وتتذكر كيف كانت أمك تملك رفاً كاملاً من الزينة الرخيصة المماثلة، *وعمّاتك وجَدّتك* أيضاً".

كان ينظر إليها بانتباه، وهناك حيرة حقيقية بادية على وجهه

لدرجة أنها شعَرت بموجة يأس هي أيضاً.

"إنني أتكلم عن *المشاعر* وليس الحقائق!".

"نعم، لكن لماذا –"

"إنني *أخبرك* لماذا! إنني أخبرك أنني أصبحت أمضي وقتاً طويلاً أمام المرآة لأرى كيف يتغيَّر وجهي، كيف أن لا أحد سيُخطئ ويظنني مراهقة من جديد أو يطلب رؤية رخصة قيادتي عندما أطلب كوب شراب في أحد المقاصف. بدأت أخاف لأنني كبرتُ في السنّ في النهاية. سيذهب تاد إلى الروضة وهذا يعني أنه سيذهب إلى المدرسة الابتدائية، ثم الثانوية –"

"هل تقولين إنك اتّخذت حبيباً لأنك شعَرت *بالتقدّم في السنّ*؟". كان ينظر إليها متفاجئاً، وأحبَّته على ذلك، لأنها افترَضت أن هذا جزءاً من المسألة؛ لقد وجدها ستيف كيمب جذابة، وبالطبع كان هذا إطراءً كبيراً، وهذا ما جعل الغزل مسلياً في المقام الأول. لكنه لم يكن السبب الأكبر من المسألة أبداً.

أمسكت يديه وتكلّمت بجد في وجهه، وهي تفكّر – وهي *تعرف* – أنها قد لا تتكلّم بهذا الجدّ (أو الصدق) أبداً لأي رجل مرة أخرى. "هناك المزيد. إنها معرفة أنه لا يمكنك الانتظار أكثر لتكون راشداً، أو الانتظار أكثر لتتصالح مع ما لديك. إنها معرفة أن خياراتك تضيق يومياً تقريباً. للمرأة – لا، لي *أنا* – هذا شيء قاسٍ لمواجهته. زوجة، هذا جيد. لكنك غائب في العمل، حتى عندما تكون هو المنزل تكون غائباً في العمل كثيراً. أُمّ، هذا جيد أيضاً. لكن نسبة هذا تتضاءل كل سنة، لأن العالم تأخذ شرحة صغيرة أخرى منه كل سنة.

"الرجال... يعرفون ماهيتهم. لديهم تصوّر عن ماهيتهم. لا يصبون إلى المثال الأعلى أبداً، وهذا يكسرهم، وربما لهذا يموت عدد كبير من الرجال حزينين وقبل أوانهم، لكنهم *يعرفون* معنى أن يكونوا راشدين. لديهم نوع من التدبير في الثلاثين، الأربعين، الخمسين. لا يسمعون تلك الرياح، وإذا سمعوها، سيجدون رمحاً ويصوّبونه عليها، معتقدين أنها بلا شك طاحونة هوائية أو شيئاً لعيناً عليهم أن يصرعوه.

"وما تفعله المرأة – ما فعلتُه *أنا* – هو الهروب. لقد خفتُ من جو المنزل عندما يغيب تاد. في إحدى المرات – هذا جنون – كنتُ في غرفته أغيِّر الملاءة، وبدأت أفكّر بصديقاتي من الثانوية. وتساءلت ماذا حصل لهن، إلى أين ذهَبن. أصبحت مذهولة تقريباً. وتأرجح باب خزانة تاد مفتوحاً و... صَرَختُ وهربت من الغرفة. لا أعرف لماذا... ما عدا أنني أظن أنني أعرف. شعرتُ لمجرد ثانية أن جوان برايدي ستخرج من خزانة تاد، مقطوعة الرأس وستكون كل ملابسها غارقة بالدم وستقول لي، 'لقد تُوفِّيت في حادث سيارة عندما كنتُ في التاسعة عشرة من عمري عائدةً من بيتزا سامي ولا يهمّني بتاتاً'".

"يا إلهي يا دونا"، قال ڤيك.

"لقد خفتُ، هذا كل شيء. خفتُ عندما بدأتُ أنظر إلى الزينة الرخيصة أو أفكّر بأخذ مقرّر تعليمي عن كيفية تصنيع الأواني الفخارية أو حصة يوغا أو شيء من هذا القبيل. والمكان الوحيد للهرب إليه من المستقبل هو الماضي. لذا.... لذا بدأتُ أغازله".

أخفَضت نظرها ثم دفنت وجهها في يديها فجأة. كتم لها هذا كلماتها لكنها بقيت مفهومة.

"كان الأمر مسلياً. كنتُ كما لو أنني عدتُ إلى أيام الكلية من جديد. كان أشبه بحلم. حلم غبي. كان كما لو أنه ضجة بيضاء. حجَب عني صوت الرياح. كانت المغازلة مسليةً. والمجامعة... غير جيدة. وصلتُ إلى الذروة، لكنها لم تكن جيدة. لا يمكنني أن أشرح السبب، ما عدا أنني بقيتُ أحبّك خلالها كلها، وفهمتُ أنني كنت أهرب...". رفعت نظرها إليه مرة أخرى، وبدأت تبكي. "إنه يهرب أيضاً. لقد جعلها صنعتُه. إنه شاعر... على الأقل هذا ما يعتبر نفسه. لم أتمكن من فهم ولو قليلاً الأشياء التي عرضها عليَّ. إنه فار. يحلم أنه لا يزال في الكلية ويتظاهر ضد الحرب في فييتنام. لهذا السبب اخترتُه هو، أظن. والآن أعتقد أنك أصبحت تعرف كل شيء يمكنني إخبارك به. حكاية صغيرة بشعة، لكنها حكايتي".

"أودّ أن أشبعه ضرباً"، قال ڤيك. "إذا استطعتُ جعل الدم يسيل من أنفه، أظن أن هذا سيجعلني أشعر بتحسّن".

ابتسمت بفتور. "لقد غادر. ذهَبتُ وتاد لتناول بعض البوظة بعد العشاء وكنتَ لم تعد إلى المنزل بعد. ورأيتُ لافتة 'للإيجار' على نافذة متجره. لقد أخبرتُك أنه فار".

"لم يكن هناك شِعر في رسالته"، قال ڤيك. نظَرَ إليها سريعاً، ثم أخفض نظره مرة أخرى. لمَست وجهه وجفَل قليلاً. هذا مؤلم أكثر من أي شيء آخر، مؤلم أكثر مما كانت تعتقد. عاد الذنب والخوف مرة أخرى، في موجة ساحقة. لكنها لم تعد تبكي. اعتقَدت أن الدموع اختفت منذ وقت طويل جداً. فقد كان الجرح والصدمة كبيرين جداً.

"ڤيك"، قالت. "آسفة. أنت تتألم وأنا آسفة".

"متى أنهيتِ العلاقة؟".

أخبَرَته عن اليوم الذي عادت فيه إلى المنزل ووجدته هناك، وتجاهلت ذِكر الخوف الذي شعرت به من أن يغتصبها ستيف.

"إذاً الرسالة هي طريقته للانتقام منك".

أزاحت بعض الشعر عن جبهتها وأومأت برأسها. كان وجهها شاحباً، وهناك بُقع أرجوانية تحت عينيها. "أظن ذلك".

"هيا نصعد إلى الطابق العلوي، قال. "لقد تأخر الوقت. وكلانا مُتعَبان".

"هل ستقيم علاقة حميمة معي؟".

هزَّ رأسه ببطء. "ليس الليلة".

"حسناً".

توجّها إلى السلالم معاً. عند أسفلها، سألته دونا، "ماذا سيحدث بعد هذا يا ڤيك؟".

هزَّ رأسه. "لا أعرف".

"هل أكتب 'أعِدُ ألا أفعل هذا مرة أخرى' خمسمئة مرة على السبّورة ولا أخرج إلى فترة الاستراحة؟ هل سنطلّق؟ هل لن نذكر هذا مرة أخرى أبداً؟ ماذا؟". لم تشعر أنها هستيرية، فقط مُتعَبة، لكن صوتها كان يرتفع بطريقة لم تُعجبها ولم تقصدها. كان الخِزي أسوأ ما في المسألة، الخِزي بأن يُكتشَف أمرها وترى كم أزعجه ذلك. وكرِهته وكرِهت نفسها لجعلها تشعر بإحراج كبير، لأنها لم تصدِّق أنها مسؤولة عن العوامل التي ستؤدي إلى القرار النهائي - إذا كان هناك قرار حقاً.

"يجب أن نكون قادرين على التفاهم حول هذا"، قال، لكنها لم تُسئ فهمه؛ لم يكن يتكلم معها. "هذا الشيء -". نظَرَ إليها بتضرّع.

"كان الوحيد، أليس كذلك؟".

كان السؤال الوحيد الذي لا يُغتفَر، السؤال الذي لا يحق له أن يطرحه. ترَكته، وصعدت السلالم ركَضاً تقريباً، قبل أن تفيض كل الاتهامات الغبية التي لن تحل أي شيء بل ستشوّه أي ذرّة صدق تمكّنا من المحافظة عليها.

لم يناما كثيراً تلك الليلة. وحقيقة أنه نسي الاتصال بجو كامبر وسؤاله إن كان يمكنه إصلاح سيارة زوجته كانت آخر شيء قد يخطر على بال ڤيك.

أما بالنسبة لجو كامبر نفسه، فكان يجلس مع غاري بيرفيير على أحد الكراسي البالية التي تملأ الفناء الجانبي لهذا الأخير. كانا يشربان كوكتيل شراب في كوبَين لماكدونالد تحت النجوم. وراحت يراعات تومض في الظلمة، وأكوام العسلة المتشبِّثة بسور غاري تملأ الليل الحار برائحتها الثقيلة المُتخِمة.

كان كوجو ليطارد اليراعات عادة، فينبح أحياناً، ويدغدغهما بلا توقف. لكنه بقي مستلقياً بينهما هذه الليلة واضعاً أنفه على كفّيه. اعتقَدا أنه نائم، لكنه لم يكن نائماً. كان فقط مستلقٍ هناك، يتألم من الأوجاع التي ملأت عظامه وصدّعت رأسه. أصبح صعباً عليه التفكير بما سيحدث تالياً في حياته البسيطة؛ فهناك شيء يعترض غريزته العادية. عندما ينام، يحلم أحلاماً ذات إشراقٍ بغيضٍ غير مألوفٍ. في أحد تلك الأحلام، هاجَم الفتى بشراسة، ومزَّق له حنجرته ثم سحَب أحشاءه من جسمه في حزمات عابقة بالبخار. استيقظ من ذلك الحلم وهو يرتعش ويئنّ.

أصبح يشعر بعطش دائم، لكنه بدأ ينفر من طبق مائه منذ بعض الوقت، وعندما يشرب، يكون طعم الماء مثل الفولاذ. كما أن الماء يجعل أسنانه تؤلمه، ويمتدّ الألم إلى عينيه. لذا يستلقي الآن على العشب، غير مكترث بأمر اليراعات أو أي شيء آخر. كان صوت الرَجلين عبارة عن لعلعة غير مهمة قادمة من مكان ما فوقه. لا يعنيان له الكثير بالمقارنة مع معاناته المتزايدة.

"بوسطن!"، قال غاري بيرفيير، وقوقأ. "*بوسطن!* ماذا ستفعل في بوسطن اللعينة، وما الذي يجعلك تظن أنني قادر على تحمّل كلفة مرافقتك؟ لا أعتقد أنني أملك ما يكفي لأذهب إلى نورج إلى أن أقبض الشيك".

"تباً لك، أنت تعوم فيه"، ردَّ جو. كان قد بدأ يصبح ثملاً جداً. "قد تضطر فقط إلى مدّ يدك إلى داخل فِراشك قليلاً".

"لا شيء هناك سوى بقّ الفراش"، قال غاري، وقوقأ مرة أخرى. "المكان يعجّ بها، ولا أكترث. هل أنت جاهز لكوب آخر؟".

رفع جو كوبه. وكانت الزجاجة قرب كرسي غاري.

"بوسطن!"، قال مرة أخرى وهو يعطي جو شرابه. قال بخُبث، "تستمتع بوقتك قليلاً يا جوي". كان غاري الرجل الوحيد في كاسل روك – وربما في العالم – الذي يستطيع أن ينجو من مناداته جوي. "تنال بعض الصخب والمرح. لم أعرف أبداً أنك ذهبت أبعد من بورتسموث من قبل".

"ذهبتُ إلى بوسطن مرة أو مرتين"، قال جو. "من الأفضل لك أن تحذر أيها المنحرِف، وإلا سأفلت كلبي عليك".

"لا يمكنك أن تُفلت هذا الكلب على زنجي يصيح حاملاً موسى حلاقة في كل يد"، قال غاري. ثم مدَّ يده ونفش فرو كوجو قليلاً. "ما رأي زوجتك بهذا؟".

"لا تعرف أننا ذاهبان. ليس ضرورياً أن تعرف".

"آه، حقاً؟".

"ستأخذ الفتى إلى كونّكتيكت لتزور أختها وذلك الأحمق الذي تزوَّجته. سيغيبان لأسبوع. لقد فازت ببعض المال في القرعة. من الأفضل أن أخبرك بهذا الآن. إنهم يذيعون الإسم على الراديو، على أي حال. كل شيء مذكور في استمارة الجائزة التي كان عليها توقيعها".

"فازت ببعض المال في القرعة، حقاً؟".

"خمسة آلاف دولار".

صفَّر غاري. نفض كوجو أذنيه منزعجاً من الصوت.

أخبرَ جو غاري بما أخبرته تشاريتي على العشاء، دون ذكر الشجار ومُظهِراً المسألة كصفقة مباشرة من بنات أفكاره: يستطيع الفتى الذهاب إلى كونّكتيكت لأسبوع معها، وإلى مُوسهَد لأسبوع معه في الخريف.

"وستذهب إلى بوسطن وتُنفِق بعض ذلك المال بنفسك، أيها الكلب القذر"، قال غاري. وربَّت على كتف جو وضحِك. "آه، أنت فريد من نوعك".

"لما لا؟ هل تعرف آخر مرة أخذت فيها إجازة؟ أنا لا أعرف. لا يمكنني أن أتذكّر. وليست لديَّ أعمال كثيرة هذا الأسبوع. كنتُ أنوي صرف يوم ونصف لإخراج المحرّك من شاحنة ريتشي، وتنفيذ صيانة

للصمام وبعض الأشياء، لكن بفضل تلك الرافعة لن تستغرق العملية أربع ساعات. سأجعله يُحضرها غداً صباحاً ويمكنني إنهاءها بعد الظهر. ولديَّ جهاز نقل السرعة يحتاج إلى إصلاح، لكنها سيارة أستاذ. من مدرسة النحو. يمكنني تأجيله قليلاً. وبضعة أشياء أخرى مماثلة. سأتصل بالجميع وأُخبرهم أنني في إجازة صغيرة".

"ماذا ستفعل في مدينة الفول؟".

"حسناً، ربما سأشاهد بضع مباريات للريد سوكس في فَنواي. وأزور شارع واشنطن –"

"منطقةِ القتال! أيها اللعين، كنتُ أعرف!"، نخَر غاري ضاحكاً وصفَع رِجله. "ستشاهد بعض تلك العروض القَذرة وتحاول تذوُّق إحداهن!".

"لن يكون مسلياً كثيراً لوحدي".

"حسناً، أظن أنه يمكنني مرافقتك إذا كنت مستعداً إقراضي بعض ذلك المال إلى أن أقبض الشيك".

"سأفعل ذلك"، قال جو. صحيح أن غاري مدمن شراب، إلا أنه يأخذ مسألة القروض بجدّية.

"لم أجالس امرأة منذ أربع سنوات، أظن"، قال غاري وهو يحاول أن يتذكّر. "أضعتُ معظم مَصنع سائلي المَنَوي هناك في فرنسا. وما تبقّى يعمل أحياناً، وأحياناً لا يعمل. قد يكون مسلياً معرفة إن كنتُ لا أزال أملك بعض النشاط والفعالية".

"نعممم"، قال جو. أصبح ينطق بصعوبة الآن، وكانت أذناه تئزّان. "ولا تنسَ البيسبول. هل تعرف متى كانت آخر مرة ذهَبتُ فيها

إلى فَنواي؟".

"لا".

"ألف وتسعمئة وثمانية وستون"، قال جو وهو يميل إلى الأمام ويطرق كل مقطع لفظي على ذراع غاري تشديداً. وأراق معظم كوب شرابه الجديد في سياق ذلك. "قبل ولادة إبني. لعِبوا ضد فريق التايغرز وخسروا ستة إلى أربعة، أولئك البلهاء. وسدَّد نورم كاش إصابة مباشرة في بداية الشوط الثامن".

"متى تنوي الذهاب؟".

"بعد ظهر الاثنين عند حوالي الثالثة. أعتقد أن الزوجة والفتى سيرغبان بالخروج ذلك الصباح. سآخذهما إلى محطة الحافلات في بورتلاند. هذا يعطيني بقية الصباح ونصف بعد الظهر لإنهاء ما عليَّ إنهاءه".

"هل ستذهب في السيارة أم الشاحنة؟".

"السيارة".

بدت عينا غاري تحلمان في الظلمة. "شراب وبيسبول ونساء"، قال. استوى جالساً. "لا أكترث إذا فعلتُها".

"أتريد الذهاب؟".

"نعم".

أطلق جو صيحةً وضحك الاثنان. لم يلاحظ أحدهما أن رأس كوجو ارتفع عن كفّيه عند سماعه الصوت وأنه راح يزمجر بلطف كبير.

حلَّ صباح الاثنين بظلال رمادية فاتحة وداكنة؛ وكان الضباب

سميكاً لدرجة أن بْرَتّ كامبر لم يستطع رؤية السنديانة في الفناء الجانبي من نافذته، علماً أن تلك السنديانة لا تبعُد سوى ثلاثين متراً.

كان المنزل لا يزال نائماً من حوله، لكن كل آثار النوم زالت منه. كان ذاهباً في رحلة، وكل خلية من خلاياه فرحة بهذا الخبر. هو وأمه فقط. شعَر أن الرحلة ستكون جيدة، وكان مسروراً في أعماقه أن أباه غير قادم معهما. ستتوفر له الحرية أن يكون على طبيعته؛ ولن يضطر إلى محاولة الارتقاء إلى مفهومٍ مثاليٍ غامضٍ عن الذكورة كان يعرف أن أباه بلغه لكنه هو نفسه لا يزال غير قادر حتى على بدء فهمه. شعَر بالسرور - بسرور لا يُصدَّق وحيوية لا تُصدَّق. وشعَر بالأسى لكل شخص في العالم لن يذهب في رحلة في هذا الصباح الضبابي الرائع، والذي سيكون يوماً حارقاً آخر حالما ينقشع الضباب. خطَّط أن يجلس على مقعد قرب النافذة في الحافلة ويراقب كل كيلومتر في الرحلة من محطة الحافلات في شارع سبرينغ وصولاً إلى ستراتفورد. لقد مرّ وقت طويل قبل أن يتمكّن من أن يغفو ليلة أمس، لكنه سينفجر، أو شيء من هذا القبيل، إذا بقي في السرير أطول من ذلك، رغم أن الساعة لم تصبح الخامسة بعد.

بأقصى هدوء ممكن، ارتدى سرواله الجينز وقميصه التائي الذي عليه شعار أُسُود كاسل روك، وجاربين رياضيين بيضاوين، وحذاءه. نزل إلى الطابق السفلي وأعدَّ لنفسه وعاءً من دببة الكاكاو. حاوَل أن يأكل بهدوء لكنه كان أكيداً أن صوت مضغه الحبوب الذي يسمعه في رأسه مسموعٌ في كل أرجاء المنزل. سمِع أباه ينخر في الطابق العلوي ويتشقلب على السرير المزدوج الذي يتشاركه مع أمه. أحدَثَت النوابض صريراً. فجمُد فك بْرَتّ. بعد تفكير للحظات، أخذ وعاءه الثاني من

دبة الكاكاو إلى الشرفة الخلفية، مع انتباهه إلى عدم إغلاق الباب ذي المنخل بعنف.

رائحة كل شيء في الصيف تتضاعف كثيراً في الضباب الثقيل، والهواء دافئ منذ الآن. في الشرق، مباشرة فوق الزغب الباهت الذي يعلِّم حدود أشجار الصنوبر عند أطراف المرعى الشرقي، يمكنه رؤية الشمس. كانت صغيرة وفضّية ساطعة مثل البدر عندما ارتفعت بما يكفي في السماء. الرطوبة كثيفة وثقيلة وهادئة حتى في هذا الوقت المُبكر. سيزول الضباب عند الثامنة أو التاسعة، لكن الرطوبة ستبقى.

لكن ما رآه بْرَتّ حتى الآن كان عالماً سرياً أبيض، وامتلأ من أفراحه السرية: الرائحة القوية للقش الذي سيكون جاهزاً لأول قصّ له بعد أسبوع، للرَوث، لورود أمه. ويمكنه حتى تمييز بشكل خفيف عبير عسلة غاري بيرفيير المنتصِرة التي كانت تطمر ببطء السور الذي يعلِّم حدود أرضه – فتدفنه تحت فيض نباتات معترشة مُتخِمة.

وَضَع وعاء حبوبه جانباً وسار نحو المكان الذي يعرف أن الحظيرة تقع فيه. في منتصف الطريق على الفناء نظر إلى الوراء ورأى أن المنزل انحسَر إلى مجرد مخطط ضبابي. ثم اختفى كلياً بعد بضع خطوات قليلة. أصبح لوحده في البياض مع فقط الشمس الفضية الصغيرة جداً تنظر إليه بازدراء. يمكنه أن يشمّ رائحة الغبار والرطوبة والعسلة والورود.

ثم بدأت الزمجرة.

وَثَب قلبه إلى حنجرته، وتراجَع خطوة إلى الوراء، وتشنّجت كل عضلاته. كانت فكرته المذعورة الأولى، مثل أي ولد دخلَ قصةً خرافيةً فجأة، أنه ذئب، وراح ينظر حوله بعنف. لم يكن هناك شيء ليراه سوى البياض.

ظهر كوجو من الضباب.

بدأ بْرَتّ يُحدث صوت نحيب في حنجرته. الكلب الذي ترعرع معه، الكلب الذي كان يجرّ بْرَتّ ذا السنوات الخمسة على مزلجته في أرجاء الفناء وهو يصيح فرحاً ومقيّداً بسرج صنعه له جو في المتجر، الكلب الذي كان ينتظر حافلة المدرسة بهدوء قرب صندوق البريد بعد ظهر كل يوم مهما تكن حالة الطقس... ذلك الكلب يحمل شبهاً بسيطاً فقط مع الطيف الموحِل المتلبِّد الذي خرج أمامه ببطء من رذاذ الصباح. كانت عينا ذلك الكلب الكبيرتان والحزينتان حمراوين الآن وغبيتين ومكفهرّتين: أشبه بعيني ثور وليس عيني كلب. كان فروه ملطّخاً بوحل بنيّ أخضر، كما لو أنه كان يتدحرج في البقعة المستنقعية عند أسفل المرج. وخطمه متجعّد إلى الخلف في ابتسامة زائفة فظيعة جعلت بْرَتّ يجمد مرتعباً. شَعَر بْرَتّ بقلبه يكدح في حنجرته.

سالت رغوةٌ بيضاء سميكةٌ ببطء بين أسنان كوجو.

"كوجو؟"، همَس بْرَتّ. "كوجو؟".

نظَرَ كوجو إلى الفتى الذي لم يعد يتعرّف عليه، على شكله، على ظلال ملابسه (لا يمكنه رؤية الألوان بدقة، على الأقل ليس مثلما يفهمها البشر)، على رائحته. ما رآه كان وحشاً على رِجلين. كان كوجو مريضاً، وكل الأشياء تبدو له وحوشاً الآن، وفكرة القتل تلعلع في رأسه باستمرار. أراد أن يعضّ ويمزِّق. جزء منه رأى صورة غائمة عنه وهو يركض خلف الفتى، ويطرحه أرضاً، وينزع لحمه عن عظامه، ويشرب دمه الذي لا يزال يتدفّق بغزارة بفضل قلب يُحتضَر.

ثم تكلَّم الشكل الوحشي، وتعرَّف كوجو على صوته. إنه الفتى،

الفتى، والفتى لم يؤذه أبداً. لقد أحبَّ الفتى فيما مضى وكان مستعداً ليموت من أجله، لو دعت الحاجة. كان قد بقي ما يكفي من ذلك الشعور لإبعاد صورة القتل إلى أن أصبحت غامضة مثل الضباب الذي من حولهما. تقطَّعت وعاودت الانضمام إلى نهر مرضه الصاخب.

"كوجو؟ ما خطبك يا عزيزي؟".

استدار بقايا الكلب الذي كان عليه قبل أن يخدش الوطواط أنفه، واضطر الكلب المريض والخطير، المخرَّب للمرة الأخيرة، أن يستدير معه. شقّ كوجو طريقه في الضباب أكثر فأكثر. تطايرت رغوة من خطمه إلى التراب. وبدأ يركض بتثاقل، على أمل أن يسبق المرض، لكنه رَكَض معه، يئز وينتحب، ويشحنه بالبغض والقتل. بدأ يتدحرج ويتدحرج على عشبة التيموثي المرتفعة، ويثب عليها بعينين تتدحرجان.

العالم بحر مجنون من الروائح. سيتعقّب كل رائحة منها إلى مصدرها ويقطِّع أوصالها.

بدأ كوجو يزمجر مرة أخرى. بدأ يستطيع أن يعتمد على نفسه. انزلَق أكثر فأكثر في الضباب الذي بدأ ينقشع الآن، كلب ضخم وزنه أقل من تسعين كيلوغراماً بقليل.

بقي بْرَتّ واقفاً في الفناء لأكثر من خمس عشرة دقيقة بعد أن اختفى كوجو في الضباب، لا يعرف ماذا سيفعل. كان كوجو مريضاً. ربما أكل طُعماً مسموماً أو شيئاً ما. كان بْرَتّ يعرف عن داء الكَلَب، وإذا رأى يوماً ما مرموطاً أو ثعلباً أو شَيهماً عليه نفس العوارض، سيُدرك أنه داء الكَلَب. لكنه لم يتصوّر أبداً أن كلبه يمكن أن يُصاب بهذا الداء المريع للدماغ والجهاز العصبي. طُعم مسموم، بدا له هذا

الاحتمال الأكثر ترجيحاً.

يجب أن يُخبر أباه. ويستطيع أبوه استدعاء الطبيب البيطري. أو ربما يستطيع أبوه أن يفعل شيئاً بنفسه، مثل تلك المرة منذ سنتين، عندما سحَب إبر الشَيهم من خطم كوجو بكماشته، مع انتباهه إلى عدم كسر أي شوكة لأنها ستتقيَّح هناك. نعم، عليه إخبار أبيه. سيفعل أبوه شيئاً، مثلما فعل تلك المرة عند واجه كوجو السيد أبو أشواك.

لكن ماذا بشأن الرحلة؟

لا يحتاج إلى أن يُقال له إن أمه فازت لهما بالرحلة من خلال حيلة يائسة، أو بعض الحظ، أو تركيبة من الاثنين. كما هو حال معظم الأولاد، يمكنه أن يشعر بالذبذبات بين والديه، ويعرف مسار التيارات العاطفية من يوم إلى آخر بنفس الطريقة التي يعرف بها مرشدٌ متمرِّسٌ تحولات وانعطافات نهر داخلي. كانت كل خطة أمه على وشك أن تنهار، ورغم أن أباه وافَق، إلا أن بْرَتّ شَعَر أن هذه الاتفاقية حاقدة وبغيضة. لن تصبح الرحلة أمراً واقعاً إلا بعد أن يوصلهما إلى محطة الحافلات ويرحل. وإذا أخبر أباه أن كوجو مريض، ألن يستخدم ذلك كعذرٍ ليبقيهما في المنزل؟

وَقَف ساكناً في الفناء. وجد نفسه في مأزق ذهني وعاطفي تام لأول مرة في حياته. بعد قليل، بدأ يفتِّش عن كوجو خلف الحظيرة، ويناديه بصوتٍ منخفضٍ. لا يزال والداه نائمين، ويعرف كيف ينتقل الصوت في ضباب الصباح. لم يجد كوجو في أي مكان... وهذا كان جيداً له.

المنبّه أيقظ ڤيك عند الخامسة إلا ربعاً. فنهض، وأوقف رنينه،

ومشى مترنّحاً إلى الحمّام، وهو يشتم روجر برايكستون، الذي لا يستطيع أبداً الوصول إلى مطار بورتلاند قبل عشرين دقيقة من الإقلاع مثل أي مسافر جوي عادي. خلافاً لروجر. فروجر رجل طوارئ. قد تكون هناك دائماً عجلة مثقوبة أو عقبة على الطريق أو فيضاناً أو زلزالاً. وقد يقرِّر غرباء من الفضاء الخارجي الهبوط على المدرَج 22.

استحمّ، وحلق ذقنه، وازدرَد الفيتامينات، وعاد إلى غرفة النوم ليرتدي ملابسه. كان السرير المزدوج الكبير فارغاً وتنهَّد قليلاً. فنهاية الأسبوع التي مرّت عليه ودونا لم تكن لطيفة جداً... في الواقع، يمكنه أن يقول بأمانة إنه لا يريد أبداً أن يختبر نهاية أسبوع مماثلة مرة أخرى في حياته. لقد حافظا على وجهين لطيفين عاديين أمام تاد، لكن ڤيك شعَر كأنه مشارك في حفلة تنكرية. لم يُعجبه أن يكون مدركاً لعضلات وجهه عندما يبتسم في العمل.

بقيا ينامان في نفس السرير معاً، لكن لأول مرة بدا له السرير المزدوج الكبير صغيراً جداً. ناما كلٌ على جهة، والمساحة بينهما منطقة محرَّمة. بقي مستيقظاً على فراشه ليلتي الجمعة والسبت، شاعراً بكآبة بكل حركة تقوم بها دونا، وصوت خفيف قميص نومها على جسمها. وجَد نفسه يتساءل إن كانت مستيقظة هي أيضاً، على جهتها من الفراغ القابع بينهما.

ليلة أمس، ليلة الأحد، حاوَلا فعل شيء بشأن تلك المساحة الفارغة في وسط السرير. كان الجماع ناجحاً قليلاً، ولو متردداً قليلاً (على الأقل لم يصِح أيٌ منهما عندما انتهى؛ لسبب من الأسباب كان متأكداً بكآبة أن أحداً منهما لن يصيح). لكن ڤيك لم يكن متأكداً أنه يمكن تسمية ما فعلاه علاقة حميمة.

ارتدى بذلته الرمادية الخفيفة – الرمادية مثل الضوء الباكر في الخارج – وحمل حقيبتَي سفره. كانت إحداهما أثقل بكثير من الأخرى. فتلك تحتوي على القسم الأكبر من ملف حبوب شارب. وروجر معه كل الرسوم التخطيطية.

كانت دونا تُعدّ كعكات وافل في المطبخ. وإبريق الشاي على النار بدأ يغلي للتو. كانت ترتدي رداءها الخفيف الأزرق القديم، ووجهها منتفخ، كما لو أن النوم يُفقدها وعيها بدلاً من أن يريحها.

"هل ستطير الطائرات في هكذا جو؟"، سألت.

"سيتحسّن. يمكنك رؤية الشمس الآن". أشار بيده إلى السماء ثم قبّلها بخفة على قفا عنقها. "لم يكن من داعي أن تنهضي".

"لا مشكلة". رَفَعت غطاء محمصة كعكات الوافل ووضعت كعكة وافل على طبق بلباقة. وسلّمه إياه. "أتمنى لو لم تكن مسافراً". كان صوتها منخفضاً. "ليس الآن. بعد ليلة أمس".

"لم تكن سيئة جداً، أليس كذلك؟".

"ليس مثل السابق"، قالت دونا. وارتسمت ابتسامة مرّة سرية تقريباً على شفتيها واختفت. حرّكت مزيج الوافل بمِخفقة سلكية ثم صبّت مقدار مِغرفة في المحمصة وأغلقت غطاءها الثقيل. هسيس. صَبّت ماءً ساخناً فوق كيسَي ورود حمراء ووضعت كوبَين – مكتوب على أحدهما فيك، والآخر دونا – على الطاولة. "كُل كعكتك الوافل. هناك مربى فراولة، إذا أردت".

أحضرت المربى وجلست. وضع بعض الزبدة على كعكة الوافل وراقبها تذوب في المربعات الصغيرة، تماماً مثلما كان يفعل في صغره.

كان المربى من ماركة سماكر التي يحبّها، ووضعه على كعكة الوافل بسخاء. بدت رائعة. لكنه لم يكن جائعاً.

"هل ستقيم علاقة حميمة في بوسطن أو نيويورك؟"، سألته وهي تدير ظهرها له. "للثأر. العين بالعين والسن بالسن".

جفل قليلاً - وربما حتى تورّد خجلاً. كان مسروراً أنها تدير له ظهرها لأنه شعَر أن وجهه في تلك اللحظة بالذات يُظهر أكثر مما يريدها أن ترى. لكنه لم يغضب؛ فبالطبع خطرت على باله فكرة إعطاء أحد الخدم عشرة دولارات بدلاً من الدولار الاعتيادي ثم طرح بضعة أسئلة عليه. كان يعرف أن روجر يفعل هذا أحياناً.

"سأكون مشغولاً جداً لأي شيء من هذا القبيل".

"ماذا يقول الإعلان؟ هناك دائماً مجال للهُلام".

"هل تحاولين إغضابي يا دونا؟ أم ماذا؟".

"لا. أكمل أكلك. تحتاج إلى أن تغذّي الآلة".

جلَست مع كعكة وافل لها أيضاً. بلا زبدة. مع عصير فاكهة مركَّز فقط. كم نعرف بعضنا البعض جيداً، فكّر في سرّه.

"متى ستذهب لتُقلّ روجر؟"، سألته.

"بعد بعض المفاوضات الساخنة، اتفقنا على الساعة السادسة".

ابتسمت مرة أخرى، لكنها ابتسامة دافئة ومُحبّة هذه المرة. "لقد أخذ هذا الأمر على محمل الجد حقاً، أليس كذلك؟".

"نعم. أنا متفاجئ أنه لم يتصل بعد ليتأكد أنني استيقظتُ".

رنَّ الهاتف.

نظَرًا إلى بعضهما البعض عبر الطاولة، وبعد صمت تأمليّ قصير، انفجرا ضحكاً. كانت لحظة نادرة، وبالطبع نادرة أكثر من المجامعة الحذرة في الظلمة ليلة أمس. رأى كم أن عينيها جميلتان، كم أنهما متوهجتان. كانتا رماديتين مثل ضباب الصباح في الخارج.

"أجب بسرعة قبل أن يستيقظ تادر"، قالت.

ففعل. كان روجر. طمأنه أنه مستيقظ، وأنه ارتدى ملابسه، وذهنه مستعد للمعركة. سيُقلّه عند السادسة بالضبط. ثم أغلق السمّاعة متسائلاً إن كان سيُخبر روجر عن دونا وستيف كيمب في نهاية المطاف. على الأرجح لا. ليس لأن نصيحة روجر ستكون سيئة؛ لن تكون سيئة. لكن رغم أن روجر سيعده أنه لن يُخبر ألثيا، إلا أنه سيفعل ذلك بالطبع. وساوره الشك أن ألثيا ستجد صعوبة في مقاومة مشاركة هكذا خبر مثير للعاب مع زميلاتها في لعب الورق. هكذا تفكير مليّ جعله يكتئب مرة أخرى. كان الوضع كما لو أنه بمحاولته حل المشكلة بينه وبين دونا، سيدفنان جسميهما تحت ضوء القمر.

"روجر العزيز"، قال وهو يعاود الجلوس. حاوَل أن يبتسم لكن ذلك بدا له خطأ. لقد زالت لحظة العفوية.

"هل ستتمكن من وضع كل أمتعتك وأمتعة روجر في الجاغوار؟".

"بالتأكيد"، قال. "علينا ذلك. ألثيا تحتاج إلى سيارتهما، ولديك – آه، *تباً*، لقد نسيتُ كلياً الاتصال بجو كامبر بشأن البينتو".

"كان بالك مشغولاً ببضعة أمور أخرى"، قالت وبعض السخرية في صوتها. "لا بأس فأنا لن أرسل تاد إلى الملعب اليوم. لديه زُكام خفيف. وسأبقيه في المنزل لبقية الصيف، إذا كان هذا يناسبك. أُوقع

نفسي في ورطة عندما يغيب".

كانت هناك دموع تخنق صوتها، ولم يعرف ماذا يقول أو كيف يردّ عليها. راقَبها بعجز تأخذ محرمة، وتمخِّط، وتمسَح عينيها.

"أياً يكن"، قال مرتعشاً. "أياً يكن الأفضل". ثم أكمل كلامه بسرعة، "فقط اتصلي بكامبر. إنه متوفر دائماً، ولا أعتقد أنه سيحتاج إلى أكثر من عشرين دقيقة لإصلاحها. حتى ولو اضطر إلى وضع مُكربِن آخر –"

"هل ستفكِّر بالمسألة في غيابك؟"، سألت. "عما سنفعل؟ كلانا؟".

"نعم"، قال.

"جيد. وأنا أيضاً. كعكة وافل أخرى؟".

"لا، شكراً". بدأت المحادثة بأكملها تصبح سريالية. فأراد فجأة أن يخرج منها. وأصبحت الرحلة فجأة ضرورية جداً وجذابة جداً. فكرة الابتعاد عن الفوضى بأكملها. وضع كيلومترات بينه وبينها. شعَر بموجة توقّع مفاجئة. يمكنه أن يرى في ذهنه الطائرة النفّاثة وهي تخرق الضباب إلى السماء الزرقاء.

"هل يمكنني الحصول على كعكة وافل؟".

استدارا جافلين. كان تاد واقفاً في الرواق في بيجامته الصفراء، مُمسكاً قيّوطه المحشو من إحدى أذنين، وقد لفَّ بطانيته الحمراء حول كتفيه. كان يبدو مثل طفل هندي نعسان.

"أظن أنه يمكنني إعداد واحدة لك"، قالت دونا متفاجئة. لم يكن تاد من الذين يستيقظون باكراً.

"هل أيقظك الهاتف يا تاد؟"، سأل ڤيك.

هزَّ تاد رأسه. "أجبرتُ نفسي على الاستيقاظ باكراً لكي أودّعك يا بابا. هل عليك السفر حقاً؟".

"لبعض الوقت فقط".

"هذا طويل جداً"، قال تاد باكتئاب. "وَضَعتُ دائرة حول اليوم الذي ستعود فيه إلى المنزل على تقويمي. دلّتني ماما على ذلك اليوم. سأشطب كل يوم، وقالت إنها ستقول لي كلمات الوحش كل ليلة".

"هذا جيد، أليس كذلك؟".

"هل ستتصل؟".

"كل ليلتين"، قال ڤيك.

"كل ليلة"، أصَرَّ تاد. ثم تسلّق إلى حُضن ڤيك ووضع ڤيوطه بجانب طبق ڤيك. بدأ تاد يقرقش قطعة خبز محمَّص. "كل *ليلة* يا بابا".

"لا أستطيع كل ليلة"، قال ڤيك وهو يفكِّر في جدول المواعيد المضغوط الذي وضعه مع روجر يوم الجمعة، قبل وصول الرسالة.

"لما لا؟".

"لأن –"

"لأن عمّك روجر طاغية مهام مستبدّ"، قالت دونا وهي تضع كعكة وافل تاد على الطاولة. "تعال إلى هنا وكُل. أحضِر ڤيوطك معك. سيتصل بنا بابا غداً من بوسطن ويُخبرنا كل شيء حصل معه".

أخذ تاد مكانه عند طرف الطاولة. كان أمامه مِفرَش بلاستيكي كبير مكتوب عليه تاد. "هل ستُحضر لي لعبةً؟".

"ربما. إذا أحسنت التصرّف. وربما سأتصل هذه الليلة لكي تعرف أنني وصلتُ إلى بوسطن سليماً".

"اتفقنا". وراح ڤيك يراقب تاد، مفتوناً، وهو يصبّ بحراً صغيراً من عصير الفاكهة المركَّز فوق كعكته الوافل. "أي نوع من الألعاب؟".

"سنرى"، قال ڤيك. وراقَب تاد يأكل كعكته الوافل. أدرك فجأة أن تاد يحبّ البيض. مخفوق أو مقلي أو مسلوق. "تاد؟".

"نعم بابا؟".

"إذا أردت أن يشتري الناس البيض، ماذا تقول لهم؟".

راح تاد يفكّر. "سأقول لهم إن البيض لذيذ"، قال.

التقت عينا ڤيك بعيني زوجته مرة أخرى، وتكرّرت بينهما لحظة مماثلة لتلك التي حدثت عندما رنَّ الهاتف. ضحِكا بصمت هذه المرة.

كان الوداع بسيطاً. فقط تاد، بسبب قلّة استيعابه لمدى قُصر المستقبل حقاً، بكى.

"هل ستفكِّر بالمسألة؟"، سألته دونا مجدداً وهو يركب الجاغوار.

"نعم".

لكن خلال قيادته إلى بريدغتون لكي يقلّ روجر، راح يفكِّر بلحظتَي التواصل شبه المثالي تلك. لحظتان في صباح واحد، ليس سيئاً. كل ما استلزم الأمر ثماني أو تسع سنوات معاً، أي حوالي رُبع السنوات التي قضياها حتى الآن على وجه الأرض. كما راح يفكِّر بمدى سخافة مفهوم التواصل البشري - كم تحتاج المسألة إلى مبالغة منافية للعقل لكي يتم إنجاز القليل. عندما تستثمر وقتك بشكل جيد، عليك أن تكون حذراً. نعم، راح يفكِّر بهذا. كانت الأمور جيدة بينهما، ورغم

أن بعض القنوات مُغلقة الآن، ومليئة بقدر من القذارة لا أحد يعلم كميتها (وقد لا تزال تلك القذارة تتراكم)، إلا أن الكثير منها بدا مفتوحاً وفي حالة عمل جيدة إلى حد معقول.

يجب إيلاء المسألة بعض التفكير الدقيق - لكن ربما ليس الكثير دفعةً واحدةً. فللأمور طريقتها الخاصة في تضخيم نفسها.

رفع صوت الراديو وبدأ يفكِّر بأستاذ حبوب شارپ المسكين.

أوقف جو كامبر سيارته أمام محطة الحافلات في بورتلاند عند الثامنة إلا عشر دقائق. كان الضباب قد انقشع والساعة الرقمية الموجودة في أعلى مصرف كاسكو تُظهر أن الحرارة 23 درجة من قبل.

قاد وقبعته مزروعة بشكل واضح على رأسه، جاهزاً ليغضب على أي شخص يقود أمامه تفادياً للزحام. كان يكره القيادة في المدينة. وينوي عندما يصل وغاري إلى بوسطن أن يركن السيارة ويتركها إلى أن يصبحا جاهزين للعودة إلى المنزل. يمكنهما أن يستقلاّ المترو إذا استطاعا فهْم طريقة التنقّل فيها، وإلا سيسيران على قدميهما.

كانت تشاريتي ترتدي أفضل بذلة نسائية لديها - خضراء هادئة - وبلوزة قطنية بيضاء مع كشكش على عنقها. كما ترتدي قرطَين، وهذا ملأ بْرَتّ ببعض الدهشة. لا يمكنه أن يتذكَّر أمه ترتدي أقراطاً أبداً، ما عدا في دار العبادة.

لحق بها بْرَتّ عندما صعدت إلى الطابق العلوي لترتدي بعد إعدادها فطور دقيق الشوفان لأبيه. بقي جو صامتاً معظم الوقت، ويردّ باقتضاب شديد على الأسئلة، ثم أوقف المحادثة كلياً بتبديله الراديو إلى المحطة الرياضية ليسمع نتائج المباريات. كان كلاهما خائفاً أن يكون

الصمت نذيراً لفورة غضب وتغيير مفاجئ لقراره بشأن الرحلة.

كانت تشاريتي قد ارتدت السروال الفضفاض لبذلتها النسائية وعلى وشك ارتداء بلوزتها. لاحَظ بْرَتّ أنها ترتدي حمّالة صدر خوخية اللون، وهذا أدهشه أيضاً. لم يكن يعرف أن أمه تملك ملابس داخلية بأي لون غير الأبيض.

"ماما"، قال بشكل عاجل.

استدارت صوبه، وبدا له أنها تكاد تنقلب *عليه*. "هل قال لك شيئاً؟".

"لا... لا. إنه كوجو".

"كوجو؟ ما به كوجو؟".

"إنه مريض".

"ماذا تقصد بمريض؟".

أخبرها بْرَتّ عن تناوله وعاءه الثاني من دبة الكاكاو على السلالم الخلفية، وعن السير في الضباب، وعن ظهور كوجو فجأة، بعينين حمراوين ومتوحشتين، والرغوة النازفة من خطمه.

"ولم يكن يسير بشكل صحيح"، أنهى بْرَتّ كلامه. "كان كما لو أنه يترنّح. أعتقد أنه من الأفضل أن أُخبر بابا".

"*لا*"، قالت أمه بحدّة، وأمسكته بكتفيه بقوة لدرجة مؤلمة. "إياك أن تفعل ذلك!".

نظَرَ إليها، متفاجئاً وخائفاً. أرخت قبضتها قليلاً وكلّمته بهدوء أكثر.

"لقد أخافك فقط، بخروجه من الضباب هكذا. الأرجح أنه بخير وبصحة جيدة. صح؟".

راح بْرَتّ يبحث عن الكلمات الصحيحة ليُفهمها كم بدا كوجو فظيعاً، وكيف أنه ظنّ للحظة أن الكلب سينقلب عليه. لم يتمكن من إيجاد الكلمات. ربما لم يرغب أن يجدها.

"إذا كان هناك خطب ما"، تابَعت تشاريتي، "فالأرجح أنه شيء بسيط. ربما اقترب كثيراً من ظربانٍ ورشّه –"

" لم أشمّ أي رائحة –"

"–أو ربما كان يطارد مرموطاً أو أرنباً. أو حتى هاجَم موظاً هناك في ذلك المستنقع. أو ربما أكل بعض نبات القرّاص".

"أظن أن هذا محتمل"، قال بْرَتّ بارتياب.

"سيستغل أبوك هكذا شيء"، قالت. "يمكنني سماعه الآن. 'مريض؟ حسناً، إنه كلبك يا بْرَتّ. عليك الاعتناء به. لديَّ أعمال كثيرة لكي أضيِّع وقتي على كلبك اللعين'".

أومأ بْرَتّ برأسه بحزن. كان هذا تفكيره بالضبط، وقد عزَّزته الطريقة المكتئبة التي كان أبوه يأكل بها فطوره بينما يلعلع صوت المذيع الرياضي في المطبخ.

"إذا تركته سيلازم أباك دائماً، وسيهتم به أبوك"، قالت. "إنه يحبّ كوجو مثلما تحبّه أنت تقريباً، رغم أنه لن يقول ذلك أبداً. وإذا رأى أي خطب لديه، سيأخذه إلى الطبيب البيطري في ساوث باريس".

"نعم، أظن ذلك". اتَّسَمت كلمات أمه بالصدق، لكنه بقي حزيناً.

انحنت وقبّلت خده. "لنتّفق على شيء! يمكننا أن نتصل بأبيك هذه الليلة، إذا كنت تريد. ما رأيك بهذا؟ وعندما تكلّمه، ستسأله بكل بساطة، 'هل تُطعم كلبي يا بابا؟'، وستعرف ماذا حصل".

"نعم"، قال بْرَتّ. ابتسم بامتنان لأمه، وابتسمت له بدورها، مرتاحةً من تفادي المتاعب. لكن هذا الأمر المشاكس ولَّد لهما شيئاً آخر ليقلقا بشأنه خلال الفترة التي تبدو لانهائية قبل أن يركن جو السيارة عند سلالم الشرفة وبدأ بتحميل حقائبهما الأربعة (والتي وضعت تشاريتي في إحداها كل ألبومات صورها الستة خلسةً). نقطة القلق الجديدة هي أن يأتي كوجو متطوِّحاً إلى الفناء قبل أن يتمكنوا من المغادرة ويتحجَّج جو كامبر بالمشكلة.

لكن كوجو لم يظهر.

أنزلَ جو الباب الخلفي لسيارته الفورد كاونتري سكواير، وسلَّم بْرَتّ الحقيبتين الصغيرتين، وحمل الحقيبتين الكبيرتين بنفسه.

"يا امرأة، لديك أمتعة كثيرة لدرجة أنني أتساءل إن كنتِ مغادرة على متن إحدى رحلات طلاق رينو تلك بدلاً من الذهاب إلى كونّكتيكت".

ابتسمت تشاريتي وبْرَتّ بانزعاج. بدا كلامه كمحاولة للمزاح، لكن المرء لا يمكن أن يكون متأكداً أبداً مع جو كامبر.

"يا لخيالك الواسع"، قالت.

"أظن أنه سيكون عليَّ أن أطاردك وأعيدك بالقوة برافعتي الجديدة"، قال دون ابتسام. كانت قبعته الخضراء مائلة بشكل واضح على الجهة الخلفية لرأسه. "يا فتى، هل ستهتمّ بأمك؟".

أومأ بْرَتّ برأسه.

"نعم، من الأفضل أن تفعل ذلك". وراح يقيس الفتى بعينيه. "بدأت تكبر كثيراً. وربما ليست عندك قبلة لأبيك".

"أظن أنه عندي يا بابا"، قال بْرَتّ. وعانَق أباه بشدّة وقبَّل خدّه الخشن، وشمّ رائحة العرق الكريه وآثار الشراب من ليلة أمس. تفاجأ من حبّه لأبيه، وهو شعور لا يزال ينتابه أحياناً، ودائماً عندما لا يتوقّعه أبداً (لكنه بدأ يزول أكثر فأكثر في السنتين أو الثلاث الأخيرة، وهو شيء لم تعرفه أمه ولن تصدّقه إذا أخبرها به). كان حباً لا علاقة له بسلوك جو كامبر اليومي معه أو مع أمه؛ كان شيئاً بيولوجياً لن يتحرَّر منه أبداً، ظاهرةً بعدة مدلولات خادعة من النوع الذي يطارد المرء طوال حياته: رائحة دخان السيجار، مظهر شفرة ذات حدّين منعكسة على مرآة، سروالٌ معلّقٌ على كرسي، بعض كلمات الشتائم.

عانقه أبوه بدوره ثم استدار نحو تشاريتي. وَضَع إصبعاً تحت ذقنها ورفع وجهها قليلاً. سمِعوا صوت حافلة يتم تسخين محرّكها من أرصفة التحميل خلف مبنى الطوب. كان صوتاً منخفضاً وحادّاً. "أتمنى لك وقتاً ممتعاً"، قال.

امتلأت عيناها بالدموع ومسَحتها بسرعة. حصل هذا بدافع الغضب تقريباً. "حسناً"، قالت.

فجأة حلَّ التعبير الصارم المُبهَم على وجهه. حدث ذلك بسرعة إنزال الفارس للقناع على وجهه. عاد ليكون الرجل الريفي المثالي من جديد. "هيا نحمّل هذه الحقائب يا فتى! يبدو أن هناك سبائك حديد في هذه... يا إلهي!".

بقي معهما إلى أن تم تسليم كل الحقائب الأربعة، وكان ينظر إلى كل وسم لاصق عليها عن كثب، غافلاً عن الابتسامة الهازئة على وجه عتّال الأمتعة. راح يراقب العتّال يدحرج الحقائب على منصة ذات عجلات ويحمّلها في أحشاء الحافلة. ثم استدار إلى بْرَتّ مرة أخرى.

"تعال وسر معي على الرصيف"، قال.

راقبتهما تشاريتي يبتعدان. جلَست على أحد المقاعد الصلبة، وفتحت جزدانها، وأخرَجت منديلاً، وبدأت تنتّفه. هذه طبيعته بأن يتمنّى لها وقتاً ممتعاً ثم يحاول إقناع الفتى بالعودة إلى المنزل معه.

على الرصيف، قال جو: "دعني أقدِّم لك نصيحتين يا فتى. الأرجح أنك لن تقبل أي واحدة منهما، فالفتيان نادراً ما يفعلون هذا، لكنني أظن أن هذا لم يمنع أبداً أي أب عن تقديمهما لإبنه. النصيحة الأولى هي التالي: ذلك الرجل الذي ستراه، جيم، ليس سوى أحمق كبير. وأحد أسباب سماحي لك بالذهاب في هذه الرحلة هو أنك في العاشرة الآن، وهذا سنّ كافٍ لكي تميِّز الفرق بين الصح والخطأ. راقبه وسترى. لا يفعل شيئاً سوى الجلوس في مكتب ويقلِّب بعض الأوراق. يشكِّل الأشخاص مثله نصف متاعب هذا العالم، لأن أدمغتهم أصبحت منفصلة عن أيديهم". ظهر بعض اللون المحموم على خدَّي جو. "إنه أحمق كبير. راقبه وقرِّر إن كنتَ لا توافقني الرأي".

"حسناً"، قال بْرَتّ بصوت منخفض لكن هادئ.

ابتسم جو كامبر قليلاً. "النصيحة الثانية هي أن تُبقي يدك على محفظتك".

"ليست معي أي محف –"

أخرَج كامبر ورقة خمسة دولارات مُجعَّدة. "نعم، خذ هذه. لا تُنفِقها كلها في مكان واحد. المغفَّل وماله سرعان ما يفترقان".

"حسناً. شكراً".

"إلى اللقاء"، قال كامبر. لم يطلب قبلة أخرى.

"وداعاً يا بابا". وَقَف بْرَتّ على الرصيف وراقَب أباه يركب السيارة ويقودها مبتعداً. لم ير أباه حيّاً مرة أخرى أبداً.

عند الثامنة والربع في ذلك الصباح، خرج غاري بيرفيير من منزله مترنِّحاً في سرواله الداخلي الملطَّخ بالبول وبوَّل على العسلة. كانت لديه أمنية منحرفة نوعاً ما أن يصبح بوله نتناً جداً بالشراب يوماً ما لدرجة أن يُتلف العسلة. لم يحلّ ذلك اليوم بعد.

"آآآآآآه، رأسي!"، صَرَخ وهو يمسكه بيده الحرة بينما كان يروي العسلة التي غطّت سوره. كانت عيناه قرمزيتين، وقلبه يقرقع ويهدر مثل مضخّة ماء قديمة بدأت تضخّ هواءً أكثر من ماء مؤخراً. أصابه تشنّج فظيع في المعدة بينما كان يُنهي تفريغ نفسه - بدأت وتيرة التشنّجات تزداد كثيراً مؤخراً - وأخرَج ريحاً قوياً وكريه الرائحة من بين ساقيه النحيلتين.

استدار ليعود إلى الداخل، وعندها سمِع الزمجرة تبدأ. كان صوتاً قوياً منخفضاً آتياً من وراء النقطة التي يندمج عندها فناؤه المتضخّم مع حقل القش الواقع على الجانب الآخر.

استدار نحو الصوت بسرعة، وقد نسي صُداعه، ونسي القرقعة والهدير في قلبه، ونسي التشنّج. لقد مرّ وقت طويل منذ أن عادت له

ذكريات الحرب في فرنسا، لكن إحداها عادت له الآن. وجد ذهنه يصرخ فجأة، *ألمان! ألمان! انبطحوا!*

لكنهم لم يكونوا الألمان. بل كان كوجو الذي ظهر عندما انشقّ العشب.

"هذا أنت، لماذا تزبجر –"، قال غاري، ثم تلعثَم.

لقد مرّت عشرون سنة منذ أن رأى كلباً مسعوراً، لكن المرء لا ينسى ذلك المنظر. كان وقتها في محطة وقود شرق متشايس عائداً من رحلة تخييم على طريق إيستبورت. كان يقود الدراجة النارية القديمة التي اشتراها منذ بعض الوقت في منتصف الخمسينات. وقد رأى كلباً كبيراً مصفرّاً يلهث وهو يمرّ بسرعة خارج محطة الوقود تلك مثل شبح. كان صدره يتحرّك بسرعة إلى الداخل والخارج جرّاء تنفّسه غير الطبيعي. وهناك رغوة تسيل من فمه بشكل متواصل. وعيناه تتدحرجان بعنف. وردفاه مليئان بالبراز. كان يترنّح بدلاً من أن يسير، كما لو أنه تم استبدال دمه بشراب رخيص.

"ها هو اللعين"، قال عامل المحطة. ثم رمى مفتاح الربط القابل للتعديل الذي كان يحمله وأسرَعَ إلى المكتب الصغير الرثّ المزدحم الذي يجاور مرأب المحطة. وخرج حاملاً بندقية بيديه الدهنيتين ذات المفاصل الكبيرة. ذهب إلى طريق الأسفلت، وانحى على إحدى ركبتيه، وبدأ يُطلق النار. كانت طلقته الأولى منخفضة، فمزَّقت إحدى قائمتَي الكلب الخلفيتين في سحابة دم. تذكَّر غاري وهو يحدِّق في كوجو الآن أن ذلك الكلب المصفرّ لم يتحرّك حتى. بل اكتفى بالنظر حوله كما لو أنه ليست لديه أي فكرة عما يحصل له. كادت الطلقة الثانية لعامل المحطة تشطر الكلب إلى نصفين. ولطَّخت أحشاؤه إحدى مضخّات

المحطة بالأسود والأحمر. بعد لحظات، وصل ثلاثة فتيان آخرين مسلّحين من مقاطعة واشنطن في شاحنة دودج موديل 1940. وقفوا صفاً واحداً وأفرغوا ثماني أو تسع طلقات أخرى في الكلب الميت. بعد ذلك بساعة، وبينما كان عامل المحطة يُنهي وضع ضوء أمامي جديد على دراجة غاري النارية، وصل ضابط المقاطعة في سيارة ستودبايكر من دون باب عند جهة الراكب. ارتدى قفازات مطاطية طويلة وقطَع ما كان قد بقي من رأس الكلب المصفرّ لإرساله إلى وزارة الصحة.

بدا كوجو رشيقاً أكثر بكثير من ذلك الكلب المصفرّ، لكن العوارض الأخرى متماثلة تماماً. *منذ زمن ليس بعيداً جداً*، فكّر في سرّه. *خطير أكثر. يا إلهي، عليَّ إحضار بندقيتي* –

بدأ يتراجع. "كيف حالك يا كوجو... كلب لطيف، كلب لطيف –". وَقَف كوجو عند حافة المَرجة، مخفضاً رأسه الكبير، بعينيه الحمراوين الغائمتين، وراح يزمجر.

"كلب لطيف –"

بالنسبة لكوجو، هذه الكلمات الصادرة عن الرجل لا تعني شيئاً. كانت أصواتاً بلا معنى، مثل الرياح. ما كان يهمّه هو *الرائحة* الصادرة عن الرجل. كانت رائحة حارّة وعفِنة ولاذعة. إنها رائحة الخوف، وهي رائحة مجنِّنة ولا يمكن تحمّلها. فهِم فجأة أن الرجل جعله يمرض. فاندفَع إلى الأمام، والزمجرة في صدره تتضخَّم إلى هدير غضب ثقيل.

رأى غاري الكلب قادماً نحوه. فاستدار وراح يركض. عضّة واحدة، خدش واحد يمكن أن يعني الموت. ركَض إلى الشرفة وأمان المنزل ما وراء الشرفة. لكنه كان شرب أكواباً عديدة، وأمضى أياماً

شتوية عديدة قرب الموقد، وليالٍ صيفية طويلة عديدة على كرسي الحديقة. يمكنه سماع كوجو يقترب منه، ثم حلّت اللحظة الفظيعة التي لا يمكنه فيها سماع أي شيء وفهِم أن كوجو وَثَب.

عندما وَصَل إلى الدرجة المشقَّقة الأولى لشرفته، تسعون كيلوغراماً من فصيلة السانت برنارد ارتطمت به مثل قاطرة، فرمته أرضاً وقطعت له أنفاسه. انقضّ الكلب على مؤخرة عنقه. حاوَل غاري أن يفلت منه، لكن الكلب كان فوقه، وفروه السميك يكاد يخنقه، وثبّته أرضاً بسهولة. راح غاري يصرخ.

عضّه كوجو في موقع مرتفع على كتفه، وفكّه القوي يسحق بشرته العارية، وينزع أوتاره كما لو أنها أسلاك. استمرّ يزمجر. تطاير الدم. وشعَر به غاري يسيل بحرارة على ذراعه النحيلة. استدار وضرب الكلب بقبضتيه. هذا جعل الكلب يتراجع قليلاً وتمكّن غاري من صعود ثلاث درجات أخرى على قدميه ويديه. ثم هاجمه كوجو مرة أخرى.

رَكل غاري الكلب، الذي تفادى الركلة ثم انقضَّ عليه، وهو يزمجر. تطايرت الرغوة من فكّيه، وكان غاري قادراً على أن يشمّ رائحة أنفاسه العَفِنة – الكريهة والصفراء. كوَّر غاري قبضته اليمنى ولوَّحها في حركة دائرية، وأصاب الرف النحيل لفك كوجو السفلي. كانت هذه ضربة حظ في الأغلب. امتدّ تأثير الصدمة وصولاً إلى كتفه، الذي كان يحترق من العضّة العميقة.

تراجع كوجو مرة أخرى.

نظَرَ غاري إلى الكلب، وصدره الرفيع الخالي من الشعر يتحرّك بسرعة إلى الداخل والخارج. كان وجهه رمادياً. والتمزُّقات على كتفه

تنضح دماً لطَّخ سلالم الشرفة المتقشّرة. "تعال أيها اللعين"، قال. "تعال، تعال، لا يهمّني". صَرَخ، *"هل تسمعني! لا يهمّني!"* .

لكن كوجو تراجع خطوة أخرى.

كانت الكلمات لا تزال بلا معنى، لكن رائحة الخوف زالت من الرجل. لم يعد كوجو متأكداً إن كان يريد مهاجمته أم لا. إنه يتألم، يتألم بشكل بائس، والعالم لحاف مجنون من المعاني والانطباعات.

نهض غاري إلى قدميه بتزعزع. صعد آخر درجتين إلى الشرفة، ومشى خلفياً على عرضها وراح يتلمّس مقبض باب المنخل خلفه. شَعَر كما لو أن أحدهم صَبّ بنزيناً خاماً تحت بشرة كتفه. راح ذهنه يصرخ عليه، *داء الكَلَب! لقد أُصبت بداء الكَلَب!*

لا يهمّ. سيفكّر بالأشياء الواحد تلو الآخر. كانت بندقية صيده في خزانة حجرة الجلوس. الحمد لله أن تشاريتي وبْرَتّ كامبر لا يظهران على أعلى التلة.

وجَد مقبض باب المنخل وفتحه. أبقى عينيه مثبّتتين على كوجو إلى أن دخل البيت وأغلق باب المنخل وراءه. شعر بارتياح كبير في كل أنحاء جسمه، وبارتخاء في ساقيه. وأحسّ بالعالم يطوف حوله، وأعاد نفسه إلى أرض الواقع بأن مدّ لسانه وعضّه. لم يكن هذا الوقت المناسب ليُغمى عليه مثل فتاة. يمكنه أن يفعل ذلك بعد أن يموت الكلب، إذا أراد فعل ذلك. يا إلهي كم كان الموت قريباً منه في الخارج؛ اعتقَد أنه سيفقد الوعي بكل تأكيد.

استدار ومشى في الرواق المظلم إلى الخزانة، وعندها حطَّم كوجو النصف السفلي لباب المنخل، وخطمه مجعَّد إلى الخلف كاشفاً عن

أسنانه كما لو أنه يسخر منه، ووابل جاف من النباح يصدر عن صدره.

صَرَخ غاري مرة أخرى واستدار في الوقت المناسب ليلتقط كوجو بيديه بينما وَثَب الكلب مرة أخرى، دافعاً إياه إلى الخلف في غرفة الجلوس، مترنّحاً من جهة إلى أخرى ومحاولاً البقاء واقفاً على قدميه. بدَوا للحظة وكأنهما يرقصان الفالس. ثم سقط غاري الذي كان وزنه أخفّ بعشرين كيلوغراماً. كان مُدركاً قليلاً أن خطم كوجو يحفر تحت ذقنه، ومُدركاً قليلاً أن أنف كوجو حار وجاف بشكل مُقرف تقريباً. حاوَل رفع يديه وكان يفكّر أن عليه مهاجمة عيني كوجو بإبهامَيه عندما أمسك كوجو حنجرته ومزّقها. راح غاري يصرخ والكلب يهاجمه بشراسة مرة أخرى. شعَر غاري بالدم الدافئ يسيل على وجهه وفكَّر في سرّه، يا إلهي، *هذا دمي!* ضربت يداه القسم العلوي من جسم كوجو بضعف وبلا نجاعة، فلم تُحدثا أي أضرار. سقطتا في الآخر.

بشكلٍ باهتٍ، مريضٍ ومُتخِمٍ، شمَّ رائحة العسلة.

"ماذا ترى هناك؟".

استدار بْرَتّ قليلاً نحو صوت أمه. ليس كلياً – فهو لم يرغب أن يختفي المنظر عن أنظاره حتى ولو لوقت قصير. كانت الحافلة على الطريق منذ حوالي ساعة تقريباً. وقد اجتازوا جسر المليون دولار إلى ساوث بورتلاند (راح بْرَتّ يحدِّق بعينين مفتونتين حائرتين بسفينتَي الشحن الوسختين والصدئتين في الميناء)، سالكين الطريق الرئيسي متوجّهين جنوباً، ومقتربين الآن من حدود نيو هامبشاير.

"كل شيء"، قال بْرَتّ. "ماذا ترين يا ماما؟".

راحت تفكّر. *انعكاس وجهك على الزجاج - باهت جداً. هذا ما أراه.*

لكنها أجابته بدلاً من ذلك، "العالم، أظن. أرى العالم ينبسط أمامنا".

"ماما؟ أتمنى لو يمكننا ركوب هذه الحافلة طوال الطريق إلى كاليفورنيا. ونرى كل شيء يذكرونه في كتب الجغرافيا في المدرسة".

ضحِكت ونفشت له شعره. "ستملّ كثيراً من المناظر الطبيعية".

"لا. لا، لن أملّ منها".

ولن يملّ منها على الأرجح، فكّرت في سرّها. شعَرت فجأة أنها حزينة وعجوز. عندما اتصلت بهولي صباح السبت لتسألها إن كان يمكنهما القدوم، ابتهجت هولي كثيراً، وبهجتها جعلت تشاريتي تشعر أنها يافعة. لذا كان غريباً أن بهجة إبنها، نشوته المحسوسة تقريباً، ستجعلها تشعر أنها عجوز. ومع ذلك...

ماذا يُخبئ له المستقبل؟ سألت نفسها وهي تُمعن النظر بوجهه الشبحيّ، الذي كان مركّباً فوق المنظر الطبيعي المتحرّك مثل خدعة تصويرية. كان ذكياً، أذكى منها وأذكى بكثير من جو. عليه أن يذهب إلى الكلية، لكنها كانت تعرف أنه عندما يبلغ المرحلة الثانوية، سيضغط عليه جو ليلتحق بالمقرّرات التعليمية لصيانة السيارات لكي يمكنه أن يفيده أكثر في عمله. لم يكن لينجو بفعلته منذ عشر سنوات، ولم يكن مستشارو الإرشاد *ليسمحوا* لفتى ذكي مثل بْرَتّ بأن يختار مقرّرات تعليمية تقتصر على الحِرف اليدوية فقط، لكن في هذه الأيام المزدحمة بالمواد الاختيارية وعقلية افعل كل شيء بنفسك، كانت خائفة جداً أن

ذلك يمكن أن يحصل.

لقد أرعبها هذا. كانت قادرة على إقناع نفسها في الماضي أن المدرسة بعيدة، بعيدة جداً - المرحلة الثانوية، مدرسة حقيقية. المرحلة المتوسطة مجرد تسلية لفتى يُنهي دروسه بسهولة على غرار بْرَتّ. لكن في المرحلة الثانوية، تبدأ مرحلة الخيارات النهائية. فتوصَد الأبواب مع صوت سقاطة خفيفة تُسمع بوضوح فقط في أحلام السنوات اللاحقة.

أمسَكت مرفقيها وارتعشت، دون حتى أن تكذب على نفسها بأن ذلك بسبب مكيّف الهواء الذي رُفعت قوة تبريده كثيراً.

بالنسبة لبْرَتّ، كانت المرحلة الثانوية تبعُد أربع سنوات فقط.

ارتعشت مرة أخرى ووجدت نفسها فجأة تتمنى بقوة لو أنها لم تفز بالمال أبداً، لو أنها أضاعت البطاقة. لقد ابتعدا عن جو منذ ساعة فقط، لكنها كانت أول مرة تنفصل فيها عنه حقاً منذ أن تزوَّجا في أواخر 1966. لم تُدرِك أن هذا الأمر سيكون مفاجئاً جداً ومذهلاً جداً ومرّاً جداً. تخيَّلت هذا: امرأة وفتى تحرّرا من برج الحصن الكئيب... لكن هناك عائق. هناك خطّافات كبيرة مثبّتة على ظهريهما، وأحزمة مطاطية غير مرئية شديدة التحمُّل معلّقة بتلك الخطّافات. وقبل أن يستطيعا الابتعاد كثيراً، يُعاد شدّهما إلى الداخل لأربع عشرة سنة أخرى!

أصدرت صوت نعيب صغير في حنجرتها.

"هل قلت شيئاً يا ماما؟".

"لا. أتنحنح فقط".

ارتعشت للمرة الثالثة، وهذه المرة أصابت القشعريرة يديها. تذكَّرت بيت شِعر من إحدى حصص الإنكليزية في مرحلتها الثانوية في

المدرسة (لقد أرادت أن تلتحق بالكلية، لكن أباها غضب من الفكرة - هل تظنّ أنهم *أغنياء*؟ - وضحِكت أمها من الفكرة ملء شدقيها بلطف وشفقة). كان من قصيدة تأليف ديلان توماس، ولا يمكنها أن تتذكّرها كلها، لكنها تتحدّث عن التنقّل في عذابات الحب.

بدا لها ذلك البيت مضحكاً ومُربِكاً وقتها، لكنها تعتقد أنها تفهمه الآن. ماذا يمكن تسمية ذلك الحزام المطاطي غير المرئي الشديد التحمُّل، إن لم يكن حباً؟ هل ستكذب على نفسها وتدّعي أنها، حتى الآن، لم تحبّ الرجل الذي تزوّجته بطريقة من الطرق؟ أنها بقيت معه بدافع الواجب فقط، أو كرمى للولد (*هذا* أمر مضحك حقاً؛ فإذا هجرته يوماً ما فسيكون ذلك كرمى للولد)؟ أنه لم يُمتعها أبداً في السرير؟ أنه غير قادر، وأحياناً في أكثر اللحظات غير المتوقعة (مثل تلك اللحظة في محطة الحافلات)، أن يكون حنوناً؟

ومع ذلك... ومع ذلك...

كان بْرَتّ ينظر خارج النافذة، مأسوراً. من دون أن يحول نظره عن المنظر، قال، "هل تعتقدين أن كوجو بخير يا ماما؟".

"أنا متأكدة من ذلك"، قالت دون تركيز.

لأول مرة وجَدت نفسها تفكِّر بالطلاق بشكل ملموس - ماذا عليها أن تفعل لتعيل نفسها وإبنها، كيف سيتفقان في هكذا موقف لا يُصدَّق (*تقريباً* لا يُصدَّق). إذا لم تعد إلى المنزل مع بْرَتّ من هذه الرحلة، سيأتي خلفهما، مثلما هدَّدها بشكل مبطَّن في بورتلاند؟ هل سيقرِّر إذاقة تشاريتي المرّ، لكنه سيحاول استعادة بْرَتّ بطريقة ودّية... أم كريهة؟

بدأت تدرس مختلف الاحتمالات في ذهنها، وأدركت فجأة أن بعض المنظور ليس أمراً سيئاً في النهاية. مؤلم، ربما. وربما مفيد أيضاً.

قطعت الحافلة حدود الولاية إلى نيو هامبشاير وتوجّهت جنوباً.

ارتفعت الدلتا 727 بشكل حاد، واستدارت فوق كاسل روك – كان ڤيك يبحث دائماً عن منزله بالقرب من بحيرة كاسل لايك و117، دون جدوى دائماً – ثم توجَّهت عائدةً نحو الساحل. استغرق الطريق إلى مطار لوغان عشرين دقيقة.

كانت دونا في الأسفل، تحتهم بحوالي خمسة آلاف وخمسمئة متر. وتادر. شعَر بكآبة مفاجئة ممزوجة بهاجس مشؤوم بأن الأمور لن تصطلح بينهما، بأنهما مجنونان حتى في التفكير بذلك. عندما يتهدَّم منزلك، عليك بناء منزل جديد. لا يمكنك استعادة المنزل القديم باستخدام بعض الغراء.

اقتربت منه المضيفة. كان مسافراً مع روجر في الدرجة الأولى ("من الأفضل أن نستمتع بهذا ما دمنا نستطيع يا صديقي"، قال روجر الأربعاء الفائت عندما حجز التذاكر؛ "لا يستطيع الجميع الذهاب إلى مزرعة الفقراء في هكذا أسلوب خالٍ من أي عيب")، وكان هناك أربعة أو خمسة ركاب آخرين فقط، معظمهم يقرأون صحيفة الصباح – على غرار روجر.

"هل يمكنني أن أحضر لك أي شيء؟"، سألت روجر مع تلك الابتسامة المحترفة المتلألئة التي بدا أنها تقول إنها في غاية السرور لتنهض عند الخامسة والنصف هذا الصباح لتقوم بالرحلة الممتعة من بانغور إلى بورتلاند إلى بوسطن إلى نيويورك إلى أطلنطا.

هزَّ روجر رأسه بذهول، ونقلت تلك الابتسامة الساحرة إلى ڤيك. "وأي شيء لك يا سيدي؟ كعكة بالسكر؟ عصير برتقال؟".

"هل يمكنك أن تجهّزي لي بسرعة شراباً مع عصير برتقال؟"، سأل ڤيك، ورفع روجر رأسه عن الصحيفة مصدوماً.

لم تتأثر ابتسامة المضيفة أبداً؛ فطلب كوب شراب قبل التاسعة صباحاً لم يكن أمراً جديداً عليها. "يمكنني هذا"، قالت، "لكن سيكون عليك بلعه على عجل. فالمسافة قصيرة حقاً إلى بوسطن".

"سأفعل ذلك"، وعَدها ڤيك بوقار، وعادت أدراجها إلى المطبخ، زاهيةً في زيّها الرسمي الفضفاض الأزرق الشاحب وابتسامتها.

"ما بالك؟"، سأل روجر.

"ماذا تقصد، ما بالي؟".

"تعرف ماذا أقصد. لم أرك أبداً تشرب حتى شراب شعير قبل الظهر. أنت لا تشرب عادة قبل الخامسة عصراً".

"إنني أُطلِق الزورق"، قال ڤيك.

"أي زورق؟".

"التايتانيك"، قال ڤيك.

عبس روجر. "هذا أمر غير ملائم، ألا تعتقد ذلك؟".

كان يعتقد ذلك، في الواقع. فروجر يستحق شيئاً أفضل من هذا، لكن هذا الصباح، مع استمرار سيطرة الكآبة عليه مثل بطانية كريهة الرائحة، لا يمكنه التفكير بأي شيء أفضل. لكنه تمكَّن من أن يبتسم له ابتسامة باردة. لكن روجر استمر يعبس في وجهه.

"اسمع"، قال ڤيك، "لديَّ فكرة لمشكلة الحلوى. سيكون شاقاً إقناع مالك شارپ العجوز وإبنه بها، لكنها قد تنجح".

بدا روجر مرتاحاً. كانت هذه هي الطريقة التي نجحت معهما دائماً؛ كان ڤيك صاحب الأفكار الخام، وروجر هو الذي يصيغها ويطبِّقها. لطالما عملا كفريق عندما تتعلق المسألة بترجمة الأفكار إلى إعلانات، وطرحها في الأسواق.

"ما هي؟".

"أعطني بعض الوقت"، قال ڤيك. "حتى هذه الليلة، ربما. بعدها سنرفعها على سارية العلم –"

"– وسنرى مَن يؤدّي لها التحية"، أكمل روجر الجملة بابتسامة. ثم نفض صحيفته عند الصفحة المالية مرة أخرى. "حسناً. طالما أنني أحصل عليها هذه الليلة. ارتفع سعر سهم شارپ ثُمناً آخر الأسبوع الفائت. هل كنتَ تُدرك ذلك؟".

"ممتاز"، همسَ ڤيك، ونظر خارج النافذة مرة أخرى. لا ضباب الآن؛ كان اليوم صافياً تماماً. والشواطئ في كينيبَنك وأوغَنكويت ويورك تشكِّل بطاقة بريدية بانورامية – بحر أزرق، رمل كاكي، ثم أفق ماين المؤلف من تلال منخفضة، وحقول مكشوفة، وغابات كثيفة تمتدّ غرباً وبعيداً عن النظر. منظر جميل. وجعل كآبته أسوأ حتى.

إذا كان لا بدّ أن أبكي، فسأذهب إلى المرحاض اللعين لأفعل ذلك، فكّر بتجهّم. ست جمل على ورقة رخيصة فعلت به هذا. كان عالماً لعيناً سريع العطب مثل بيضة مزيَّنة بكل الألوان من الخارج لكنها مجوَّفة من الداخل. الأسبوع الفائت فقط كان يفكّر بأخذ تاد

والابتعاد. والآن بدأ يتساءل إن كان سيجد تاد ودونا في انتظاره عندما يعود مع روجر. هل من الممكن أن تأخذ دونا الولد وترحل فجأة، ربما إلى بيت أمها في بوكانوز؟

بالتأكيد كان هذا ممكناً. قد تقرِّر أن فترة انفصال لعشرة أيام غير كافية له أو لها. ربما الانفصال لستة أشهر سيكون أفضل. ومعها تاد الآن. التملّك يشكّل تسعين بالمئة من القانون، أليس كذلك؟

وربما، قال له صوت متملّق في داخله، *ربما تعرف أين يتواجد كيمب. وربما ستقرِّر الذهاب إليه. تحاول معه لبعض الوقت. يمكنهما البحث عن ماضي سعادتهما معاً*. الآن *هذه* فكرة مجنونة لصباح الاثنين، قال لنفسه بانزعاج.

لكن الفكرة رفضت أن تزول. تقريباً، لكن ليس نهائياً.

تمكَّن من إنهاء كل قطرة من كوب شرابه قبل أن تحطّ الطائرة في لوغان. وقد سبَّب له حرقة في المعدة عرَف أنها ستدوم طوال الصباح – مثل فكرة وجود دونا وستيف كيمب معاً، ستعود إلى السيطرة على تفكيره حتى ولو اِزدرَد علبة كاملة من الحبوب – لكن الكآبة خفّت قليلاً وبالتالي ربما كان ذلك يستحق العناء.

ربما.

نظَرَ جو كامبر متعجباً إلى رقعة أرضية المرأب تحت مِلزمته الكبيرة الرطبة. دفَع قبعته الخضراء إلى الخلف على جبهته، وراح يحدِّق في ما كان هناك لفترة طويلة، ثم وضع أصابعه بين أسنانه وصفَّر صفرةً حادّة.

"كوجو! تعال يا كوجو!" .

صفَّر مرة أخرى ثم مالَ إلى الأمام واضعاً يديه على رُكبتيه. سيأتي الكلب، لم يكن لديه شك في ذلك. فكوجو لا يبتعد كثيراً أبداً. لكن كيف سيتدبّر هذه المسألة؟

لقد تبرَّز الكلب على أرضية المرأب. لم يفعل كوجو هكذا أمر أبداً من قبل، ولا حتى عندما كان جرواً. لقد بوَّل هنا وهناك بضع مرات، على غرار كل الجراء، ومزَّق وسادة أو وسادتين، لكنه لم يفعل أي شيء من هذا القبيل أبداً. تساءل للحظة إن كان كلب آخر قد فعل هذا، ثم صَرَف النظر عن الفكرة. كان كوجو أكبر كلب في كاسل روك، على حد علمه. والكلاب الكبيرة تأكل كميات كبيرة، والكلاب الكبيرة تتبرَّز كميات كبيرة. لا يمكن لكلب من فصيلة البودل أو البيغل أو الفصائل المهجَّنة السبعة والخمسين أن يُحدث هكذا قذارة. تساءل جو إن كان الكلب استطاع أن يشعر أن تشاريتي وبْرَتّ غادرا على عجل. إذا كان الأمر كذلك، ربما هذه هي طريقته ليُظهر رأيه بهذا. لقد سِمع جو عن هكذا أمور من قبل.

فقد حصل على الكلب لقاء أجر مهمة نفّذها في العام 1975 لزبون ذي عين واحدة يدعى راي كرووِيل على جادة فرايبورغ. كان ذلك الكرووِيل قد أمضى معظم وقته يعمل في الغابات، رغم أنه كان معروفاً أنه بارع مع الكلاب - كان بارعاً في استيلادها وبارعاً في تدريبها. وكان بإمكانه أن يكسب رزقاً جيداً بفعل ما يسمّيه سكان ريف نيو إنغلاند أحياناً "زراعة الكلاب"، لكن طبعه لم يكن جيداً، وكان يهرِّب العديد من الزبائن بسبب تجهُّمه.

"أحتاج إلى محرّك جديد في شاحنتي"، قال كرووِيل لجو في ذلك الربيع.

"نعم"، قال جو.

"لديَّ المحرّك، لكن لا يمكنني أن أدفع لك شيئاً. أنا مُفلس".

كانا يقفان عند باب مرأب جو، يمضغان سيقان بعض العشب. وبْرَتّ، في الخامسة من سنّه وقتها، يلهو حول الفناء بينما تشاريتي تنشر الملابس.

"حسناً، هذا مؤسف جداً يا راي"، قال جو، "لكنني لا أعمل مجاناً. أنا لستُ جمعية خيرية".

"السيدة بيزلي أنجبت بعض الجراء للتو"، قال راي. كانت السيدة بيزلي كلبةً ممتازةً من فصيلة السانت برنارد. "إنها كلبة أصيلة. نفّذ لي هذا العمل وسأعطيك أفضل جرو بينها. ما رأيك؟ ستخرج رابحاً من هذه الصفقة، لكن لا يمكنني قصّ أي شجرة إن لم تكن لديَّ شاحنة لأنقلها فيها".

"لا أحتاج إلى كلب"، قال جو. "خاصة واحد كبير مثل هذا. الكلاب من فصيلة السانت برنارد اللعينة ليست سوى آلات للأكل".

"لستَ بحاجة إلى كلب"، قال راي وهو يلقي نظرة نحو بْرَتّ، الذي كان يجلس الآن على العشب يراقب أمه، "لكن إبنك قد يقدِّر امتلاك واحد".

فتَح جو فمه ثم أغلقه مرة أخرى. لا يستخدم أي وسيلة حماية مع تشاريتي، لكنه لم يُنجب أي أولاد منذ بْرَتّ، وبْرَتّ نفسه بدأ يكبر في السنّ. وكان ينظر إليه أحياناً، ويتساءل إن كان الولد يشعر بالوحدة. ربما كان كذلك. وربما راي كرووِيل على حق. كانت ذكرى ولادة بْرَتّ قريبة. ويمكنه أن يُهديه جرواً.

"سأفكِّر بالمسألة"، قال.

"حسناً، لا تُطل التفكير"، قال راي. "يمكنني الذهاب إلى ڤين كالاهان في نورث كونواي. إنه بارع مثلك تماماً يا كامبر. وربما أبرع".

"ربما"، قال جو بحزم. لم يكن طبع راي كroويل يخيفه أبداً.

في وقت لاحق من ذلك الأسبوع، وصل مدير متجر البقالة في سيارته الثاندربيرد إلى مرأب جو ليفحص له علبة التروس. كانت المشكلة طفيفة، لكن المدير، الذي يدعى دونوفان، راح يشكو ويتذمّر بشأن السيارة مثل أم قلقة بينما كان جو يُفرغ سائل علبة التروس، ويعيد تعبئته، ويشدّ الأربطة. كانت السيارة بحالة جيدة. وبينما كان يُنهي عمله، مستمعاً إلى ثرثرة دونوفان عن أن زوجته تريده أن يبيع السيارة، خطرت فكرة على بال جو.

"إنني أفكر بإحضار كلب لإبني"، قال لذلك الدونوفان أثناء إنزاله السيارة عن الرافعة.

"آه، حقاً؟"، سأل دونوفان بتهذيب.

نعم. من فصيلة السانت برنارد. إنه مجرد جرو الآن، لكنه سيأكل كثيراً عندما ينمو. كنتُ أفكّر الآن أنه يمكننا عقد صفقة صغيرة نحن الاثنان. إذا كنت تضمَن إعطائي حسماً على طعام الكلاب الجاف ذاك، من صنف غاينز أو رالستون-بورينا، أو أي صنف آخر تبيعه، سأضمَن لك أنني سأصلح لك سيارتك دون أتعابي بين الحين والآخر".

سُرَّ دونوفان كثيراً وتصافح الاثنان. فاتصل جو براي كرooويل وأخبره أنه قرّر أن يأخذ الجرو إذا كان عرض كرooويل لا يزال سارياً. كان لا يزال سارياً، وعندما اقتربت ذكرى ولادة إبنه تلك السنة،

أدهَش جو بْرَتّ وتشاريتي بوضع الجرو المراوغ والمتلوّي على يدَي الفتى.

"شكراً بابا، شكراً، شكراً!"، صاح بْرَتّ، وعانق أباه وأمطرَ خدّيه بالقبل.

"بالتأكيد"، قال جو. "لكن عليك أن تهتم به يا بْرَتّ. إنه كلبك وليس كلبي. أظن أنه إذا راح يبوِّل أو يتبرَّز هنا وهناك، سآخذه إلى خلف الحظيرة وأطلق النار عليه مثل لص".

"سأهتمّ به يا بابا... أعِدُك!".

وقد وفى بوعده، إلى حد كبير، وفي الحالات القليلة التي نسي فيها، اهتمّ جو أو تشاريتي بالتنظيف وراء الكلب من دون تعليق. واكتشَف جو أنه يستحيل على المرء أن يأخذ موقفاً محايداً تجاه كوجو؛ بينما كان ينمو (وقد نما بسرعة لعينة، وكبُر إلى آلة الأكل التي توقّعها جو تماماً)، أخذ مكانه في عائلة كامبر بكل بساطة. كان أحد الكلاب الجيدة والوفية.

لقد تدرَّب على احترام نظافة المنزل بسرعة... والآن هذا. استدار جو، حاشراً يديه في جيوبه، وعبس. لا أثر لكوجو في أي مكان.

خرج وصفَّر مرة أخرى. ربما الكلب اللعين في الجدول، يبرِّد نفسه. لا يلومه جو. فالحرارة ثلاثون مئوية في الظل. لكن الكلب سيعود قريباً، وعندما يفعل ذلك، سيفرك له جو أنفه في تلك القذارة. سيحزن لفعله ذلك إذا كان كوجو مَن فعلها بسبب اشتياقه لصاحبه، لكن لا يمكن ترك الكلب يُفلِت من عواقب فعلته.

خطرت فكرة جديدة على باله. فصفَع جو راحة يده على جبهته. مَن سيُطعم كوجو بينما يكون مسافراً مع غاري؟

فكَّر أنه يمكنه ملء ذلك الحوض القديم خلف الحظيرة بطعام غاينز - لديهم حوالي طن منه مخزَّن منذ زمن في القبو - لكنه سيصبح رطباً إذا أمطرت. وإذا تركه في المنزل أو الحظيرة، قد يقرِّر كوجو أن يتبرَّز على الأرض مرة أخرى. أيضاً، عندما تتعلق المسألة بالطعام، كان كوجو شرِهاً جداً. سيلتهم نصف الكمية في الأول اليوم، والنصف الآخر في اليوم الثاني، ثم يهيم على وجهه جائعاً إلى أن يعود جو.

"تباً"، تمتم.

لم يعُد الكلب. الأرجح أنه عرَف أن جو سيجد قذارته وخجِل من ذلك. كان كوجو كلباً ذكياً، مثل بقية الكلاب، ومعرفة (أو التكهّن ب) شيء كهذا لم يكن يتخطى حدود ذكائه.

أحضَرَ جو مجرفةً ونظَّف القذارة. وسكَب مقدار غطاء من المنظِّف الصناعي الذي يحتفظ به في الأرجاء، ثم مسحه، وشطفه بدلو ماء من الحنفية التي في الجهة الخلفية للمرأب.

بعد ذلك، أخرَج المفكرة اللولبية الصغيرة التي يدوِّن عليها مواعيد أعماله وراح يتفحّصها. لقد أصلَحَ شاحنة ريتشي - تلك الرافعة أراحته فعلاً من عناء إخراج المحرّك. وأعاد تركيب جهاز نقل السرعة من دون متاعب؛ لقد جرت الأمور بكل سهولة مثلما توقَّع جو. وهناك ست مهام أخرى تنتظره، كلها بسيطة.

دخل المنزل (لم يتكبَّد أبداً عناء تركيب هاتف في مرأبه؛ قال لتشاريتي إنهم سيتقاضون مبلغاً كبيراً لذلك الخط الإضافي) وبدأ يتصل بالأشخاص ويُخبرهم أنه سيغيب خارج البلدة لبضعة أيام في رحلة عمل. وسيُصلح سيارات معظمهم قبل أن يتسنّى لهم أخذ مشاكلهم

إلى مكان آخر. وإذا كان أحد الأشخاص غير قادر على انتظار تبديل حزام مروحته أو خرطوم مشعاعه، تباً له.

بعد إجرائه كل المكالمات المطلوبة، عاد وخرج إلى الحظيرة. كان آخر بند لديه قبل أن يصبح حراً هو تغيير زيت إحدى السيارات. وقد وعده مالكها أن يأتي ليأخذها عند الظهر. بدأ جو يعمل عليها، وراح يفكِّر كم أن المنزل يبدو هادئاً بغياب تشاريتي وبْرَتّ... وبغياب كوجو، الذي كان معتاداً على الاستلقاء في الظل بجانب باب المرأب المتحرّك الكبير، يلهث، ويراقب جو يؤدي عمله. وكان جو يحدّثه أحياناً، وكوجو يبدو دائماً كما لو أن يُصغي له بانتباه.

لقد هجروني، فكّر في سرّه ببعض الامتعاض. هجرني ثلاثتهم. ألقى نظرة سريعة على البقعة التي تبرَّز فيها كوجو وهزَّ رأسه مرة أخرى بقرفٍ وحيرةٍ. تذكّر مسألة إطعام الكلب ولم يجد لها حلاً مرة أخرى. حسناً، سيتصل بالمنحرِف العجوز لاحقاً. ربما سيكون قادراً على التفكير بشخصٍ ما - ولدٍ ما - سيكون مستعداً أن يأتي ويُطعم كوجو ليومين أو ثلاثة أيام.

أومأ برأسه وشغَّل الراديو، ورفع له صوته بشكل صاخب. لا يستمع له حقاً إلا عند بث نشرات الأخبار أو نتائج المباريات، لكنه يشكّل رفيقاً مقبولاً. خاصة مع غياب الجميع. بدأ بالعمل. وعندما رنَّ الهاتف في المنزل عشرة مرات تقريباً، لم يسمعه أبداً.

كان تاد ترنتون في غرفته في منتصف الصباح، يلعب بشاحناته. لقد جمَّع ما يزيد عن ثلاثين شاحنة في سنواته عمره الأربعة، وهي تشكيلة شاملة تتراوَح من الشاحنات البلاستيكية ذات التسعة وسبعين

سنتاً التي يشتريها له أبوه أحياناً من صيدلية بريدغتون حيث يشتري دائماً مجلة التايم في أمسيات الأربعاء (عليك أن تلعب بحذر بالشاحنات التي يبلغ ثمنها تسعة وسبعين سنتاً لأنها مصنوعة في تايوان ولديها مَيل لتنكسر بسهولة) إلى أفضل شاحنة لديه، جرّافة صفراء رائعة ماركة تونكا تصل إلى مستوى رُكبتيه عندما يقف.

لديه "رجال" مختلفون ليضعهم على مقاعد شاحناته. بعضهم رجالٌ مستديرو الرأس أخذهم من ألعابه ماركة بلايسكول. وبعضهم الآخر جنودٌ. وعدد كبير منهم ما يسمّيه "فتية حرب النجوم". وهؤلاء يشملون لوك، هان سولو، دارث فايدر، مُحارب من كوكب بيسبين، والمفضَّل لدى تاد، غريدو. غريدو يقود جرّافة التونكا دائماً.

يلعب أحياناً *ذا دوكس أوف هازرد* بشاحناته، وأحياناً ب. ج. *والدب*، وأحياناً كوبس ومونشاينرز (أخذه أبوه وأمه ليشاهد فيلمَي *البرق الأبيض* و*حمى الخط الأبيض* في ليلة واحدة في السينما وقد أُعجب تاد بذلك *كثيراً*)، وأحياناً أخرى يلعب لعبةً اخترعها بنفسه، سمّاها "هزيمة الشاحنات العشرة".

لكن اللعبة التي يلعبها معظم الأحيان - والتي يلعبها الآن - كانت بلا إسم. إنها تقضي بإخراج الشاحنات و"الرجال" من خزانتَي ألعابه وصفّها الواحدة تلو الأخرى في خطين متوازيين قطريين، والرجال داخلها، كما لو أنها كلها مركونة بشكل مائل في شارع فقط تاد يستطيع رؤيته. ثم ينقلها إلى الجهة الأخرى للغرفة الواحدة تلو الأخرى، ببطء شديد، ويصفّها عند تلك الجهة ملامساً مخفِّفات الصدمات ببعضها. سيكرِّر هذه الدورة عشر مرات أو خمس عشرة مرة أحياناً، لساعة أو أكثر، من دون أن يتعب.

شعر ڤيك ودونا بالصدمة من هذه اللعبة. فقد كان مزعجاً قليلاً مشاهدة تاد يجهّز هذا النمط المتكرّر باستمرار. سألاه أحياناً ما سرّ إعجابه بها، لكن معجم مصطلحاته لم يُسعفه ليشرح لهما. كانت ذا دوكس أوف هازرد، وكوبس ومونشاينرز، وهزيمة الشاحنات العشرة ألعاباً بسيطةً تتضمن اصطداماً وتحطيماً. أما اللعبة التي بلا إسم فكانت هادئة، مسالمة، ساكنة، مرتّبة. لو كان معجم مصطلحاته كبيراً كفاية، لكان أخبر والديه أنها طريقته الخاصة للتأمل والتفكير المليّ.

الآن وبينما كان يلعبها، كان يفكّر أنه يوجد خطأ ما.

انتقلت عيناه تلقائياً – عن غير إدراك – إلى باب خزانته، لكن المشكلة لم تكن هناك. فقد كان الباب مُغلقاً بإحكام، ولم يُفتَح أبداً منذ كلمات الوحش. لا، الخطأ كان شيئاً آخر.

لم يعرف تماماً ما كان، ولم يكن متأكداً أنه يريد حتى أن يعرف. لكنه، مثل بْرَتّ كامبر، كان ماهراً من قبل في قراءة تيارات النهر الأبوي الذي يعوم فيه. وفقط مؤخراً تولّد لديه شعور بأن هناك دوّامات سوداء، وحواجز رملية، وربما أفخاخ مُهلِكة مخفية تحت السطح. ويمكن أن يكون هناك منحدر في النهر. شلال. أي شيء.

لم تكن الأمور سليمة بين أمه وأبيه.

كان ذلك في طريقة نظرهما إلى بعضهما البعض. في طريقة تكلّمهما مع بعضهما البعض. كان بادياً على وجهيهما وخلف وجهيهما. في أفكارهما.

أنهى نقل صف شاحنات مركونة بشكل مائل عند أحد جوانب الغرفة إلى الجانب الآخر ملامساً مخفِّفات الصدمات ببعضها، ونهض

وذهَب إلى النافذة. تؤلمه رُكبتاه قليلاً لأنه كان يلعب اللعبة التي بلا إسم منذ مدة لا بأس بها. وكانت أمه تنشر الملابس في الفناء الخارجي في الأسفل. وقد حاوَلت الاتصال بالرجل الذي يستطيع إصلاح البينتو قبل نصف ساعة، لكنه لم يكن في منزله. بقيت تنتظر وقتاً طويلاً لكي يردّ عليها أحدهم ثم أغلقت سمّاعة الهاتف بحنق كبير. وأمه بالكاد تفقد أعصابها على أمور صغيرة مثل هذا.

راح يراقبها تُنهي تعليق أول ملاءتين.

نظَرَت إليهما... وارتخى كتفاها نوعاً ما. ذهَبت لتقف قرب شجرة التفاح التي وراء حبل الغسيل المزدوج، وعرَف تاد من وقفتها – رجلاها متباعدتان، ورأسها منخفض، وكتفاها يهتزّان قليلاً – أنها تبكي. راقَبها لبعض الوقت ثم تسلَّل عائداً إلى شاحناته. كان هناك فراغ في معدته. إنه مشتاق لأبيه من قبل، مشتاق له كثيراً، لكن هذا كان أسوأ.

أعاد نقل الشاحنات ببطء عبر الغرفة، الواحدة تلو الأخرى، وأعاد ركنها بشكل مائل. توقف مرةً واحدةً عندما أُغلق باب المنخل بعنف. ظنَّ أنها ستناديه، لكنها لم تفعل ذلك. سمع صوت خطواتها في المطبخ، ثم صرير كرسيها الخاص في غرفة الجلوس وهي تجلس عليه. لكن لم يتم تشغيل التلفزيون. تخيّلها تجلس هناك فقط... *تجلس*... وطرد الفكرة من ذهنه بسرعة.

أنهى صف الشاحنات. كان هناك غريدو، المفضَّل لديه، يجلس في الجرّافة، وعيناه السوداوان المستديرتان تنظران بشكلٍ خالٍ من أي تعبير بباب خزانة تاد. كانت عيناه عريضتين، كما لو أنهما رأتا شيئاً هناك، شيئاً مخيفاً جداً لدرجة أنه صدمهما، شيئاً مرعباً حقاً، شيئاً رهيباً، شيئاً آتياً –

ألقى تاد نظرة سريعة عصبية على باب الخزانة. كان مُغلقاً بإحكام.

ضجِر من اللعبة. أعاد الشاحنات إلى خزانة ألعابه، مُحدثاً صوت قعقعة عالية بقصد أن يُفهمها أنه يستعد للنزول ومشاهدة مسلسل غَنسموك على القناة الثامنة. توجّه إلى الباب ثم توقف وراح ينظر إلى كلمات الوحش، مفتوناً.

مكتبة
t.me/soramnqraa

أيتها الوحوش، ابقي خارج هذه الغرفة!
ليس لديك عمل هنا.

كان يعرفها عن ظهر قلب. ويحبّ أن ينظر إليها، ويقرأها بصمت، وينظر إلى خط يد أبيه.

لا شيء سيلمس تاد، أو يؤذي تاد، طوال هذه الليلة.
ليس لديك عمل هنا.

بحافزٍ مفاجئٍ وقويٍ، نزع الدبوس الذي يثبّت الورقة بالجدار. وأنزَل كلمات الوحش بعناية – تقريباً بوقار. طوى الورقة ووضعها بعناية في الجيب الخلفي لسرواله الجينز. ثم، بتحسّن شعوره أفضل من أي وقت سابق خلال هذا اليوم، نزل السلالم ليشاهد المارشال ديلون وفستوس.

أتى ذلك الرجل الأخير واستلم سيارته عند الثانية عشرة وعشر دقائق. دفَع نقداً، وحشرَ جو المال في محفظته الدهنية القديمة، مذكِّراً نفسه بضرورة الذهاب إلى المصرف وسحب خمسمئة دولار أخرى قبل أن ينطلق مع غاري.

فكرة الانطلاق جعلته يتذكَّر كوجو، ومشكلة مَن سيُطعمه. ركبَ

سيارته الفورد وذهب إلى منزل غاري بيرفيير عند سفح التلة، وركَنها في الممر الخاص لمنزله. بدأ يصعد سلالم الشرفة، والنداء الذي كان يتحضَّر في حنجرته اضمحلّ هناك. عاد ونزل الدرجات وانحنى فوقها.

هناك دم عليها.

لمَسه جو بأصابعه. كان لزجاً لكن ليس جافاً بالكامل. نهض مرة أخرى، وهو يشعر ببعض القلق. ربما كان غاري ثملاً وتعثَّر حاملاً زجاجة في يده. لم يكن قلِقاً حقاً إلى أن رأى الطريقة التي تحطَّم بها اللوح السفلي الصدئ لباب المنخل إلى الداخل.

"غاري؟".

لم يكن هناك جواب. وجَد نفسه يتساءل إن كان شخصٌ حاقدٌ جاء ليصطاد غاري. أو ربما سائحٌ أتى ليسأل عن الاتجاهات واختار غاري اليوم الخطأ ليقول لذلك الشخص أن ينصرف من أمامه قبل أن يذيقه الويل.

صعد الدرجات. كانت هناك بُقع دم أكثر على الشرفة.

"غاري؟"، نادى مرة أخرى، وتمنى فجأة لو أن وزن بندقية صيده يُثقل ذراعه اليمنى. لكن إذا كان أحدهم قد لكمَ غاري فأدمى له أنفه أو ربما حطَّم له بعضاً من أسنانه المتبقية، فإن ذلك الشخص اختفى الآن، لأن السيارة الوحيدة المركونة في الفناء غير سيارة جو الفورد الصدئة هي كرايسلر غاري البيضاء موديل 1966. والمرء لا يسير هكذا ببساطة إلى طريق البلدة رقم 3. فمنزل غاري بيرفيير يبعُد عشرة كيلومترات عن البلدة، وثلاثة كيلومترات عن طريق مايبل سوغار الذي يعيد إلى الطريق 117.

الأرجح أنه جرح نفسه، فكّر جو في سرّه. لكن يا إلهي، آمل أن يكون الجرح مقتصراً على يده وليس حنجرته.

فتَح جو باب المنخل، فزَعَقت مِفصَلاته. "غاري؟".

لا جواب أيضاً. كانت هناك رائحة حلوة مغثيّة لم تُعجبه، لكنه ظنّ أنها العسلة في البدء. كانت الدرجات التي تقود إلى الطابق الثاني على يساره. وأمامه مباشرة الردهة إلى المطبخ، وباب غرفة الجلوس في منتصف الطريق على اليمين.

كان هناك شيء على أرضية القاعة لكن الجو داكن جداً لكي يعرف جو ماهيته. بدا كأنه طاولة صغيرة مقلوبة، أو شيء من هذا القبيل... لكن على حد علم جو، لم يكن هناك أبداً أي أثاث في قاعة غاري الأمامية، بل يلقي كراسي حدائقه هناك عندما تُمطر. لكنها لم تُمطر منذ أسبوعين. بالإضافة إلى ذلك، كانت الكراسي في الخارج بجانب كرايسلر غاري في مكانها المعتاد. بجانب العسلة.

إلا أن تلك الرائحة لم تكن العسلة. كانت رائحة دم. كمية كبيرة منه. وهذا الشيء ليس طاولة صغيرة مقلوبة.

أسرعَ بالنزول إلى الشكل، وقلبه ينبض بقوة في صدره. ركَع بجانبه، وفرَّ صوتٌ يشبه صريراً من حنجرته. بدا الهواء في القاعة حاراً جداً فجأة. بدا كأنه يخنقه. استدار عن غاري، واضعاً يده فوق فمه. أحدهم قتل غاري. أحدهم –

أجبَر نفسه على الالتفات إلى الوراء. كان غاري غارقاً في بركة دم، وعيناه تحملقان بسقف الرواق بفراغ. لقد شُقَّت حنجرته. لم تُشَقّ فحسب، يا إلهي، بل بدت كما لو أنها مُضغَت.

لم يحصل عراك مع حلقه هذه المرة. هذه المرة ترك كل شيء يخرج في سلسلة أصوات خانقة ميؤوس منها. ذهب تفكيره إلى تشاريتي مع امتعاض طفولي. لقد حصلت تشاريتي على رحلتها، لكنه لن يحصل على رحلته. لم يكن ليحصل عليها لأن وغداً مجنوناً مثَّل دور سفّاح حقير على غاري بيرفيير المسكين و –

– وعليه أن يتصل بالشرطة. كل شيء آخر لا يهمّ. لا يهمّ كيف تحملق عينا المسكين بالسقف، أو كيف تختلط رائحة دمه النحاسية مع العبير الحلو المغثيّ للعسلة.

وقف على قدميه وسار مترنِّحاً نحو المطبخ. كان يئن عميقاً في حنجرته لكنه بالكاد أدرك ذلك. كان الهاتف على الجدار في المطبخ. عليه الاتصال بشرطة الولاية، بالمأمور بانرمان، بأحدهم –

توقَّف عند المدخَل. واتّسعت عيناه إلى أن بدتا كما لو أنهما ستقعان من رأسه. كانت هناك كومة من رَوث كلب عند مدخَل المطبخ... وعرَف من حجمها أي كلب كان هنا.

"كوجو"، همَس. "يا إلهي، كوجو أصبح مسعوراً!".

اعتقَد أنه سمِع صوتاً خلفه واستدار بسرعة، وجمد شعره عند الجهة الخلفية لعنقه. كان الرواق فارغاً ما عدا من غاري. غاري الذي قال تلك الليلة إن جو لا يستطيع أن يُفلِت كوجو على زنجي يصيح. غاري بحنجرته المشقوقة وصولاً إلى عموده الفقري.

لم تكن هناك حكمة من المخاطرة. لاذ بالفرار عبر الرواق، وانزلق على دم غاري للحظة تاركاً أثراً طويلاً لقدمه خلفه. راح يئنّ من جديد، لكنه شعَر بتحسّن بسيط عندما أغلق الباب الداخلي الثقيل.

عاد إلى المطبخ، متفادياً جسم غاري، ونظر إلى الداخل وهو على استعداد ليُغلق باب رواق المطبخ بسرعة إذا كان كوجو هناك. تمنّى بذهن مشتت مرة أخرى لو أن الوزن المريح لبندقية صيده يُثقل ذراعه.

كان المطبخ فارغاً، ولا شيء يتحرّك فيه ما عدا الستائر في نسيم خفيف يهمس عبر النوافذ المفتوحة. كانت هناك رائحة زجاجات شراب فارغة. كانت رائحة حامضة، لكنها أفضل من تلك... تلك الرائحة الأخرى. وضوء الشمس ينير مشمَّع الأرضية الباهت في نقوش منهجية. الهاتف، الذي كان أبيض فيما مضى وأصبح باهتاً الآن من شحوم العديد من وجبات طعام الأعزب ومكسَّراً من بعض التعثّرات الثملة، معلّقٌ على الجدار كالعادة.

دخَل جو وأغلق الباب خلفه بإحكام. ثم مشى إلى النافذتين المفتوحتين ولم ير شيئاً في تشابكات الفناء الخارجي ما عدا بدنَيْ سيارتين صدئتين سبقتا كرايسلر غاري. أغلَق النوافذ على أي حال.

ذهَب إلى الهاتف، وهو يتصبّب عرقاً في المطبخ الحار بشكل لا يُطاق. كان الدليل معلّقاً بجانب الهاتف على حبل من القش، عبر الحفرة التي أحدثها غاري في الدليل منذ حوالي السنة، عندما كان ثملاً جداً وادّعى أنه لا يكترث.

رفع جو الدليل ثم أفلته، فارتطم بالجدار. شعَر بثقل كبير في يديه، وقرف في فمه من مذاق القيء. أمسك الدليل مرة أخرى وفتحه بقوة كادت تمزِّق غلافه. كان يمكنه طلب الرقم 0 أو 555-1212، لكنه لم يفكّر في ذلك أبداً جرّاء صدمته.

صوت تنفّسه السريع والضحِل، ونبضات قلبه المتسارعة، والتصفّح

السريع لصفحات دليل الهاتف الرفيع حجب عنه الضجة الخفيفة من خلفه: الصرير المنخفض لباب القبو بينما كان كوجو يفتحه بخطمه.

كان قد نزل إلى القبو بعد قتله غاري بيرفيير. فالضوء في المطبخ كان ساطعاً جداً، مُبهِراً جداً، وقد سبَّب له ألماً كبيراً في دماغه المتحلّل. كان باب القبو مفتوحاً جزئياً وقد نزل الدرجات بتشنّج إلى الظلام البارد المنعش. ثم غفا بجانب خزانة أمتعة غاري الشخصية من أيام الجيش، والنسيم من النوافذ المفتوحة جعل باب القبو يتأرجح حتى حدود الانغلاق. لم يكن النسيم قوياً كفاية ليُغلقه كلياً.

الأنين، وصوت تقيؤ جو، وأصوات الدويّ والإغلاق العنيف وخطوات جو وهو يركض في القاعة ليُغلق الباب الأمامي - أيقظته تلك الأشياء وعاد الألم من جديد. عاد ألمه وعاد حنقه المتواصل الممل. أصبح يقف الآن خلف جو في المدخَل المظلم، مُخفضاً رأسه. كانت عيناه قرمزيتين تقريباً، وفروه السميك الأسمر المصفَرّ متلبِّداً بدم متخثّر ووحل جاف. والرغوة تزبد من فمه، وأسنانه ظاهرة باستمرار لأن لسانه بدأ يتورَّم.

وجَد جو قسم كاسل روك في الدليل. وراح ينزل بإصبعه المرتعش في حرف الكاف إلى أن وصل إلى "كاسل روك الخدمات البلدية" في قسم محاط بمربّع في وسط أحد الأعمدة. كان هناك رقم مكتب المأمور. مدَّ إصبعاً ليبدأ طلب رقم الهاتف، وعندها بدأ كوجو يزمجر عميقاً في صدره.

بدت كل جسارة جو كامبر قد زالت منه. وانزلَق دليل الهاتف من أصابعه وارتطم بالجدار مرة أخرى. استدار ببطء نحو تلك الزمجرة، ورأى كوجو واقفاً عند مدخَل القبو.

"كلب لطيف"، همَس بصوت مبحوح، وسال البصاق على ذقنه.

بوَّل لا إرادياً في سرواله، وضربت الرائحة النشادرية الكريهة والحادة أنف كوجو مثل صفعة قوية. فانطلق. تطوَّح جو جانباً على ساقين متحجّرتين وارتطم الكلب بالجدار بقوة كافية لاختراق ورق الجدران وجعل الجصّ يتطاير في سحابة بيضاء كبيرة. لم يعد الكلب يزمجر الآن؛ بل خرجت منه سلسلة أصوات جرش ثقيلة، أصوات همجية أكثر من أي نباح معروف.

تراجع جو نحو الباب الخلفي. وتعثّرت قدماه بأحد كراسي المطبخ. راح يدوِّر يدَيه بجنون ليحافظ على توازنه، وربما كان لينجح في ذلك، لكن قبل إمكانية حصول ذلك، انقضّ عليه كوجو، آلة قتل مندفعة، مع سلاسل رغوة تتطاير عكسياً من فكّيه. كانت هناك نتانة مستنقعية خضراء فيه.

"ابتعد عني أيها اللعين!" ، زعَق جو كامبر.

تذكَّر غاري. فغطّى حنجرته بإحدى يديه وحاول إمساك كوجو باليد الأخرى. تراجع كوجو للحظة، ثم وثب بخطمه المتجعِّد إلى الخلف في تكشيرة جدّية كبيرة تبيِّن له أسنانه كصف قضبان سور مصفَرّة قليلاً. ثم انقضّ عليه مرة أخرى.

وهجَم هذه المرة على منفرج ساقَي جو كامبر.

"يا صغيري، هل تريد أن ترافقني لشراء البقالة؟ ونتغدى عند ماريو؟".

نهض تاد. "نعم موافق!".

"هيا بنا إذاً".

كانت تضع الكيس فوق كتفها وترتدي سروال جينز وقميصاً أزرق باهتاً. شعَر تاد أنها تبدو جميلة جداً. وارتاح عند عدم رؤية أي أثر لدموعها، لأنها عندما تبكي، يبكي هو أيضاً. كان يعرف أن هذا التصرّف طفوليّ منه، لكنه لم يكن قادراً على منع نفسه من فعل ذلك.

كان في منتصف الطريق إلى السيارة وكانت تهمّ بالجلوس خلف المِقوَد عندما تذكَّر أن سيارتها البينتو تتصرّف بغرابة أحياناً.

"ماما؟".

"ماذا؟ اركب".

لكنه تراجع قليلاً، خائفاً. "ماذا لو فقدت السيارة عقلها؟".

"عقل-؟". كانت تنظر إليه مُحتارةً، ثم رأى في تعبيرها الساخط أنها نسيت حالة السيارة كلياً. لقد ذكَّرها، وها هي تعود حزينة من جديد. هل كان خطأ البينتو، أم خطأه؟ لم يعرف، لكن الشعور بالذنب في داخله قال له إنه خطأه هو. ثم هدأ وجهها وابتسمت له ابتسامة صغيرة معقوفة يعرفها جيداً بما فيه الكفاية ليُدرك أنها ابتسامته الخاصة، الابتسامة التي تخصّصها له فقط. شعَر بتحسّن.

"سنذهب فقط إلى البلدة يا تادر. وإذا تخلّت عنا البينتو الزرقاء، لن نضطر سوى إلى دفع دولارين لسيارة الأجرة الوحيدة في كاسل روك للعودة إلى المنزل. صح؟".

"آه، حسناً". ركب السيارة وتمكّن من إغلاق الباب. راقَبته عن كثب، جاهزة لتُقلع فوراً، وافترَض تاد أنها تتذكّر احتفال الشتاء الفائت، عندما أغلق الباب على قدمه واضطر إلى ارتداء ضمادة مرنة لشهر

تقريباً. لكنه كان مجرد طفل وقتها، وهو في الرابعة من عمره الآن. إنه فتى كبير الآن. يعرف أن هذا صحيح لأن أباه أخبره إياه. ابتسم لأمه ليُظهر لها أن الباب لا يشكّل أي مشكلة له، وابتسمت له بدورها.

"هل انغلق جيداً؟".

"جيداً"، أكَّد لها تاد، لذا فتَحته وأغلقته مرة أخرى، لأن الأمهات لا يصدّقنك إلا إذا أخبرتهن أمراً سيئاً، مثل أنك أوقعت كيس السكر بينما كنتَ تحاول الوصول إلى زبدة الفول السوداني، أو كسرت نافذةً بينما كنتَ تحاول رمي حجرة فوق سقف المرأب.

"اربط حزامك"، قالت متدخّلةً مرة أخرى. "عندما يتعطّل صمام الإبرة أو مهما يكن سبب المشكلة، ستهتزّ السيارة كثيراً".

ربط تاد حزام أمانه مع بعض القلق. طبعاً لم يكن يتمنى أن يتعرّضا لحادث، مثلما يجري في هزيمة الشاحنات العشرة. وحتى أكثر من ذلك، كان يتمنى لو أن أمه لا تبكي.

"الرفاريف مُنزلَة؟"، سألت وهي تعدِّل نظارات واقية غير مرئية.

"الرفاريف مُنزلَة"، وافَق مبتسماً. كانت هذه مجرد لعبة يلعبانها.

"المدرَج خالٍ؟".

"خالٍ".

"لننطلق إذاً". أدارت مفتاح الإشعال وقادت خلفياً على الممر الخاص للمنزل. وأصبحا متوجّهين إلى البلدة بعد لحظات.

استراحت أعصابهما بعد حوالي كيلومتر. فحتى تلك اللحظة كانت دونا تجلس منتصبةً خلف المِقوَد وتاد يفعل الشيء نفسه على مقعد الراكب. لكن البينتو سارت بسلاسة لدرجة أن المرء يظنّ أنها

خرجت من المصنع البارحة فقط.

ذهَبا إلى سوق أغواي واشترت دونا بقالةً بقيمة أربعين دولاراً، وهذا يكفيهما للأيام العشرة التي سيغيب فيها ڤيك. أصَرَّ تاد على شراء صندوق طازج من توينكلز، وكان ليضيف علبة دبة الكاكاو لو سمحت له دونا. كانوا يشترون علب حبوب صنع شركة شارپ بشكل دوري كلما نفدت لديهم. ورغم أنها كانت مشغولة طوال هذه الرحلة، إلا أنه بقي لديها بعض الوقت لتفكّر بمرارة أثناء انتظارها في صف صندوق الدفع (كان تاد يجلس على المقعد المخصّص للأولاد في عربة التسوّق، يلوِّح قدميه بلا مبالاة) عن ثمن ثلاثة أكياس بقالة بسيطة هذه الأيام. لم يكن ذلك مسبِّباً للكآبة فحسب؛ بل مخيفاً أيضاً. وقادتها تلك الفكرة إلى الاحتمال المخيف بأن يخسر ڤيك وروجر حساب شارپ، وبالنتيجة، الوكالة نفسها. كم سيصبح ثمن البقالة كبيراً وقتها؟

راقَبت امرأةً سمينةً ذات مؤخرة بدينة مضغوطة داخل سروال فضفاض بلون الأفوكادو تسحب كتيّب طوابع غذائية من جزدانها، ورأت موظفة الصندوق تقلب عينيها لموظفة الصندوق المجاور، وشَعَرت بذعر كبير يقضم بطنها. لا يمكن أن تصل الأمور إلى هذا الحد، أليس كذلك؟ *أليس كذلك؟* لا، بالطبع لا. بالطبع لا. سيعودون إلى نيويورك أولاً، نعم سيعودون.

لم يُعجبها تسلسل أفكارها، وطردتها كلها من ذهنها بحزم قبل أن يكبر حجمها إلى حدود انهيار ثلجي يطمرها في كآبة عميقة أخرى. لن تضطر إلى شراء القهوة في المرة المقبلة، وهذا سيزيل ثلاثة دولارات من مجموع الفاتورة.

دحرجت تاد والبقالة إلى البينتو ووضعت الأكياس في الصندوق وتاد على مقعد الراكب، وبقيت تقف هناك مستمعةً لتتأكد من إغلاق الباب جيداً، وراغبةً بإغلاق الباب بنفسها، لكنها فهمت أنه شيء يشعَر أن عليه أن يقوم به بنفسه. كان شيئاً يفعله الفتيان الكبار. كادت تُصاب بنوبة قلبية في ديسمبر الفائت عندما أغلق تاد الباب على قدمه. كم صَرَخ من الألم! كاد يُغمى عليها... ثم جاء ڤيك مُسرعاً من المنزل في رداء حمّامه، ملطّخاً ممر المنزل بالماء من قدميه العاريتين. وتركته يتولّى زمام الأمور وكان كفوءاً، على عكسها تماماً في الحالات الطارئة. راح يتفحَّص قدمه ليتأكد أنها غير مكسورة، ثم ارتدى ملابسه بسرعة وقادهما إلى غرفة الطوارئ في مستشفى بريدغتون.

بعد انتهائها من توضيب البقالة، وتاد أيضاً، جلست خلف المِقوَد وشغّلت البينتو. ستتعطّل *الآن*، فكّرت في سرّها، لكن البينتو سارت بهما بانصياع إلى مطعم ماريو، الذي يقدِّم بيتزا شهية مليئة بسعرات حرارية كافية لتضع طبقةً من الدهون على بطن أي حطّاب نشيط. أدّت أداءً مقبولاً عند ركن السيارة بشكلٍ متوازٍ، مبتعدةً عن حافة الرصيف حوالي خمسين سنتيمتراً فقط، ودخلت مع تاد وهي تشعر بتحسّن أفضل من أي وقت سابق خلال هذا اليوم. ربما كان ڤيك مخطئاً؛ ربما كانت المشكلة ناتجة فقط عن بعض الأوساخ في الوقود وزالت أخيراً من نظام السيارة. لم تكن تتطلّع إلى زيارة مرأب جو كامبر. كان نائياً جداً في الجرود (ما يسمّيه ڤيك دائماً بروح دعابة عالية "ناصية الجراميق الشرقية" – لكنه يستطيع بالطبع تحمّل بعض روح الدعابة العالية، فهو *رجل*)، وكانت خائفة قليلاً من كامبر في تلك المرة الوحيدة التي التقته فيها. كان المثال الصارخ للرجل الريفيّ، حيث

ينخر بدلاً من أن يتكلم، بوجه متجهِّم. والكلب... ما كان إسمه؟ شيء بدا إسبانياً. كوجو، نعم. نفس الإسم الذي اتّخذه ويليام وولف من جيش التحرير التكافلي، رغم أن دونا وجدت صعوبة كبيرة في تصديق أن جو كامبر سيسمّي كلبه من فصيلة السانت برنارد على إسم لص مصارف وخاطف وريثات يافعات غنيات. وراودها الشكّ أن يكون جو كامبر قد سمع يوماً ما بجيش التحرير التكافلي. بدا الكلب ودوداً كفاية، لكنها توتّرت عند رؤية تاد يربّت ظهر ذلك الوحش – تماماً مثلما توتّرت عند وقوفها لمشاهدته يغلق باب السيارة بنفسه. بدا كوجو كبيراً كفاية ليبتلع أمثال تاد في قضمتين.

طلبت شطيرة بسطرما ساخنة لتاد لأنه لا يحبّ البيتزا كثيراً – الولد لم يرث هذا من جهة عائلتي بالتأكيد، فكّرت في سرّها – وبيتزا بالبيبيروني والبصل مع كمية مضاعفة من الجبن لنفسها. أكَلا على إحدى الطاولات التي تطلّ على الطريق. رائحة أنفاسي كافية لإغماء حصان، فكّرت في سرّها. ثم أدركت أن هذا لا يهمّ. فقد تمكّنت من أن تنفِّر زوجها وكذلك الرجل الذي كان يأتي لزيارتها خلال الأسابيع الستة الفائتة.

جعلها هذا تشعر بالكآبة مرة أخرى، وأبعدتها عنها بالقوة مرة أخرى... لكن يدَيها بدأتا تتعبان قليلاً.

كادا يصلان إلى المنزل وكان سبرينغستين على الراديو عندما بدأت البينتو تهتزّ مرة أخرى.

حصل ارتجاج طفيف في البدء، ثم تلاه ارتجاج أكبر. بدأت تدوس دوّاسة الوقود أكثر؛ فهذا يساعد أحياناً.

"ماما؟"، سألها تاد بقلِق.

"كل شيء على ما يرام يا تاد"، قالت، لكن هذا لم يكن صحيحاً. فقد بدأت البينتو ترتجّ بعنف، ورمتهما على حزامَي أمانهما بقوة كافية لتجعل مشبكيهما يجمدان لتثبيتهما على مقعديهما. راح المحرّك يهدر، وسقط كيس في صندوق السيارة، موقعاً بعض العلب والزجاجات. سمِعت شيئاً ينكسر.

"أيتها السيارة اللعينة!"، صاحت بحنق ساخط. كان يمكنها رؤية منزلهما تحت حافة التلة مباشرة، على مسافة قريبة بشكل ساخر، لكنها لم تعتقد أن البينتو قادرة على إيصالهما إلى هناك.

خائفاً من صراخها بقدر ما كان خائفاً من تشنّجات السيارة، بدأ تاد يبكي، مما زاد من إرباكها وانزعاجها وغضبها.

"اصمت!"، صاحت عليه. *"يا إلهي، فقط اصمت يا تاد!"*.

بدأ يبكي أكثر، وامتدّت يده إلى جيبه الخلفي، حيث كانت كلمات الوحش مطوية ومخبأة. لمسها جعله يشعر بتحسّن قليل. ليس كثيراً، بل قليلاً.

قرّرت دونا أن عليها أن تركن السيارة جانباً؛ فلم يكن هناك شيء آخر يمكنها أن تفعله. بدأت تدير المِقوَد نحو حافة الطريق، مستخدمةً آخر قطرة حركة لا تزال لديها للوصول إلى هناك. يمكنهما استخدام عربة تاد لجرّ البقالة إلى المنزل ثم يقرّران ماذا سيفعلان بالبينتو. ربما –

لحظة ملامسة عجلات البينتو للحصى الرملية عند حافة الطريق، أطلق المحرّك اشتعالاً خلفياً مرتين ثم هدأت الاهتزازات مثلما حصل في مرات سابقة. بعد لحظة كانت تنطلق بسرعة صعوداً إلى الممر الخاص

للمنزل. عندما وصلت إلى هناك، نقلت مبدِّل التروس إلى وضعية الرَكن، وشدّت فرامل الطوارئ، وأطفأت المحرّك، وانحنت على المِقوَد، وراحت تبكي.

"ماما؟"، قال تاد على نحو بائس. *لا تبكي*، حاوَل أن يضيف، لكن صوته لم يُسعفه ولم يتمكن سوى من نطق الكلمات بصمت، كما لو أن صوته مبحوح. اكتفى بالنظر إليها، راغباً أن يواسيها، دون أن يعرف كيف يتم ذلك. فمواساتها هي وظيفة أبيه، وليست وظيفته، وكرِه أباه فجأة لتواجده في مكان آخر. عمق إحساسه صَدَمه وأخافه في آن، وبدون أي سبب أبداً رأى فجأة باب خزانته يُفتَح ويفيض ظلمةً تعبق برائحة كريهة لاذعة.

رفعت رأسها في النهاية، وكانت عيناها منتفختين. وجَدت منديلاً في جزدانها ومسَحتهما. "آسفة يا حبيبي. لم أكن أصرخ عليك في الواقع. كنتُ أصرخ على هذا... هذا *الشيء*". ضرَبت المِقوَد بيدها، بقوة. "آخ!". وَضَعت حافة يدها في فمها ثم ضحِكت قليلاً. لم تكن ضحكة سعيدة.

"أظن أنها لا تزال تفقد عقلها"، قال تاد بتجهّم.

"أظن ذلك"، وافَقته، وشعرت بحنين لا يُطاق تقريباً لڤيك. "حسناً، هيا نُدخِل الأغراض. لدينا ما يكفي من مؤونة على أي حال، يا سيسكو".

"صح يا بانشو"، قال. "سأُحضر عربتي".

أحضَر العربة وحمَّلت دونا الأكياس الثلاثة فيها، بعد إعادة تعبئة الكيس بمحتوياته التي سقطت. كانت زجاجة الكاتشاب هي التي

انكسرت. هذا ما يحصل دائماً، أليس كذلك؟ وانكسب نصفها على السجادة الزرقاء الشاحبة للصندوق. بدا كما لو أن شخصاً انتحر على طريقة الهاراكيري هناك. افترَضت أنه يمكنها تنشيف القسم الأكبر منه بإسفنجة، لكن البقعة ستبقى ظاهرة، حتى ولو استخدَمت الشامبو الخاص بالسجاد.

جرّت العربة إلى باب المطبخ عند طرف المنزل بينما كان تاد يدفع معها. دخلت المنزل وبينما كانت تفكّر إن كانت ستوضّبها في أماكنها أو تنظِّف الكاتشاب قبل أن يجفّ، رنَّ الهاتف. ركض تاد ليردّ مثل عدّاء سباق سمع صوت طلقة الانطلاق. لقد أصبح بارعاً جداً في الردّ على الهاتف.

"نعم، مَن يتكلّم من فضلك؟".

بدأ يستمع، ثم ابتسم ومدَّ لها سمّاعة الهاتف.

فكّرت في سرّها أنه لا بد أن يكون شخصاً يريد أن يتكلم لساعتين عن لا شيء. فقالت لتاد، "هل تعرف مَن هو يا حبيبي؟".

"بالتأكيد"، قال. "إنه بابا".

بدأ قلبها ينبض بسرعة أكبر. أخذت سمّاعة الهاتف من تاد وقالت، "مرحبا؟ ڤيك؟".

"مرحبا يا دونا". كان صوته بكل تأكيد، لكن نبرته متحفّظة جداً... *حذرة جداً*. أعطاها شعوراً عميقاً بالغرق لم تكن تحتاج إليه فوق كل شيء آخر.

"هل أنت بخير؟"، سألت.

"بالتأكيد".

"اعتقدتُ أنك ستتصل لاحقاً. هذا إن اتصلتَ من الأصل".

"حسناً، ذهَبنا إلى إيميج آي مباشرة. لقد صوّروا كل إعلانات أستاذ حبوب شارپ، وما رأيك؟ لا يمكنهم إيجاد الأفلام اللعينة. روجر ينتف شعره من جذوره".

"نعم"، قالت وهي تومئ برأسها. "يكره أن يكون متأخراً في مواعيده، أليس كذلك؟".

"هذا تبسيط لحالته"، قال متنهِّداً بعمق. "لذا قلتُ لنفسي، بينما يبحثون...".

انخفتَ صوته بغموض، وتحوَّل شعورها بالكآبة - شعورها *بالغرق* - وهو شعورٌ بغيضٌ ومع ذلك هامدٌ إلى حد طفولي، إلى شعور أقوى بالخوف. لأن صوت ڤيك لا يخفت هكذا *أبداً*، حتى ولو كان ذهنه مشتتاً بأمور تجري حوله على الطرف الآخر من الخط. تذكّرت منظره ليلة الخميس، رثّاً جداً وقريباً من الحافة.

"ڤيك، هل أنت بخير؟". كان يمكنها سماع الذعر في صوتها وعرَفت أنه يسمعه أيضاً؛ حتى تاد رفع نظره إليها من كتاب التلوين الذي كان قد فتحه على أرضية القاعة، بعينين لامعتين، وتكشيرة صغيرة مشدودة على جبهته الصغيرة.

"نعم"، قال. "كنتُ أقول فقط إنني فكّرتُ أن أتصل الآن، بينما يفتّشون. أظن أنه لن تتسنّى لي فرصة أخرى الليلة. كيف حال تاد؟".

"تاد بخير".

ابتسمتَ لتاد ثم غمزته. فابتسم تاد بدوره، وزالت الخطوط عن جبهته، وعاد إلى التلوين. *يبدو مُتعَباً ولن أزعجه بكل مصائب*

السيارة، فكّرت في سرّها، ثم وجدت نفسها تفعل ذلك بالتحديد.

سمِعت النحيب المألوف للشفقة على الذات تتسلّل إلى صوتها وكافحت لإبقائه بعيداً. لماذا تُخبره بكل هذه الأمور اللعينة؟ بدا كما لو أنه ينهار، وكانت تثرثر عن مُكربِن البينتو وزجاجة كاتشاب مكسورة.

"نعم، يبدو أنه صمام الإبرة، حسناً"، قال ڤيك. بدا في الواقع أفضل قليلاً الآن. ربما لأنها كانت مشكلة غير مهمة كثيراً بالمقارنة مع الأشياء التي عليهما التعامل معها الآن. "ألا يستطيع جو كامبر استقبالك اليوم؟".

"حاوَلتُ الاتصال به لكنه لم يكن في المنزل".

"الأرجح أنه كان في المنزل"، قال ڤيك. "لكن لا يوجد هاتف في مرأبه. عادة زوجته أو إبنه يمرّران له الرسائل. الأرجح أنهما كانا في الخارج".

"حسناً، قد لا يزال غائباً -"

"بالتأكيد"، قال ڤيك. "لكنني أشكّ في ذلك حقاً يا عزيزتي. فإذا كان باستطاعة أي إنسان أن يعيش في مكان ثابت دائماً، فسيكون جو كامبر".

"هل عليَّ أن أجازف وأقود السيارة إلى هناك؟"، سألت دونا بارتياب. كانت تعتقد بالكيلومترات الفارغة على طول الطريق 117 وطريق مايبل سوغار... وكل ذلك *قبل* أن تصل إلى طريق كامبر، الذي كان بعيداً جداً لدرجة أنه لا يوجد إسم له حتى. وإذا اختار صمام الإبرة ذاك أن يضع حداً لمأساته ويتوقف عن العمل كلياً، ستكون قد وقعت في ورطة كبيرة حقاً.

"لا، أظن أنه من الأفضل ألا تفعلي ذلك"، قال ڤيك. "إنه هناك على الأرجح... إلا إذا كنتِ بحاجة إليه حقاً. عندها، سيكون قد اختفى. مفارقة مستعصية". بدا مكتئباً.

"ماذا عليَّ أن أفعل إذاً؟".

"اتصلي بوكيل فورد وأخبريه أنك تريدين قاطرة".

"لكن –"

"لا، عليك فعل هذا. إذا حاولت أن تقودي لخمسة وثلاثين كيلومتراً إلى ساوث باريس، ستتعطّل السيارة بالتأكيد. وإذا شرحتِ له الحالة مسبقاً، قد يكون قادراً على إعارتك سيارةً، أو حتى مساعدتك على استئجار واحدة".

"استئجار... ڤيك، أليس هذا مُكلفاً؟".

"نعم"، قال.

فكّرت مرة أخرى أنه من الخطأ أن ترمي كل هذا الحِمل عليه. كان يعتقد على الأرجح أنها غير قادرة على فعل أي شيء... ما عدا ربما مجامعة مُجدِّد الأثاث المحلي. لم تكن تمانع ذلك. لسعت دموعٌ حارةٌ مالحةٌ، جزئياً بسبب الغضب، وجزئياً بسبب الشفقة على الذات، عينيها مرة أخرى. "سأتدبّر الأمر"، قالت وهي تكافح بيأس لتُبقي صوتها عادياً، لطيفاً. كان مِرفقها مسنوداً على الجدار ويدها فوق عينيها. "لا تقلق".

"حسناً، أنا – آه، تباً، ها هو روجر. الغبار يصل إلى عنقه، لكنهم وجدوا الأفلام. دعيني أكلّم تاد لثانية، من فضلك".

تراكمت أسئلة مضطربة في حنجرتها. هل كل شيء على ما يرام؟

هل يعتقد أن كل شيء يمكن أن يكون على ما يرام؟ هل يمكنهما العودة للانطلاق من الصفر مرة أخرى؟ فات الأوان. ليس هناك وقت. فقد أضاعت الوقت في الثرثرة عن السيارة. يا لها من مغفّلة غبية.

"بالتأكيد"، قالت. "سيودِّعك نيابة عن كلينا. و... ڤيك؟".

"ماذا؟"، بدا قليل الصبر الآن، مضغوطاً بالوقت.

"أحبك"، قالت، ثم قبل أن يتمكّن من الرد، أضافت: "إليك تاد". أعطت تاد الهاتف بسرعة، وكادت تلطمه على رأسه به، ومشت في المنزل إلى الشرفة الأمامية، وتعثّرت بمسند للقدمين فبدأ يدور، ورأت كل شيء عبر موشور من الدموع.

وَقَفت على الشرفة تنظر إلى الطريق 117، وهي تُمسك مِرفقيها، وتكافح لتتمالك نفسها - تمالكي نفسك، تباً، *تمالكي نفسك* - وكان مدهشاً، أليس كذلك، كم يمكنها أن تتأذى كثيراً في حين أنه لا يوجد أي خطب جسدي فيها.

يمكنها سماع الهمس الناعم لصوت تاد خلفها وهو يُخبر ڤيك أنهما أكَلا عند ماريو، وأن أمه طلبت البيتزا المفضَّلة لديها وأن البينتو كانت سليمة إلى أن كادا يصلان إلى المنزل. ثم كان يُخبر ڤيك أنه يحبّه. ثم سمعت الصوت الناعم لسمّاعة الهاتف تعود إلى مكانها. انقطع الاتصال.

تمالكي نفسك.

شعَرت أخيراً كما لو أنها تمالكت نفسها قليلاً. عادت إلى المطبخ وبدأت ترتّب البقالة.

نزلت تشاريتي كامبر من الحافلة عند الثالثة والربع بعد ظهر ذلك

اليوم. كان بْرَتّ خلفها مباشرة. وكانت تُمسِك بحزام جزدانها بشكل متشنّج. شعرت بخوف غير عقلاني فجأة أنها لن تتعرَّف على هولي. فوجه أختها، الذي بقي محفوراً في ذهنها مثل صورة فوتوغرافية طوال كل تلك السنوات (الأخت الصغرى التي تزوجت زواجاً جيداً)، زال فجأة وبشكل غامض من ذهنها تاركاً فقط فراغاً ضبابياً مكان الصورة.

"هل ترينها؟"، سأل بْرَتّ أثناء ترجّلهما. راح ينظر حوله في موقف حافلات ستراتفورد باهتمام كبير. لم يكن هناك بالطبع أي خوف على وجهه.

"اعطني فرصة لأنظر جيداً!"، قالت تشاريتي بحدّة. "الأرجح أنها في المقهى أو –"

"تشاريتي؟".

استدارت وكانت هولي هناك. عادت الصورة المحفوظة في ذاكرتها بقوة، لكنها كانت الآن صورة شفافة مركَّبة فوق الوجه الحقيقي للمرأة الواقفة بجانب لعبة غزاة الفضاء. أول فكرة خطرت على بال تشاريتي كانت أن هولي ترتدي *نظارات* – كم هذا مضحك! وفكرتها الثانية، التي صدمتها، كانت وجود تجاعيد على وجه هولي – ليس كثيرة، لكن لا مجال للشك بماهيتها. وفكرتها الثالثة لم تكن فكرةً بكل معنى الكلمة. كانت صورةً عزيزةً على القلب وحقيقيةً ومُفجِعةً مثل صورة فوتوغرافية قديمة: هولي تقفز إلى بركة العجوز سيلتزر بسروالها الداخلي، وضفائرها تتطاير نحو السماء، وإبهام وسبابة يدها اليسرى يُغلقان منخرَيها زيادةً في التأثير الهزلي. *لا نظارات وقتها*، فكَّرت تشاريتي، وعاد إليها الألم وراح يعصر لها قلبها.

واقفان على جانبَي هولي، وينظران بخجل إليها وإلى بْرَتّ، كان فتى في حوالي الخامسة من عمره وفتاة في حوالي الثانية أو الثانية والنصف من عمرها. كان سروال الفتاة الصغيرة المنتفخ دلالة على وجود حفاض تحته، وعربة الأطفال الخاصة بها تقف إلى جانبها.

"مرحبا يا هولي"، قالت تشاريتي، وكان صوتها رفيعاً جداً لدرجة أنها بالكاد سمعته بنفسها.

كانت التجاعيد صغيرة، وتستدير صعوداً، على غرار التجاعيد الجيدة بحسب رأي أمهما دائماً. وكان فستانها أزرق داكناً، وباهظ الثمن قليلاً. والقلادة التي ترتديها إما قطعة جيدة جداً من المجوهرات الزائفة أو قطعة زُمرُّد صغيرة جداً.

ثم مرَّت لحظةٌ، بعض مساحة الوقت، شَعَرت فيها تشاريتي بقلبها يمتلئ بفرح كبير ومتكامل لدرجة أنها عرَفت أنه لن يُطرَح أي سؤال حقيقي عما كلّفتها أو لم تكلّفها هذه الرحلة. كانت حرةً في الوقت الحالي، وكان إبنها حراً. وهؤلاء أختها وأولادها، ليسوا صوراً بل أشخاصاً حقيقيين.

ضاحكتان وباكيتان قليلاً، اقتربت المرأتان من بعضهما البعض، بتردّد أولاً، ثم بسرعة. تعانقتا. وبقي بْرَتّ يقف مكانه. الفتاة الصغيرة، خائفة ربما، ذهَبت إلى أمها ولفّت يدها بإحكام حول هدب فستانها، ربما لتمنع أمها وهذه السيدة الغريبة من التحليق معاً.

بقي الفتى الصغير يحدِّق في بْرَتّ، ثم تقدَّم نحوه. كان يرتدي سروال جينز وقميصاً تائياً مطبوعاً عليه "ها قد أتت المشاكل".

"أنتَ نسيبي بْرَتّ"، قال الولد.

"نعم".

"إسمي جيم. مثل إسم أبي بالضبط".

"نعم".

"أنتَ من ماين"، قال جيم. خلفه، كانت تشاريتي وهولي تتكلمان بسرعة، وتقاطعان بعضهما البعض وتضحكان على استعجالهما لإخبار بعضهما كل شيء هنا في محطة الحافلات الوسِخة هذه جنوبي ميلفورد وشمالي بريدجبورت.

"نعم، أنا من ماين"، قال بْرَتّ.

"وأنتَ في العاشرة".

"صحيح".

"أنا في الخامسة".

"آه حقاً؟".

"نعم. لكن يمكنني أن أهزمك، *طاخ!*". ضربَ بْرَتّ على بطنه، فجعله ينحني إلى الأمام.

صرخَ بْرَتّ صرخةً كبيرةً ومفاجئةً جعلت المرأتين تلهثان.

"*جيمي!*". صاحت هولي في نوعٍ من الرعب المستسلم.

انتصب بْرَتّ ببطء ورأى أمه تراقبه بنظرات مترقِّبة.

"نعم، يمكنك أن تهزمني في أي وقت"، قال بْرَتّ، وابتسم.

وكان كل شيء على ما يرام. رأى من وجه أمه أن كل شيء على ما يرام، وسُرَّ من ذلك.

عند الثالثة والنصف، قرّرت دونا ترك تاد مع جليسة أطفال

لتحاول أخذ البينتو إلى كامبر. حاوَلت أن تهاتفه مرة أخرى ولم يردّ أحد عليها، لكنها فكّرت أنه حتى ولو لم يكن كامبر في مرأبه، فسيعود إليه قريباً، وربما حتى قبل أن تصل إلى هناك... على افتراض دائماً أنها *ستصل* إلى هناك. أخبرها فيك في الأسبوع الفائت أن كامبر سيملك على الأرجح سيارة قديمة يعيرها إياها إذا وجد أن البينتو ستمضي الليلة عنده. كان هذا العامل الحاسم حقاً. لكنها فكّرت أن أخذ تاد سيكون خطأ. فإذا تعطّلت البينتو على ذلك الطريق الخلفي واضطرت إلى السير قليلاً، لا بأس. لكن تاد غير مضطر أن يفعل ذلك.

لكن كانت لدى تاد أفكار أخرى.

بعد قليل من تكلمه مع أبيه، صعد إلى غرفته وتمدَّد على سريره مع مجموعة من كتب الأطفال. ثم غفا بعد خمس عشرة دقيقة، وشاهد حلماً بدا عادياً تماماً لكنه يملك طاقةً غريبةً، مروِّعةً تقريباً. رأى في الحلم فتىً كبيراً يرمي كرة بيسبول ملفوفة بشريط احتكاكي في الهواء ويحاول ضربها. لم يُصبها مرتين، ثلاث مرات، أربع مرات. في المرة الخامسة أصابها... والمضرب، الذي كان ملفوفاً أيضاً، تحطَّم عند المقبض. بقي الفتى يُمسك المقبض للحظة (والشريط الأسود يرفرف منه)، ثم انحنى والتقط بقايا المضرب. نظَرَ إليه للحظة، ثم هزَّ رأسه باشمئزاز، وقذفه في العشب العالي بجانب الممر الخاص. ثم استدار، ورأى تاد بصدمة مفاجئة نصفها رعب ونصفها ابتهاج أن الفتى نفسه في العاشرة أو الحادية عشرة. نعم، كان هو. إنه متأكد من ذلك.

ثم اختفى الفتى، وعمَّ جوٌّ رماديٌّ يمكنه أن يتحمَّل صوتين فيه: صرير سلاسل الأرجوحة... والبطبطة الباهتة للبط. مع تلك الأصوات والجو الرماديّ، حلَّ عليه شعور مخيف مفاجئ بأنه غير قادر على

التنفّس، كان يختنق. وظهر رجلٌ من الضباب... رجلٌ يرتدي معطفاً أسود لامعاً واقياً من المطر ويُمسك لافتة قف على عصا بإحدى يديه. ابتسم، وكانت عيناه عملتين معدنيتين فضيتين لامعتين. مدَّ يده ليشير إلى تاد، ورأى مرتعباً أنها لم تكن يداً أبداً، بل كانت عظاماً، والوجه داخل غطاء الفينيل اللامع للمعطف الواقي من المطر لم يكن وجهاً أبداً. كان جمجمةً. كان -

استيقظ مرتعشاً، وجسمه يزخر بعرقٍ كان ناتجاً جزئياً عن الحرّ الكبير للغرفة. استوى جالساً، واستند على مِرفقيه، وراح يتنفّس في لهيث جاف.

قرقعة.

بدأ باب الخزانة يتأرجح مفتوحاً. وخلال حصول ذلك رأى شيئاً في الداخل، لثانية فقط ثم هرع نحو الباب الذي يؤدي إلى القاعة بأسرع ما يمكنه. رآه لثانية فقط، وهذه مدة كافية ليعلم أنه لم يكن الرجل ذا المعطف الأسود اللامع الواقي من المطر، فرانك دودّ، الرجل الذي قتل السيدات. ليس هو. شيء آخر. شيء له عينان حمراوان مثل الغروب الدموي.

لكن لا يمكنه التحدّث عن هذه الأشياء مع أمه. لذا ركَّز على ديبي، جليسة الأطفال، بدلاً منها.

لم يكن يرغب أن يُترَك مع ديبي، فهي لئيمة معه، وترفع صوت الراديو عالياً دائماً، الخ، الخ. وعندما لم يؤثر أيٌّ من هذا على أمه، اقترح تاد بتجهّم أن ديبي قد تُطلق النار عليه. وعندما أخطأت دونا وقهقهت لا إرادياً على فكرة أن ديبي غيرينجر ذات الخمس عشرة سنة

والقصيرة البصر تُطلق النار على أي شخص، أجهش تاد بالبكاء وركض إلى غرفة الجلوس. احتاج إلى أن يُخبرها أن ديبي غيرينجر قد لا تكون قوية كفاية لتُبقي الوحش في الخزانة - أنه قد يظهر إذا حلّ الظلام ولم تعد أمه. أنه قد يكون الرجل ذا الأسود المعطف الواقي من المطر، أو قد يكون الوحش.

تبِعته دونا، نادمةً على ضحكها، متساءلةً كيف استطاعت أن تكون قاسية الإحساس إلى هذا الحد. كان والد الفتى غائباً، وهذا لوحده أمر مزعج. ولم يرغب أن تختفي أمه عن أنظاره ولو لساعة. و -

وأليس ممكناً أنه يشعر ببعض ما جرى بيني وبين ڤيك؟ وربما حتى سمع...؟

لا، لم تعتقد ذلك. *لا يمكنها* افتراض ذلك. كان مجرد انزعاج من تغيّر روتينه.

كان باب غرفة الجلوس مغلقاً. مدّت يدها إلى المسكة، وتردَّدت، ثم قرَعته بلطف بدلاً من ذلك. لم يكن هناك جواب. قرعت مرة أخرى وعندما لم يأت جواب أيضاً، دخَلت بهدوء. كان تاد ممدداً على بطنه على الأريكة واضعاً إحدى الوسائد فوق رأسه. كان هذا السلوك مخصصاً لحالات الحزن الرئيسية فقط.

"تاد؟".

لا جواب.

"آسفة أنني ضحِكتُ".

مدَّ رأسه من تحت طرف الوسادة المنتفخة الرمادية الفاتحة. كانت هناك دموع جديدة على وجهه. "ألا يمكنني مرافقتك رجاءً؟"، سأل.

"لا تجبريني على البقاء هنا مع ديبي يا ماما". مغالاة كبيرة، فكّرت في سرّها. مغالاة كبيرة وإرغام وقِح. كانت تعرف هذا (أو شَعَرت أنها تعرفه) وفي الوقت نفسه وجدت أنه من المستحيل أن تكون صارمة... جزئياً لأن دموعها كانت تهدِّدها بالانهمار مرة أخرى. بدا لها مؤخراً أن هناك دائماً عاصفة مطيرة في الأفق.

"حبيبي، أنت تعرف كيف كانت البينتو عندما عدنا من البلدة. يمكنها أن تتعطّل في وسط ناصية الجراميق الشرقية وسنضطر إلى السير لمسافة طويلة على قدمينا إلى أحد المنازل لاستخدام الهاتف.

"وإن يكن؟ أنا أحبّ السير!".

"أعرف، لكنك قد تخاف".

متذكِّراً الشيء الذي في الخزانة، صرَخ تاد فجأة بكل قوة، *"لن أخاف!"*. وامتدّت يده تلقائياً إلى الانتفاخ في جيب سرواله الجينز، حيث تختبئ كلمات الوحش.

"لا ترفع صوتك بهذه الطريقة، رجاءً. يصبح بشعاً".

أخفَض صوته. "لن أخاف. أريد فقط الذهاب معك".

نظَرَت إليه بعجز، وهي تعلم أن عليها حقاً الاتصال بديبي غيرينجر، وشعرت أنها تسمح لولد عمره أربع سنوات بالتلاعب بها بلا خجل. وإذا استسلمت له، فسيكون ذلك لكل الأسباب الخطأ. راحت تفكّر بعجز، *المسألة تشبه تفاعلاً متسلسلاً لا يتوقف في أي مكان ويشوِّش على أعمال لم أكن أدري حتى بوجودها. يا إلهي كم أتمنى لو كنتُ في تاهيتي الآن.*

فتَحت فمها لتُخبره، بنبرة حازمة ولمرة واحدة وأخيرة، أنها ستتصل

بديهي ويمكنهما إعداد الفشار معاً إذا أحسن التصرّف، لكن سيكون عليه أن يخلد إلى النوم بعد العشاء مباشرة إذا أساء التصرّف وهذه *نهاية* النقاش. بدلاً من ذلك، ما خرج من فمها كان، "حسناً، يمكنك أن تأتي معي. لكن البينتو قد لا تصل إلى هناك، وعندها سنضطر إلى السير إلى أحد المنازل ونطلب من سيارة أجرة أن تأتي وتقلّنا. وإذا اضطررنا إلى السير، لا أريد أن أضطر إلى سماع تذمّرك يا تاد ترنتون.

"لا، لن أتذمّر–"

"دعني أُنهي كلامي. لا أريدك أن تتذمّر أو تطلب مني أن أحملك، لأنني لن أفعل ذلك. اتفقنا؟".

"نعم! نعم، بالتأكيد!". وثَب تاد عن الأريكة، ناسياً كل حزنه. "هل سنذهب الآن؟".

"نعم، أظن ذلك. أو... أتعلم؟ لماذا لا أُعدّ وجبة خفيفة أولاً؟ وجبة خفيفة وسنضع بعض الحليب في الإبريق العازل للحرارة أيضاً".

"في حال احتجنا إلى التخييم في العراء *طوال الليل*؟"، بدا تاد مرتاباً فجأة مرة أخرى.

"لا يا عزيزي". ابتسمت وعانقته قليلاً. "لكنني لا زلت غير قادرة على التحدّث مع السيد كامبر على الهاتف. قال أبوك إن السبب على الأرجح هو فقط لأنه لا يملك هاتفاً في مرأبه لذا لا يعرف أنني أتصل به. وقد تكون زوجته وإبنه الصغير في مكان ما، لذا –"

"يجب أن يضع هاتفاً في مرأبه"، قال تاد. "هذا *غباء*".

"فقط لا تقل له هذا"، قالت دونا بسرعة، وهزَّ تاد رأسه بأنه لن يقول له. "على أي حال، إذا لم يكن أحد هناك، فكّرتُ أن نتناول

وجبة خفيفة صغيرة معاً في السيارة أو ربما على سلالمه بانتظار عودته".

صفَّق تد يديه. "رائع! رائع! هل يمكنني أن آخذ صندوق غدائي الذي عليه صورة سنوبي؟".

"بالتأكيد"، قالت دونا، مستسلمةً له بالكامل.

وجَدت علبة لفافات تين ماركة كيبلر وقطعتَي نقانق مجفّفتين (تعتبرها دونا أشياءً بغيضةً، لكنها الوجبة الخفيفة المفضَّلة لدى تاد). لفَّت بعض حبّات الزيتون الأخضر وشرحات الخيار في رقاقة معدنية. وملأت كامل إبريق تاد العازل للحرارة بالحليب ونصف إبريق ڤيك العازل للحرارة الكبير، ذلك الذي يأخذه معه في رحلات التخييم.

لسبب من الأسباب، النظر إلى الطعام أشعَرَها بالاضطراب.

نظَرَت إلى الهاتف وفكَّرت بتجربة رقم جو كامبر مرة أخرى. ثم قرَّرت أنه لا مغزى من ذلك، بما أنهما سيذهبان إلى هناك في الحالتين. ثم فكّرت بسؤال تاد مرة أخرى إن كان لا يمانع من اتصالها بديبي غيرينجر، ثم تساءلت ما خطبها - فقد وضَّح لها تاد رأيه *بهذه* النقطة بكل وضوح.

المسألة ببساطة أنها أحسّت فجأة أنها ليست بخير. ليست بخير أبداً. لم يكن شيئاً يمكنها وضع إصبعها عليه. نظرت حولها في المطبخ كما لو أنها تتوقع أن يُعلن مصدر قلقها عن نفسه. لم يحصل ذلك.

"هل نذهب يا ماما؟".

"نعم"، قالت بلا تفكير. كان هناك لوح ملاحظات على الجدار قرب البرّاد، فخربَشت عليه: *ذهبتُ وتاد إلى مرأب جو كامبر في البينتو. نعود قريباً.*

"جاهز يا تاد؟".

"بالتأكيد"، قال مبتسماً. "لمَن هذه الملاحظة يا ماما؟".

"آه، قد تمرّ علينا جواني مُحضرةً توت العليق"، قالت بغموض. "أو ربما أليسون ماكينزي. كانت ستُريني بعض مستحضرات التجميل".

"آه".

نفشت له دونا شعره وخرَجا معاً. صدمهما الحرّ مثل مطرقة ملفوفة بوسادة. السيارة اللعينة قد لا تشتغل حتى، فكّرت في سرّها.

لكنها اشتغلت.

كانت الساعة 3:45 بعد الظهر.

قادا جنوباً شرقاً على الطريق 117 نحو طريق مايبل سوغار، الذي يبعُد حوالي ثمانية كيلومترات عن البلدة. تصرَّفت البينتو بأسلوب يُضرب به المثل، ولولا الاهتزازات أثناء العودة إلى المنزل من رحلة التسوّق، لتساءلت لماذا أعطت أهميةً لهكذا أمر تافه. لكن الاهتزازات تكرّرت، لذا قادت السيارة منتصبةً مرة أخرى، ولم تتخطّ الستين كيلومتراً في الساعة، وراحت تنعطف إلى أقصى اليمين كلما اقتربت سيارة منها. كان هناك زحام على الطريق، فقد بدأ سيل المصطافين والسيّاح. لم يكن هناك مكيّف هواء في البينتو، لذا سارا فاتحَين النافذتين.

مرّت قربهما سيارة كونتيننتال ذات لوحة تسجيل من نيويورك تجرّ خلفها مقطورة هائلة على ظهرها دراجتان ثم انعطفت أمامهما بشكل أعمى، والسائق يضغط على البوق. نظَرَت زوجة السائق، وهي امرأة بدينة تضع نظارات شمسية مرآوية، إلى دونا وتاد بازدراء متغطرس.

"تباً لكم!"، صاحت دونا، ومدَّت إصبعها الوسطى للسيدة البدينة، التي استدارت بسرعة. كان تاد ينظر إلى أمه بعصبية قليلاً، وابتسمت له دونا. "لا مشكلة أيها البطل. نحن بخير. مجرد مغفَّلين من خارج الولاية".

"آه"، قال تاد بحذر.

اسمعني، فكّرت في سرّها. *اليانكي الكبير. سيكون ڤيك فخوراً.*

كان عليها أن تبتسم لنفسها، لأن الجميع في ماين يفهمون أنك إذا انتقَلت إلى هنا من مكان آخر، ستبقى مواطناً من خارج الولاية حتى مماتك. وسيكتبون على شاهد قبرك شيئاً مثل "هاري جونز، كاسل روك، ماين *(أصلاً من أوماها، نبراسكا)*".

كان معظم السيّاح متوجّهين نحو 302، حيث سينعطفون شرقاً إلى نابولي أو غرباً نحو بريدغتون، وفرايبورغ، ونورث كونواي، ونيو هامبشاير، بسفوحها الشاهقة، ومنتزهاتها الرخيصة، ومطاعمها المعفاة من الضرائب. لم يكن دونا وتاد متوجِّهين إلى تقاطع طرق 302.

رغم أن منزلهما يُطلّ على وسط بلدة كاسل روك المُهمَلة ومشاعاتها الجميلة، إلا أن الغابة أطبقت على جانبَي الطريق حتى قبل أن يبتعدا ثمانية كيلومترات عن بابهما الأمامي. تنقشع تلك الغابات من وقت لآخر - قليلاً - لإظهار منزلٍ أو قاطرةٍ، ومع تقدّمهما أكثر فأكثر على الطريق، أصبحت المنازل أكثر من النوع الذي يسمّيه أبوها "كوخ إيرلندي". كانت الشمس تشعّ بقوة، ولا تزال هناك أربع ساعات من ضوء النهار، لكن الفراغ جعلها تشعر باضطراب مرة أخرى. لم يكن الوضع سيئاً جداً هنا، على الطريق 117، لكن حالما غادرا الطريق الرئيسي -

كان طريقهما الجانبي معلّماً بلافتة تقول "طريق مايبل سوغار" بأحرف باهتة بالكاد مقروءة. وقد تعرَّضت تلك اللافتة لشتّى أنواع التعذيب على يد أولاد يتسلّون بتصويب بنادق صيدهم عليها. كان ذلك الطريق أسفلتياً ذا خطّين، ووعِراً، ومنتفخاً جرّاء الصقيع. ويمرّ قرب منزلين أو ثلاثة أنيقة، ومنزلين أو ثلاثة غير أنيقة جداً، وقاطرة قديمة رثة تجلس على أساسٍ أسمنتيّ متداعٍ وأمامها كمية هائلة من الأعشاب الضارة. كانت دونا قادرة على رؤية ألعاب بلاستيكية رخيصة المظهر على الأعشاب الضارة. وهناك لافتة منحرفة مثبّتة بمسمار على شجرة قربها تقول "قطط صغيرة مجانية". كان هناك ولد ذو كرش عمره حوالي السنتين يقف أمام القاطرة بحفاض مُبتلّ للغاية، وفمه مفتوح وينقر أنفه بإصبعٍ وسُرَّة بطنه بإصبع آخر. شَعَرت دونا ببعض القشعريرة عند النظر إليه.

توقف! بالله عليك، ما مشكلتك؟

أطبقت الغابة حولهما مرة أخرى. ومرَّت قربهما في الاتجاه المعاكس سيارة فورد فيرلين قديمة موديل 1968 على غطاء محرّكها وحول أضوائها الأمامية الكثير من الطلاء التمهيدي الأحمر الصدئ. كان ولدٌ يافعٌ ذو شعر كثّ ولا يرتدي قميصاً يقودها بلا مبالاة بسرعة مئة وثلاثين كيلومتراً في الساعة تقريباً. جفَلت دونا. فقد كانت السيارة الوحيدة التي رأياها.

بدأ طريق مايبل سوغار يرتفع بثبات، وعندما يمرّان بجانب حقل أو حديقة كبيرة بين الحين والآخر يتمكّنان من رؤية منظر مذهِل لماين الغربية نحو بريدغتون وفرايبورغ، ومن رؤية لونغ لايك تتألق من بعيد مثل قلادة ياقوت أزرق ترتديها امرأة غنية.

كانا يصعدان منحدراً طويلاً آخر على إحدى تلك التلال المتآكلة (مثلما تقول الإعلانات، كانت أشجار القيقب المتهدِّلة من الحرّ والمليئة بالغبار مصطفة على جانبَي الطريق الآن) عندما بدأت البينتو ترتجّ وتهتزّ من جديد. انحبست أنفاس دونا وفكّرت في سرّها، *آه هيا، آه هيا، هيا أيتها السيارة الصغيرة الكريهة، هيا!*

تململَ تاد بانزعاج على مقعد الراكب وتمسّك بصندوق غدائه الذي عليه صورة سنوبي.

بدأت تدوس دواسة الوقود قليلاً أكثر، وذهنها يكرِّر الكلمات نفسها مثل شريط متواصل: *هيا، هيا، هيا.*

"ماما؟ هل –"

"اسكت يا تاد".

ازداد الارتجاج سوءاً. ضغَطت دواسة الوقود بقوة أكثر مُحبطةً – وبصقت البينتو قليلاً، وهدأ صوت المحرّك مرة أخرى.

"رائع!"، قال تاد فجأة وبصوتٍ عالٍ لدرجة أنه أجفلها.

"لم نصل بعد يا تادر".

وصلا بعد حوالي كيلومتر إلى تقاطع معلَّم بلافتة خشبية أخرى تقول "طريق البلدة رقم 3". انعطفت دونا وهي تشعر بالنصر. حسبما تتذكَّر، كان مرأب كامبر يبعُد أقل من كيلومترين ونصف من هنا. وإذا استسلمت البينتو الآن، يمكنها وتاد السير على الأقدام.

مرَّا بمنزل آيل للسقوط أمامه سيارة ستايشن وكذلك سيارة قديمة كبيرة بيضاء صدئة. في مرآتها للرؤية الخلفية، لاحظت دونا أن العسلة نمَت بشكل هائل على جهة المنزل الذي تصله أكبر كمية من نور

الشمس. كما مرّا بجانب حقل مفتوح على يسار ذلك المنزل، وبدأت البينتو صعود تلة حادة طويلة.

في منتصف الطريق صعوداً، بدأت السيارة الصغيرة تعاني مرة أخرى. كان الارتجاج هذه المرة أقسى من أي وقت مضى.

"هل سيزول هذا يا ماما؟".

"نعم"، قالت بتجهّم.

انخفضت إبرة عدّاد سرعة البينتو من ستين إلى خمسين. فبدَّلت مقبض علبة التروس من وضعية القيادة إلى النطاق الأدنى، على أمل أن يساعد ذلك في إزالة الارتجاج. لكن بدلاً من ذلك، ساءت حالة البينتو أكثر من قبل، وراحت سلسلة من الاشتعالات الخلفية تهدر من أنبوب العادم، مما جعل تاد يصرخ. تباطأت سرعتهما الآن إلى ما يوازي سرعة الركض السريع، لكنها أصبحت قادرة على رؤية منزل كامبر والحظيرة الحمراء التي كانت مرأبه.

الدوس على دواسة الوقود إلى الحد الأقصى أفادها من قبل، لذا جرَّبت هذا مرة أخرى، وللحظة هدأ ارتجاج المحرّك. ارتفعت إبرة عدّاد السرعة من خمسة وعشرين إلى ثلاثين. ثم عاد الارتجاج من جديد. حاوَلت دونا أن تدوس دواسة الوقود إلى الحد الأقصى مرة أخرى، لكن بدلاً من أن يهدأ المحرّك هذه المرة، بدأ يتوقف عن العمل. وبدأ ضوءٌ على لوحة القيادة يومض برتابة مشيراً إلى حقيقة أن البينتو على وشك التوقف كلياً الآن.

لكن هذا لا يهمّ لأن البينتو تجاوزت الآن صندوق بريد كامبر. لقد وصلا. كان هناك طردٌ معلّقٌ فوق غطاء صندوق البريد، ورأت

عنوان المرسِل بوضوح أثناء مرورهما قربه: ج. ك. ويتني وشركاه.

ذهَبت المعلومات إلى مستودع ذهنها مباشرة من دون توقف. فقد كان تركيزها المباشر منصبّاً على إيصال السيارة إلى الممر الخاص للمنزل. *فلتتوقف عن العمل هناك*، فكّرت في سرّها. *سيكون عليه إصلاحها لكي يتمكن من الدخول والخروج.*

كان الممر الخاص وراء المنزل بمسافة قصيرة. لو كان الصعود أكثر حدّة طوال طريق، على غرار منزل آل ترنتون، لما وصلت البينتو أبداً. لكن بعد ارتفاع أولي صغير، أصبح الممر الخاص لمنزل آل كامبر إما مستوياً تماماً أو منحدراً قليلاً نحو الحظيرة الكبيرة.

بدَّلت دونا مقبض علبة التروس إلى وضعية عدم التعشيق وتركت ما تبقّى من عزم البينتو بنقلهما إلى الأمام نحو باب الحظيرة الكبير، الذي كان نصف مفتوح على مساره. وحالما رفعت قدمها اليسرى عن دواسة الوقود لتدوس على الفرامل وتوقف السيارة، بدأ المحرّك يرتجّ مرة أخرى... لكن بضعف هذه المرة. وبدأ الضوء يومض مثل نبضات قلب بطيء، ثم سطَع. لقد توقفت البينتو كلياً.

نظَرَ تاد إلى دونا.

ابتسمت له. "يا عزيزي تاد"، قالت، "لقد وصلنا".

"نعم"، قال. "لكن هل يوجد أحد في المنزل؟".

كانت هناك شاحنة خضراء داكنة مركونة بجانب الحظيرة. إنها شاحنة كامبر بالتأكيد، وليست شاحنة شخص آخر ينتظر أن يتم إصلاحها. تذكَّرتها من المرة الماضية. لكن الأضواء كانت مطفأة في الداخل. أمالت عنقها إلى اليسار ورأت أنها مطفأة في المنزل أيضاً.

وكان هناك طردٌ معلّقٌ فوق غطاء صندوق البريد.

كان عنوان المرسِل على الطرد "ج. ك. ويتني وشركاه". إنها تعرف تلك الشركة؛ فقد استلم أخوها كتالوغها بالبريد عندما كان مراهقاً، وهي تبيع قطع غيار وأكسسوارات ومعدات تخصيص للسيارات. ووجود طرد لجو كامبر من ج. ك. ويتني هو أكثر شيء طبيعي في العالم. لكن لو كان هنا، لكان استلم الطرد قبل الآن بالتأكيد.

لا أحد في المنزل، قالت لنفسها بكآبة، وشعَرت بنوع مُنهَك من الغضب تجاه ڤيك. *إنه في المنزل دائماً، هذا أكيد، الرجل سيعيش كل حياته في مرأبه لو كان يستطيع. بالتأكيد سيفعل هذا، ما عدا عندما أحتاج إليه.*

"هيا نتفقّد المكان، على أي حال"، قالت وفتحت بابها.

"لا يمكنني فكّ حزام أماني"، قال تاد وهو يضغط عبثاً على إبزيم فكّ الحزام.

"حسناً، لا تُجهد نفسك يا تاد. سأدور حول السيارة وأُخرجك بنفسي".

خرَجت، وخبطت بابها، وخطت خطوتين نحو مقدمة السيارة، وهي تنوي أن تمرّ أمام غطاء المحرّك إلى جهة الراكب وتُخرج تاد من حبل تقييده. وهذا سيعطي كامبر فرصةً ليظهر ويتحقّق من زوّاره، هذا إذا كان هنا. لم تكن مسرورة جداً من أن تزوره دون إبلاغه مسبقاً. كان هذا عملاً أحمق على الأرجح، لكن منذ ذلك المشهد البشع والمخيف مع ستيف كيمب في مطبخها، أصبح معنى أن تكون امرأة غير محمية أكثر وضوحاً لها بكثير مما كان عليه عندما كانت في

السادسة عشرة من عمرها وسمح لها أبوها وأمها أن تبدأ بالمواعدة.

صدمها الهدوء التام كثيراً. كان الجو حاراً وهادئاً جداً لدرجة تثير الأعصاب نوعاً ما. كانت هناك أصوات بالطبع، لكن حتى بعد عدة سنوات من العيش في كاسل روك، أقصى ما يمكنها أن تقوله عن أذنيها هو أنهما تكيَّفتا ببطء من "أذنيَ مدينة" إلى "أذنيَ بلدة". لم تكونا بأي طريقة من الطرق "أذنيَ ريف"... وهذا كان ريفاً حقيقياً.

سمِعت أصوات طيور، والنعيب الفظ لغراب في مكان ما في الحقل الطويل الذي يمتدّ على طول التلة التي صعداها للتو. كانت هناك تنهّدات نسيم خفيف، وأشجار السنديان المصطفة على طول الممر الخاص للمنزل تلقي ظلالاً متحرّكة حول قدميها. لكن لا يمكنها سماع صوت محرّك سيارة واحدة، ولا حتى التجشّؤ البعيد لجرّارٍ أو آلة لتحزيم الرزم. أذنا المدينة وأذنا البلدة معتادان كلياً على الأصوات التي من صنع الإنسان؛ أما الأصوات التي من صنع الطبيعة فتميل إلى أن تقع خارج النطاق المُحكَم للإدراك الانتقائي. الانعدام التام لتمييز هكذا أصوات يدفع إلى الشعور بالقلق.

كنتُ لأتحمّله لو كان يعمل في الحظيرة، فكّرت دونا في سرّها. لكن الأصوات الوحيدة التي سجّلتها أذناها كانت وقع قدميها على الحصى المسحوقة للممر الخاص للمنزل وكذلك همهمة منخفضة بالكاد مسموعة، من دون أن تتكوّن لديها أي فكرة واعية حقيقية أبداً، واعتبرها ذهنها أنها همهمة محوِّل طاقة على أحد الأقطاب على الطريق.

وَصَلت إلى أمام غطاء المحرّك وبدأت تجتاز البينتو حين سمِعت صوتاً جديداً. زمجرة ثقيلة منخفضة.

توقَفت ورفعت رأسها حالاً محاولةً تحديد مصدر ذلك الصوت. لم تتمكن من فعل ذلك للحظة، وارتعبت فجأة، ليس من الصوت نفسه بل من عدم وجود أي دلالة على مصدره. لم يكن في أي مكان محدَّد. كان في كل مكان. ثم اشتغلَ رادارٌ داخليٌ – معدات صمود، ربما – عند أقصى طاقته، وفهِمت أن الزمجرة آتية من داخل المرأب.

"ماما؟". أطلَّ تاد رأسه من نافذته المفتوحة إلى أقصى ما يسمح له حبل حزام الأمان. "لا أستطيع أن أنزع هذا الحزام اللعين –"

"صه!".

(زمجرة)

خطت خطوة متردّدة إلى الخلف، مُسندةً يدها اليمنى بخفة على غطاء البينتو المنخفض، وأعصابها مشدودة بالكامل. لم تكن مذعورة بل في حالة حذر شديد، وراحت تقول لنفسها: *لم يزمجر من قبل.*

خرج كوجو من مرأب جو كامبر. وراحت دونا تحدِّق فيه، وشعرت أن أنفاسها وصلت إلى توقف كامل ومع ذلك غير مؤلم في حنجرتها. كان هذا الكلب نفسه. كان كوجو. لكن –

لكن يا

(يا إلهي)

استقرّت عينا الكلب على عينيها. كانتا حمراوين ودامعتين. كانتا ترشحان مادةً لزِجةً. بدا الكلب كأنه يذرف دموعاً هلاميةً. وكان فروه الأسمر المصفَرّ متلبِّداً من الوحل و –

الدم. هل هذا

(إنه دم، دم، يا إلهي)

شعرت أنها غير قادرة على التحرّك. على التنفّس. أدنى درجات المد والجَزْر في رئتيها. سمِعت عن شلل الخوف، لكنها لم تُدرك أبداً أنه يمكن أن يحصل بهكذا كلّية. انقطع التواصل بين دماغها وساقيها. فذلك الفتيل الرمادي المفتول الممتدّ على طول عمودها الفقري توقف عن نقل أي إشارات. وأصبحت يداها كتلتين غبيتين من اللحم جنوبي معصميها لا يوجد أي شعور فيهما. سالَ بولها. لم تُدرك ذلك إلا من بعض الإحساس الغامض بدفء بعيد.

وبدا أن الكلب يعرف ذلك. فعيناه الفظيعتان العديمتا التفكير لم تحيدا أبداً عن عيني دونا الزرقاوين العريضتين. تقدَّم نحوها ببطء، بفتور تقريباً. وأصبح يقف الآن عند مدخل المرأب، على الحصى المسحوقة على بُعد ثمانية أمتار. لم تتوقف الزمجرة أبداً. كانت خرخرةً منخفضةً، مهدئة للأعصاب في تهديدها. كما سالت رغوة من خَطْمه. ولم تكن قادرة على التحرّك، على الإطلاق.

ثم رأى تاد الكلب، ولاحظ الدم على فروه، وزعَق زعيقاً ثاقباً جعل كوجو ينقل عينيه نحوه. وهذا ما بدا أنه حرّرها.

استدارت على محور شخص ثملٍ متثاقل الحركة، وارتطم الجزء السفلي من ساقها برفراف البينتو بعنف وانتقلت صاعقة ألم حاد صعوداً إلى وركها. بدأت تركض حول غطاء السيارة، فارتفعت حدّة زمجرة كوجو إلى هدير غاضب وهجم نحوها. كادت قدماها تنزلقان من تحتها على الحصى الرخوة، ولم تتمكن من استعادة توازنها إلا بخبط ذراعها بعنف على غطاء البينتو، فضربَت عصبها الزندي وزعقت من الألم.

كان باب السيارة مغلقاً. فقد أغلقته بنفسها، تلقائياً، بعد الخروج من السيارة. بدا الزر المطلي بالكروم تحت المقبض ساطعاً بشكل مُبهِر

فجأة، يعكس أسهم الشمس في عينيها. *لن أتمكن أبداً من فتح هذا الباب وإغلاقه ورائي*، فكّرت في سرّها، وملأها الإدراك الخانق بأنها على وشك أن تموت. *الوقت غير كافٍ. أبداً.*

تمكّنت من فتح الباب أخيراً. وكان يمكنها سماع أنفاسها في حنجرتها. صرَخ تاد بصوتٍ حادٍ مرة أخرى.

جلَست، أو بالأحرى ارتمت، على مقعد السائق. ولمحت كوجو قادماً نحوها، وقدماه الخلفيتان تتشنّجان استعداداً للقفزة التي ستُلقي كل التسعين كيلوغراماً على حُضنها مباشرة.

أغلقت باب البينتو بكلتَي يديها، وامتدّت ذراعها اليمنى إلى فوق المِقوَد، وضغط كتفها على البوق. لقد وصلت في الوقت المناسب، لأنه بعد جزء من الثانية من إغلاق الباب حدثت لطمة ثقيلة، كما لو أن شخصاً ضرَب جانب السيارة بقطعة خشب. توقف دوّي نباح الكلب الغاضب فجأة، وساد صمتٌ.

لقد أُغمي عليه، قالت لنفسها بطريقة هستيرية. *الحمد لله، الحمد لله على هذا*.

وبعد لحظة، ظهَرَ وجه كوجو الملتوي والمغطى بالرغوة خارج نافذتها، على بُعد سنتيمترات فقط، مثل وحشٍ في فيلم رعب قرَّر إعطاء الجمهور التشويق المُطلق بخروجه من الشاشة. يمكنها رؤية أسنانه الضخمة الثقيلة. ومرة أخرى كان هناك ذلك الشعور الفظيع بأن الكلب ينظر *إليها*، ليس إلى امرأةٍ صدفَ أنها عالقة في السيارة مع إبنها الصغير، بل إلى *دونا ترنتون*، كما لو أنه كان يتسكّع في الأرجاء منتظراً قدومها.

بدأ كوجو ينبح مرة أخرى بصوتٍ صاخبٍ بشكلٍ لا يُصدَّق حتى من خلال زجاج الأمان. وخطر على بالها فجأة أنها لو لم تُغلق نافذتها تلقائياً عندما توقفت البينتو (وهذا شيء كان أبوها يصرّ عليه: أوقفي السيارة، وأغلقي النوافذ، وثبّتي الفرامل، وأزيلي المفاتيح، واقفلي السيارة)، لكانت الآن فاقدةً حنجرتها. ولكان دمها على المِقوَد ولوحة القيادة والزجاج الأمامي. هذه الحركة الواحدة، التلقائية جداً لدرجة أنها حتى لا تتذكّر القيام بها حقاً.

صَرَخت.

اختفى وجه الكلب الفظيع عن الأنظار.

تذكّرت تاد ونظرت حولها. عندما رأته، اعتراها خوف جديد راح ينكزها مثل إبرة ساخنة. ليس مُغمىً عليه، لكنه ليس واعياً تماماً أيضاً. كان قد غرق على مقعده، وعيناه مذهولتين وفارغتين، ووجهه أبيض، وشفتاه زرقاوين عند أطرافهما.

"تادا". فرقعت أصابعها تحت أنفه، وطرفت عيناه ببطء من الصوت الجاف. "تادا".

"ماما"، قال ببلادة. "كيف خرج الوحش من خزانتي؟ هل هذا حلم؟ هل هذه قيلولتي؟".

"سيكون كل شيء على ما يرام"، قالت وقد صعقها ما قاله عن خزانته. "إنه –"

رأت ذيل الكلب وأعلى ظهره العريض فوق غطاء البينتو. كان يدور حول السيارة إلى جهة تاد –

ولم تكن نافذة تاد مغلقة.

انقضت على حُضن تاد بتشنّج عضلي كبير لدرجة أنها طقطقت أصابعها على ذراع تدوير زجاج النافذة. أدارته بأسرع ما يمكنها، وهي تلهث، وشعرت بتشنّج تاد تحتها.مكتبة سُر مَن قرأ

كان الزجاج قد ارتفع إلى ثلاثة أرباع المسافة عندما وَثَب كوجو على النافذة. دخل خطمه في الفجوة ودفعه الزجاج المنغلق صعوداً نحو السقف. ملأ صوت نباحه المزمجِر السيارة الصغيرة. وزعَق تاد مرة أخرى ولفَّ رأسه بيدَيه، وغطّى ساعداه عينيه. حاوَل أن يطمر وجهه في بطن دونا، مقلِّلاً عزمها على ذراع تدوير زجاج النافذة في محاولته العمياء للابتعاد عن الكلب.

"ماما! ماما! ماما! *اجعليه يتوقف! اجعليه يبتعد!*".

أحسّت بشيء دافئ على ظهر يديها. ثم رأت برعب متزايد أنه مزيج من مُخاط ودم يسيل من فم الكلب. مستخدمةً كل قوتها، تمكّنت من أن تدير ذراع تدوير زجاج النافذة ربع دورة أخرى. ثم تراجع كوجو إلى الخلف. والتقَطت مجرد نظرة خاطفة لملامح السانت برنارد، المفتولة والمجنونة، والأشبه برسم كاريكاتوري مجنون لوجه سانت برنارد ودود. ثم نزل على قوائمه الأربعة وأصبحت قادرة على رؤية ظهره فقط.

أصبح ذراع التدوير يدور بسهولة الآن. فأغلقت النافذة، ثم مسَحت ظهر يدها على سروالها الجينز، مطلقةً صيحات اشمئزاز صغيرة.

(يا إلهي)

كان تاد قد عاد إلى تلك الحالة المذهولة بشبه فقدان الوعي مرة أخرى. لكن لم تكن هناك ردة فعل منه عندما فرقعت أصابعها أمام وجهه هذه المرة.

سيعاني من بعض العقد النفسية جرّاء هذا. يا إلهي. عزيزي تاد، فقط لو تركتُك مع ديبي.

أمسكته بكتفيه وبدأت تهزّه بلطف ذهاباً وإياباً.

"هل هذه قيلولتي؟"، سأل مرة أخرى.

"لا" قالت. فراح يئنّ بصوت منخفض مؤلم مزّق لها قلبها. "لا، لكن كل شيء على ما يرام. تاد؟ لا تخف. لا يستطيع هذا الكلب الدخول إلى هنا. النوافذ مغلقة الآن. لا يمكنه الدخول. لا يمكنه أن يلمسنا".

نجح ذلك وهدأت عينا تاد قليلاً. "فلنعد إلى المنزل إذاً يا ماما. لا أريد أن أكون هنا".

"نعم. نعم، سنفعل –"

مثل مقذوفة سمراء مصفَرّة ضخمة، وَثَب كوجو إلى غطاء البينتو وهجم على الزجاج الأمامي، وهو ينبح. صرخ تاد صرخة أخرى، وانتفخت عيناه، وراح يحفر خدّيه بيديه الصغيرتين، مخلّفاً خدوشاً حمراء غاضبة هناك.

"لا يمكنه أن يلمسنا!"، صاحت به دونا. "هل تسمعني؟ لا يستطيع الدخول يا تاد!".

ضرب كوجو الزجاج الأمامي بلطمة مكتومة، وتراجع إلى الخلف، ثم راح يخربش الغطاء مُحدثاً سلسلة خدوش جديدة على الطلاء. ثم هجم مرة أخرى.

"*أريد العودة إلى المنزل!*"، صرَخ تاد.

"احضنّي بقوة يا تادر، ولا تقلق".

كم بدا كلامها مخبولاً... لكن ما عساها أن تقول غير ذلك؟

دفن تاد وجهه في صدرها في نفس لحظة ارتطام كوجو بالزجاج الأمامي مرة أخرى. تلطَّخ الزجاج بالرغوة بينما كان يحاول أن يعضه ليدخل عبره. راحت تلك العينان المضطربتان المُتعَبتان حتى الإجهاد تحدِّقان في عينَي دونا. سأقطّعك إرباً إرباً، قالتا لها. أنت والفتى. فقط حالما أجد طريقة لدخول عبوة الصفيح هذه، سآكلك حيّة؛ سأبتلع قِطعاً منك بينما تصرخين.

مسعور، فكّرت في سرّها. *هذا الكلب مسعور.*

بخوف متزايد بثبات، نظرت إلى وراء الكلب الواقف على الغطاء نحو شاحنة جو كامبر المركونة. هل عضّه الكلب؟

وجَدت زر البوق وضغطته، فلعلع بوق البينتو وارتعش الكلب إلى الخلف، وكاد يفقد توازنه مرة أخرى. "لا تحبّ هذا كثيراً، أليس كذلك؟"، زعَقت به بنبرة انتصاريّة. "يؤلم أذنيك، أليس كذلك؟". ثم ضغطت زر البوق باستمرار هذه المرة.

وَثَب كوجو عن الغطاء.

"ماما، فلنعد إلى المنزل *رجاءءءً*".

أدارت مفتاح الإشعال. حاوَل المحرّك أن يدور ويدور ويدور... لكنه رفض أن يشتغل. ثم توقفت عن المحاولة في النهاية.

"عزيزي، لا يمكننا الذهاب الآن. فالسيارة –"

"بلى! بلى! الآن! *الآن!*".

بدأ رأسها يهدر بآلام كبيرة في تزامن مثالي مع نبضات قلبها.

"تاد. اسمعني. السيارة لا تريد أن تشتغل. إنها مشكلة صمام

الإبرة من جديد. علينا الانتظار إلى أن يبرُد المحرّك. أعتقد أنه سيشتغل عندها. ويمكننا المغادرة".

كل ما علينا فعله هو الرجوع إلى الممر الخاص وتوجيه السيارة نحو المنحدر. ثم لا يعود مهماً حتى ولو تعطّل المحرّك، لأنه يمكننا الهبوط بفعل الجاذبية. إذا لم أكن جبانة وأضغط دواسة الفرامل. يجب أن أكون قادرةً على قطع معظم المسافة إلى طريق مايل سوغار حتى مع عدم اشتغال المحرّك... أو...

تذكّرت المنزل الذي في أسفل التلة، المنزل التي تغطي العسلة كل جهته الشرقية بجنون. يوجد أشخاص داخله. لقد رأت سيارات.

أشخاص!

بدأت تستخدم البوق مرة أخرى. ثلاث مرات قصيرة، وثلاث مرات طويلة، ثم ثلاث مرات قصيرة، مراراً وتكراراً، وهي شيفرة النظام مورس الوحيدة التي تتذكَّرها من سنتَيها في الكشّافة. سيسمعون. حتى ولو لم يفهموا الرسالة، سيأتون إلى هنا لرؤية مَن الشخص المزعج في منزل جو كامبر – ولماذا.

أين الكلب؟ لم يعد بإمكانها رؤيته. لكن هذا لا يهمّ. لأنه لا يستطيع دخول السيارة والمساعدة آتية بعد قليل.

"كل شيء سيكون على ما يرام"، أخبرت تاد. "انتظر وسترى".

هناك مبنى قذر من الطوب في كامبريدج يضم مكاتب إيميج آي. وتقع مكاتب العمل في الطابق الرابع، وستديوهان في الطابق الخامس، وصالة لعرض الأفلام مكيَّفة بشكل سيئ وتتّسع فقط لستة عشر مقعداً موزّعة على صفين من أربعة مقاعد في الطابق السادس الأخير.

في المساء الباكر من ذلك الاثنين، جلس ڤيك ترنتون وروجر برايكستون في الصف الثالث لصالة عرض الأفلام، بعد أن خلعا سترتيهما وأرخيا ربطتَي عنقهما. كان كل واحد منهما قد شاهد أفلام الإعلانات التجارية لأستاذ حبوب شارپ خمس مرات، علماً أن عددها الإجمالي عشرون بالضبط. من بين تلك الأفلام العشرين، ثلاثة كانت إعلانات حلوى توت العليق الأحمر السيئة السمعة.

كانت البكرة الأخيرة للإعلانات الستة قد انتهت منذ نصف ساعة، وتمنّى لهما مشغِّل المسلاط أمسية سعيدة وذهب إلى وظيفته المسائية، وهي عرض أفلام في سينما أورسن ويلز. بعد خمس عشرة دقيقة، تمنّى لهما روب مارتن، رئيس إيميج آي، أمسية سعيدة باكتئاب، مضيفاً أن بابه سيكون مفتوحاً لهما طوال يوم الغد والأربعاء، إذا احتاجا إليه. تجنَّب قول ما كان يجول في بال ثلاثتهم: سيكون الباب مفتوحاً إذا فكّرتما بشيء يستحق التكلم بشأنه.

كان لدى روب كل الحق ليبدو كئيباً. فقد كان محارباً قديماً في فييتنام فقَدَ ساقه في هجوم تيت. وأسَّس شركة إيميج آي في أواخر العام 1970 من مال إعاقته وبمساعدة كبيرة من أنسبائه بحكم الزواج. والشركة تصارع وتحارب منذ ذلك الوقت، ولا تحصل في الأغلب سوى على بعض الفتات عن طاولة الإعلانات التي تتغذّى منها ستديوهات بوسطن الأكبر. وقد أخذ ڤيك وروجر معه لأنهما يذكّرانه بنفسه، بطريقة ما - يكافِحان لينالا حصّتهما من السوق، للوصول إلى تلك الناصية الأسطورية والانعطاف فيها. وبالطبع، كانت بوسطن جيدة لأن الوصول إليها أسهل من نيويورك.

في الأشهر الستة عشرة الأخيرة، أقلعت إيميج آي. وتمكّن روب

من استخدام حقيقة أن شركته تُنجز إعلانات شارپ لينال عقود عمل أخرى، وبدت الأمور متينة لأول مرة. في مايو، قبل حصول مشكلة الحبوب، أرسَل بطاقة بريدية إلى ڤيك وروجر تُظهر مؤخرة حافلة في بوسطن عليها صورة كبيرة لأربع سيدات جميلات انحنينَ ليُظهرن مفاتنهنّ في أحد أصناف سراويل الجينز. وقد كتب الرسالة التالية على الجهة الخلفية للبطاقة، بأسلوب الصحافة الصفراء: إيميج آي توقّع عقداً لتنظيف مؤخرات حافلات بوسطن. كان هذا مضحكاً وقتها. ليس كثيراً الآن. فمنذ الفشل الذريع للحلوى، ألغى عميلان (أحدهما كانّ لوك لسراويل الجينز) عقدهما مع إيميج آي، وإذا خسِرت آد ووركس حساب شارپ، سيخسر روب حسابات أخرى بالإضافة إلى شارپ. وهذا جعله يشعر بالغضب والخوف... أحاسيس يفهمها ڤيك تماماً.

بقيا جالسين يدخّنان بصمت لخمس دقائق تقريباً عندما قال روجر بصوتٍ منخفضٍ، "هذا يجعلني أريد أن أتقيأ يا ڤيك. أرى ذلك الشاب يجلس وراء مكتبه وينظر إليَّ كما لو أن الزبدة لن تذوب في فمه، ويضع كمية كبيرة من تلك الحبوب ذات الصباغ المائع في فمه ويقول، "لا، لا يوجد خطأ هنا"، وأُصاب بانقباض في معدتي. أنا مسرور أن مشغّل المسلاط اضطر أن يغادر. فلو شاهدتُها مرة أخرى، لكنتُ سأضطر أن أفعل ذلك واضعاً كيساً للتقيؤ في حُضني".

أطفأ سيجارته في المنفضة المثبّتة داخل ذراع كرسيه. بدا مريضاً فعلاً؛ بوجهه المصفرّ الذي لم يُعجب ڤيك أبداً. سمّه صدمة انفجار القذائف، إجهاد المعارك، سمّه ما شئت، لكن ما تقصده هو أنك مذعور كلياً. كان يشبه النظر إلى الظلمة ورؤية شيء سيلتهمك حيّاً.

"بقيتُ أقول لنفسي"، قال روجر وهو يمدّ يده ليأخذ سيجارة

أخرى، "إنني سأرى شيئاً. أتعلم؟ شيئاً. لم أكن أصدّق أن الوضع سيئ مثلما كان يبدو. لكن التأثير التراكمي لتلك الإعلانات... كما لو أنك تشاهد جيمي كارتر يقول، 'لن أكذب عليكم أبداً'". أخذ مجّة من السيجارة الجديدة، وكشَّر، ثم أطفأها في المنفضة. "لا عجب أن جورج كارلن وستيف مارتن وبرنامج ساترداي نايت لايف اللعين مسرورون من النجاح الذي حقّقوه على حسابنا. هذا الشاب يبدو لي *منافقاً* جداً الآن...". قال هذا بصوت مرتعش، ثم صمت فجأة.

"لديَّ فكرة"، قال ڤيك بهدوء.

"نعم، لقد قلتَ شيئاً على الطائرة". نظَرَ إليه روجر، لكن من دون أمل كبير. "فلنسمعها".

"أعتقد أنه يجب على أستاذ حبوب شارپ أن يصوِّر إعلاناً واحداً آخر"، قال ڤيك. "أعتقد أن علينا إقناع مالك شارپ العجوز بهذا. ليس الولد. العجوز".

"ماذا سيبيع الأستاذ هذه المرة؟"، سأل روجر وهو يفتح زراً آخر على قميصه. "سم للفئران أو مبيد للأعشاب؟".

"بالله عليك يا روجر. لم يتسمَّم أحد".

"كان هذا محتملاً جداً"، قال روجر وضحِك بصوت حاد. "أتساءل أحياناً إن كنتَ تفهم طبيعة عالم الإعلانات حقاً. إنه يشبه إمساك ذئبٍ بذيله. حسناً، لقد أفلت منا ذلك الذئب اللعين وهو على وشك أن ينقضّ علينا ويلتهمنا".

"روجر –"

"هذه دولة تركِّز فيها الصفحة الأولى للصحف على خبر قيام

شخص من إحدى جمعيات حماية المستهلِكين بوزن إحدى قطع همبرغر ماكدونالد ووجدها أقل وزناً بقليل من الوزن المُعلَن عنه. دولة تنشر فيها إحدى المجلات المغمورة في كاليفورنيا تقريراً بأن حادث تصادم من الخلف يمكن أن يسبِّب انفجار خزّان الوقود في سيارات البينتو، فتُصاب شركة فورد بالذعر –"

"لا تفتح هذا الموضوع"، قال ڤيك وهو يضحك قليلاً. "فزوجتي تقود سيارة بينتو. ولديَّ ما يكفيني من مشاكل".

"كل ما أقوله هو أنني أعتبر أن جعل أستاذ حبوب شارپ يصوِّر إعلاناً آخر سيكون كارثياً مثل جعل ريتشارد نيكسون يُلقي خطاب 'حال الاتحاد' آخر. لقد تشوّهت سُمعته بالكامل!". صمتَ قليلاً، وراح ينظر إلى ڤيك. فراح ڤيك ينظر إليه بدوره. "ماذا تريده أن يقول؟".

"أنه آسف".

جمُدت عينا روجر عليه للحظة. ثم رمى رأسه إلى الخلف وراح يقوقئ. "أنه آسف. *آسف؟* يا إلهي، هذا مدهش. هل هذه هي فكرتك الرائعة؟".

"مهلاً يا روجر. إنك لا تعطي هذه الفكرة أي فرصة لتفكّر فيها. هذه ليست عادتك".

"لا"، قال روجر. "أظنها ليست عادتي. أخبرني ماذا تقصد. لكن لا يمكنني أن أصدِّق أنك –"

"جدّي؟ أنا جدّي كلياً. لقد درستَ المقرّرات التعليمية مثلي. ما هو أساس أي إعلان ناجح؟ لماذا نتكبَّد عناء ابتكار إعلانات من الأصل؟".

"أساس أي إعلان ناجح هو أن الناس يريدون أن يصدِّقوا. أن الناس يبيعون لأنفسهم".

"نعم. عندما يقول عامل صيانة مايتاغ إنه أكثر شخص يشعر بالوحدة في البلدة، يريد الناس تصديق أن هكذا شخص موجود حقاً في مكان ما، وهو لا يفعل أي شيء غير الاستماع إلى الراديو طوال اليوم. يريد الناس تصديق أن أجهزة مايتاغ لن تحتاج إلى إصلاح *أبداً*. وعندما يقول جو ديماجيو إن قهوة مستر كوفي توفّر في كمية القهوة، وتوفّر المال، يريد الناس تصديق *ذلك*. إذا –"

"لكن أليس هذا سبب مشكلتنا من الأساس؟ لقد أرادوا تصديق أستاذ حبوب شارپ وقد خذلهم. تماما مثلما أرادوا تصديق نيكسون، وقد –"

"نيكسون، نيكسون، نيكسون!"، قال ڤيك، متفاجئاً من حدّة غضبه. "لقد بدأت هذه المقارنة اللعينة تُعمي بصيرتك، وقد سمعتُك تقوم بها مئتي مرة منذ بداية هذه المصيبة، وهي *لا تنطبق علينا!*".

كان روجر ينظر إليه مذهولاً.

"نيكسون محتال، وهو يعرف أنه محتال، وقال إنه ليس محتالاً. وأستاذ حبوب شارپ قال إنه ليس هناك خطأ في حلوى توت العليق الأحمر *وكان* هناك خطأ، لكنه لم يعرفه". مال ڤيك إلى الأمام ونكزَ ذراع روجر بإصبعه بلطف للتشديد على كلامه. "لم يكن هناك خرق للثقة. عليه أن يقول ذلك يا روجر. عليه أن يقف أمام الأميركيين ويُخبرهم أنه لم يكن هناك خرق للثقة. فالخطأ الذي حصل هو خطأ ارتكبته شركة تصنِّع صباغ الطعام. *ولم* يكن خطأ ارتكبته شركة شارپ. عليه أن يقول

ذلك. والأهم هو أن عليه أن يقول إنه آسف لحصول ذلك الخطأ وإنه، رغم أن أحداً لم يُصب *بأذى*، آسف أن الناس خافوا".

أومأ روجر برأسه، ثم هزّ كتفيه. "نعم، أرى زخم ذلك. لكن لا العجوز ولا إبنه سيقبلان هذا يا ڤيك. يريدان أن يدفنا –"

"نعم، نعم، *نعم!*"، صاح ڤيك، مما جعل روجر يجفل في الواقع. ثم نهض بسرعة وبدأ يسير بتشنّج صعوداً ونزولاً على الرِواق القصير لصالة عرض الأفلام. "بالتأكيد يريدان ذلك، وهما على حق، لقد تُوفِّيَ ويجب دفنه، يجب دفن أستاذ حبوب شارپ، فقد تم دفن الحلوى *من قبل*. لكن الشيء الذي علينا أن نجعلهما يرياه هو أن الدفن لا يمكن أن يتم في منتصف الليل *تحت جنح الظلام*. هذه هي النقطة بالتحديد! فحدسهم يقول لهم بضرورة تعاملهم مع هذا الشيء مثل قاتل مأجور من المافيا.. أو نسيب خائف يدفن ضحيةً للكوليرا".

مالَ نحو روجر، واقترب منه كثيراً لدرجة أن أنفيهما كادا يتلامسان.

"مهمتنا أن نجعلهما يفهمان أن أستاذ الحبوب لن ينال الراحة الدائمة أبداً إلا إذا دُفن في وضح النهار. وأودّ جعل جميع سكان البلاد يحضرون إلى قبره باكين".

"أنت مج –"، بدأ روجر يقول ثم أغلق فمه فوراً.

بعد طول انتظار رأى ڤيك ذلك التعبير الغامض والخائف يخرج من عينَي شريكه. وظهر توضّحٌ مفاجئٌ على وجه روجر، واستُبدل التعبير الخائف بتعبير مجنون قليلاً. بدأ روجر يبتسم. وشعَر ڤيك بارتياح كبير لرؤيته تلك الابتسامة لدرجة أنه نسي أمر دونا وما حصل معها

لأول مرة منذ أن استلم رسالة كيمب. لقد استحوذ العمل على كل تفكيره، وسيتساءل في وقت لاحق فقط، مصعوقاً قليلاً، عن آخر مرة شعَر فيها بهذا الشعور النقي والمدهش بأن يكون ضالعاً بالكامل في شيء يبرع فيه.

"على السطح، نريده فقط أن يكرِّر الأشياء التي ما انفكّت شارپ تقولها منذ بداية المشكلة"، أكمل ڤيك يقول. "لكن عندما يقولها أستاذ الحبوب بنفسه –"

"تدور الأمور دورة كاملة"، همسَ روجر وأشعل سيجارة أخرى.

"بالتأكيد، صحيح. ويمكننا على الأرجح جعل العجوز يظهر في المشهد الأخير لمهزلة حلوى توت العليق الأحمر. يعترف بذنبه. يضع كل المسألة خلفنا –"

"يتناول الدواء المرّ. بالتأكيد، هذا سيُعجب العجوز اللعين. توبة علنية... يجلد نفسه بسوط...".

"وبدلاً من أن يخرج مثل رجل محترم سقط على مؤخرته في بركة وحل، والجميع يسخرون منه، يخرج مثل دوغلاس ماكآرثر قائلاً إن الجنود القدامى لا يموتون أبداً، بل يتلاشون فقط. هذا هو المظهر فوق السطح. لكن تحته، نحن نبحث عن *نبرة*... شعور...". كان يجتاز الحدود إلى دولة روجر الآن. لو فقط يمكنه أن يرسم بدقة شكل ما يقصده، شكل الفكرة التي خطرت على باله أثناء تناول القهوة في بنتلي، سيتولى روجر زمام الأمور من هناك.

"ماكآرثر"، قال روجر بهدوء. "هذا هو الحل، أليس كذلك؟ النبرة نبرةٌ وداعيةٌ، والشعور شعور ندم. اجعل الناس يشعرون أنه عومِلَ

بطريقة غير عادلة، لكن الأوان فات الآن. و -". نظَرَ إلى ڤيك، جافلاً تقريباً.

"ماذا؟".

"وقت الذروة"، قال روجر.

"ماذا؟".

"الإعلانات. نبثّها في وقت الذروة. فهي موجَّهة إلى الأهل، وليس الأولاد. صح؟".

"نعم، نعم".

"إذا استطعنا تصويرها".

ابتسم ڤيك. "سنُجبرهم على تصويرها". ومستخدماً أحد تعابير روجر للنسخة الإعلانية الجيدة: "إنها دبابة يا روجر. سنقودها فوق جثثهم إذا لزم الأمر. طالما أن نتمكن من الحصول على شيء ملموس قبل أن نذهب إلى كليفلاند...".

جلَسا وناقشا المسألة في صالة عرض الأفلام الصغيرة لساعة أخرى، وعندما غادرا للعودة إلى الفندق، وكلاهما مبلَّلٌ بالعرق ومنهكٌ، كان الجو مظلماً بالكامل.

"هل يمكننا العودة إلى المنزل الآن يا ماما؟"، سأل تاد بلا مبالاة.

"قريباً جداً يا عزيزي".

نظَرَت إلى مفتاح الإشعال. ثلاثة مفاتيح أخرى في حمّالة المفاتيح: مفتاح المنزل، ومفتاح المرأب، والمفتاح الذي يفتح صندوق البينتو. كانت هناك قطعة جلد موصولة بالحمّالة مدموغة عليها حبّة فطر. لقد

اشترت حمّالة المفاتيح في سوانسون، من مركز تسوّق في بريدغتون، في أبريل الفائت. في ذلك الأبريل الفائت عندما كانت مصابة بخيبة أمل كبيرة وخائفة، ولم تعرف أبداً معنى الخوف الحقيقي، الخوف الحقيقي أثناء إغلاق نافذة إبنك بينما يسيل لعاب كلب مسعور على يديك.

مدّت يدها ولمَست العروة الجلدية. ثم سحَبت يدها مرة أخرى.

الحقيقة هي التالية: كانت خائفة أن تحاول.

كانت السابعة والربع. واليوم لا يزال ساطعاً، رغم أن ظل البينتو يمتد على مسافة طويلة، إلى باب المرأب تقريباً. ورغم أنها لم تعرف ذلك، إلا أن زوجها وشريكه كانا لا يزالان يشاهدان أفلام أستاذ حبوب شارپ في مكاتب إيميج آي في كامبريدج. لم تعرف لماذا لم يردّ أحدٌ على نداء الاستغاثة الذي كانت ترسله عبر بوق السيارة. في الروايات، كان شخصٌ ليأتي الآن. كان ذلك مكافأة للبطلة على تدبيرها هكذا فكرة ذكية. لكن أحداً لم يأت.

بالتأكيد أن الصوت وصل إلى المنزل الآيل للسقوط عند سفح التلة. ربما كانوا ثملين هناك. أو ربما مالكو السيارتين المركونتين في الممر الخاص للمنزل (في *الفناء*، صحّح لها ذهنها تلقائياً، *يسمّونه فناء في هذه المناطق*) ذهبوا إلى مكان ما في سيارة ثالثة. تمنّت لو يمكنها رؤية ذلك المنزل من هنا، لكنه بعيد عن الأنظار وراء منحدر التلة.

يئست وتوقفت أخيراً عن إطلاق نداء الاستغاثة. كانت خائفة أنها إذا استمرت بإطلاق البوق فإنه سيستنزف بطارية البينتو، والتي كانت موجودة في السيارة منذ شرائها. كانت لا تزال مقتنعة أن محرّك البينتو سيشتغل عندما يبرد بما فيه الكفاية. هذا ما كان يحصل دائماً.

لكنك خائفة أن تجرّبي، لأنه ماذا سيحصل إذا لم يشتغل؟

كانت تمدّ يدها إلى مفتاح الإشعال مرة أخرى عندما عاد الكلب إلى الظهور. كان مستلقياً بعيداً عن الأنظار أمام البينتو. ومشى ببطء الآن نحو الحظيرة، برأسه المنخفض وذيله المتهدِّل. كان يترنَّح مثل ثمل بالقرب من النهاية المرّة لصفيرٍ طويلٍ. من دون أن يلتفت إلى الوراء، اختفى كوجو في ظلال المبنى.

أبعدت يدها عن المفتاح مرة أخرى.

"ماما؟ ألن نذهب؟".

"دعني أفكِّر يا عزيزي"، قالت.

نظرت إلى يسارها، خارج نافذة جهة السائق. ثماني خطوات ستأخذها إلى الباب الخلفي لمنزل كامبر. في الثانوية، كانت نجمة فريق الركض للإناث، ولا تزال تهرول بشكل دوري. يمكنها أن تسبق الكلب إلى الباب وتدخل، كانت متأكدة من ذلك. سيكون هناك هاتف في الداخل. اتصالٌ واحدٌ بمكتب المأمور بانرمان وسينتهي هذا الرعب. من جهة أخرى، إذا حاوَلت تشغيل المحرّك مرة أخرى، فقد لا يشتغل... لكن ذلك سيجذب الكلب نحوهما. بالكاد تعرف أي شيء عن داء الكَلَب، لكنها تذكّرت قراءة في مكان ما أن الحيوانات المسعورة حسّاسة جداً للأصوات. وأي ضجيج صاخب يمكن أن يضعها في حالة جنون مؤقت.

"ماما؟".

"صه يا تاد. صه!".

ثماني خطوات. فكّري بالأمر.

حتى ولو كان كوجو يختبئ ويراقب داخل المرأب بعيداً عن الأنظار، كانت *أكيدة* أنه يمكنها الفوز في سباق ركض إلى الباب الخلفي. الهاتف، نعم. و... رجلٌ مثل جو كامبر يملك بندقية بالتأكيد. وربما رفٌ كاملٌ منها. كم ستكون متعتها كبيرة إذا نسفت رأس هذا الكلب اللعين!

ثماني خطوات.

بالتأكيد. فكّري بالأمر لبرهة.

وماذا لو كان باب الشرفة مُقفلاً؟

هل يستحق المخاطرة؟

هدَرَ قلبها بقوة في صدرها بينما زانت الفرص. لو كانت لوحدها، لكان الوضع مختلفاً. لكن لنفترض أن الباب كان مُقفلاً؟ يمكنها أن تسبق الكلب إلى الباب، لكن ليس إلى الباب ثم إلى السيارة من جديد. ليس إذا خرج يركض نحوها، ليس إذا هجم عليها مثلما فعل سابقاً. وماذا سيفعل تاد؟ ماذا لو رأى كلباً مجنوناً وزنه تسعون كيلوغراماً يهاجم أمه بشراسة، ويعضّها ويمزِّق أحشاءها؟

لا. كانا بمأمن هنا.

جرّبي تشغيل المحرّك مرة أخرى!

مدّت يدها إلى مفتاح الإشعال، وصرخ بها جزءٌ من ذهنها بأن الانتظار أكثر سيكون أأمن، إلى أن يبرد المحرّك تماماً.

يبرد تماماً؟ لقد وصلا إلى هنا منذ ثلاث ساعات أو أكثر.

أمسكت المفتاح وأدارته.

بدأ المحرّك يدور لمرة، لمرتين، لثلاث مرات – ثم بدأ يهدر.

"آه، الحمد لله!"، صاحت.

"ماما؟"، سأل تاد بصوت حاد. "هل نحن ذاهبان؟ هل نحن ذاهبان؟".

"نحن ذاهبان"، قالت بتجهّم، وبدّلت مقبض علبة التروس إلى وضعية السير إلى الوراء. اندفَع كوجو من الحظيرة... ثم وَقَف هناك، يراقب. *"تباً لك أيها الكلب!"*، صاحت به بنبرة انتصاريّة.

داست دواسة الوقود. سارت البينتو إلى الخلف لنصف متر تقريباً - ثم توقّفت.

"لا!"، صَرَخت بينما أُضيء الضوء الأحمر من جديد. خطا كوجو خطوتين أخريين عند توقّف المحرّك، لكنه اكتفى الآن بالوقوف هناك صامتاً ومُخفضاً رأسه. *إنه يراقبني*، خطرت لها الفكرة مرة أخرى. كان ظله خلفه، واضحاً تماماً كصورة ظليّة تم اقتطاعها من ورقة رقيقة سوداء.

بحَثت دونا بارتباك عن مفتاح الإشعال وأدارته من جديد. بدأ المحرّك يحاول الاشتغال مرة أخرى، لكنه لم ينجح هذه المرة. يمكنها سماع صوت لهيث حاد في أذنيها ولم تُدرِك لعدة ثوانٍ أنها هي مَن يُصدر ذلك الصوت - كان لاوعيها يقول لها إنه الكلب بالتأكيد. أفلتت المفتاح، وكشَّرت بشكل رهيب، وراحت تشتمه، غافلةً عن وجود تاد قربها، مستخدمةً كلمات كانت تجهل أنها تعرفها. بقي كوجو يراقبها من هناك، وظله وراؤه مثل ستارة جنازة سريالية.

استلقى أخيراً على الممر الخاص للمنزل، كما لو أنه قرَّر أنهما لا يملكان أي فرصة للهرب. كرِهته أكثر مما كرِهته عندما حاوَل اقتحام نافذة تاد.

"ماما... ماما... ماما!".

من بعيد. غير مهم. ما يهم الآن هو هذه السيارة اللعينة الحقيرة. كانت ستشتغل. كانت ستجعلها تشتغل... *بقوة... الإرادة!*

لم تكن لديها أي فكرة لكم من الوقت بقيت تجلس محدَّبةً فوق المِقوَد وشعرها يتدلى فوق عينيها، وتدير مفتاح الإشعال عبثاً. ما أعادها إلى أرض الواقع أخيراً لم يكن صيحات تاد - فقد خفتَت إلى مجرد أصوات تذمّر - بل صوت المحرّك. كان يبدأ بمحاولة الدوران لخمس ثوانٍ، ثم يجمد، ثم يبدأ بمحاولة الدوران لخمس ثوانٍ أخرى، ثم يجمد مرة أخرى. كانت مدة الجمود تطول كل مرة.

كانت تقتل البطارية.

فتوقَفت.

خرجت من حالتها تدريجياً، مثل امرأة تخرج من إغماءٍ. تذكَّرت حالة التهاب معدة وأمعاء أصابتها في الكلية - فخرج كل شيء في داخلها إما صعوداً عبر المصعد أو نزولاً عبر المنحدر - وقبل نهاية حالتها تلك بقليل كان لونها قد أصبح رمادياً في أحد مراحيض مبنى الطلبة. كان الشفاء من تلك الحالة هكذا، كما لو أنها لا تزال هي نفسها لكن رساماً غير مرئي أضاف ألواناً إلى العالم، فنقله أولاً إلى مرحلة الألوان الكاملة ثم إلى مرحلة الألوان المفرطة. راحت الألوان تزعَق بها. وبدا كل شيء بلاستيكياً وزائفاً، مثل واجهة عرض في مركز تسوّق - "تأرجحوا إلى الربيع"، ربما، أو "استعدوا لضربة البداية".

كان تاد يرتعد خوفاً بعيداً عنها، مُغمضاً عينيه كلياً، وواضعاً إبهام إحدى يديه في فمه. وكانت يده الأخرى تضغط على جيب وركه، حيث توجد كلمات الوحش. كان تنفّسه ضحِلاً وسريعاً.

"تاد"، قالت. "عزيزي، لا تقلق".

"ماما، هل أنت بخير؟". كان صوته لا يزيد عن كونه همساً قوياً.

"نعم. وأنت أيضاً. على الأقل نحن بمأمن. ستسير هذه السيارة القديمة. فقط انتظر وسترى".

"اعتقَدتُ أنك غاضبة مني".

أخذته بين ذراعيها وعانَقته بقوة. كان يمكنها أن تشمّ رائحة العرق ورائحة شامبو جونسون لا دموع بعد اليوم العالقتين في شعره. تذكّرت تلك الزجاجة الجالسة بأمان على الرف الثاني لخزانة الأدوية في حمّام الطابق العلوي. فقط لو يمكنها أن تلمسها! لكن كل ما كان هنا هو ذلك العطر الباهت المُحتضَر.

"لا يا عزيزي، ليس منك"، قالت. "ليس منك أبداً".

عانَقها تاد بدوره. "لا يمكنه الدخول علينا هنا، أليس كذلك؟".

"لا".

"لا يمكنه... لا يمكنه أن يخترق طريقه بالقوة، أليس كذلك؟".

"لا".

"أكرهه"، قال تاد بنبرة تأملية. "أتمنى لو يموت".

"نعم. أنا أيضاً".

نظرت خارج النافذة ورأت أن الشمس تستعد للغروب. استقرّ رعب في مخيّلتها. تذكَّرت ألعاب الغمّيمة في الطفولة التي كانت تنتهي دائماً عندما تتصل الظلال ببعضها البعض وتكبُر إلى بحيرات أرجوانية، ذلك الصياح الغامض المنجرف في شوارع ضواحي طفولتها، الساحر والبعيد، الصوت الصاخب لولدٍ يُعلن أن العشاء جاهز، الأبواب

المستعدة لكي توصَد في وجه الليل.

كان الكلب يراقبها. كان هذا جنوناً، لكن لم يعد لديها أي شكٌ في ذلك. فعيناه المجنونتان الفارغتان مثبَّتتان على عينيها.

لا، أنتِ تتخيَّلين هذا. إنه مجرد كلب، وكلب مريض أيضاً. الوضع سيئ كفاية من دون أن ترين شيئاً في عيني ذلك الكلب لا يمكن أن يكون هناك.

أخبرت نفسها هذا. ثم أخبرت نفسها بعد بضع دقائق أن عيني كوجو كانتا مثل عينيَ بعض البورتريهات التي يبدو أنها تتبعك أينما تنقّلت في الغرفة المعلّقة فيها.

لكن الكلب كان ينظر إليها. و... وكان هناك شيء مألوف في ذلك.

لا، أخبرت نفسها، وحاوَلت صرف النظر عن الفكرة، لكن فات الأوان.

لقد رأيتِه من قبل، أليس كذلك؟ في الصباح بعد أول حلم مزعج لتاد، في الصباح الذي عادت فيه البطانيات والملاءات إلى الكرسي، ودبدوبه فوقها، وللحظة عندما فَتحتِ باب الخزانة ولم تري سوى شكلٍ مسترخٍ ذي عيني حمراوين، شيء في خزانة تاد جاهز ليقفز، كان هو، كان كوجو، كان تاد محقاً من البداية، ما عدا أن الوحش لم يكن في خزانته... كان هنا. كان

(توقفي عن هذا)

هنا ينتظر أن

(!توقفي عن هذا يا دونا!)

راحت تحدِّق في الكلب وتخيَّلت أنه يمكنها سماع أفكاره. أفكار بسيطة. نفس النمط البسيط، مكرَّراً مرةً تلو الأخرى رغم دوّامة مرضه وهذيانه.

اقتل المرأة. اقتل الفتى والمرأة. اقتل المرأة. اقتل -

توقفي عن هذا، أمَرت نفسها بقسوة. إنه لا يفكّر وليس بُعبُعاً لعيناً من خزانة الولد. إنه مجرد كلب مريض. ستصدِّقين بعد ذلك أن الكلب عقابٌ لك على ارتكابك -

نهض كوجو فجأة - كما لو أنها نادته - واختفى داخل الحظيرة مرة أخرى.

(تقريباً كما لو أنني ناديته)

ضحكت ضحكةً متزعزعةً، نصف هستيرية.

نظر إليها تاد. "ماما؟".

"لا شيء يا عزيزي".

نظَرت إلى المدخل المظلم للمرأب-الحظيرة، ثم إلى الباب الخلفي للمنزل. *مُقفل؟ مفتوح؟ مُقفل؟ مفتوح؟* تخيّلت قطعة عملة معدنية تتشقلب في الهواء مراراً وتكراراً. وتخيّلت نفسها تبرم بكرة مسدسٍ، خمس حجرات فارغة، وحجرة معبأة. *مُقفل؟ مفتوح؟*

غربت الشمس، وما بقي من اليوم كان خطاً أبيض على الأفق الغربي. بدا رفيعاً مثل التقليمة البيضاء المطلية في وسط الطريق العام. هذا سيزول قريباً. وراحت جداجد تغنّي بابتهاج في العشب العالي على يمين الممر الخاص للمنزل.

مكتبة
t.me/soramnqraa

كان كوجو لا يزال في الحظيرة. نائم؟ تساءلت. يأكل؟

ذكَّرها هذا بأنها وضَّبت بعض الطعام لهما. فزحَفت بين المقعدَين الأماميين وأحضرت صندوق الغداء الذي عليه صورة سنوبي وكيسها البنيّ. كان إبريقها العازل للحرارة قد تدحرَج إلى الخلف، على الأرجح عندما بدأت السيارة ترتجّ وترتعش خلال صعودها الطريق. اضطرت إلى أن تمطّ نفسها إلى أقصى حد، وخرجت بلوزتها من تحت سروالها، قبل أن تتمكن من أن تُمسكه بأطراف أصابعها. استيقظ تاد، الذي كان في نصف كبوة. ثم امتلأ صوته فوراً برعب حاد جعلها تكره الكلب اللعين حتى أكثر.

"ماما؟ *ماما؟* ماذا –"

"فقط أُحضر لنا الطعام"، قالت لتهدّئه. "وإبريقي العازل للحرارة – أترى؟".

"حسناً". استوى على مقعده ووضع إبهامه في فمه مرة أخرى.

رجَّت الإبريق العازل للحرارة الكبير بلطف بجانب أذنها، ترقّباً لسماع الصوت المزعج للزجاج المكسور. لكنها لم تسمع سوى صوت تخضخض الحليب في الداخل. هذه علامة جيدة.

"تاد؟ هل تريد أن تأكل؟".

"أريد أن آخذ قيلولة"، قال حول إبهامه، دون أن يفتح عينيه.

"عليك أن تغذّي الآلة يا بطل"، قالت.

لم يبتسم حتى. "لستُ جائعاً، بل نعسان".

نظَرَت إليه منزعجةً، وقرّرت أنه سيكون من الخطأ فرض المسألة عليه أكثر من ذلك. فقد كان النوم سلاح تاد الطبيعي – وربما سلاحة

الوحيد - وكان قد تجاوز وقت نومه الاعتيادي بنصف ساعة من قبل. بالطبع، لو كانا في المنزل، لتناول كوب حليب وكعكتين قبل أن ينظّف أسنانه... وسمِع قصةً، أحد كتب ميرسر ماير، وربما... و...

شعَرت باللسعة الساخنة للدموع وحاوَلت أن تدفع كل تلك الأفكار بعيداً. فتَحت إبريقها العازل للحرارة بيدين متزعزعتين وصبَّت لنفسها نصف كوب حليب. وضعته على لوحة القيادة وأخذت إحدى لفافات التين. بعد لقمة واحدة أدرَكت أنها جائعة جداً. فأكَلت ثلاث لفافات تين أخرى، وشربِت بعض الحليب، والتهمت أربع أو خمس حبّات زيتون أخضر، ثم أفرغت كوبها. تجشّأت بلطف... ثم نظرت بحدّة أكثر تجاه الحظيرة.

كان هناك ظل داكن أكثر أمامها الآن. ما عدا أنه لم يكن مجرد ظل. كان الكلب. كان كوجو.

إنه يقف حارساً علينا.

لا، لم تصدِّق ذلك. كما لم تصدِّق أنها رأت طيف كوجو في كومة البطانيات المكدّسة في خزانة إبنها. لم تصدِّق... ما عدا... ما عدا أن جزءاً منها صدَّق. لكن ذلك الجزء لم يكن في ذهنها.

ألقت نظرة سريعة على مرآة الرؤية الخلفية إلى حيث كان الطريق. كان الجو مظلماً جداً لرؤيته الآن، لكنها تعرف أنه هناك، تماماً مثلما تعرف أن أحداً لن يأتي. فعندما أتيا إلى هنا المرة الماضية في جاغوار ڤيك وكان ثلاثتهم (*كان الكلب لطيفاً وقتها*، تمتم دماغها، *وقد ربَّتَ له تادر على ظهره وضحِك، أتتذكَّرين؟*) يضحكون ويمضون وقتاً سعيداً، أخبرها ڤيك أنه قبل خمس سنوات فقط، كان مكبّ نفايات

كاسل روك يتواجد عند نهاية طريق البلدة رقم 3. ثم بدأ مصنع معالجة النفايات الجديد عمله على الجهة الأخرى للبلدة، والآن على بُعد أربعمئة متر من مرأب كامبر، ينتهي الطريق ببساطة عند مكان معلّقة فيه سلسلة ثقيلة وعليها لافتة تقول "ممنوع الدخول. مكبّ النفايات مُقفل". أبعد من مرأب كامبر، لا يوجد أي مكان للذهاب إليه.

تساءلت دونا إن كان سيمرّ بعض الأشخاص الذين يبحثون عن مكان منعزل ليركنوا فيه، لكنها تخيّلت أنه حتى أكثر مراهق محلي توّاق للمجامعة لن يرغب أن يفعل ذلك في مكبّ نفايات البلدة القديم. على أي حال، لم يمرّ أحد بعد.

تضاءل الخط الأبيض على الأفق الغربي إلى مجرد شَفَق الآن... وكانت خائفة أن حتى ذلك كان في أغلبه تفكيراً بالتمني. لم يكن هناك قمر.

الذي لا يُصدَّق هو أنها شعَرت بالنعاس. ربما النوم كان سلاحها الطبيعي هي أيضاً. وهل هناك شيء آخر لتفعله؟ كان الكلب لا يزال في الخارج (هذا ما تظنّه على الأقل؛ فالظلمة أصبحت قوية كفاية لتجعل من الصعب معرفة إن كان ذلك الشكل حقيقياً أم مجرد ظل). تحتاج البطارية إلى راحة. ثم يمكنها المحاولة مرة أخرى. لذا لماذا لا تنام؟

الطرد على صندوق بريده. ذلك الطرد من ج. ك. ويتني.

استوت جالساً قليلاً، وعبوسٌ مُحتارٌ يقطّب حاجبيها. أدارت رأسها، لكن الزاوية الأمامية للمنزل تحجب رؤيتها لصندوق البريد من هنا. لكنها رأت الطرد، الناتئ من الجهة الأمامية للصندوق. لماذا تفكّر في هذا؟ هل لهذا أي أهمية؟

كانت لا تزال تحمل الحاوية البلاستيكية التي تحتوي على الزيتون وشرحات الخيار، كلها ملفوفة بشكل أنيق في غلاف طعام. لكن بدلاً من أن تأكل أي شيء آخر، أغلقت الحاوية البلاستيكية بالغطاء البلاستيكي الأبيض بعناية وأعادتها إلى صندوق غداء تاد. لم تدع نفسها تفكِّر كثيراً لسبب اهتمامها الشديد بالطعام. استرخت على المقعد ووجدت الرافعة التي تجعل الظهر يميل إلى الخلف. كانت تنوي التفكير بالطرد الناتئ من صندوق البريد - يوجد شيء هناك، كانت متأكدة من ذلك تقريباً - لكن سرعان ما انزلَق ذهنها إلى فكرة أخرى، إلى فكرة طُبعَت بألوان الواقع الساطعة بينما بدأت تكبو.

لقد ذهب آل كامبر لزيارة أنسباء لهم يعيشون في بلدة ما تبعُد مسافة ساعتين أو ربما ثلاث ساعات في السيارة. كينيبَنك، ربما. أو هوليس. أو أوغستا. كان لقاءً عائلياً.

رأى ذهنها الذي بدأ يحلم تجمّعاً من خمسين شخصاً أو أكثر على مَرجة خضراء تشبه إعلانات التلفزيون من حيث الحجم والجمال. وكانت هناك مأدبة شواء فوق حفرة مصنوعة من حجارة والنيران تتلألأ منها. وإلى طاولة طويلة عليها غطاء جميل ذو مربعات يجلس خمسون شخصاً على الأقل، يمرِّرون أطباق أكواز ذرة وأطباق حبوب مخبوزة في البيت - بازلاء، فاصوليا مخبوزة، فاصوليا حمراء. وكانت هناك أطباق نقانق مشوية (أصدرت معدة دونا صوت كركرة منخفض من هذا المنظر). كان كل هذا تحت إشراف عجوز جميلة ذات شعر أبيض نقي ملفوف على شكل كعكة. غارقةً بالكامل في كبسولة حلمها الآن، رأت دونا من دون أن تتفاجأ أبداً أن تلك المرأة هي أمها.

كان آل كامبر هناك، لكنهم لم يكونوا آل كامبر حقاً. فقد بدا

جو كامبر مثل ڤيك في مئزر عمل نظيف، وكانت السيدة كامبر ترتدي فستان دونا الحريري الأخضر المتموِّج. وبدا إبنهما مثلما سيبدو تاد عندما يصبح في الصف المدرسي الخامس...

"ماما؟".

اضطربت الصورة، وبدأت تتقطَّع. حاوَلت التمسّك بها لأنها كانت مسالمة وجميلة: مثال نموذجي للحياة العائلية التي لم تحظَ بها أبداً، النوع الذي لن تحصل عليه أبداً مع ڤيك بوجود الإبن الوحيد اللذين خططا له وحياتهما المبرمَجة بدقة. بحزن صاعد فجأة، تساءلت لماذا لم تفكِّر أبداً بأشياء في ذلك الضوء من قبل.

"ماما؟".

اضطربت الصورة مرة أخرى وبدأت تُظلم. ذلك الصوت من الخارج، يثقب الصورة بطريقة مماثلة لإبرة تثقب قشرة بيضة. لا يهمّ. كان آل كامبر في لقاء لمّ شمل عائلتهم وسيعودون لاحقاً، حوالي العاشرة، سعداء ومُتخمين باللحوم المشوية. كل شيء سيكون على ما يرام. جو كامبر ذاك الذي له وجه ڤيك سيهتم بكل شيء. كل شيء سيكون على ما يرام مرة أخرى. كانت هناك بعض الأشياء غير المسموحة في الحياة أبداً. سوف –

"ماما!".

استفاقت من كَبوَتها، واستوت على مقعدها، متفاجئةً من إيجاد نفسها خلف مِقوَد البينتو وليس على السرير في المنزل... لكن لثانيةٍ فقط. فقد كانت الصورة السريالية الجميلة للأنسباء المتحلّقين حول طاولة النزهة قد بدأت تتلاشى من قبل، وبعد خمس عشرة دقيقة لن تتذكَّر حتى أنها حلَمت.

"ما... ماذا؟".

فجأة، وبشكل مروع، بدأ الهاتف داخل منزل آل كامبر يرنّ. نهض الكلب إلى قدميه، وكان عبارة عن ظلال متحرّكة وضَّحت نفسها تدريجياً إلى شكله الكبير والأخرق.

"ماما، أحتاج إلى دخول الحمّام".

بدأ كوجو يزأر من صوت الهاتف. لم يكن ينبح؛ بل كان *يزأر*. هجم على المنزل فجأة، وارتطم بالباب الخلفي بقوة كافية لكي يهزّه في إطاره.

لا. فكّرت باشمئزاز. *آه لا، توقف، رجاءً، توقف*.

"ماما، أحتاج إلى –"

راح الكلب يزمجر ويعضّ خشب الباب. كان يمكنها سماع أصوات التشظّي المقزِّزة الصادرة عن أسنانه.

"– أن أبوِّل".

رنَّ الهاتف ست مرات. ثماني مرات. عشر مرات. ثم توقَف.

أدرَكت أنها كانت تحبس أنفاسها. فأخرجتها من بين أسنانها في تنهيدة ساخنة منخفضة.

وَقَف كوجو عند الباب، واضعاً كفّيه الخلفيين على الأرض، وكفّيه الأماميين على الدرجة العليا. تابَع يزمجر بصوتٍ منخفضٍ في صدره – صوتٍ كابوسيٍ حقودٍ. استدار أخيراً ونظَرَ إلى البينتو لبعض الوقت – كانت دونا قادرة على رؤية الرغوة الجافة على خطمه وصدره – ثم مشى عائداً إلى الظلال واختفى من جديد. كان من المستحيل تحديد إلى أين ذهَب بالضبط. في المرأب، ربما. أو ربما عند جدار الحظيرة.

كان تاد يشدّ لها كُمّ قميصها بيأس.

"ماما، أحتاج إلى أن أبوّل *بشدّة!*".

نظَرت إليه بعجز.

أغلق بْرَتّ كامبر سمّاعة الهاتف ببطء. "لم يُجب أحدٌ. أظن أنه ليس في المنزل".

أومأت تشاريتي برأسها، ولم تكن متفاجئة جداً. سَرَّها أن جيم اقترَح عليهما إجراء الاتصال من مكتبه، الموجود في الطابق السفلي وبجانب "غرفة العائلة". كانت غرفة العائلة عازلة للصوت. وكانت هناك رفوف ألعاب ألواح، وتلفزيون باناسونيك ذو شاشة كبيرة مع مسجّل فيديو وجهاز أتاري لألعاب الفيديو موصول به. وتقف في إحدى الزوايا علبة موسيقى قديمة وجميلة ماركة وورليتزر تعمل حقاً.

"أظن أنه يزور غاري"، أضاف بْرَتّ بخاطر منكسر.

"نعم، أتخيَّل أنه مع غاري"، وافَقت، والذي لم يكن مماثلاً تماماً لقولها إنهما معاً في منزل غاري. فقد رأت النظرة الشاردة التي ظهرت في عينَي جو عندما عقدت معه الاتفاق أخيراً، الاتفاق الذي أتاح لها أن تأتي إلى هنا مع إبنها. كانت تأمل ألا يفكّر بْرَتّ بالاتصال بقسم مساعدة دليل الهاتف ليطلب رقم غاري بيرفيير، لأنها تشكّ أن يردّ عليه أحدٌ هناك أيضاً. بل تظن أن هناك كلبين عجوزين في مكان ما يعويان على القمر هذه الليلة.

"هل تعتقدين أن كوجو بخير يا ماما؟".

"لا أعتقد أن أباك سيخرج ويتركه لوحده لو لم يكن بخير"، قالت،

وهذا كان حقيقياً – فهي لا تصدِّق أنه سيفعل ذلك. "لماذا لا نترك الأمور على حالها هذه الليلة وتتصل به صباحاً؟ يجب أن تذهب إلى النوم على أي حال. لقد تجاوزت العاشرة مساءً. وكان يومك مُتعباً".

"لستُ مُتعَباً".

"حسناً، ليس جيداً أن تبقى مستيقظاً لفترة طويلة بسبب بعض الإثارة العصبية. لقد أخرجتُ لك فرشاة أسنانك من الحقيبة، ووضعت لك الخالة هولي منشفةً. هل تتذكَّر أي غرفة نوم –؟"

"نعم، بالتأكيد. هل ستنامين يا ماما؟".

"قريباً. سأجلس قليلاً مع هولي. لدينا أمور كثيرة لنُخبرها لبعضنا".

قال بْرَتّ بخجل، "إنها تشبهك. هل تعرفين هذا؟".

نظَرَت إليه تشاريتي متفاجئةً. "حقاً؟ نعم، أفترض أنها تشبهني. قليلاً".

"وذلك الولد الصغير، جيمي. لديه لكمة قوية حقاً!"، وانفجر بْرَتّ ضحكاً.

"هل أوجعك؟".

"لاااا". كان بْرَتّ يتفحَّص مكتب جيم بعناية، ملاحظاً الآلة الكاتبة على المكتب، وفهرس البطاقات، ومجلدات الملفات الأنيقة المكتوبة الأسماء على علامات تبويبها في ترتيب أبجدي. كانت هناك نظرة فاحصة دقيقة في عينيه لا يمكنها فهمها أو تقييمها. بدا أنه عاد من مكان بعيد. "لا، لم يوجعني. إنه مجرد ولد". وأمال رأسه لها. "إنه نسيبي، صح؟".

"صح".

"صلة دم". بدا أنه يتأمل في هذه الجملة.

"بْرَتّ، هل تحبّ العمّ جيم والخالة هولي؟".

"أحبّها. ولا يمكنني أن أقرِّر بشأنه بعد. علبة الموسيقى تلك. إنها رائعة حقاً. لكن...". هزَّ رأسه ببعض نفاد الصبر.

"ماذا بشأنها يا بْرَتّ؟".

"يفتخر بها كثيراً!"، قال بْرَتّ. "كان أول شيء أراني إياه، مثل ولد معه لعبة، أليس هذا رائعاً، أتعلمين –"

"حسناً، لم يحصل عليها سوى منذ بعض الوقت"، قالت تشاريتي وقد بدأ رعبٌ مُبهمٌ يتشكَّل داخلها، مرتبطٌ بجو بطريقة أو بأخرى – ماذا قال لبْرَتّ عندما أخذه جانباً على الرصيف؟ "كل شخص يكون مولعاً بالشيء الجديد. لقد راسلتني هولي عندما اشترياها أخيراً، وقالت إن جيم أراد واحدةً منذ أن كان شاباً. الناس... يا عزيزي، الناس المختلفون يشترون أشياء مختلفة لـ... ليُظهروا لأنفسهم أنهم ناجحون، أفترض. لا عيب في ذلك. لكنه يكون عادة شيء لم يكونوا قادرين على الحصول عليه عندما كانوا فقراء".

"هل كان العمّ جيم فقيراً؟".

"لا أعرف حقاً"، قالت. "لكنهم ليسوا فقراء الآن".

"كل ما قصدتُه أنه لم تكن لديه أي *علاقة* بذلك. هل فهمتِ قصدي؟". نظَرَ إليها عن كثب. "لقد اشتراها بمال ووظَّف بعض الأشخاص لإصلاحها ووظَّف بعض الأشخاص *الآخرين* لإحضارها إلى هنا، ويقول إنها له لكنه لم يفعل ذلك... أتعلمين، لم يفعل ذلك... آه، لا أعرف".

"لم يصنعها بيديه؟". رغم أن خوفها كان قد أصبح أكبر الآن، متكتلاً أكثر، إلا أن صوتها كان لطيفاً.

"نعم! هذا صحيح! لقد اشتراها بالمال، لكن لم تكن لديه حقاً لا علاقة بذلك.

"نقول *أي علاقة* –"

"نعم، نعم، *أي علاقة* بذلك، لكنه الآن كما لو أنه ينسب الفضل لنفسه –"

"قال إن علبة الموسيقى آلة مُرهَفة ومعقَّدة".

"كان بإمكان بابا أن يجعلها تعمل"، قال بْرَتّ بشكل قاطع، وشعرت تشاريتي أنها سِمعت باباً يُوصَد فجأة، يُغلَق بضربة صاخبة، جافة، مخيفة. لم تكن في المنزل. كانت في قلبها. "كان بابا ليعبث بها ويُصلحها وكانت ستصبح *له*".

"بْرَتّ"، قالت (وبدا صوتها ضعيفاً وتبريرياً لأذنيها)، "ليس كل شخص بارع في العبث وإصلاح الأشياء مثل أبيك".

"أعرف هذا"، قال وهو لا يزال يجول بنظره في المكتب. "نعم. لكن لا يجبُ أن ينسب العمّ جيم الفضل لنفسه لمجرد أن لديه المال. أترين؟ نسب الفضل لنفسه هو الشيء الذي لا – هذا يزعجني".

أصبحت غاضبة منه فجأة. أرادت أن تُمسكه بكتفيه وتهزّه ذهاباً وإياباً؛ أن ترفع صوتها إلى أن يصبح صاخباً كفاية ليصرخ الحقيقة في دماغه. أن المال لا يأتي بالصدفة؛ أنه ينتج تقريباً دائماً عن فعل إرادة متواصلة، وتلك الإرادة هي في جوهر الشخصية. ستقول له إنه بينما كان أبوه يحسِّن مهاراته في إصلاح الأشياء وفي الإسراف في تناول

الشراب مع بقية الشباب في شركة إمرسون، حيث يجلسون على كومات من العجلات البالية يتبادلون نكاتاً عن الفرنسيين، كان جيم بروكس يُرهق نفسه في كلية الحقوق لينال علامات عالية، لأنك عندما تنال علامات عالية تنال الشهادة الدراسية، والشهادة الدراسية هي تذكرتك لتركب دوّامة الخيل. الحصول عليها لا يعني أنها ستحقّق ثروة، لا، لكنها ستكفَل لك *فرصةً* لتحقيق ذلك على الأقل.

"اذهب الآن واستعد للنوم"، قالت بهدوء. "رأيك بالعمّ جيم هو شأنك الخاص. لكن... اعطه فرصة يا بْرَتّ. لا تحكم عليه بناءً على هذه". كانا قد دخلا غرفة العائلة عندها، ومدَّت إبهاماً مرتعشاً نحو علبة الموسيقى.

"لا، لن أفعل"، قال.

تبَعته إلى المطبخ، حيث كانت هولي تُعدّ الكاكاو لأربعتهم. كان جيم جونيور وغريتشن قد خلدا إلى النوم قبل وقت طويل.

"تكلّمت مع زوجك؟"، سألت هولي.

"لا، الأرجح أنه يدردش مع صديقه"، قالت تشاريتي. "سنحاول غداً".

"هل تريد بعض الكاكاو يا بْرَتّ؟"، سألت هولي.

"نعم، رجاءً".

راقبته تشاريتي يجلس إلى الطاولة. رأته يضع مِرفقه عليها ثم يرفعه عنها بسرعة، متذكِّراً أن هذا ينمّ عن قلة تهذيب. امتلأ قلبها بحب كبير وبأمل وخوف لدرجة أنه بدا كما لو أنه يترنّح في صدرها.

الوقت، فكّرت في سرّها. *الوقت والمنظور. يجب أن أعطه هذا.*

فإذا ضغطتُ عليه، سأخسره بالتأكيد.

لكن كم كان لديها من وقت؟ أسبوع فقط، ثم سيعود ليصبح تحت تأثير جو. وحتى عندما جلَست بجانب إبنها وشَكَرت هولي على كوب الكاكاو الساخن، عادت أفكارها إلى فكرة الطلاق مرة أخرى.

في حلمها، جاء ڤيك.

مشى ببساطة في الممر الخاص إلى البينتو وفتح لها بابها. كان يرتدي أفضل بذلة لديه، الرمادية الثلاثية القِطع (تمازحه دائماً عندما يرتديها أنه يشبه جيري فورد مع شعر). *هيا، أنتما الاثنان*، قال وتلك الابتسامة الصغيرة المراوغة على وجهه. *حان الوقت للعودة إلى المنزل قبل ظهور مصّاصي الدماء.*

حاوَلت أن تحذِّره، أن تُخبره أن الكلب مسعور، لكن لم تخرج منها أي كلمة. وفجأة بدأ كوجو يتقدَّم من الظلمة، مُخفضاً رأسه، وزمجرةٌ منخفضةٌ هادئةٌ تلعلع في صدره. *احذر!* حاوَلت أن تصرخ. *عضّته مميتة*، لكن لم يخرج منها أي صوت.

لكن قبل أن ينقضّ كوجو على ڤيك، استدار ووجَّه إصبعه نحو الكلب. ابيضَّ فرو كوجو فوراً. وتراجعت عيناه الحمراوان الدامعتان إلى داخل رأسه مثل بِليتين في كوب. وسقط خطمه وتحطَّم على الحصى المسحوقة للممر الخاص مثل زجاج أسود. وكل ما بقي منه بعد لحظة أمام المرأب كان فرواً يتطاير في الهواء.

لا تقلقي، قال ڤيك في الحلم. *لا تقلقي بشأن ذلك الكلب العجوز، إنه مجرد فرو معطف. هل استلمتِ البريد اليوم؟ لا تهتمي بالكلب، البريد قادم. البريد هو الشيء المهم. صح؟ البريد –*

كان صوته يختفي في نفق طويل، فيتزايد صداه ويتلاشى. وفجأة لم يكن حلماً لصوت ڤيك بل ذكرى حلم - لقد استيقظت ووجدت خدّيها رطبين بالدموع. لقد بكت في نومها. نظَرَت إلى ساعتها وبالكاد استطاعت رؤية الوقت: الواحدة والربع. نظرت نحو تاد ورأته نائماً عميقاً، وإبهامه عالقاً في فمه.

لا تهتمي بالكلب، البريد قادم. البريد هو الشيء المهم.

وفجأة لمعت في ذهنها أهمية الطرد الناتئ من باب صندوق البريد، وأصابتها مثل وميض برق انطلق من لا وعيها، وهي فكرة لم تكن قادرة على استيعابها من قبل. ربما لأنها كانت كبيرة جداً، بسيطة جداً، ابتدائيةً جداً يا عزيزي واطسون. البارحة كان الاثنين وقد وصل البريد. وطرد ج. ك. ويتني إلى جو كامبر هو أكبر دليل على ذلك.

واليوم الثلثاء وسيأتي البريد مرة أخرى.

بدأت دموع الارتياح تتدحرج على خدّيها اللذين لم يجفّا بعد. واضطرت في الواقع إلى كبح نفسها من إيقاظ تاد وإبلاغه أن الأمور ستكون على ما يرام، أنه بحلول الساعة الثانية بعد ظهر اليوم كحد أقصى - والأرجح العاشرة أو الحادية عشرة صباحاً، إذا كان البريد هنا سريعاً مثل بقية الأماكن في البلدة - سينتهي هذا الكابوس.

سيأتي ساعي البريد حتى ولو لم يكن معه بريد لآل كامبر، هذا هو جمال المسألة. ستكون وظيفته رؤية إن كان العلم مرفوعاً، للدلالة على وجود بريد صادر. سيكون عليه القدوم إلى هنا، إلى محطته الأخيرة على طريق البلدة رقم 3، ليتحقّق من ذلك، واليوم ستستقبله امرأة نصف هستيرية من الارتياح.

نظرت إلى صندوق غداء تاد وفكّرت بالطعام الذي داخله. فكّرت بنفسها توفّر بعضه جانباً، في حال... حسناً، في حال. هذا لا يهمّ كثيراً الآن، رغم أن تاد سيكون جائعاً في الصباح على الأرجح. أكلت بقية شرحات الخيار. فتاد لم يعد يهتمّ بالخيار كثيراً على أي حال. سيكون فطوراً غريباً له، فكّرت في سرّها مبتسمةً. لفافات تين، زيتون، وقطعة نقانق مجفّفة أو قطعتين.

أثناء مضغها آخر شرحتَي أو ثلاث شرحات خيار، أدركت أن الصُدَف هي أكثر شيء يخيفها. سلسلة الصُدَف تلك، العشوائية تماماً لكنها تحاكي نوعاً من المصير العاطفي، هي التي بدت أنها قوَّت عزيمة الكلب كثيراً... لدرجة أنه بدا أنه يتقصّدها شخصياً. غياب ڤيك لعشرة أيام، هذه الصُدفة الأولى. اتصال ڤيك في توقيت مُبكر اليوم، هذه الصُدفة الثانية. لو لم يكلّمهما وقتها، لكان حاوَل لاحقاً، وبقي يحاول، وبدأ يتساءل عن مكان تواجدهما. حقيقة غياب كل آل كامبر الثلاثة، على الأقل لهذه الليلة، مثلما بدا الآن. هذه الصُدفة الثالثة. الأم والإبن والأب. غائبون كلهم. لكنهم ترَكوا الكلب. آه، نعم. تركوه.

خطرت فكرة رهيبة مفاجئة على بالها، جمَّدت فكّها على آخر قضمة من الخيار. حاوَلت دفعها جانباً. لكنها عادت. لن تزول لأن لها منطق مثل مزرابٍ منحوتٍ.

ماذا لو كانوا كلهم موتى في الحظيرة؟

ارتفعت الصورة خلف عينيها بلمحة. كان لها الإشراق غير الصحي لرؤى اليقظة التي تتراءى أحياناً في ساعات الصباح الأولى. ثلاث جثث مرمية مثل ألعاب سيئة على الأرض هناك، ونشارة الخشب

حولها ملطَّخة بالأحمر، وعيونها المليئة بالغبار تحدِّق في السواد حيث تهدل سنونو المخازن وترفرف، وثيابها ممزَّقة وممضوغة، وأجزاء منها –

آه هذا جنون، هذا –

ربما قضى على الفتى أولاً. وكان الوالدان في المطبخ، أو ربما في الطابق العلوي يتعانقان، وسمعا صراخاً. فأسرعا –

(توقفي، هلاّ توقفتي)

– في القدوم لكن الفتى ميت من قبل، فقد هشَّم له الكلب حنجرته، وبينما كانا لا يزالان مذهولين من وفاة إبنهما، انقضَّ عليهما الكلب من الظلال، محرّك الدمار القديم والفظيع، نعم، خرج الوحش من الظلال، مسعوراً ومزمجِراً. انقضّ على المرأة أولاً وحاول الرجل إنقاذها –

(لا، كان ليأخذ بندقيته أو يضربه على رأسه بمفتاح ربط أو شيء وأين السيارة؟ كانت هناك سيارة هنا قبل أن يغادروا كلهم في رحلة عائلية – هل تسمعني؟ رحلة عائلية – أخذوا السيارة وتركوا الشاحنة)

ثم لماذا لم يأتِ أحدٌ ليُطعم الكلب؟

هذا هو منطق المسألة، جزءٌ مما أخافها. لماذا لم يأت أحدٌ ليُطعم الكلب؟ لأنك إذا كنت ستغيب ليوم أو يومين، ستتفق مع أحدهم حول هذه المسألة. سيُطعم لك الكلب، ثم عندما يغيب ذلك الشخص، ستُطعم له قطته، أو أسماكه، أو ببغاءه، أو أي شيء. لذا أين –

والكلب بقي يعود إلى الحظيرة.

هل كان يأكل هناك؟

هذا هو الجواب، أخبرها ذهنها، مرتاحاً. *لم يكن هناك أحد*

ليطعم الكلب، لذا ملأ له طبق الطعام. وجبة طعام غاينز، أو شيء من هذا القبيل.

لكنها توقّفت ملياً عند النقطة نفسها التي توقّف عندها جو كامبر سابقاً في ذلك اليوم الطويل جداً. الكلب الضخم سيزدرد كل شيء دفعةً واحدةً ثم يجوع. بالتأكيد سيكون من الأفضل لك أن تتفق مع صديق لكي يُطعم لك الكلب إذا كنت ستغيب عن المنزل. من جهة أخرى، ربما أخّرهم شيء. ربما كان هناك لقاء لَمّ شمل العائلة حقاً، وقد ثمل كامبر كثيراً وفقد وعيه. ربما هذا، ربما ذاك، ربما أي شيء.

هل الكلب يأكل في الحظيرة؟

(ماذا يأكل هناك؟ وجبة طعام غاينز؟ أو أشخاصاً؟)

بصَقت آخر قطعة خيار في يدها الكُوبيّة الشكل وشَعَرت بانقباض في معدتها أراد أن يرسل صعوداً كل شيء أكلته من قبل. فعقدت العزم على إبقائه في الأسفل، ولأن عزيمتها يمكن أن تكون قوية جداً عندما تريد ذلك، تمكّنت من إبقائه في الأسفل. لقد تركوا بعض الطعام للكلب وغادروا في السيارة. لا داعي لأن تكون شيرلوك هولمز لكي تستنتج ذلك. وبقية القصة مجرد حالة سيئة من القشعريرة.

لكن صورة الموت تلك بقيت تحاول التسلّل إلى ذهنها. والصورة المسيطرة كانت نشارة الخشب الدموية، نشارة خشب أصبحت باللون الداكن للنقانق ذات الغلاف الطبيعي.

توقفي. فكّري بالبريد، إذا كان عليك التفكير بأي شيء. فكّري بالغد. فكّري بالأمان.

كان هناك صوت خَدش ناعم على جانب السيارة.

لم ترغب أن تنظر لكنها عجزت عن منع نفسها. بدأ رأسها يستدير كما لو أن يدين غير مرئيتين لكن قوتين تُجبرانه على فعل ذلك. كان يمكنها سماع الصرير المنخفض للأوتار في عنقها. كان كوجو هناك، ينظر إليها، ووجهه يبُعد أقل من خمسة عشر سنتيمتراً عن وجهها، ولا يفصل بينهما سوى زجاج الأمان لنافذة جهة السائق. راحت تلك العينان الحمراوان المُتعَبتان حتى الإجهاد تحدِّقان في عينيها. بدا خطم الكلب كما لو أنه طُلي بكمية كبيرة من كريما الحلاقة التي تُركت لتجفّ عليه.

كان كوجو يكشّر عليها.

شعَرت بصرخة تتراكم في صدرها، وتتصاعد في حنجرتها مثل حديد، لأنه يمكنها الشعور بالكلب يفكِّر فيها، يقول لها *سأقضي عليك يا عزيزتي. سأقضي عليك يا صغيرتي. فكِّري بساعي البريد قدر ما تشائين. سأقتله أيضاً إذا اضطررتُ، مثلما قَتلتُ آل كامبر الثلاثة، مثلما سأقتلك وإبنك. الأفضل لك أن تعتادي على الفكرة. الأفضل لك أن تعتادي على الفكرة. الأفضل لك –*

صعدت الصرخة في حنجرتها. كانت شيئاً حيّاً يكافِح للخروج، وكان كل شيء يأتي عليها دفعة واحدة: اضطرار تاد إلى أن يبوِّل، حيث فتحت له نافذته لعشرة سنتيمترات ورفعته عالياً لكي يتمكن من أن يبوِّل خارج النافذة، وبقيت تترقَّب الكلب طوال الوقت، وبقي غير قادر على التبويل لوقت طويل فبدأت يداها تؤلمانها؛ ثم الحلم، ثم صور الموت، والآن هذا –

كان الكلب يكشّر عليها؛ كان يكشِّر عليها؛ إسمه كوجو، وعضّته مميتة.

يجب أن تخرج الصرخة

(لكن تاد)

وإلا ستُصاب بالجنون.

(نائم)

أقفَلت فكّها في وجه الصرخة مثلما أقفَلت حنجرتها في وجه الرغبة بالتقيؤ منذ بضع لحظات. كافَحتها، حارَبتها. وفي الأخير بدأ قلبها يتباطأ وعرَفت أنها ابتلعتها.

ابتسمت للكلب ومدَّت له إصبعيها الوسطيين من قبضتين مُغلقتين. ألصقتهما بالزجاج، الذي أصبح ضبابياً قليلاً الآن من الخارج بسبب أنفاس كوجو. "تباً لك"، همَست.

بعد ما بدا لها دهراً من الزمن، أنزَل الكلب كفّيه الأماميين وعاد إلى الحظيرة. عاد ذهنها إلى نفس المسار المظلم مرة أخرى

(ماذا يأكل هناك؟)

ثم خبَطت باباً في مكان ما في ذهنها.

لكن النوم غادرها، ليس لوقت طويل، وكان الفجر لا يزال بعيداً. جلَست مستقيمة خلف المِقوَد وهي ترتعش، وأخبرت نفسها مراراً وتكراراً أنه من المضحك، من المضحك حقاً، أن تشعر أن الكلب وحشٌ بشعٌ هرب من خزانة تاد، أو أنه يعرف أكثر منها عن الحالة.

استيقظ ڤيك مرتعشاً في ظلمة تامة، وأنفاسه السريعة جافة كالملح في حنجرته، وقلبه يطرق بقوة في صدره، وشعَر أنه مشوَّش كلياً – مشوَّش لدرجة أنه اعتقَد للحظة أنه يسقط، ومدَّ يده ليُمسك بالسرير.

أغمضَ عينيه للحظة، مُجبراً ذهنه على أن يتماسك، على أن يتمالك نفسه.

(أنت في)

فتَح عينيه ورأى نافذةً ومنضدة سرير ومصباحاً.

(فندق الريتز كارلتون في ماساتشوستس بوسطن)

فاسترخى. بعد ترسيخ النقطة المرجعية تلك، انسجم كل شيء مع بعضه *بشكل مطمئن*، مما جعله يتساءل كيف أمكنه أن يتوه كلياً، ولو للحظة. فقد افترَض أنه في مكان غريب. ذلك الأمر، والكابوس.

الكابوس! يا إلهي، كان جميلاً. لا يمكنه أن يتذكَّر رؤية هكذا كابوس مزعج منذ الأحلام الخائبة التي ابتُليَ بها خلال أوائل مرحلة بلوغه. مدَّ يده إلى الساعة على منضدة السرير، وأمسَكها بكلتَي يديه، وقرّبها من وجهه. كانت الثانية وعشرون دقيقة، وكان روجر يشخر قليلاً على السرير الآخر. الآن وقد اعتادت عيناه على الظلمة أصبح قادراً على رؤيته مسطَّحاً على ظهره، وقد ركل الملاءة فوق طرف السرير. كان يرتدي بيجاما مضحكة عليها رايات مثلثة الشكل صفراء صغيرة.

نهض ڤيك عن السرير، ودخل الحمّام بهدوء، وأغلق الباب وراءه. كانت علبة سجائر روجر على المغسلة وأخذ واحدة منها. كان يحتاج إليها. جلَس على المرحاض يدخّنها، ويرمي الرماد في المغسلة.

حلم قلق، كانت دونا لتقول، والله يعلم كم كانت لديه من هموم ليقلق بشأنها. ومع ذلك فقد أوى إلى السرير حوالي العاشرة والنصف أكثر تفاؤلاً مما كان عليه طوال الأسبوع الفائت. فبعد العودة إلى فندق الريتز كارلتون، أمضى وروجر نصف ساعة في مقصف الفندق يتباحثان

في فكرة الاعتذار، ثم من أحشاء المحفظة القديمة الضخمة التي يجرّها معه، أخرَج روجر رقم هاتف منزل يانسي هارينغتون. كان هارينغتون الممثل الذي يلعب دور أستاذ حبوب شارپ.

"من الأفضل رؤية إن كان يقبل تصوير الإعلان قبل أن نذهب بعيداً في الفكرة"، قال روجر. رفَع سمّاعة الهاتف وطلب هارينغتون، الذي يعيش في وستبورت، كونّكتيكت. لم يكن ڤيك يعرف ماذا يتوقّع. وإذا حُشر ليعطي أفضل تكهّن لديه، لقال إن هارينغتون سيرفض على الأرجح - فقد كان بائساً من مسألة الحلوى ويعتبر أنها شوّهت له سُمعته.

لكن مفاجأة سارة كانت بانتظارهما. فقد وافَق هارينغتون فوراً، لأنه يُدرك وقائع الحالة ويعرف أنه قُضي على صورة الأستاذ بالكامل ("المسكين أشبه بدجاجة محشوة"، قال هارينغتون بتجهّم). لكنه اعتبرَ أن إعلاناً أخيراً قد يكون أفضل فرصة لإنقاء الشركة من هذه الورطة. إعادتها إلى السكة الصحيحة، إذا جاز التعبير.

"كلام فارغ"، قال روجر مبتسماً، بعد إغلاقه السمّاعة. "إنه يحبّ فقط فكرة إسدال الستارة للمرة الأخيرة. الكثير من الممثلين في عالم الإعلانات لا ينالون هكذا فرصة. سيدفع ثمن تذكرة الطائرة إلى بوسطن إذا طلبنا منه ذلك".

لذا أوى ڤيك إلى السرير سعيداً ونام بشكل فوري تقريباً. ثم جاءه الحلم. كان يقف في الحلم أمام باب خزانة تاد ويُخبره أنه لا يوجد شيء داخلها، لا شيء على الإطلاق، *وسأبيّن لك لمرة واحدة وإلى الأبد*، قال لتاد. فتَح باب الخزانة ورأى أن ملابس تاد وألعابه اختفت. كانت هناك غابة تنمو في خزانة تاد - أشجار صنوبر قديمة، وغيرها

من ذوات الخشب الصلب. وأرضية الخزانة مليئة بالإبر العطِرة والمهاد المورِق. فراح يكشطها ليرى إن كانت الأرضية الخشبية تحتها. لم تكن؛ بل كشطت قدمه تربة غابة سوداء غنية بدلاً من ذلك.

دخل الخزانة وأغلق الباب خلفه. كان كل شيء على ما يرام. وهناك ضوء كافٍ ليتمكن من الرؤية. عثر على آثار طريق وبدأ يسير عليه. أدرَك فجأة أن هناك حقيبة على ظهره وقِربة معلَّقة فوق كتفه. وكان بإمكانه سماع الصوت الغامض للرياح، وأنينها عبر أشجار الشوح، وأصوات الطيور الخافتة. منذ سبع سنوات، قبل فترة طويلة من تأسيس آد ووركس، ذهبوا جميعاً للتنزّه على جزء من درب الأبالاش خلال إحدى عطلاتهم، وبدت تلك البقعة من الأرض مثل قطعة من أحلامه. فعلوا ذلك مرة واحدة فقط، وقد التزموا بالساحل بعد ذلك. أمضى ڤيك ودونا وروجر وقتاً رائعاً، لكن ألثيا برايكستون تبغض التنزّه، وفوق ذلك، نزلت من تلك النزهة مصابة بحكاك كبير بسبب لمسها شجرة بلّوط سام.

كان الجزء الأول من الحلم لطيفاً. ففكرة أن كل ذلك جرى داخل خزانة تاد كانت مدهشةً، ولو غريبةً قليلاً. ثم وصل إلى مساحة مكشوفة ورأى... لكن الأمور كانت قد بدأت تتهدَّم، مثلما يجري للأحلام عادة عندما تصيبها فكرة الاستيقاظ.

كانت الجهة الأخرى للمساحة المكشوفة جداراً رمادياً بَحتاً يرتفع حوالي ثلاثمئة متر في السماء. وكان هناك كهف عند ارتفاع حوالي ستة أمتار – لا، لم يكن عميقاً كفاية حقاً ليكون كهفاً. كان أشبه بمِشكاة، بمجرد تجويف في الصخرة صدفَ أن أرضيته مسطَّحة. كان دونا وتاد يرتعدان خوفاً داخله من وحشٍ ما يحاول الصعود إليهما،

يحاول الصعود ثم الانقضاض عليهما. أكلهما.

كان الأمر يشبه ذلك المشهد في فيلم كينغ كونغ الأصلي بعد أن أسقَط القرد الضخم منقذِي فاي راي عن جذع الشجرة وكان يحاول القبض على الناجي الوحيد. لكن الشاب دخل حفرة، ولم يكن كونغ قادراً على الوصول إليه.

لكن الوحش في حلمه لم يكن قرداً عملاقاً. بل كان... ماذا؟ تنيناً؟ لا، لا شيء من هذا القبيل. ليس تنيناً، ولا دينوصوراً، ولا عفريتاً. لا يمكنه الدخول. مهما كان، لا يمكنه الدخول وإمساك دونا وتاد، لذا كان ينتظر خارج حُجَيرتهما ببساطة، مثل قطة تنتظر فأرة بصبر مُرعِب.

بدأ يركض، لكن مهما بلغت سرعته، لم يقترب أبداً من الجهة الأخرى للمساحة المكشوفة. كان يمكنه سماع دونا تصرخ طلباً للمساعدة، لكن بدا له أن كلماته لها تخبو على بُعد نصف متر من فمه. كان تاد مَن رآه أخيراً.

"*إنها لا تنفع!*"، صرَخ تاد بصوت يائس جوَّف أحشاء ڤيك من الخوف. "*بابا، كلمات الوحش لا تنفع! آه يا بابا، إنها لا تنفع، لم تنفع أبداً! لقد كذَبت عليَّ يا بابا! كذَبت عليَّ!*".

تابع الركض، لكن شعَر كما لو أنه على جهاز للمشي. وقد نظَرَ إلى قاعدة ذلك الجدار الرمادي المرتفع ورأى كومة كبيرة من العظام القديمة والجماجم المكشِّرة، بعضها مغطى بطحالب خضراء.

عندها استيقَظ.

ما كان ذلك الوحش، على أي حال؟

لم يكن يستطيع أن يتذكّر. وقد بدا الحلم من قبل مثل مشهد راقَبه من خلال الطرف الخطأ لتلسكوبٍ. رمى السيجارة في المرحاض، وشطفها، وفتح حنفية المغسلة أيضاً ليزيل الرماد في البالوعة.

ثم بوّل، وأطفأ النور، وعاد إلى السرير. ألقى نظرة سريعة على الهاتف بينما كان يستلقي على السرير وشَعَر برغبة مفاجئة غير منطقية بالاتصال بالمنزل. غير منطقية؟ هذا تبسيط للوصف. فقد كانت الثانية وعشر دقائق بعد منتصف الليل. ولن يوقظها فحسب، بل وقد يخيفها بالكامل أيضاً. الأحلام لا تُفسَّر حرفياً؛ الجميع يعرف ذلك. وعندما يبدو زواجك وعملك في خطر الانهيار في الوقت نفسه، لن يكون مستغرَباً حقاً أن تخطر على بالك بعض الأفكار المجنونة، أليس كذلك؟

ومع ذلك، أراد فقط أن يسمع صوتها ويعرف أنها بخير –

أدار وجهه عن الهاتف، وعدَّل وسادته، وأغمض عينيه بحزم.

اتصل بها في الصباح، إذا كان ذلك سيريحك. اتصل بها بعد الفطور مباشرة.

هذا أراح له باله، وسرعان ما انجرَف إلى النوم مرة أخرى. لم يحلم هذه المرة – أو إذا حلَمَ، فإن تلك الأحلام لم تسجِّل نفسها أبداً في وعيه. وعندما جاءت مكالمة الإيقاظ يوم الثلثاء، نسي أمر الحلم والوحش في المساحة المكشوفة. ولم يتذكَّر سوى قليلاً مسألة النهوض في الليل. لم يتصل ڤيك بالمنزل ذلك اليوم أبداً.

استيقظت تشاريتي كامبر صباح ذلك الثلثاء عند الخامسة ومرَّت بفترة تشوّشها الوجيز – ورق جدران أصفر بدلاً من جدران خشبية، ستائر خضراء غنية بالألوان بدلاً من قماش قطني أبيض، سرير مفرد

ضيق بدلاً من السرير المزدوج الذي بدأ يرتخي في وسطه.

ثم رأت أين هي - ستراتفورد، كونّكتيكت - وشَعَرت ببعض التوقّع السار. سيكون لديها اليوم بأكمله لتتكلم مع أختها عن الأيام الخوالي، لتعرف ما الذي كانت تفعله في السنوات القليلة الماضية. وقد تكلمت هولي عن الذهاب إلى بريدجبورت للقيام ببعض التسوّق.

استيقظت قبل ساعة ونصف من موعدها الاعتيادي، وعلى الأرجح قبل ساعتين أو أكثر من بدء النشاط لدى أفراد هذه الأسرة. لكن الشخص لا ينام بشكل جيد أبداً في سرير غريب قبل الليلة الثالثة - كان هذا أحد أقوال أمها، وكان حقيقياً.

بدأ الصمت يتخلّى عن أصواته الصغيرة بينما بقيت مستيقظة على السرير تُنصت السمع، وتنظر إلى ضوء الساعة الخامسة الرفيع الذي يدخل بين الستائر نصف المفتوحة... ضوء الفجر المُبكر، الذي يكون كثير البياض والصفاء دائماً. سِمعت صرير لوح خشبي واحد. قِيقٌ أزرق يفجِّر نوبة غضبه الصباحية. أول قطار ركاب لذلك اليوم، المتوجّه إلى وستبورت وغرينتش ونيويورك.

أصدر اللوح الخشبي صريراً آخر.

وآخر.

لم يكن ناتجاً عن استرخاء المنزل، بل عن خُطى.

استوَت تشاريتي على السرير، وتجمَّعت البطانية والملاءة حول خصر قميص نومها الزهري الحسّاس. كانت الخطوات الآن تذهب إلى الطابق السفلي ببطء. كانت خطوات خفيفة: أقدام عارية أو ترتدي جوارب. كان بْرَتّ. بعدما تعيش مع الأشخاص، تصبح قادراً على

التعرّف على صوت مشيتهم. كان أحد تلك الأشياء الغامضة التي تحصل ببساطة مع مرور السنوات، مثل شكل ورقة تغرق في صخرة.

رفعت الغطاء عنها، ونهضت، وذهَبت إلى الباب. كانت غرفتها تطلّ على قاعة الطابق العلوي، ولم تر سوى أعلى رأس بْرَتّ يختفي، لمَحت خصلة شعره المرفوعة فوق جبينه للحظة ثم اختفت عن الأنظار.

لحَقت به.

عندما وصلت تشاريتي إلى أعلى السلالم، كان بْرَتّ يختفي في الرواق الذي يمتد على عرض المنزل، من الباب الأمامي إلى المطبخ. فتَحت فمها لتناديه... ثم أغلقته مرة أخرى. لقد أرهبها المنزل النائم الذي لم يكن منزلها.

كان هناك شيء غريب في مشيته... في وقفة جسمه... لكن كانت قد مرّت سنوات منذ –

نزلت الدرجات بسرعة وهدوء بقدميها العاريتين. وتبَعت بْرَتّ إلى المطبخ. كان يرتدي سروال بيجامته الزرقاء الفاتحة فقط، ورباطها القطني الأبيض يتدلّى تحت منفرج ساقيه. رغم أنه بالكاد كان منتصف الصيف إلا أن اسمراره كان قوياً من قبل – كانت طبيعة بشرته داكنة، مثل أبيه، ويسمَرّ بسهولة.

رأته واقفاً عند الباب، ونفس ضوء الصباح الصافي يغمر جسمه بينما راح يستعرض الخزائن فوق الموقد والمنضدة والمغسلة. امتلأ قلبها بالتعجّب والخوف. *إنه وسيم*، فكّرت في سرّها. *كل شيء جميل، أو كان جميلاً، فينا نحن الاثنين، موجود فيه*. كانت لحظة لم تنسها أبداً – رأت والد إبنها في سروال بيجامته فقط وفهمت للحظة عابرة بعض

سر صِباه، الذي سرعان ما سيزول عنه. لقد أحبَّت عينا أمها المنحنيات النحيلة لعضلاته، خط أردافه، أخمص قدميه النظيفين. بدا... مدهشاً تماماً.

رأت ذلك بوضوح لأن بْرَتّ لم يكن مستيقظاً. فقد حصلت حالات سير أثناء النوم في طفولته؛ حوالي عشرين مرة بالإجمال، بين سنَّي الرابعة والثامنة. ثم أصبحت أخيراً قلقة بما يكفي - خائفة بما يكفي - لتستشير الدكتور غريشام (من دون معرفة جو). لم تكن خائفة من أن بْرَتّ يفقد عقله - فجميع الذين حوله يمكنهم رؤية أنه ذكي وطبيعي - لكنها كانت خائفة من أن يؤذي نفسه بينما يكون في تلك الحالة الغريبة. وقد أخبرها الدكتور غريشام أن ذلك غير محتمل أبداً، وأن معظم الأفكار المضحكة التي تراود الناس عن مسألة السير أثناء النوم تأتي من الأفلام الرخيصة المدروسة بشكل سيئ.

"لا نعرف سوى القليل عن السير أثناء النوم"، أخبرها، "لكننا نعرف أنها حالة شائعة أكثر لدى الأولاد مما هي لدى الراشدين. هناك تفاعل متزايد باستمرار وناضج باستمرار بين الذهن والجسم، سيدة كامبر، ويعتقد الكثير من الأشخاص الذين أجروا أبحاثاً في هذا الحقل أن السير أثناء النوم قد يكون دلالة على وجود عدم توازن مؤقت وليس هاماً جداً بين الاثنين".

"مثل الآلام المتزايدة؟"، سألت بارتياب.

"إلى حد بعيد"، قال غريشام مع ابتسامة. ثم رسَم منحنىً جَرَسياً على لوح مكتبه، مقترحاً أن سير بْرَتّ أثناء نومه سيصل إلى ذروةٍ، ويستقر لبعض الوقت، ثم يبدأ بالاضمحلال. وسيختفي في نهاية المطاف.

وقد غادرت العيادة مطمئنة قليلاً من اقتناع الطبيب بأن بْرَتّ لن يقفز من نافذة أثناء نومه أو يسير في وسط الطريق العام، لكن من دون أن تتثقّف كثيراً عن الموضوع. ثم أحضَرت بْرَتّ بعد أسبوع. كان قد مرّ وقتها شهر فقط أو شهران على ذكرى ولادته السادسة. فأجرى له غريشام فحصاً جسدياً كاملاً وأعلن أنه طبيعي بكل الطرق. وبالفعل، بدا أن غريشام محقّ. فآخر حالة سير أثناء النوم شهدتها تشاريتي حدثت منذ أكثر من سنتين.

آخر حالة، حتى هذه اللحظة.

راح بْرَتّ يفتح الخزائن الواحدة تلو الأخرى، ويُغلق كل واحدة بكل هدوء قبل أن ينتقل إلى التالية، كاشفاً عن أطباق الكاسرولة الخاصة بهولي، والعناصر الإضافية في تجهيزاتها المطبخية، ومناشف أطباقها المطوية بشكل أنيق، ووعاء القشدة للقهوة والشاي، ومجموعة زجاجياتها غير المكتملة بعد. كانت عيناه عريضتين وفارغتين، وشعَرت بيقين هادئ أنه كان يرى محتويات خزائن أخرى، في مكان آخر.

شعَرت بالرعب القديم العاجز الذي كادت تنساه بالكامل عندما يرنّ الوالدان ناقوس الخطر خلال سنوات أولادهم الأولى: نمو الأسنان، التلقيح الذي يسبِّب الحمى المرتفعة المخيفة كعامل انجذاب مضاف صغير، الخُناق، عدوى الجراثيم، اليد أو الرِجل التي تبدأ تنزف دماً غير منطقي فجأة. *بماذا يفكّر؟* تساءلت. *أين هو؟ ولماذا الآن، بعد سنتين هادئتين؟* هل السبب تواجده في مكان غريب؟ لم يبدُ منزعجاً حينها... على الأقل، ليس حتى الآن.

فتَح الخزانة الأخيرة وأخذ طبقاً زهرياً لصلصة مرق اللحم ووَضَعه على المنضدة. رفَع الهواء الفارغ وقلَّد حركة صَبّ شيء في الطبق.

أُصيبت يداها بالقشعريرة فجأة عندما أدرَكت أين هو وما الذي يفعله في كل هذا العرض الغبي. كان روتيناً يقوم به كل يوم في المنزل. كان يُطعِم كوجو.

خطت خطوةً لا إراديةً نحوه ثم توقفت. لم تصدِّق حكايات الزوجات عما قد يحصل إذا أيقَظت سائراً أثناء نومه - بأن لاوعيه سيسيطر على جسمه إلى الأبد، بأن النتيجة قد تكون الجنون أو الموت المفاجئ - ولم تحتج إلى الدكتور غريشام ليطمئنها بشأن ذلك. فقد استعارت كتاباً من مكتبة بورتلاند العامة... لكنها لم تحتج حقاً إليه أيضاً. فمنطقها السليم أخبرها أن ما سيحصل إذا أيقظت سائراً أثناء نومه هو أنه سيستيقظ - لا أكثر ولا أقل. قد تكون هناك دموع، وحتى هستيريا طفيفة، لكن هكذا ردة فعل تكون نابعةً عن ارتباك بسيط.

ومع ذلك، لم توقِظ بْرَتّ أبداً خلال سيره أثناء النوم، ولم تتجرّأ على فعل ذلك الآن. فالمنطق السليم شيءٌ، وخوفها غير المنطقي شيءٌ آخر، وشعرَت بخوف كبير فجأة لم تكن قادرة على اكتشاف سببه. ما الذي يمكن أن يكون مُرعِباً إلى هذا الحد في حلم بْرَتّ بإطعام الكلب؟ كان الأمر طبيعياً تماماً، بما أنه قلق جداً على كوجو.

انحنى الآن حاملاً الطبق في يديه، وقد رسمَ رباط سروال بيجامته خطاً أبيض ذا زاوية قائمة مع السطح الأفقي للأرضية المشمَّعة الحمراء والسوداء. وارتسمت على وجهه علامات حزن بطيئة. ثم تمتم كلماتٍ مثلما يفعل النائمون في أغلب الأحيان، بسرعة كبيرة وبشكل غير مفهوم تقريباً، ومن دون أي إحساس في الكلمات نفسها، حيث كان كل شيء في الداخل، محفوظاً في شرنقة الحلم المُشرق كفاية ليجعله يسير في نومه مرة أخرى، بعد سنتين هادئتين. لم يكن هناك شيء

ميلودرامي بشكل متأصل في الكلمات الملفوظة على عجل في تنهيدة نوم سريعة، لكن يد تشاريتي ذهَبت إلى حنجرتها على أي حال. كان اللحم هناك بارداً، بارداً.

"كوجو لم يعد جائعاً"، قال برَتّ، وقد طافت الكلمات على تلك التنهيدة. نهض مرة أخرى، حاضناً الطبق إلى صدره الآن. "لم يعد جائعاً، لم يعد جائعاً".

وَقَف دون حراك لوقت قصير قرب المنضدة، وهكذا فعلت تشاريتي عند باب المطبخ. وذُرفت دمعة واحدة على خدّه. وَضَع الطبق على المنضدة وتوجَّه نحو الباب. كانت عيناه مفتوحتين لكنهما انزلَقتا غير مباليتين ولم تريا أمه. توقَف، والتفت إلى الوراء.

"انظر في الأعشاب الضارة"، قال لشخص لم يكن هناك.

ثم بدأ يسير نحوها مرة أخرى. وَقَفت جانباً، ويدها لا تزال تضغط على حنجرتها. مرّ بجانبها بسرعة وبصمت على قدميه العاريتين ومشى في القاعة نحو السلالم.

استدارت لتتبعه وتذكَّرت الطبق. كان يقف وحيداً على المنضدة الخالية الجاهزة لليوم مثل النقطة البؤرية في رسم غريب. فرفعته وانزلَق بين أصابعها – لم تُدرِك أن أصابعها زلقة بسبب العرق – وراح يتراقص قليلاً، وتخيّلت صوت تحطُّمه في سكون ساعات النوم. ثم احتضَنه بأمان بكلتَي يديها. أعادته إلى الرف وأغلقت باب الخزانة وبقيت واقفة هناك للحظة، تستمع إلى الطرق الثقيل لقلبها، وشعرت بغرابتها في هذا المطبخ. كانت دخيلة على هذا المطبخ. ثم تبَعت إبنها.

وصلت إلى باب غرفته في الوقت المناسب لتراه يصعد إلى سريره.

سحَب الملاءة واستدار على جنبه الأيسر، وضعية نومه الاعتيادية. رغم أنها عرَفت أن المسألة انتهت الآن، بقيت تشاريتي تقف هناك لبرهة.

سعَلَ أحدهم في آخر القاعة، مما ذكَّرها مرة أخرى بأن هذا المنزل يخصّ شخصاً آخر. شعَرت بحنين قوي إلى منزلها؛ وبقيت تشعر للحظات قليلة كما لو أن معدتها مليئة ببعض الغاز المُخدِر، من النوع الذي يستخدمه أطباء الأسنان. في ضوء الصباح هذا الذي لا يزال صافياً، بدت أفكارها بالطلاق غير ناضجة ولا تراعي الوقائع مثل أفكار ولدٍ. كان سهلاً عليها التفكير بهكذا أمور هنا. فهذا لم يكن منزلها، لم يكن مكانها.

لماذا أخافتها مسرحية إطعام كوجو، وتلك الكلمات السريعة، كثيراً؟ كوجو *لم يعد جائعاً، لم يعد جائعاً*.

عادت إلى غرفتها واستلقت على السرير تراقب الشمس تشرق وتُنير الغرفة. عند الفطور، لم يبدُ بْرَتّ مختلفاً عن أي وقت مضى. لم يذكر كوجو، ويبدو أنه نسي مسألة الاتصال بالمنزل، على الأقل في الوقت الحاضر. بعد بعض المناقشات الداخلية، قرّرت تشاريتي ترك المسألة تقف عند ذلك الحد.

كان الجو حاراً.

بدأت دونا تفتح نافذتها قليلاً – حوالي رُبع المسافة، إلى أقصى ما تتجرّأ عليه – ثم انحنت فوق حُضن تاد لتفتح له نافذته أيضاً. عندها لاحَظت الورقة الصفراء المثنية على حُضنه.

"ما هذا يا تاد؟".

رفع نظره إليها. كانت هناك دوائر بنية ملطَّخة تحت عينيه. "كلمات الوحش"، قال.

"هل يمكنني رؤيتها؟".

أمسك الورقة بشكل محكم للحظة ثم تركها تأخذها. كان هناك تعبيرٌ يقظٌ، تملُّكي تقريباً على وجهه، وشعَرت بغيرة وجيزة لكن قوية جداً. لقد تمكَّنت من إبقائه حيّاً وغير مجروح حتى الآن، لكنه كان يهتمّ بدَجَل فيك. ثم تبدَّد الشعور إلى ارتباك، وحزن، واشمئزاز ذاتي. كانت هي مَن وضعه في هذه الحالة في المقام الأول. لو لم تستسلم له بشأن جليسة الأطفال...

"وَضَعتُها في جيبي البارحة"، قال، "قبل أن نخرج للتسوّق. ماما، هل سيأكلنا الوحش؟".

"ليس وحشاً يا تاد، إنه مجرد كلب، ولا، لن يأكلنا!". تكلَّمت بحدّة أكثر مما قصدت. "لقد أخبرتُك أنه عندما يأتي ساعي البريد، يمكننا الذهاب إلى المنزل". *وأخبرتُه أن السيارة ستشتغل بعد قليل فقط، وأخبرتُه أن شخصاً سيأتي، وأن آل كامبر سيصبحون في المنزل قريباً* –

لكن ما فائدة التفكير بهذه الأمور؟

"هل يمكنني استعادة كلمات الوحش؟"، سأل.

شعَرت للحظة برغبة عارمة مجنونة بتمزيق الورقة الصفراء المثنية الملطَّخة بالعرق إلى أجزاء صغيرة ورميها من نافذتها، كما لو أنها قصاصات ورقية ملوَّنة. ثم أعادتها له ومرَّرت يديها في شعرها، خجِلة وخائفة. ما الذي أصابها؟ أن تفكِّر بهكذا فكرة سادية. لماذا ستريد جعل الأمور أسوأ عليه؟ هل فيك السبب؟ هي؟ ماذا؟

كان الجو حاراً – حاراً جداً للتفكير. وبدأ العرق ينساب على وجهها، وأصبح بإمكانها رؤيته يتقاطر على خدَّي تاد أيضاً. والتصق شعره بجمجمته في تكتّلات غير جميلة، وبدا أدكن بدرجتين من لونه الأشقر المتوسط الاعتيادي. *يحتاج شعره إلى غسيل*، فكَّرت بشكل عشوائي، وهذا ذكَّرها بزجاجة شامبو جونسون لا دموع بعد اليوم الجالسة بأمان على رف الحمّام، تنتظر أن يأخذها أحدهم ويصبّ قليلاً منها في يده المكوَّرة.

(لا تفقدي السيطرة على نفسك)

لا، بالطبع لا. لم يكن لديها أي *عذر* لتفقد السيطرة على نفسها. كل شيء سيكون على ما يرام، أليس كذلك؟ بالطبع. لم يكن الكلب مرئياً حتى، وقد اختفى منذ أكثر من ساعة. وساعي البريد. كانت الساعة العاشرة تقريباً الآن. سيصل ساعي البريد قريباً، ثم لن يعود مهماً أن الجو حارٌ في السيارة. يسمّونها "ظاهرة الاحتباس الحراري". لقد رأت ذلك في إحدى نشرات جمعية الرِفق بالحيوان في مكان ما، تشرح لماذا لا يجب أن تترك الكلب في سيارتك لأي فترة زمنية عندما يكون الجو حاراً مثل الآن. ظاهرة الاحتباس الحراري. قالت الكرّاسة إن الحرارة في السيارة المركونة في الشمس يمكن أن ترتفع إلى حدود 60 درجة مئوية إذا كانت النوافذ مغلقة، لذا من الوحشية والخطر حبس حيوان أليف في السيارة بينما تتسوّق أو تذهَب لمشاهدة فيلم. ضحكت دونما ضحكة خافتة قصيرة. لقد تبدَّلت الأدوار هنا، أليس كذلك؟ كان الكلب هو الذي يحبس الأشخاص في السيارة.

حسناً، سيأتي ساعي البريد. سيأتي ساعي البريد وسينتهي كل شيء. لن يعود مهماً إن بقيت رُبع كمية الحليب في الإبريق العازل

للحرارة، أو أنها احتاجت إلى دخول الحمّام باكراً في ذلك الصباح واستخدَمت إبريق تاد العازل للحرارة الصغير - أو حاوَلت ذلك - ففاض وأصبحت البينتو تعبق الآن برائحة البول، وهي رائحة بغيضة تزداد حدّة في الحرّ. كانت قد أغلقت الإبريق العازل للحرارة ورمته من النافذة. وقد سمِعته يتحطَّم عند ارتطامه بالحصى. ثم بكت.

لكن أياً من هذا يهمّ. كان مذلاً بالتأكيد أن تضطر إلى محاولة التبويل في إبريق عازل للحرارة، لكن هذا لا يهمّ لأن ساعي البريد سيأتي - الأرجح أنه يحمِّل في هذه اللحظة شاحنته الزرقاء والبيضاء الصغيرة في مكتب البريد المغطى باللبلاب في شارع كاربين... أو ربما بدأ رحلته من قبل، وأصبح الآن على الطريق 117 متوجّهاً نحو طريق مايبل سوغار. سينتهي كل شيء قريباً. ستأخذ تاد إلى المنزل، وسيصعدان إلى الطابق العلوي. سيقفان تحت الدُش سوية، وستأخذ زجاجة الشامبو عن الرف وتضع الغطاء بشكل أنيق على حافة الحوض، وستغسل شعر تاد أولاً ثم شعرها.

كان تاد يقرأ الورقة الصفراء مرة أخرى، وشفتاه تتحرّكان بصمت. لا يقرأ فعلاً، ليس بالطريقة التي سيقرأ بها بعد سنتين (*إذا خرجنا من هذا*، أصَرَّ ذهنها الخائن على أن يضيف بشكل عبثي لكن فوري)، لكن بالطريقة التي تأتي من الحفظ عن ظهر قلب. بالطريقة التي تحضِّر بها مدارس تعليم القيادة الأميّين للجزء الخطيّ من امتحان السائق. لقد قرأت ذلك في مكان ما أيضاً، أو ربما شاهدته على التلفزيون، وألم يكن مدهشاً مقدار التوافه التي يستطيع الذهن البشري تخزينها؟ وألم يكن مدهشاً مدى سهولة خروج كل ذلك عندما لا يكون هناك أي شيء آخر للانخراط فيه؟ مثل آلة التخلّص من النفايات تعمل بلا وعي

في الاتجاه المعاكس.

ذكَّرها هذا بشيء حصل في منزل والديها، عندما كان لا يزال منزلها هي أيضاً. فقبل أقل من ساعتين من موعد بدء إحدى حفلات أمها المشهورة (هكذا كان والد دونا يسمّيها دائماً، بنبرة تهكّمية هي نفس النبرة التي يمكنها أن تثير غضب سامانثا أحياناً)، انخفضت آلة التخلّص من النفايات في مغسلة المطبخ بطريقة ما في أنبوب المغسلة، وعندما شغَّلت أمها الجهاز مرة أخرى لمحاولة التخلّص من كل شيء، تطايرت مادة لزجة خضراء وملأت كل السقف. كانت دونا في حوالي الرابعة عشرة من عمرها وقتها، وتتذكَّر أن أمها زعقت زعيقاً هستيرياً جعلها تخاف وتشمئز في آن. شعرت بالاشمئزاز لأن أمها كانت تفجِّر نوبة غضبها أمام الأشخاص الذين يحبّونها ويحتاجون إليها أكثر من غيرهم لصالح مجموعة معارف عاديين يأتون فقط ليتناولوا شراباً مجانياً ويلتهموا الكثير من المقبلات المجانية. وشعرت بالخوف لأنها لم تتمكن من إيجاد أي *منطق* في نوبة غضب أمها... وبسبب التعبير الذي رأته في عينَي أبيها. كان نوعاً من القرف المستسلم. كانت تلك هي أول مرة تصدِّق فيها حقاً - في صميمها - أنها ستكبُر لتصبح امرأة، امرأة لديها فرصة على الأقل لتكون امرأة *أفضل* من أمها، التي يمكنها أن تدخل في حالة مخيفة لسبب تافه حقاً...

أغمضت عينيها وحاوَلت طرد كامل حبل أفكارها، واضطربت من الأحاسيس الحيّة التي أعادتها لها تلك الذكرى. جمعية الرِفق بالحيوان، ظاهرة الاحتباس الحراري، أجهزة التخلّص من النفايات، ماذا بعد؟ كيف فقدتُ بتولتي؟ ست إجازات أعجبتني جيداً؟ *ساعي البريد*، هذا هو الشيء الذي يجب التفكير فيه، *ساعي البريد* اللعين.

"ماما، ربما السيارة ستشتغل الآن".

"عزيزي، أخشى تجربة ذلك لأن البطارية فارغة تقريباً".

"لكننا لا نفعل شيئاً سوى *الجلوس* هنا"، قال وبدا مشاكساً ومُتعَباً. "ماذا يهمّ لو كانت البطارية فارغة أم لا إذا كنا سنكتفي *بالجلوس* هنا؟ جرِّبي!".

"لا تبدأ بإعطائي أوامر يا ولد، وإلا سأضربك!".

ارتعَد خوفاً من صوتها الأجش الغاضب وشتمت نفسها مرة أخرى. كان يتذمّر... لكن مَن يستطيع أن يلومه؟ كما أنه محق. وهذا ما أغضبها حقاً. لكن تاد لم يفهم أن السبب الحقيقي لعدم رغبتها بتجربة تشغيل المحرّك مرة أخرى هو أنها كانت خائفة من أن ذلك سيُحضِر الكلب. كانت خائفة من قدوم كوجو، وكان هذا أكثر شيء لا تريده أن يحصل.

أدارت مفتاح الإشعال بتجهّم. بدأ محرّك البينتو يدور ببطء شديد الآن، وبصوت احتجاجيّ بليد. سعَلَ مرتين لكنه لم يشتغل. أفلتت المفتاح وضغطت على البوق، فأطلق صوتاً ضبابياً باهتاً لم يقطع خمسة أمتار على الأرجح، ناهيك عن بلوغ المنزل الموجود في أسفل التلة.

"توشك أن تفرغ"، قالت بحدّة ووحشية. "مسرور؟ جيد".

بدأ تاد يبكي. بدأ بنفس الطريقة التي تتذكَّره يبدأ بها دائماً عندما كان طفلاً: يرتسم قوس مرتعش على فمه، وتنساب الدموع على خدّيه حتى قبل صدور أول شهقة. جذبته نحوها واعتذرت منه، وقالت إنها لم تقصد أن تكون لئيمة، فهي منزعجة أيضاً، وأخبرته أن كل شيء سينتهي حالما يصل ساعي البريد، وأنها ستأخذه إلى المنزل

وتغسل له شعره. وفكّرت في سرّها: *فرصة لتكوني امرأة أفضل من أمك. بالتأكيد. بالتأكيد يا فتى. أنتِ مثلها تماماً. هذا هو نوع الأشياء التي كانت لتقولها في حالة مماثلة. عندما لا تشعر أنك بخير، فإنك تنشر البؤس. حسناً، البنت سرّ أمها، صح؟ وربما عندما يكبر تاد، سيشعر نحوك مثلما تشعرين نحو –*

"لماذا الجو حار جداً يا ماما؟"، سأل تاد برتابة.

"ظاهرة الاحتباس الحراري"، أجابته، من دون حتى أن تفكِّر. لم تكن أهلاً لهذا، وأصبحت تعرف ذلك الآن. فلو كان هذا، بأي طريقة من الطرق، امتحاناً نهائياً عن الأمومة – أو عن النضج نفسه – لكانت سقطت في الاختبار. كم مضى عليهما محتجزين في هذا الممر الخاص؟ خمس عشرة ساعة بالحد الأقصى. وقد بدأت تنهار.

"هل يمكنني أن أشرب زجاجة مياه غازية عندما نعود إلى المنزل يا ماما؟"، قال وكلمات الوحش، المجعَّدة والمبلَّلة بالعرق، تجلس على حُضنه بترهّل.

"بقدر ما تستطيع أن تشرب"، قالت وعانَقته بقوة. لكن جسمه بدا خشبياً بشكل مخيف. لم يكن يجدر بي أن أصرخ عليه، فكّرت في سرّها بذهن مشتت. فقط لو لم أصرخ عليه.

لكنها وعَدت نفسها أنها ستتصرّف بأفضل من ذلك. لأن ساعي البريد سيصل قريباً.

"أعتقد أن الوح – أعتقد أن الكلب سيأكلنا"، قال تاد.

بدأت ترد عليه ثم صمتت. كان كوجو لا يزال مختفياً. فصوت محاولة محرّك البينتو على الدوران لم يُحضِره إليهما. ربما كان نائماً. ربما

أُصيب بتشنّج وتُوفِّيَ. سيكون هذا مدهشاً... خاصة إذا كان تشنّجاً بطيئاً. تشنّجاً مؤلماً. نظَرَت إلى الباب الخلفي مرة أخرى. كان قريباً جداً بشكلٍ مغرٍ. كان مُقفلاً. أصبحت أكيدة من ذلك الآن. فعندما يغادر الناس منازلهم، يقفلون الأبواب. وسيكون من التهوُّر محاولة الذهاب نحو الباب، خاصة مع اقتراب وصول ساعي البريد. تصرَّفي كما لو أن الأمر حقيقي، كان ڤيك يقول أحياناً. عليها أن تفعل ذلك. لأنه حقيقي. من الأفضل الافتراض أن الكلب لا يزال حيّاً، ويجلس وراء باب المرأب نصف المفتوح. يجلس في الظل.

فكرة الظل أسالت لها لعابها.

كانت قد أصبحت الحادية عشرة تقريباً. وبعد حوالي خمس وأربعين دقيقة تقريباً، لاحَظت شيئاً في العشب وراء زجاج نافذة تاد. وخمس عشرة دقيقة أخرى من التدقيق أقنعتها أن ذلك كان مضرب بيسبول قديماً ذا مقبض ملفوف بشريط احتكاكي، نصف محجوب بين عشبة النجيل وعشبة التيموثي.

بعد دقائق معدودة من ذلك، وقبل الظهر بقليل، خرج كوجو من الحظيرة وهو يومض عينيه الحمراوين الدامعتين بغباء في الشمس الحارقة.

عندما يأتون ليأخذوك،
عندما يُحضِرون تلك العربة،
عندما يأتون لينادوك،
وليسحبوا جسمك المسكين...

أتى صوت جيري غارسيا، السلس لكن المُنهَك تقريباً، عائماً من آخر القاعة، مكبَّراً ومشوَّهاً على راديو ترانزستور أحدهم إلى أن بدا

كما لو أنه يعوم داخل أنبوب فولاذي طويل. وعلى مقربة من هناك، كان شخصٌ يئنّ. في ذلك الصباح، عندما نزل إلى الحمّام الصناعي الكريه الرائحة ليحلق ويستحمّ، كانت هناك بركة قيء في إحدى المباوِل وكمية كبيرة من الدم الجاف في إحدى المغاسل.

"*تخلّص منه، تخلّص منه، يا عسل*"، كان جيري غارسيا يغنّي، "*فقط لا تُخبرهم أنك تعرفني*".

وَقَف ستيف كيمب عند نافذة غرفته في الطابق الخامس لمبنى جمعية الشبّان في بورتلاند، مُخفضاً نظره إلى شارع سبرينغ، وهو يشعر بشعور سيئ ولا يعرف السبب. كان رأسه سيئاً. بقي يفكِّر بدونا ترنتون وكيف أنه جامعها - جامعها ثم تسكّع. تسكَّع بانتظار ماذا؟ ماذا حصل؟

تمنّى لو كان في أيداهو. لقد خطرت أيداهو على باله كثيراً مؤخراً. لماذا لم يتوقف عن اللهو إذاً وذهب ببساطة؟ لم يعرف. لا يُعجبه ألا يعرف. ولا تُعجبه كل هذه الأسئلة التي تقرع له رأسه. الأسئلة تؤثر عكسياً على حالة السكون، والسكون ضروري لتطوُّر الفنان. نظَرَ إلى نفسه هذا الصباح في إحدى المرايا الملطَّخة بمعجون الأسنان ورأى أنه يبدو عجوزاً. عجوزاً حقاً. عندما عاد إلى غرفته، رأى صرصوراً يركض بنشاط على الأرض. كان هذا نذير نحس.

لم تقطع علاقتها بي لأنني عجوز، فكّر في سرّه. *لستُ عجوزاً. بل فعلَت ذلك لأنها أشبعت رغبتها وانتهى الأمر، لأنها حقيرة، ولأنني أذقتُها ملعقة من دوائها. ما كان رأي زوجك الوسيم برسالة الحب الصغيرة يا دونا؟ هل أعجبته؟*

هل *استلم* الزوج رسالة الحب الصغيرة؟

أطفأ ستيف سيجارته في الإناء العلوي الذي يخدم كمنفضة للغرفة. هذا هو السؤال المركزي حقاً، أليس كذلك؟ فعند الإجابة عليه، ستتم الإجابة على كل الأسئلة الأخرى. الحقد الذي سبَّبته له بطردها له قبل أن يصبح جاهزاً ليُنهي علاقته بها (لقد *أذلّته*، اللعينة)، لسبب واحد - لسبب واحد كبير جداً.

عرَف فجأة ماذا عليه أن يفعل، وبدأ قلبه ينبض بقوة من الترقّب. وَضَع يده في جيبه وجلجَل قِطع النقود المعدنية هناك. ثم خرَج. كان الظهر قد حلّ منذ قليل فقط، وفي كاسل روك، ساعي البريد الذي كانت دونا تنتظره بدأ ذلك الجزء من جولته الذي يغطي طريق مايل سوغار وطريق البلدة رقم 3.

أمضى ڤيك وروجر وروب مارتن صباح الثلثاء في إيميج آي ثم خرَجوا لتناول بعض البرغر وشراب الشعير. وبعد بعض البرغر والكثير من شراب الشعير، أدرَك ڤيك فجأة أنه أصبح ثملاً أكثر من أي غداء عمل آخر أجراه في حياته. كان يتناول عادة كوب كوكتيل واحداً أو كوب شراب عنب أبيض؛ وقد رأى الكثير من وكلاء الإعلانات الصالحين في نيويورك يُغرقون أنفسهم ببطء في تلك الأماكن المظلمة على جادة ماديسون، يتكلّمون مع أصدقائهم عن حملات إعلانية لن ينفّذوها أبداً... أو، إذا أصبحوا ثملين كفاية، مع السقاة في تلك الأماكن عن روايات بالتأكيد لن يكتبوها أبداً.

كانت مناسبة غريبة، نصف احتفال نصر، نصف يقظة. وقد رحَّب روب بفكرتهما بتصوير إعلان أخير لأستاذ حبوب شارپ بحماسة مخفَّفة... بافتراض دائماً أنه سينال الفرصة لتصويره. هذا كان

نصف اليقظة. فمن دون موافقة العجوز وإبنه الأسطوري، لن ينفعهم أكبر إعلان في العالم. وسرعان ما سيجدون أنفسهم على الحضيض.

في هكذا ظروف، افترَض ڤيك أنه لا بأس من أن يثمل بالكامل.

الآن، ومع تدفّق الأفواج الرئيسية لزبائن المطعم خلال فترة الغداء، انزوى ثلاثتهم في إحدى زوايا المطعم، مع بقايا البرغر على ورق مشمَّع، وزجاجات شراب الشعير مبعثرة على الطاولة، والمنفضة مليئة بأعقاب السجائر. تذكَّر ڤيك اليوم الذي جلَس فيه مع روجر في مطعم الغواصة الصفراء في بورتلاند يناقشان هذه الرحلة الصغيرة. عندما كانت كل المصائب قد حلّت عليهما. الغريب أنه شعَر بحنين إلى ذلك اليوم وتساءل ماذا يفعل تاد ودونا. *يجب الاتصال بهما هذه الليلة*، فكّر في سرّه. *إذا استطعتُ أن أبقى واعياً كفاية لأتذكّر ذلك.*

"ماذا يحصل الآن؟"، سأل روب. "هل ستبقيان في بوسطن أم ستعودان إلى نيويورك؟ يمكنني أن أتدبّر لكما تذاكر لسلسلة مباريات بوسطن ضد كانساس سيتي، إذا كنتما تريدان. قد تُبهجكما مشاهدة جورج بْرَتّ يُحدث بضع فجوات في الجدار الأيسر للملعب".

نظَرَ ڤيك إلى روجر، الذي هزّ كتفيه وقال، "أظن أننا سنعود إلى نيويورك. شكراً على العرض يا روب، لكنني لا أعتقد أننا في مزاج للبيسبول".

"لا يوجد شيء آخر يمكننا فعله هنا"، وافَق ڤيك. لقد خصّصنا الكثير من الوقت في هذه الرحلة لجلسات طرح الأفكار، لكنني أظن أننا اتفقنا كلنا على السير بفكرة الإعلان الأخير".

"لا تزال هناك تفاصيل كثيرة يجب بتّها"، قال روب. "لا تفرحا كثيراً".

"يمكننا معالجة التفاصيل"، قال روجر. "أعتقد أن يوماً واحداً مع جماعة التسويق يكفي لحلّها. هل توافق يا ڤيك؟".

"قد نحتاج إلى يومين"، قال ڤيك. "ومع ذلك، ليس هناك سبب يمنعنا من حل التفاصيل العالقة في مدة أقصر مما كنا نتوقعه".

"ماذا بعد ذلك؟".

ابتسم ڤيك ابتسامة صفراء. "بعدها نتصل بمالك شارپ العجوز ونأخذ موعداً لرؤيته. أعتقد أننا سنجد أنفسنا في نهاية المطاف ذاهبان من نيويورك إلى كليفلاند مباشرة. جولة سرية غامضة".

"شاهد كليفلاند ومُت"، قال روجر باكتئاب، وصبَّ باقي شراب شعيره في كوبه. "لا أطيق الانتظار لرؤية ذلك العجوز اللعين".

"لا تنسَ إبنه اللعين أيضاً"، قال ڤيك، وابتسم قليلاً.

"كيف يمكنني أن أنسى ذلك الوغد الصغير؟"، ردَّ روجر. "يا سادة، أقترح جولة شراب أخرى".

نظَرَ روب إلى ساعته. "عليَّ حقاً أن –"

"جولة أخيرة"، أصرَّ روجر. "نشيد الوداع، إذا كنت تريد".

هزّ روب كتفيه. "حسناً. لكن لا تنسَ أنه لا تزال لديَّ شركة لأديرها. رغم أنه لن يكون هناك مجال للكثير من جلسات الغداء الطويلة من دون حبوب شركة شارپ". رفع كوبه في الهواء وهزّه إلى أن رآه نادلٌ وأومأ له برأسه.

"أخبرني رأيك بصراحة"، قال ڤيك لروب. "بلا مجاملة. هل تعتقد أن الفكرة فاشلة؟".

نظَرَ إليه روب، وبدا أنه سيتكلم، ثم هزَّ رأسه.

قال روجر، "لا، تكلَّم. كلنا في نفس المركب. أو في علبة حلوى توت العليق الأحمر، إذا شئت. تعتقد أنها ستفشل، أليس كذلك؟".

"لا أعتقد أن لديها أي أمل في النجاح"، قال روب. "ستجهِّز عرضاً تقديمياً جيداً – أنت تفعل هذا دائماً. ستُنهي كل أبحاثك في نيويورك، ولديَّ شعور أن كل شيء يستطيع فريق دراسة السوق قوله لك في هكذا مدة قصيرة هو أن كل شيء يسير لصالحك. ويانسي هارينغتون... أعتقد أنه سيؤدي أفضل دور تمثيلي له. مشهد موته الكبير. سيكون بارعاً جداً لدرجة أنه سيجعل بِيتي دايفس في فيلم *النصر الأسود* تبدو مثل آلي ماكغرو في فيلم *قصة حب*".

"آه، لكنه ليس هكذا أبداً –"، بدأ روجر يقول.

هزّ روب كتفيه. "نعم، ربما هذا ظالم قليلاً. حسناً. لنعتبره إذاً تصفيق استحسان له بعد إسدال الستارة. سمّه ما شئت، لكنني في هذه المهنة منذ وقت طويل كفاية لأعرف أنه لن تبقى أي عيون جافة في المنازل بعد بث ذلك الإعلان طوال ثلاثة أو أربعة أسابيع. لكن –"

أتى شراب الشعير. وقال النادل لروب، "طلب مني السيد جونسون إبلاغك أن هناك عدة مجموعات من ثلاثة أشخاص ينتظرون طاولة يا سيد مارتن".

"حسناً، عُد إلى السيد جونسون وأبلِغه أن الشباب يتناولون آخر جولة لهم وليصبر قليلاً. مفهوم يا بطل؟".

ابتسم النادل، وأفرغ المنفضة، وأومأ برأسه وانصرف.

عاد روب إلى ڤيك وروجر. "خلاصة القول إذاً؟ أنتما ذكيان. ولستما بحاجة إلى مصوِّر ثمل ذي رِجل واحدة ليقول لكما أين تبرَّز

الدب في الحنطة السوداء".

"شارب لن يعتذر فحسب"، قال ڤيك. "هذا ما تظنّه، أليس كذلك؟".

حيّاه روب برفع زجاجة شراب شعيره له. "أصبتَ".

"إنه ليس اعتذاراً"، قال روجر بحزن. "إنه شرح لعين".

"أنت تراه بهذه الطريقة"، ردَّ روب، "لكن هل سيراه مثلك؟ اسأل نفسك هذا. لقد التقيتُ ذلك العجوز الغريب الأطوار بضع مرات. سيعتبر الأمر كما لو أن القبطان يهجر سفينته الغارقة قبل النساء والأطفال، يستسلم في معركة ألامو، وكل الصور الذهنية المقولبة التي يمكنك تخيّلها. لا، سأخبرك بما أعتقد أنه سيحصل، يا صديقي". ورفع كوبه وشرب ببطء. "أعتقد أن علاقة قيّمة وقصيرة جداً ستنتهي قريباً جداً الآن. سيستمع العجوز إلى اقتراحك، وسيهزّ رأسه، ويرافقك أثناء خروجك. بشكل دائم. وإبنه هو الذي سيختار شركة العلاقات العامة التالية، وسيستند اختياره على أكثر شركة يرى أنها ستعطيه أكبر قدر من الحرية ليطبّق أفكاره المعتوهة".

"ربما"، قال روجر. "لكنه ربما أيضاً –"

"ربما لا يهمّ بطريقة أو بأخرى"، قال ڤيك بحدّة. "الفرق الوحيد بين رجل الإعلانات الجيد والبائع المراوغ هو أن رجل الإعلانات الجيد يبذل قصارى جهده بالمواد التي بين يديه... من دون أن يتخطّى حدود الصدق. هذا هو جوهر هذا الإعلان. إذا رفضه، فسيكون قد رفض أفضل ما يمكننا فعله. ونقطة على السطر". أطفأ سيجارته وكاد يُوقِع زجاجة شراب شعير روجر نصف الممتلئة. كانت يداه ترتعشان.

أومأ روب برأسه. "سأوافقك الرأي". ورفع كوبه. "أمنية يا شباب".

رفعَ ڤيك وروجر كوبيهما.

فكَّر روب للحظة ثم قال: "أتمنى أن تسير الأمور مثلما تشاءان، رغم كل الصعوبات".

"شكراً"، قال روجر.

طرقوا أكوابهم ببعضها وشرِبوا. وبينما كان يُفرِغ بقية شراب شعيره في حلقه، وجَد ڤيك نفسه يفكِّر في دونا وتاد مرة أخرى.

رفعَ جورج ميارا، ساعي البريد، إحدى رِجليه في بذلة مكتب البريد الزرقاء الرمادية وأخرَج ريحاً. بدأ يُكثر من إخراج الريح مؤخراً. وبدأ يقلق قليلاً بشأن ذلك. فلا يبدو أن ما يأكله يُحدث أي فارق. تناول وزوجته سمك القد مع خبز محمَّص ليلة أمس وأخرَج ريحاً. وفي هذا الصباح، صحن كيلوغز المنتَج 19 عليه موزة مقطَّعة - وأخرَج ريحاً. وهذا الظهر، في مقصف الميلو تايغر في البلدة، قطعتَي تشيزبرغر مع المايونيز... وأخرَج ريحاً.

بَحَث عن هذا العارض في *الموسوعة الطبية المنزلية*، وهي موسوعة لا تُقدّر بثمن تمتد على اثني عشر مجلداً اشترتها زوجته مجلداً تلو الآخر عبر تجميعها قسائم الدفع من متجر البقالة في ساوث باريس. وما اكتشَفه جورج ميارا تحت عنوان "امتلاء البطن بالغازات المُفرطة" لم يكن مشجِّعاً جداً. فمن الممكن أن يكون عارضاً لانزعاج مَعِديّ. ويمكنه أن يعني أن لديه قرحة صغيرة لطيفة هناك. ويمكنه أن يكون مشكلةً في الأحشاء. وحتى يمكنه أن يعني إصابته بالسرطان. إذا استمر

الحال هكذا، يُفترَض عليه الذهاب إلى عيادة الدكتور كوينتن. لا داعي للقلق لأن الدكتور كوينتن سيقول له بالتأكيد أنه يُخرِج ريحاً كثيراً لأنه أصبح متقدّماً في السنّ ببساطة.

وفاة العمّة إيفيه تشالمرز أواخر ذلك الربيع صدمت جورج - صدمته أكثر مما كان يظن - ومؤخراً لم يُعجبه بدء التفكير بالتقدّم في السنّ. بل فضَّل التفكير بسنوات التقاعد الذهبية، بالسنوات التي سيمضيها مع كاثي. لن يعود مضطراً إلى النهوض عند السادسة والنصف. لن يعود مضطراً إلى التجوّل بين أكياس البريد المجنونة والاستماع إلى مايكل فورنييه الحقير، المسؤول عن بريد كاسل روك. لن يعود مضطراً إلى تحمّل برد الشتاء القارس، وإلى تحمّل الناس في الصيف الذين يريدون استلام بريدهم في مخيَّماتهم وأكواخهم عندما يحلّ الطقس الدافئ. بل سيكون هناك منزل متنقّل لـ "رحلات في الطبيعة في نيو إنغلاند". سيكون هناك "تسكّع في الحديقة". ستكون هناك "كافة أصناف الهوايات الجديدة". وأهم شيء هو أنه ستكون هناك "راحة واستجمام". وبطريقة أو بأخرى، فكرة تمضيته أواخر ستينات وأوائل سبعينات عمره في إخراج ريح مثل صاروخ فيه عيوب لم تنسجم كثيراً مع صورته المحبَّبة لسنوات التقاعد الذهبية.

أدار شاحنته الزرقاء والبيضاء الصغيرة المجنونة إلى طريق البلدة رقم 3، وجفلَ قليلاً من وهج الشمس على الزجاج الأمامي. تبيَّن أن الصيف حارّ تماماً مثلما توقّعت العمّة إيفيه - وحتى أكثر قليلاً. يمكنه سماع الجداجد تغني بأسلوب يدّل على النعاس في أعشاب الصيف العالية، وتراءى له مشهد موجز لسنوات التقاعد الذهبية، مشهد معنون "جورج يسترخي على الأرجوحة الشبكية في الفناء الخارجي".

توقَف عند منزل آل ميليكين ودفَعَ منشوراً إعلانياً لشركة زاير وفاتورة الكهرباء في علبة البريد. كان هذا هو اليوم الذي تصدر فيه كل فواتير الكهرباء، لكنه أملَ ألا يحبس موظفو شركة الكهرباء أنفاسهم إلى أن يصلهم شيك آل ميليكين. فقد كان آل ميليكين فقراء معدمين، مثل غاري بيرفيير الذي يعيش في أعلى ذلك الطريق. كانت فضيحة بكل معنى الكلمة رؤية ما يحصل لبيرفيير، وهو رجلٌ حاز ميدالية الخدمة المتميزة في يوم من الأيام. ولم يكن جو كامبر أفضل حالاً منه بكثير. كانا ذاهبين إلى الخراب، كليهما.

كان جون ميليكين خارجاً في الفناء الجانبي، يُصلح ما بدأ أنه مِسلَفة. لوَّح له جورج بيده، ونَقَف ميليكين إصبعاً باقتضاب رداً عليه قبل أن يعود إلى عمله.

هذه واحدة لك، يا مُخادع مصلحة الشؤون الاجتماعية، فكَّر جورج ميارا في سرّه. ثم رَفَع رِجله وأطلق مدفعه. كان إخراج الريح هذا عملاً لعيناً. يجب أن تكون يقظاً جداً عندما يكون هناك آخرون في الأرجاء.

قاد صعوداً على الطريق إلى منزل غاري بيرفيير، وأخرَج منشور زاير آخر، وفاتورة كهرباء أخرى، وأضاف رسالة إخبارية من جمعية قدامى محاربي الحروب الخارجية. حشرها في علبة البريد ثم استدار في الممر الخاص لمنزل غاري، لأنه ليس مضطراً أن يقود إلى نهاية طريق حتى منزل آل كامبر اليوم. فقد اتصل جو بمكتب البريد حوالي العاشرة صباح البارحة وطلب منهم الاحتفاظ ببريده لبضعة أيام. وقد ملأ مايك فورنييه، الثرثار الكبير المسؤول عن بريد كاسل روك، قسيمة "الاحتفاظ بالبريد حتى إشعار آخر" ورماها في محطة جورج.

أخبر فورنييه جو كامبر أنه اتصل بهم متأخراً خمس عشرة دقيقة لكي يوقف استلام بريد الاثنين، إذا كانت هذه هي نيّته.

"لا يهمّ"، قال جو. "أظنني سأكون موجوداً لأستلم بريد اليوم".

وعندما وَضَع جورج بريد غاري بيرفيير في العلبة، لاحَظ أن بريد الاثنين - وهو مجلة بوبولار ميكانكس ورسالة توسّل من مؤسسة خيرية تدعى صندوق المنح التعليمية الريفية - لا يزال مكانه. الآن، وهو يستدير ليغادر، لاحَظ أن كرايسلر غاري القديمة الكبيرة مركونة في الفناء وأن سيارة جو كامبر الستايشن الصدئة عند الأطراف مركونة خلفها مباشرة.

"غادرا معاً"، تمتم بصوتٍ عالٍ. "مغفَّلان يرتعان في مكان ما".

رَفَع رِجله وأخرَج ريحاً مرة أخرى.

كان استنتاج جورج بأنهما يتناولان الشراب ويمضيان أوقاتاً مسليةً في مكان ما، ويتنقّلان في شاحنة جو كامبر على الأرجح. لم يخطر على باله أن يتساءل لماذا سيأخذان شاحنة جو في حين أن هناك مركبتين مريحتين أكثر بمتناول اليد، ولم يلاحظ الدم على سلالم الشرفة أو وجود فجوة كبيرة في اللوح السفلي لباب منخل غاري.

"مغفَّلان يرتعان"، كرَّر. "على الأقل جو كامبر تذكَّر أن يجمِّد استلام بريده".

غادر على نفس الطريق الذي جاء منه، عائداً نحو كاسل روك، ورافعاً رِجلاً بين الحين والآخر ليُطلق مدفعه.

قاد ستيف كيمب شاحنته إلى مطعم الدايري كوين قُرب مركز

تسوّق وستبرُوك ليتناول وجبتَي تشيزبرغر وعلبة بوظة. جلَس في شاحنته يأكل وينظر إلى جادة برايتون، دون أن يرى الطريق أو يتذوَّق الطعام حقاً.

كان قد اتصل بمكتب الزوج الوسيم. وذكر أن إسمه آدم سوالو عندما سألته السكرتيرة. قال إنه مدير التسويق لشركة منزل الأضواء، ويريد التحدّث مع السيد ترنتون. كان يشعر بجفاف في حلقه بسبب التشويق. وعندما يصبح ترنتون على الخط، يمكنهما إيجاد أشياء مثيرة للاهتمام أكثر ليتحدّثا عنها غير التسويق. مثل وَحمة السيدة المحترمة وقوامها الجميل. مثل تلك المرة التي عضَّته فيها بقوة بعدما بلغت ذروتها فسال منه الدم. مثل أحوال الحقيرة منذ اكتشاف الزوج الوسيم بأنها اختبرت قليلاً طبيعة الأمور على الجهة الأخرى للملاءة.

لكن الرياح لم تجر مثلما تشتهي السفن. فقد قالت السكرتيرة، "آسفة، لكن السيد ترنتون والسيد برايكستون خارج المكتب هذا الأسبوع. سيغيبان على الأرجح معظم الأسبوع القادم أيضاً. إذا كان بإمكاني مساعدتك -؟"، وارتفع صوتها بنبرة متفائلة. كانت تريد المساعدة حقاً. فهذه فرصتها الكبيرة لتؤمِّن حساباً جديداً للشركة بينما المديران مشغولان في بوسطن أو نيويورك ربما - بالتأكيد لا يوجد مكان غريب مثل لوس أنجلوس، ولا وكالة تافهة صغيرة مثل آد ووركس. لذا اخرج وارقص الرقص النقري إلى أن يتصاعد الدخان من حذائك يا فتى.

شَكَرها وأخبرها أنه سيعاود الاتصال قُرب نهاية الشهر. ثم أغلق السمّاعة قبل أن يتسنّى لها أن تطلب منه رقمه، بما أن مكتب شركة منزل الأضواء كان في كشك هاتف في شارع الكونغرس مقابل متجر سجائر جو.

ها هو الآن، يأكل التشيزبرغر ويتساءل ما هي خطوته التالية. *كما لو أنك لا تعرف*، همَس له صوت داخلي.

شغَّل الشاحنة وتوجَّه إلى كاسل روك. حين أنهى غداءه (كانت البوظة قد ذابت عملياً في الحرّ)، أصبح في نورث ويندهام. رمى نفاياته على أرضية الشاحنة، حيث انضمت إلى مثيلاتها - حاويات شراب بلاستيكية، وعلب بيغ ماك كرتونية، وزجاجات شراب شعير ومياه غازية قابلة للإعادة، وعلب سجائر فارغة. كان رمي النفايات على الطريق تصرّفاً لا أخلاقياً ويضرّ بالبيئة، ولم يكن يفعله.

وصل ستيف إلى منزل آل ترنتون عند حوالي الثالثة والنصف بعد ظهر ذلك اليوم الحار. ومن منطلق حذرٍ لا شعوريٍّ تقريباً، قاد متجاوزاً المنزل من دون إبطاء وركنَ في شارع جانبي يبعُد حوالي أربعمئة متر. وسار مشياً على قدميه.

كان الممر الخاص للمنزل فارغاً، وشعَر بخيبة أمل مُحبِطة. لن يعترف لنفسه - خاصة الآن وقد بدا له أنها ربما ليست في المنزل - أنه كان ينوي أن يُذيقها بعضاً مما كانت متلهّفة لتتذوّقه خلال الربيع. ومع ذلك، قاد شاحنته طوال الطريق من وستبرُوك إلى كاسل روك بنصف استثارة زالت الآن كلياً.

ليست هنا.

لا؛ *السيارة* ليست هنا. لكن أحد هذين الأمرين لا يبرهن الآخر بالضرورة، أليس كذلك؟

راح ستيف ينظر حوله.

ما لدينا هنا، سيداتي سادتي، هو شارع هادئ من الضواحي في يوم صيف، معظم الأطفال فيه نائمون في قيلولة، ومعظم الزوجات الصغيرات إما يفعلن مثلهم أو مسمّرات أمام شاشات التلفزيون يشاهدن "حب الحياة" أو "البحث عن الغد". وكل الأزواج الوسيمين مشغولين في جني ما يمكن أن يرفعهم إلى فئات ضريبية أعلى، وما يمكن أن يضمن لهم سريراً في جناح العناية الفائقة في المركز الطبي لماين الشرقية. كان هناك ولدان صغيران يلعبان لعبة الحَجْلة على شبكة طبشورية ضبابية وهما يرتديان ثوبَي سباحة ويتعرّقان بشدة. وكانت هناك عجوز صلعاء تدفع عربة تسوّق من البلدة كما لو أن كليهما مصنوعٌ من أفخر الخزف الصيني. ابتعدت مسافة كافية عن الولدين اللذين يلعبان لعبة الحَجْلة.

باختصار، لم تكن هناك أمور كثيرة تحصل. وكان الشارع يكبو في الحرّ.

مشى ستيف على الممر الخاص المنحدِر للمنزل كما لو أن لديه كل الحق ليتواجد هناك. نظَرَ أولاً إلى داخل المرأب الصغير جداً الذي يتّسع لسيارة واحدة. لم يعرف أبداً أن دونا تستخدمه، لأن مدخَله ضيق جداً. وإذا سبَّبت انبعاجاً في السيارة، فإن الزوج الوسيم سيُريها الويل - لا، عذراً؛ *سيُذيقها* الويل.

كان المرأب فارغاً. لا وجود للبينتو، ولا وجود للجاغوار - كان زوج دونا الوسيم يمرّ في مرحلة توصف بأنها سن اليأس للسيارات الرياضية. لم يكن يعجبها أن يقول ذلك، لكن ستيف لم ير أبداً حالة واضحة أكثر من ذلك.

تَرَكَ ستيف المرأب وصعد الدرجات الثلاثة إلى منصة البيت الخلفية. حاوَل أن يفتح الباب فوجده غير مُقفَل. دخل البيت من دون

أن يقرع بعد إلقائه نظرة عادية أخرى حوله ليتأكد أن أحداً لم يره.

أغلَق الباب على صمت المنزل. بدأ قلبه ينبض بقوة في صدره مرة أخرى، وبدا كما لو أنه يهزّ قفصه الصدري بأكمله. ومرة أخرى لم يكن يعترف بالأمور. لم يكن *مضطراً* أن يعترف بها. فقد كانت هناك سواء اعترف بها أم لا.

"مرحبا! هل يوجد أحد في المنزل؟". كان صوته صاخباً، صادقاً، لطيفاً، مستفسراً.

"مرحبا؟". أصبح في منتصف القاعة الآن.

من الواضح أن لا أحد في المنزل. كان هناك شعور بالصمت، بالحرّ، بالانتظار، في المنزل. والمنزل الفارغ المليء بالأثاث يسبِّب لك القشعريرة نوعاً ما عندما لا يكون منزلك. فتشعر أنك مراقَب.

"مرحبا؟ هل يوجد أحد في المنزل؟"، نادى لمرة أخيرة.

أعطِها إذاً شيئاً لتتذكّرك به. ثم انصرف.

دخل غرفة الجلوس ووَقَف ينظر حوله. كان كُمّا قميصه مرفوعين، وساعداه متعرّقين قليلاً. يمكن الاعتراف بالأشياء الآن. كم أراد أن يقتلها عندما وصفته بالسافل، ولعابها طرطش له وجهه. كم أراد أن يقتلها لجعله يشعر أنه عجوز وخائف وغير قادر على مواصلة إمساكه بزمام الأمور. كانت الرسالة شيئاً، لكنها لم تكن كافيةً.

رأى على يمينه زينة رخيصة على سلسلة رفوف زجاجية. فاستدار وركلَ الرف السفلي ركلة قوية مفاجئة. فتفتَّت. وترنَّح الإطار ثم سقط، وتطاير الزجاج، والتماثيل الخزفية الصغيرة للقطط والرعاة وكل ذلك الهراء الذي يفرح به البورجوازيون. نبضَت نبضةٌ في وسط جبهته. كان

يبتسم، غير مُدرك للحقيقة. داس بعناية التماثيل الصغيرة غير المكسورة، وسحقها بشكل تام. ثم أنزل صورة للعائلة عن الجدار، ونظر بفضول إلى الوجه المبتسم لڤيك ترنتون (كان تاد يجلس على حُضنه، وذراعه حول خصر دونا)، ثم رمى الصورة على الأرض وداس الزجاج بقوة.

نظر حوله وهو يتنفّس بصعوبة، كما لو أنه أنهى سباق ركض للتو. وانقضَّ فجأة على الغرفة كما لو أنها شيء حيّ، شيء سبَّب له ألماً كبيراً ويجب معاقبته. دفَع أريكة ڤيك التي يمكن إمالة ظهرها إلى الوراء فانقلبت واقفة على طرفها للحظة، وهي تهتزّ بانزعاج، ثم سقطت محطّمةً طاولة القهوة التي بجانبها. سحَب كل الكتب من المكتبة، وهو يشتم الذوق المستهجَن للأشخاص الذين اشتروها. ثم رفَع منصة المجلات ورماها على المرآة المعلَّقة فوق رف الموقد، فحطَّمها. وسقطت قِطع كبيرة من المرآة المطلية جهتها الخلفية بالأسود على الأرض كما لو أنها قُطع أحجية. كان يشخر الآن مثل ثور هائج، وأصبح خدّاه الرفيعان أرجوانيين تقريباً.

دخل المطبخ عبر غرفة الطعام الصغيرة. وأثناء سيره بجانب طاولة الطعام التي اشتراها لهما والدا دونا كهدية للبيت الجديد، مدَّ ذراعه جانبياً بشكل مستقيم وراح يطيح كل شيء موجود عليها على الأرض – الصينية الدوّارة بكامل مجموعة البهارات، والمزهرية التي اشترتها دونا بدولار ورُبع من المتجر الكبير في بريدغتون الصيف الماضي، وكوب شراب الشعير الكبير المزخرف لڤيك. تحطَّمت مرّشتا الملح والفلفل الخزفيتان مثل قنبلتين. عادت استثارته الآن، وبقوة، طاردةً أفكار الحذر وإمكانية اكتشاف الفاعل من ذهنه نهائياً. كان في مكان ما في الداخل. كان في حفرة داكنة.

في المطبخ، فتح جارور الموقد السفلي إلى أقصى حد ممكن ورمى الأوعية والمقلايات في كل مكان، فأحدثت قرقعةً مُرعِبةً، لكن القرقعة فقط لم تُرضه. رأى مجموعة خزائن تغطي ثلاث من جهات الغرفة الأربعة. ففتحها الواحدة تلو الأخرى. وراح يُمسك قدر ما يستطيع من أطباق كل مرة ويرميها على الأرض. راحت الأواني الفخارية والزجاجية تجلجل موسيقياً، وهو ينخر أثناء تكسّرها. كانت بينها مجموعة من ثمانية أكواب مُرهَفة ذات عنق طويل لشراب العنب تملكها دونا منذ أن كانت في الثانية عشرة من عمرها. فقد قرأت عن "صندوق العروس" في إحدى المجلات وصمَّمت على امتلاك هكذا صندوق. وتبيَّن لها أن أكواب شراب العنب تلك كانت الشيء الوحيد الذي وَضَعته في صندوقها في الواقع قبل أن تفقد الاهتمام (كانت نيّتها الأصلية أن تملأه بما يكفي لتفرش منزلها الزوجي)، لكنها تمتلكها منذ أكثر من نصف حياتها، وهي عزيزة على قلبها جداً.

تحطَّم طبق صلصة مرق اللحم. وتحطَّم طبق المائدة الكبير. وتحطَّم راديو سيرز على الأرض بصوت قوي. وراح ستيف كيمب يرقص عليه. واستثارته القوية جداً الآن تدفعه إلى التهوّر أكثر فأكثر. الوريد في وسط جبهته ينبض على إيقاع كل ذلك. اكتشَف زجاجات شراب تحت مغسلة الكروم الصغيرة في الزاوية. فراح يُخرج زجاجات نصف ممتلئة وثلاثة أرباع ممتلئة ويقذفها بأقصى ما يمكنه على الباب المُغلق لخزانة المطبخ الواحدة تلو الأخرى؛ ستؤلمه ذراعه اليمنى كثيراً غداً لدرجة أنه بالكاد سيتمكن من رفعها إلى مستوى كتفه. وسرعان ما أصبح باب الخزانة الأزرق يرشح بكافة أصناف الشراب وبعضها هدية من روجر وألثيا برايكستون في احتفال الشتاء. تلألأ الزجاج في ضوء شمس

بعد الظهر الحار الداخل من النوافذ التي فوق المغسلة.

اقتحم ستيف غرفة الغسيل، حيث وجَد علب مبيِّض الغسيل، ومنعِّم الأقمشة في زجاجة بلاستيكية زرقاء كبيرة، وثلاثة أصناف من المواد المطهِّرة. راح يركض ذهاباً وإياباً وهو يرمي مساحيق التنظيف تلك في كل مكان.

انتهى من تفريغ آخر كرتونة عندما رأى الرسالة مخربَشة على لوح الملاحظات بخط يد دونا ذي الزوايا الحادة بلا أدنى شك: *ذهبتُ وتاد إلى مرأب كامبر في البينتو. نعود قريباً.*

أعاده ذلك إلى أرض الواقع فوراً. كان قد أمضى نصف ساعة على الأقل هنا، وربما أطول من ذلك. فقد مرّ الوقت بلمح البصر، ومن الصعب تحديده بدقة أكثر. كم مضى على خروجهما عندما وصل؟ ولمَن هذه الملاحظة موجَّهة؟ لأي شخص قد يأتي، أو لشخص محدَّد؟ عليه أن يخرج من هنا... لكن هناك شيء واحد آخر عليه القيام به أولاً.

محا الرسالة عن لوح الملاحظات بحركة واحدة من كُمّه وكَتَب بأحرف كبيرة:

تـرَكـتُ لـك شيـئـاً في الـطـابـق الـعـلـوي يـا حـبـيـبتي

صعد السلالم درجتين درجتين ودخل غرفة نومهما التي كانت على يسار منبسط السلالم في الطابق الثاني. شعَر بضغط الوقت الآن، وكان متيقناً تقريباً أن جرس الباب سيرنّ أو أن شخصاً – سيدة منزل سعيدة أخرى على الأرجح – ستطلّ رأسها من الباب الخلفي وتنادي (مثلما فعل هو)، "مرحبا! هل يوجد أحد في المنزل؟".

لكن ذلك الضغط زاد من منسوب الإثارة في حفلة الجنون هذه. ففكَّ حزامه، وفتح سحّاب سرواله، وترك سرواله الجينز يسقط ما دون رُكبتيه. لم يكن يرتدي سروالاً داخلياً؛ فنادراً ما ارتدى واحداً. لم يستغرق منه الأمر وقتاً طويلاً؛ فقد كان متحمِّساً جداً. وبعد هزّتين أو ثلاث سريعة بقبضته المُغلقة، تطاير سائله المَنوي على البطانية.

أعاد رفع سرواله الجينز، وأغلق السحّاب (وكاد يؤذي نفسه من أسنان السحّاب الصغيرة - سيكون *ذلك* مضحكاً لو حصل)، وركض نحو الباب، وهو يشبك حزامه من جديد. سيلتقي شخصاً أثناء خروجه. نعم. كان أكيداً من ذلك، كما لو أنه أمر محتوم. ستلقي سيدة منزل سعيدة نظرةً واحدةً على وجهه المتورِّد، وعينيه المنتفختين، والنتوء في سرواله الجينز، وتصرخ بأعلى صوتها.

حاوَل تحضير نفسه لهذا بينما فتح الباب الخلفي وخرَج. في استعادته للأحداث، بدا له أنه أحدثَ ضجة صاخبة تكفي لإيقاظ الميت... تلك المقلايات! لماذا رمى تلك المقلايات اللعينة؟ بماذا كان يفكّر؟ لا بد أن جميع مَن في الحي سمعوا صوت سقوطها.

لكن لم يكن هناك أحد في الفناء أو في الممر الخاص. كان سكون بعد الظهر على حاله. وفي الجانب المقابل للشارع، هناك مرشّة مَرجة تدور بلا مبالاة. وولد يلعب على زلّاجات ذات عجلات. وأمامه مباشرة سياج نباتي عالٍ يفصل منزل آل ترنتون عن منزل الجيران. وإلى يسار منصة البيت الخلفية تبدو البلدة مستلقية عند أسفل التلة. كان باستطاعة ستيف رؤية تقاطع الطريق 117 والشارع الرئيسي بوضوح تام، ومشاعات البلدة عند أحد تقاطعات الطريقين. وَقَف هناك على منصة البيت، محاولاً أن يستعيد رباطة جأشه. تباطأت

أنفاسه تدريجياً إلى الوتيرة العادية أكثر للشهيق والزفير. ووجَد تعبيراً لطيفاً لبعد الظهر ورسمه على وجهه. حصل كل هذا في المدة الزمنية التي تحتاج إليها إشارة المرور الموجودة عند الناصية لكي تنتقل من الأحمر إلى الكهرماني إلى الأخضر ثم تعود إلى الأحمر من جديد.

ماذا لو وصلت في سيارتها إلى الممر الخاص الآن؟

دفعه هذا إلى الإسراع مرة أخرى. فقد ترك بصمته الخاصة؛ ولا يحتاج إلى أي مشاحنة منها. لم تكن هناك أي طريقة تمكّنها من فعل أي شيء على أي حال، إلا إذا اتصلت بالشرطة، ولم يعتقد أنها ستفعل ذلك. فهناك أمور كثيرة يمكنه أن يرويها: الحياة الشخصية لسيدة المنزل الأميركية السعيدة الرائعة في موطنها الطبيعي. لكن المشهد كان مجنوناً. ومن الأفضل له الابتعاد قدر المستطاع عن كاسل روك. ربما سيهاتفها لاحقاً، ويسألها إن أعجبها عمله. قد يكون ذلك مسلياً نوعاً ما.

نزَل الممر الخاص، واستدار يساراً، وعاد إلى شاحنته. لم يوقفه أحدٌ. ولم يلحظه أحدٌ. مرَّ ولد على زلّاجات ذات عجلات بجانبه مسرعاً وصرخ "مرحبا يا ستيف"، فردّ له التحية فوراً.

ركب الشاحنة وشغّلها. قاد صعوداً على 117 إلى 302 وتبع ذلك الطريق إلى تقاطعه مع الطريق العام بين الولايات 95 في بورتلاند. دفع رسوم عبور الطريق بين الولايات وتوجَّه جنوباً. ثم بدأت تراوده أفكار مضطربة عما فعله – الغضب التدميري التام الذي أصابه عندما رأى أن لا أحد في المنزل. هل العقوبة التي أنزلها بالمنزل ثقيلة جداً بالمقارنة مع الجريمة؟ لم تعد تريد إقامة علاقة حميمة معه، وما الضرر في ذلك؟ لقد حطَّم القسم الأكبر من المنزل اللعين. هل يشير هذا ربما إلى وجود شيء بغيض في طريقة تفكيره وقتها؟

بدأ يعمل على هذه الأسئلة تدريجياً، مثلما يفعل معظم الناس، فراح يغمر مجموعة حقائق موضوعية في حوض مواد كيميائية مختلفة تشكِّل مجتمعةً الآلية الخاصة بالإدراك الحسيّ البشري المعقّد المعروفة بغير الموضوعية. مثل تلميذ مدرسة يستخدم أولاً القلم بعناية، ثم يستخدم الممحاة، ثم القلم مرة أخرى، راح يهدِّم ما حصل ويعيد بناءه - يعيد رسمه في ذهنه - بعناية إلى أن بدأت الحقائق وإدراكه لها ينسجمان بطريقة يمكنه التأقلم معها.

عندما وَصَل إلى الطريق 495، استدار غرباً نحو نيويورك والريف الممتَد بعدها، وصولاً إلى حدود أيداهو الصامتة، المكان الذي ذهب إليه إرنست همنغواي عندما كان عجوزاً ومُصاباً إصابة قاتلة. شعَر بالارتفاع المألوف في المعنويات الذي يترافق مع قطع الصلات القديمة ومواصلة الحياة - مع ذلك الشيء العجيب الذي سمّاه هاك "الكفاح من أجل المنطقة". شعَر في هكذا أوقات أنه مولود حديثاً تقريباً، وشَعَر بقوة أنه يمتلك أكبر حرية في الدنيا بأكملها، حرية إعادة بناء نفسه. لم يكن ليكون قادراً على فهم أهمية ذلك لو أشار له أحدهم إلى حقيقة أنه، سواء في ماين أو في أيداهو، سيظل أهلاً ليرمي مضربه أرضاً في إحباط غاضب إذا خسِر مباراة في كرة المضرب؛ أنه سيرفض أن يصافح خصمه فوق الشبكة، مثلما كان يرفض دائماً عندما يخسر. فيصافح فوق الشبكة عندما يفوز فقط.

توقَف لتمضية الليل في بلدة صغيرة تدعى تويكنهام. ونام نوماً هانئاً. فقد أقنَع نفسه أن تحطيم منزل آل ترنتون لم يكن فعل غيرة نصف مجنونة بل جزءاً من فوضى ثورية - قتل حقيرين من الطبقة الوسطى، من النوع الذي يسهِّل على الإقطاعيين الفاشيين البقاء في

السلطة عبر دفعهما الضرائب وفواتير الهاتف بدون أي اعتراض. كان فعل شجاعة وحنق تام مبرَّراً. كان طريقةً لقول "السلطة للشعب"، وهي فكرة حاوَل إدخالها في كل قصائده.

ومع ذلك بقي يتأمل، وهو يتّجه نحو النوم على السرير الضيق في الفندق الرخيص، ويتساءل ما سيكون رأي دونا بذلك عندما تعود إلى المنزل مع الولد. جعله هذا ينام مع ابتسامة بسيطة على شفتيه.

عند الثالثة والنصف بعد ظهر ذلك الثلثاء، يئست دونا من قدوم ساعي البريد.

جلَست واضعةً إحدى ذراعيها بخفة حول تاد، الذي كان نصف نائم، وشفتاه منتفختين جداً من الحرّ، ووجهه محموماً ومتورّداً. لم يبق سوى مقدار قليل جداً من الحليب، وستعطيه إياه قريباً. خلال الساعات الثلاثة والنصف الأخيرة – منذ ما كان ليكون استراحة الغداء في المنزل – كانت الشمس شنيعة دون كلل. حتى مع فتح نافذتها ونافذة تاد رُبع المسافة، لا شك أن الحرارة في الداخل وصلت إلى 40 درجة مئوية، وربما أكثر. هذه ببساطة الحال التي تصبح عليها السيارة عندما تتركها في الشمس. ما عدا أن ما تفعله في الظروف العادية عندما تركب السيارة هو أنك تفتح كل النوافذ، وتسحَب المقابض التي تفتح مجاري الهواء، وتشغّل السيارة وتقودها. *هيا ننطلق* – ما أعذب هذه الكلمات على الأذن!

لعَقت شفتيها.

بقيت تفتح النوافذ بالكامل لفترات قصيرة، مُحدثةً تيارات هوائية خفيفة، لكنها كانت خائفة من تركها مفتوحة هكذا. فقد تكبو قليلاً.

الحرّ يخيفها - يخيفها على نفسها وحتى أكثر على تاد، وما قد يكون تأثيره عليه - لكنه لا يخيفها مثل وجه ذلك الكلب، والرغوة التي تسيل من فمه ونظراته المحدِّقة بتلك العينين الحمراوين الغاضبتين.

آخر مرة فتحت فيها النوافذ بالكامل كانت عندما اختفى كوجو في ظلال الحظيرة-المرأب. لكن كوجو عاد الآن.

جلَس في ظل الحظيرة الكبيرة الذي يزداد طولاً، مخفِضاً رأسه، ومحدِّقاً في البينتو الزرقاء. كانت الأرض بين كفّيه الأماميين موحِلة من لعابه. وينهض بين الحين والآخر ويثب في الهواء الفارغ، كما لو أنه يهلوس.

لكم من الوقت؟ لكم من الوقت قبل أن يموت؟

كانت امرأة منطقية. لا تصدِّق وجود وحوش في الخزائن؛ بل تصدِّق الأمور التي يمكنها رؤيتها ولمسها. لم يكن هناك شيء خارق وغير طبيعي في سيلان اللعاب من بقايا كلب من فصيلة السانت برنارد يجلس في ظل حظيرة؛ كان مجرد حيوان مريض عضَّه ثعلب أو ظربان مسعور أو شيء من هذا القبيل. لم يكن هنا ليقضي عليها شخصياً. لم يكن الموقَّر ديمسدايل أو موبي الكلب. لم يكن موتاً على أربعة أقدام.

لكن... كانت قد قرّرت للتو أن تركض نحو الباب الخلفي المغلق لشرفة كامبر عندما خرج كوجو يتمايل ويترنّح من ظلمة الحظيرة.

تاد. تاد كان الشيء. عليها إخراجه من هذا. حان وقت الجدّ. لم يعد يجيبها بشكل متماسك. وبدا على تواصل مع قشور الواقع فقط. وبدت عيناه الشاردتان عندما تكلِّمه مثل عينَي مقاتِل بقي يتلقى لكمات متتالية، مقاتِل فقَدَ تماسكه وكذلك قطعة حماية فمه وينتظر

فقط سلسلة اللكمات الأخيرة لتُسقطه أرضاً فاقد الوعي - تلك الأشياء أرعبتها وأيقظت كل ذرة أمومة لديها. تاد كان الشيء. لو كانت لوحدها، لكانت توجّهت نحو ذلك الباب منذ مدة طويلة. كان تاد مَن يعيقها، لأن ذهنها بقي يعود إلى فكرة قضاء الكلب عليها، وبقاء تاد لوحده في السيارة.

ومع ذلك، وقبل أن يعود كوجو منذ خمس عشرة دقيقة، كانت تحضِّر نفسها لتتوجّه نحو الباب. كرَّرت السيناريو في ذهنها مراراً وتكراراً مثل فيلم منزلي، إلى أن بدا لأحد أجزاء ذهنها كما لو أنه حصل من قبل. ستوقظ تاد بالكامل، وتصفعه ليستيقظ إن لزم الأمر. وتُخبره بضرورة عدم خروجه من السيارة ليتبعها - *مهما تكن الظروف، ومهما يحصل لها*. ستركض من السيارة إلى باب الشرفة وتجرِّب فتحه. إذا لم يكن مُقفلاً، جيد وممتاز. لكنها كانت مستعدة للاحتمال الحقيقي بأن يكون مُقفلاً. خلعت قميصها وأصبحت تجلس خلف المِقوَد الآن في حمّالة صدرها القطنية البيضاء، والقميص في حُضنها. عندما تذهَب، ستفعل ذلك وقد لفّت القميص حول يدها. صحيح أن هذا التدبير بعيد كل البُعد عن الحماية المثالية، لكنه أفضل من لا شيء. ستحطِّم أقرب لوح زجاج لمسكة الباب، وتمدّ يدها إلى الداخل، وتُدخل نفسها إلى الشرفة الخلفية الصغيرة. وإذا كان الباب الداخلي مُقفلاً، ستتأقلم مع ذلك الوضع أيضاً. بطريقة أو بأخرى.

لكن كوجو عاد وخرج من الحظيرة، وهذا حرمها من فرصتها.

لا يهمّ. سيعود إلى الداخل. لقد فعل هذا من قبل.

لكن هل سيفعل هذا مرة أخرى؟ قالت لنفسها. *الظروف مثالية جداً، أليس كذلك؟ لقد غادر آل كامبر، وتذكّروا إيقاف بريدهم مثل*

أي مواطن صالح؛ وقد غادر ڤيك، وهناك احتمال ضئيل أن يتصل قبل ليلة الغد، لأننا ببساطة لا يمكننا تحمّل كلفة المكالمات الطويلة المسافة كل ليلة. وإذا اتصل فعلاً، سيتصل باكراً. وعندما لا يرّد عليه أحد، سيفترض أننا خَرجنا لتناول الطعام لدى ماريو أو البوظة لدى تايستي فريز. ولن يتصل لاحقاً لأنه سيعتقد أننا نائمان. بل سيتصل غداً. ڤيك الُمراعِ لشعور الآخرين. نعم، الظروف مثالية جداً. ألم يكن هناك كلب على مقدمة الزورق في تلك القصة عن النوتيّ في النهر خارون؟ كلب النوتيّ. فقط نادني كوجو. الكل متوجّهون إلى وادي الموت.

ادخل، قالت للكلب بصمت. *عد إلى الحظيرة أيها اللعين.*

لكن كوجو لم يتحرّك.

لعَقت شفتيها، وشَعَرت أنهما منتفختان مثل شفتَي تاد تقريباً.

رفعت له شعره عن جبهته وقالت بلطف، "كيف حالك؟".

"صه"، تمتم تاد بذهن مشتت. "البط...".

هزّته قليلاً. "تاد؟ حبيبي؟ هل أنت بخير؟ تكلّم معي!".

فتح عينيه تدريجياً، ونظر حوله. كان فتىً صغيراً مُحتاراً وحاراً ومُتعَباً بشكل لا يُحتمَل. "ماما؟ ألا يمكننا الذهاب إلى المنزل؟ أشعر *بحّر شديد*...".

"سنذهب إلى المنزل"، هدّأته.

"متى يا ماما؟ متى؟"، بدأ يبكي عاجزاً.

آه يا تاد، وفّر رطوبتك، فكّرت في سرّها. *قد تحتاج إليها*. من الجنون التفكير بهكذا أمر. لكن الوضع بأكمله مضحك إلى حد الجنون، أليس كذلك؟ فكرة احتضار فتى صغير من التجفاف

(توقفي، إنه لا يُحتضَر)

على بُعد أقل من عشرة كيلومترات من أقرب بلدة كبيرة نوعاً ما هي المجنونة.

لكن الوضع هو ما قد حصل، ذكَّرت نفسها تقريباً. ولا تظنّي أي شيء آخر يا أختاه. هذا يشبه حرباً على مقياس صغير، لذا كل شيء بدا صغيراً من قبل يبدو كبيراً الآن. وأصغر نسمة هواء عبر النافذتين رُبع المفتوحتين تُعتبر نسيماً عليلاً. والمسافة إلى الشرفة الخلفية هي كيلومتر كامل عبر منطقة محرَّمة. وإذا كنتِ تريدين اعتبار الكلب مصيراً محتوماً، أو شبح الماضي الأليم، أو حتى استنساخاً لألفيس بريسلي، فأنت حرّة. في هذا الوضع المخفَّف بفضول - وضع الحياة أو الموت هذا - حتى الاضطرار إلى الذهاب إلى الحمّام أصبح مناوشةً.

سنخرج من هذا الوضع. لا يوجد أي كلب سيفعل هذا بإبني.

"متى يا ماما؟"، رفع نظره إليها، بعينيه الرطبتين، ووجهه الشاحب مثل الجبن.

"قريباً"، قالت بتجهّم. "قريباً جداً". رفعت له شعره عن جبهته وحضنته. نظرت خارج نافذته وتركَّز نظرها مرة أخرى على ذلك الشيء الجالس على العشب العالي، على مضرب كرة البيسبول القديم ذاك الملفوف مقبضه بشريط احتكاكي.

أودّ لو أحطّم رأسك به.

بدأ الهاتف يرنّ داخل المنزل.

رفعت رأسها ترقّباً، وغمرها أملٌ كبيرٌ فجأة.

"هل المكالمة لنا يا ماما؟ هل هي لنا؟".

لم تُجبه. لم تكن تعرف لمَن المكالمة. لكن إذا كانا محظوظين - وحظهما سيتغيّر قريباً، أليس كذلك؟ - ستكون من شخص لديه سبب وجيه لينشغل باله من عدم رد أي شخص على الهاتف في منزل آل كامبر. شخص سيأتي ليتحقّق بنفسه.

ارتفع رأس كوجو، ومال إلى إحدى الجهتين، وبدا للحظة يشبه نيبّر بشكل لا يُصدَّق، كلب شركة RCA بأذنه المائلة نحو بوق الغراموفون. نهض بتزعزع إلى قدميه وبدأ يسير نحو المنزل وصوت رنين الهاتف.

"ربما الكلب سيردّ على الهاتف"، قال تاد. "ربما -"

بسرعة ورشاقة مُرعِبتان، غيَّر الكلب الضخم اتجاهه ومشى نحو السيارة. اختفى ترنّحه المربك الآن، كما لو أنه كان مجرد تمثيل خبيث من البداية. كان يهدر ويصيح بدلاً من أن ينبح، وعيناه الحمراوان مشتعلتين. ضرب السيارة بقوة وارتدّ عنها - رأت دونا بعينين مذهولتين ظهور انبعاج خفيف على بابها. *لا شك أنه مات*، فكّرت في سرّها بطريقة هستيرية، *سحقَ دماغه المريض مسبّباً اندماج فقرات عموده الفقري ببعضها؛ ارتجاج الدماغ بلا شك، بلا شك، بلا شك -*

عاد كوجو ونهض، والدم يسيل من خطمه. بدت عيناه تتجوّلان شاردتين مرة أخرى. تابع الهاتف يرنّ دون انقطاع داخل المنزل. بدا الكلب كما لو أنه يهمّ بالابتعاد، ثم بدأ فجأة ينهش طوقه بوحشية كما لو أنه يلسعه، وراح يدور في أرضه، وقفز على نافذة دونا. ارتطم بالزجاج أمام وجهها مباشرة مُحدثاً صوت ارتطام هائل آخر. وتطاير الدم على الزجاج، وظهر تشقّق فضي طويل عليه. زعَق تاد وغطى وجهه بيديه، مُخفضاً خدّيه وخادشاً إياهما بأظافره.

وَثَب الكلب مرة أخرى. وسالت خيوط من الرغوة من خطمه النازف. كان بمكنها رؤية أسنانه الثقيلة مثل عاج أصفر قديم. راحت مخالبه تنقر على الزجاج، والدم يسيل من جرح بين عينيه. تركَّزت عيناه على عينيها؛ عينيان مغفّلتان مملتان، لكن غير خاليتين من - كانت لتُقسم أنهما غير خاليتين من - بعض المعرفة. بعض المعرفة الخبيثة.

"اخرج من هنا!" ، صَرَخت فيه.

رمى كوجو نفسه على جانب السيارة تحت نافذتها مرة أخرى. ومرة أخرى. ومرة أخرى. أصبح بابها منبعِجاً إلى الداخل بشكل سيئ الآن. وكلما ارتطم الكلب ذو التسعين كيلوغراماً بالبينتو، ارتجّت السيارة. وكلما سِمعت ذلك الارتطام الثقيل، شعَرت بيقين أنه قتل نفسه بلا شك، أو على الأقل أفقد نفسه الوعي. وكلما خَبَّ نحو المنزل، استدار وانقضّ على السيارة مرة أخرى. كان وجه كوجو قناع دم وفرواً متلبِّداً تحدِّق منه عينان، كانتا بنيتين وديعتين فيما مضى، بحنق غبي.

نظَرَت إلى تاد ورأت أنه دخل في صدمة، فقد كوَّر نفسه على مقعد السيارة بطريقة مشدودة تشبه طريقة جلوس الجنين في بطن أمه، وشبَكَ يديه على عنقه، وراح يتنفّس بتقطّع.

ربما هذا أفضل. ربما -

توقف رنين الهاتف داخل المنزل. وتوقف كوجو مؤقتاً أثناء عملية استعداده لشنّ انقضاض آخر. أمال رأسه مرة أخرى بتلك الإيماءة الفضولية المستفهِمة. وحبست دونا أنفاسها. بدا الصمت ثقيلاً جداً. جلَس كوجو، ورفع خطمه المشوَّه بشكل رهيب نحو السماء، وعوى عواءً كئيباً ووحيداً وارتعشت، فلم تعد تشعر بالحرّ بل بالبرد. في تلك

اللحظة عرَفت - لم تشعر أو فقط تظنّ - عَرفت أن الكلب كان أكثر من مجرد كلب.

مرّت اللحظة. نهض كوجو على قدميه، ببطء شديد وتثاقل، وسار إلى الجهة الأمامية للبينتو. افترَضت أنه استلقى هناك - فلم تعد قادرة على رؤية ذيله. ومع ذلك بقيت متوتّرة لبضع لحظات إضافية، جاهزة عقلياً في حال قفز الكلب على غطاء المحرّك مثلما فعل سابقاً. لكنه لم يفعل. لم يكن هناك شيء سوى الصمت.

جمّعت تاد في يدَيها وبدأت تدندن له.

عندما يئس بْرَتّ أخيراً وخرجَ من كشك الهاتف، أمسكت له تشاريتي يده وقادته إلى مقهى كالدور. كانا قد أتيا إلى كالدور لينظرا إلى أغطية الطاولات والستائر المتطابقة.

كانت هولي تنتظرهما، وهي تُنهي كوب مياه غازية بالبوظة. "لا توجد مشكلة، أليس كذلك؟"، سألت.

"لا شيء خطير جداً"، قالت تشاريتي، ونفشت له شعره. "إنه قلق على الكلب. ألستَ كذلك يا بْرَتّ؟".

هزّ بْرَتّ كتفيه - وأومأ برأسه على نحو بائس.

"اسبقينا إذا أردتِ"، قالت لها تشاريتي. "سنلحق بك".

"حسناً. سأكون في الطابق السفلي".

أنهت هولي مياهها الغازية وقالت، "أنا أكيدة أن الكلب بخير يا بْرَتّ".

ابتسم لها بْرَتّ بأفضل ما يمكنه لكنه لم يردّ. راقَبا هولي تبتعد

أنيقةً في فستانها العنّابي الداكن وصندلها الفلينيّ النعل، أنيقةً بطريقة تعرَف تشاريتي أنها لن تكون قادرة على تقليدها أبداً. ربما مرةً، لكن ليس الآن. وقد تركت هولي طفلَيها مع جليسة أطفال، وأتوا معاً إلى بريدجبورت حوالي الظهر. اشترت لهم هولي غداءً لطيفاً دفعت ثمنه ببطاقة داينرز كلوب - ومنذ ذلك الوقت وهم يتسوّقون. لكن بْرَتّ كان هادئاً ومنطوياً على نفسه، قلقاً على كوجو. لم تكن تشاريتي تشعر برغبة كبيرة في التسوّق؛ فقد كان الجو حاراً، وكانت لا تزال متوترة قليلاً من سير بْرَتّ أثناء نومه ذلك الصباح. اقترَحت أخيراً أن يحاول الاتصال بالمنزل من أحد الأكشاك القريبة من مطعم الوجبات الخفيفة... لكن النتيجة كانت مثلما خشيت بالضبط.

أتت النادلة. فطلبت تشاريتي بعض القهوة والحليب، وفطيرتين دانمركيتين.

"بْرَتّ"، قالت، "عندما أخبرتُ أباك أنني أريد أن نقوم بهذه الرحلة، عارضني -"

"نعم، توقَّعتُ هذا".

"- ثم غيَّر رأيه. غيَّره فجأة. أعتقد أنه ربما... ربما رآها كفرصة ليأخذ عطلة صغيرة هو أيضاً. يحبّ الرجال أحياناً أن يقضوا بعض الوقت بمفردهم، وأن يقوموا ببعض الأمور".

"مثل الصيد؟".

(ومجامعة نساء أخريات غير زوجاتهم، وتناول الشراب بكثرة، وأمور عديدة مجنونة أخرى لا أعرفها ولا أفهم سببها).

"نعم، مثل الصيد".

"ومشاهدة الأفلام"، قال بْرَتّ. وصلت وجبتاهما الخفيفتان، وبدأ يمضغ فطيرته الدانمركية.

(نعم الإباحية في شارع واشنطن الذي يسمّونه منطقة القتال).

"هذا ممكن. على أي حال، ربما يكون أبوك قد أخذ يومين إجازة للذهاب إلى بوسطن –"

"آه، لا أعتقد"، قال بْرَتّ بجد. "كان لديه الكثير من العمل. *الكثير* من العمل. لقد أخبرني بذلك".

"ربما لم يكن لديه المقدار الذي ظنّه"، قالت وهي تأمل ألا تكون السخرية التي شعَرت بها قد ظهرت في صوتها. "على أي حال، هذا ما أعتقد أنه حصل، ولهذا السبب لم يردّ على مكالمة البارحة أو مكالمة اليوم. اشرب حليبك يا بْرَتّ. فهو يقوّي لك عظامك".

شرب نصف حليبه وارتسم شاربٌ على وجهه. وضع الكوب من يده. "ربما فعلَ ذلك. وربما طلب من غاري أن يرافقه. إنه يحبّ غاري كثيراً".

"نعم، ربما رافقه غاري"، قالت تشاريتي. تكلّمت كما لو أن هذه الفكرة لم تخطر على بالها أبداً، لكنها في الواقع اتصلت بمنزل غاري هذا الصباح بينما كان بْرَتّ يلعب مع جيم جونيور في الفناء الخارجي. لم يردّ عليها أحدٌ. لم يكن لديها أي شكّ أبداً أنهما معاً، أينما كان ذلك. "لم تأكل الكثير من فطيرتك".

رفعها وأخذ قضمة صغيرة منها، وأعاد وضعها من يده. "ماما، أعتقد أن كوجو كان مريضاً. بدا مريضاً عندما رأيتُه صباح البارحة. صِدقاً يا ماما".

"بْرَتّ –"

"حقاً يا ماما. أنتِ لم تريه. بدا... حسناً، فظيعاً".

"هل سيرتاح بالك إذا عرَفت أن كوجو بخير؟".

أومأ بْرَتّ برأسه.

"سنتصل هذه الليلة إذاً بألڤا ثورنتون القاطن على طريق مايبل سوغار"، قالت. "ونطلب منه أن يذهب إلى منزلنا ويتحقّق، موافق؟ برأيي أن أباك اتصل به من قبل وطلب منه إطعام كوجو في غيابه".

"هل تعتقدين هذا حقاً؟".

"نعم". ألڤا أو شخص آخر مثل ألڤا؛ ليسوا أصدقاء فعليين لجو، لأنه على حد علمها كان غاري صديقه الحقيقي الوحيد، لكنهم رجال سيقدّمون خدمةً لقاء تلقيهم خدمة في وقت لاحق في المستقبل.

ارتاحت تقاسيم بْرَتّ فجأة. فمرة أخرى أخرجت له الراشدة الجواب الصحيح مثل أرنب من قبعة. وبدلاً من أن يُسعدها ذلك، جعلها تكتئب للحظات. ماذا ستقول له إذا اتصلت بألڤا وقال لها إنه لم ير جو منذ موسم الوحول؟ حسناً، ستفكّر بحل لتلك المعضلة عندما تصادفها، لكنها بقيت مقتنعة أن جو لن يترك كوجو لوحده دون تدبير مَن يعتني به. فهذه ليس طبيعته.

"هل تريد أن تذهب وتجد خالتك الآن؟".

"بالتأكيد. فقط دعيني أُنهي هذا".

راقَبته، نصف مستمتعة ونصف مروَّعة، وهو يزدرد بقية الفطيرة بثلاث قضمات كبيرة وألحقَها ببقية الحليب. ثم دفَع كرسيه إلى الخلف.

سدَّدت تشاريتي الحساب وخرَجا إلى السُلَّم الكهربائي النازل.

"تباً، هذا متجر كبير حقاً"، قال بْرَتّ بتعجّب. "إنها مدينة كبيرة، أليس كذلك يا ماما؟".

"نيويورك تجعل هذا يشبه كاسل روك"، قالت. "ولا تقل كلمة تباً يا بْرَتّ، فهي مماثلة للشتيمة".

"حسناً". أمسك الدرابزين المتحرّك، وراح ينظر حوله. رأى على يمينهما مجموعة ببغاوات تغرِّد وتزقزق، وعلى يسارهما قسم أدوات منزلية يلمع الكروم في كل مكان فيه، وغسّالة أطباق جهتها الأمامية مصنوعة من زجاج لكي يتمكن المرء من رؤيتها تعمل. رفع نظره إلى أمه بينما كانا يبتعدان عن السُلَّم الكهربائي. "لقد ترعرعتما معاً، صح؟".

"أتمنى أن أخبرك"، قالت تشاريتي مبتسمةً.

"إنها لطيفة حقاً"، قال بْرَتّ.

"يسرّني أنك تعتبرها هكذا. كنتُ دائماً متحيّزة لها بنفسي".

"كيف أصبحت غنية إلى هذا الحد؟".

توقفت تشاريتي. "هل هذا رأيك بهولي وجيم؟ *أهما غنيان؟* ".

"المنزل الذي يعيشون فيه ليس رخيصاً"، قال، وكان يمكنها مرة أخرى رؤية أبيه يختلس النظر من طرف وجهه غير المتشكِّل، جو كامبر بقبعته الخضراء البشعة المائلة إلى الخلف على رأسه، وعينيه، الحكيمتين جداً، منزاحتين إلى إحدى الجهتين. "وعلبة الموسيقى تلك. إنها غالية أيضاً. لديها محفظة مليئة ببطاقات الإئتمان وكل ما لدينا نحن هي بطاقة تكساكو –"

وبّخته. "هل تعتقد أنه من اللباقة اختلاس النظر إلى محافظ الناس عندما يشترون لك غداءً لطيفاً؟".

مكتبة
t.me/soramnqraa

بدا الأسى والتفاجؤ على وجهه، ثم هدأ وأصبح صافياً. هذه إحدى خدع جو كامبر أيضاً. "لقد لاحظتُ ذلك بالصدفة. هل كان صعباً ملاحظة ذلك، بالطريقة التي كانت تتباهى بها –"

"لم تكن تتباهى بها!"، قالت تشاريتي مصدومةً. توقَفت مرة أخرى. فقد وَصَلا إلى نهاية قسم الستائر.

"بلى كانت تتباهى بها"، قال بْرَتّ. "لو كانت البطاقات آلة أكورديون، لكانت تعزف 'سيدة اسبانيا'".

أصبحت غاضبة منه فجأة – جزئياً لأنها شكَّت أن يكون محقاً.

"أرادتك أن تريها كلها"، قال بْرَتّ. "هذا رأيي".

"لستُ مهتمةً كثيراً بمعرفة رأيك عن الموضوع يا بْرَتّ كامبر". شَعَرت بحرارة في وجهها، وبرغبة كبيرة في يدها لصفعه. كانت تحبه منذ بضع لحظات، في الكافيتيريا... وشعَرت كما لو أنها صديقته. أين اختفت كل تلك المشاعر الطيبة؟

"فقط تساءلتُ من أين جاءت بكل تلك العملة".

"ألا تعتقد أن هذه طريقة بذيئة للكلام؟".

هزَّ كتفيه، بعداء علنيّ الآن، وشكَّت أنه يستفزّها عن قصد. ويعود ذلك إلى نظرته لما حصل على الغداء، لكنه يعود أكثر من ذلك. كان يقارن طريقة حياته وطريقة حياة أبيه بطريقة حياة أخرى. هل اعتقَدت حقاً أنه سيتقبَّل طريقة حياة أختها وزوجها تلقائياً لمجرد أن تشاريتي أرادته أن يفعل ذلك – نمط حياة حُرمَت منه هي نفسها، إما بسبب حظها السيئ، أو غباءها الشخصي، أو الأمرين معاً؟ أليس لديه الحق لينتقد... أو يحلِّل؟

بلى، أقرَّت أن لديه الحق بفعل ذلك، لكنها لم تتوقع أن تكون دقة ملاحظته قوية أو دقيقة أو سلبية إلى هذا الحد المقلِق.

"أعتقد أن جيم هو الذي يجني المال"، قالت. "أنت تعرف طبيعة عمله –"

"نعم، إنه ناسخ مستندات".

رفَضت أن تدعه يستفزّها هذه المرة.

"إذا كنت تريد رؤية الأمر بهذه الطريقة. تزوَّجته هولي عندما كان لا يزال يدرس المقرَّرات التعليمية التمهيدية للحقوق في جامعة ماين في بورتلاند. وبينما كان في كلية الحقوق في دنفر، عمِلت في كثير من الوظائف التافهة لتساعده على التخرّج. غالباً ما تتم الأمور بهذا الشكل. تعمل الزوجات لكي يتمكن أزواجهن من الذهاب إلى الكلية وتعلُّم بعض المهارات الخاصة...".

كانت تبحث عن هولي بعينيها، وظنَّت أخيراً أنها رأت أعلى رأس أختها الصغرى على بُعد عدة أروقة إلى اليسار.

"على أي حال، عندما تخرَّج جيم من الكلية أخيراً، عاد وهولي شرقاً وذهَب ليعمل لدى شركة محاماة كبيرة في بريدجبورت. لم يكن يجني الكثير من المال وقتها. فعاشا في شقة في الطابق الثالث لا تحتوي على مكيّف هواء في الصيف ولا جهاز تدفئة في الشتاء. لكنه اجتهد وشقَّ طريقه في تراتبية الشركة. وهو الآن ما يسمّى شريك ثانوي. وأظنّ أنه يجني الكثير من المال، حسب معاييرنا".

"ربما تتباهى ببطاقات إئتمانها لأنها لا تزال تشعر أحياناً أنها فقيرة"، قال بْرَتّ.

صدمتها الفطنة المُوحِشة تقريباً لكلامه، مرة أخرى. فنفشَت شعره بلطف، ولم تعد غاضبة منه. "لقد قلتَ إنها تروق لك".

"نعم، هذا صحيح. ها هي، هناك".

"أراها".

فذهبا وانضما إلى هولي، التي كانت تحمل مجموعة من الستائر من قبل وتبحث عن أغطية للطاولات الآن.

غربت الشمس أخيراً خلف المنزل.

بدأ الفرن الموجود داخل بينتو آل ترنتون يبرد تدريجياً. وهبَّ نسيم هادئ تقريباً، وأدار تاد وجهه نحوه بامتنان. تحسَّن شعوره، في الوقت الحاضر على الأقل، أكثر من أي وقت سابق في هذا اليوم. في الواقع، بدا كل اليوم قبل هذه اللحظة مثل حلمٍ مزعجٍ جداً، حلمٍ يمكنه أن يتذكَّره جزئياً فقط. فقد غادر أحياناً؛ خرج من السيارة ببساطة وغادر. يمكنه أن يتذكَّر ذلك. غادر على صهوة حصان. وقد ركب الحصان في حقل طويل، وكانت هناك أرانب تلعب، تماماً مثلما حصل في ذلك الفيلم الذي أخذه أبوه وأمه ليشاهده في السينما في بريدغتون. كانت هناك بركة في نهاية الحقل، وبط في البركة. كان البط ودوداً. وقد لعب معها تاد. كان ذلك المكان أفضل من التواجد هنا مع ماما، لأن الوحش موجود حيث ماما موجودة، الوحش الذي خرج من خزانته. لم يكن الوحش في المكان الذي يتواجد فيه البط. وقد أحبَّ تاد ذلك المكان، رغم أنه عرَف بطريقة غامضة أنه إذا بقي في ذلك المكان لمدة طويلة جداً، فقد ينسى كيف يمكنه العودة إلى السيارة.

عندما غابت الشمس خلف المنزل، ظهرت ظلال باردة، سميكة

كفاية تقريباً ليكون لها ملمس مثل المخمل. وقد توقف الوحش عن محاولة الانقضاض عليهما. لم يأت ساعي البريد، لكنه يستطيع الآن أن يستريح على الأقل. فأسوأ شيء كان العطش الشديد. أبداً في حياته لم يرغب أن يشرب ماءً بهذا القدر. وهذا ما جعل المكان الذي يتواجد فيه البط لطيفاً جداً - فقد كان مكاناً أخضر رطباً.

"ماذا قلتَ يا عزيزي؟"، قالت أمه وهي تنحني فوقه.

"عطشان"، قال بصوت يشبه نقيق الضفدع. "عطشان جداً يا ماما". تذكَّر أنه كان معتاداً أن يقول "عطسان" بدلاً من "عطشان". لكن بعض الأولاد في المخيَّم الصيفي سخروا منه وسمّوه طفلاً، بنفس الطريقة التي سخروا فيها من راندي هوفناغر لقوله "طفور" عندما كان يقصد قول "فطور". لذا بدأ يقول الكلمة الصحيحة، ويوبِّخ نفسه بشراسة كلما نسيها.

"نعم، أعرف. ماما عطشانة أيضاً".

"أنا أكيد من وجود ماء داخل المنزل".

"عزيزي، لا يمكننا دخول المنزل. ليس بعد. الكلب الشرير أمام السيارة".

"أين؟". نهض تاد على رُكبتيه وتفاجأ من الخفة التي تركض بكسل في رأسه، مثل موجة هادئة. وَضَع يده على لوحة القيادة ليدعم نفسه، وبدت اليد موصولة بذراع طولها كيلومتر كامل. "لا أراه". حتى صوته كان بعيداً مثل صدى.

"اجلس يا تاد. أنت...".

كانت لا تزال تتكلم، ويمكنه الشعور بها تُجلسه على المقعد، لكن

كل شيء كان بعيداً. كانت الكلمات تخطر على باله من مسافة رمادية بعيدة؛ والجو ضبابيٌ بينه وبينها، مثلما كان ضبابياً هذا الصباح... أو صباح البارحة... أو في كل صباح يغادر فيه أبوه في رحلة. لكن كان هناك مكان ساطع أمامه، لذا ترَك أمه ليذهب إليه. كان مكان البط. بط وحوض سباحة وزنابق ماء. أصبح صوت الماما دندنةً بعيدةً. ووجهها الجميل، الكبير جداً، هناك دائماً، هادئ جداً، ويشبه كثيراً القمر الذي يُضيء نافذته أحياناً عندما يستيقظ في وقت متأخر من الليل ليدخل الحمّام ليبوِّل... أصبح ذلك الوجه رمادياً وفقَدَ وضوحه. ذاب في الرذاذ الرمادي. أصبح صوتها الصوت الكسول للنحل الذي كان لطيفاً جداً ليلسع، وصوت تلاطم الماء.

لعِب تاد مع البط.

كَبَت دونا، وعندما استيقَظت مرة أخرى كانت كل الظلال قد امتزجت ببعضها البعض، وأصبحت آخر خيوط الضوء في الممر الخاص لمنزل آل كامبر رمادية اللون. إنه الغسق. لقد حلّ الغسق مرة أخرى وكانا - بشكل لا يُصدَّق - لا يزالان هنا. جلست الشمس على الأفق، مستديرةً وبرتقاليةً قرمزيةً. بدت لها كأنها كرة سلة تم تغطيسها بالدم. حرّكت لسانها في فمها، واللعاب الذي كان قد تجمَّع في صمغ سميك تهشَّم على مضض وعاد ليكون بصاقاً عادياً تقريباً. شَعَرت بجفاف في حلقها، وراحت تتخيّل جمال جلوسها تحت حنفية الحديقة في المنزل، ثم فتح الحنفية إلى أقصى حد، وفتح فمها وترك الماء الجليدي يتدفق فيه. كانت الصورة واضحة كفاية لتجعلها ترتعش وتُصاب بالقشعريرة، وقوية كفاية لتجعل رأسها يؤلمها.

هل لا يزال الكلب أمام السيارة؟

نظرت، لكن بالطبع لم تكن هناك أي وسيلة حقيقية للتأكد. كل ما يمكنها رؤيته بشكل مؤكَّد هو أنه لم يكن أمام الحظيرة.

ضغطت على بوق السيارة، لكنه لم يُصدِر سوى صفير صدئ ولم يتغيَّر شيء. يمكن أن يكون في أي مكان. مرَّرت إصبعها على التشقّق الفضي في نافذتها وتساءلت ماذا سيحصل إذا ضرب الكلب الزجاج بضع مرات إضافية. هل يمكنه أن يخترقه؟ لم تكن لتصدِّق ذلك قبل أربع وعشرين ساعة، لكنها لم تعد واثقة كثيراً الآن.

نظَرَت إلى الباب الذي يؤدي إلى شرفة آل كامبر مرة أخرى. بدا أبعد مما كان من قبل. ذكَّرها هذا بمفهوم ناقَشوه في مقرّر تعليمي لعلم النفس في الكلية. *فكرة متسلِّطة*، هكذا سمّاه المدرِّس، وهو رجل متزمت قليلاً ذو شارب مدبَّب. *إذا وقفتَ على سُلَّم كهربائي نازل لا يتحرّك، ستجد صعوبة كبيرة في السير فجأة*. هذا المفهوم أضحكها كثيراً لدرجة أنها وجَدت في نهاية المطاف سُلَّماً كهربائياً نازلاً في بلومينغدايل معلَّقة عليه لافتة تقول إنه معطَّل فنزلته. ووجَدت زيادةً في دهشتها أن الأستاذ المتزمت الصغير كان محقاً – فرجلاها رفضتا ببساطة أن تتحرّكا. وهذا دفعها إلى محاولة تخيَّل ماذا سيحدث لرأسك لو بدأت الدرجات في منزلك تتحرّك فجأة بينما تنزلها. الفكرة بحد ذاتها جعلتها تضحك بصوتٍ عالٍ.

لكنها لم تعد مضحكة جداً الآن. في الواقع، لم تعد مضحكة أبداً.

بدا باب الشرفة أبعد بالتأكيد.

يحاول الكلب أن يثير لي أعصابي.

حاوَلت رفض الفكرة حالما خطرت على بالها، ثم توقفت عن المحاولة. فقد أصبحت الأمور يائسة جداً الآن لكي تنغمس في رفاهية الكذب على نفسها. عن علم أو عن جهل، كان كوجو يثير لها أعصابها. مستخدماً على الأرجح فكرتها المتسلِّطة حول كيف يُفترَض أن يكون العالم. لكن الأمور تغيَّرت. وقد انتهت النزهة الناعمة على السُلَّم الكهربائي. لا يمكنها مجرد مواصلة الوقوف على الدرجات الجامدة مع إبنها وانتظار أن يعيد أحدهم تشغيل المحرّك. الحقيقة هي أنها وتاد تحت حصار يفرضه الكلب.

كان تاد نائماً. لو كان الكلب في الحظيرة، لأمكنها تنفيذ خطتها الآن.

لكن ماذا لو كان لا يزال أمام السيارة؟ أو تحتها؟

تذكَّرت شيئاً كان أبوها معتاداً على قوله أحياناً عندما يشاهد مباريات كرة القدم الأميركية على التلفزيون. كان أبوها يثمل تقريباً دائماً خلال تلك المناسبات، ويأكل عادة طبقاً كبيراً من الفاصوليا الباردة الباقية من عشاء سهرة السبت. وبالنتيجة، تصبح غرفة التلفزيون غير قابلة للسكن لسكان الأرض العاديين بحلول الشوط الرابع؛ حتى الكلب كان ينسَلّ خلسةً، وعلى وجهه تكشيرة هارب مضطربة.

كانت جملة أبيها تلك مخصصة لإيقاع الخصوم أرضاً واعتراض الكرة. "لقد استلقى على الأجمات الطويلة لذلك الشاب!"، كان أبوها يصرخ قائلاً. وذلك كان يُفقد أمها عقلها... لكن حين أصبحت دونا مراهقة، رأت أن كل شيء تقريباً في أبيها يُفقد أمها عقلها.

تخيّلت الآن كوجو أمام البينتو، غير نائم أبداً بل رابضاً على الحصى مُثنياً قائمتيه الخلفيتين تحته، ومثبّتاً عينيه الدموتين على المكان الذي ستظهر فيه أولاً إذا خرجت من السيارة من جهة السائق. كان ينتظرها، على أمل أن تكون حمقاء كفاية لتخرج. كان مستلقياً على أجماتها الطويلة.

فَرَكت وجهها بيديها بحركة غسل سريعة وعصبية. في السماء فوقها، كان الزُهرة يُطلّ رأسه الآن عبر الأزرق المظلم. والشمس استأذنت خروجها، تاركةً وراءها ضوءاً أصفر ثابتاً لكن مخبولاً نوعاً ما فوق الحقول. وغرَّد عصفورٌ في مكان ما، ثم صمت، ثم غرَّد مرة أخرى.

شعرت أنها لم تعد متلهّفة أبداً لتخرج من السيارة وتركض نحو الباب مثلما كانت بعد ظهر ذلك اليوم. فأحد أسباب ذلك هو أنها كَبَت قليلاً ثم استيقظت لا تعرف أين الكلب بالضبط. وسبب آخر هو الحقيقة البسيطة بأن الحرّ يتراجع - الحرّ المعذِّب وما يفعله بتاد كان أكبر عامل يحثّها لتفعل شيئاً. كان الوضع مريحاً جداً في السيارة الآن، وحالة تاد المتأرجحة بين نصف وعي ونصف إغماء أصبحت نوماً حقيقياً. كان يستريح بشكل جيد، على الأقل في الوقت الحاضر.

لكنها كانت تخشى أن هذه الأمور ثانوية بالنسبة للسبب الرئيسي لاستمرار وجودها في السيارة - أنها بلغت تدريجياً مرحلةً نفسيةً من الجهوزية ثم تخطّتها. تذكَّرت من دروس الغطس في طفولتها في مخيَّم تاباوينغو أنه تأتي لحظةٌ، عند الوقوف لأول مرة على لوح القفز العالي، عندما يكون عليك إما القفز أو الانسحاب بشكل مشين لإفساح المجال للفتاة الواقفة خلفك أن تقفز. سيأتي يومٌ خلال تعلّم القيادة يكون عليك فيه أخيراً الخروج من طرقات الريف الفارغة والتوجّه نحو

المدينة. سيأتي وقتٌ. سيأتي وقتٌ دائماً. وقتٌ للغطس، وقتٌ للقيادة، وقتٌ لمحاولة الركض نحو الباب الخلفي.

سيُظهِر الكلب نفسه عاجلاً أم آجلاً. الحالة سيئة طبعاً، لكنها غير ميؤوسة بعد. الوقت الصحيح يأتي في دورات – لم يكن هذا شيئاً تعلَّمته في حصة علم النفس؛ كان شيئاً تعرفه غريزياً. إذا جبَنتَ على لوح القفز العالي يوم الاثنين، فلا يوجد أي قانون يمنعك من إعادة المحاولة مرة أخرى يوم الثلثاء. يمكنك –

أخبرها ذهنها على مضض أن طريقة التفكير هذه خاطئة تماماً.

لم تكن قوية هذه الليلة بنفس قدر قوتها ليلة أمس. وستكون حتى أكثر ضعفاً وجفافاً صباح الغد. ولم يكن هذا أسوأ ما في الأمر. فقد بقيت جالسةً طوال الوقت – لكم من الوقت؟ – لم يبدُ لها هذا ممكناً، لكنه مرَّ على جلوسها الآن حوالي ثمانٍ وعشرين ساعة. ماذا لو كان جسمها متيبّساً جداً لتركض؟ ماذا لو قطعت نصف المسافة إلى الشرفة وانهارت على الأرض بكل بساطة بسبب تشنّجات في العضلات الكبيرة لفخذَيها؟

في مسائل الحياة والموت، أخبرها ذهنها بشراسة، *الوقت الصحيح يأتي مرة واحدة فقط – ثم يزول إلى الأبد.*

تسارَعت أنفاسها ونبضات قلبها. كان جسمها يُدرك قبل ذهنها أنها ستقوم بالمحاولة. ثم كانت تلفّ قميصها بإحكام أكثر حول يدها اليمنى، ويدها اليسرى موضوعة على مسكة الباب، وعرَفت. لم يكن هناك قرار واعٍ تُدركه؛ بل بدأت بالتنفيذ فجأة. كانت ستذهب الآن، بينما تاد نائم نوماً عميقاً ولم يكن هناك خطر أن يقفز ليركض وراءها.

شدَّت مسكة الباب بيدها الزلقة من العرق. كانت تحبس أنفاسها، وتترقّب أي تغيُّر في العالم.

غرَّد العصفور مرة أخرى. هذا كل شيء.

لن يُفتَح الباب لو كان قد سحقه بعيداً جداً عن شكله الطبيعي، فكّرت في سرّها. وسيكون هذا نوعاً مرّاً من الارتياح. يمكنها عندها أن تسترخي وتعيد التفكير بخياراتها، وترى إن كانت قد أهمَلت أي شيء في حساباتها... وتصبح أكثر عطشاً قليلاً... أضعف قليلاً... أبطأ قليلاً...

ضغطت على الباب، بأن أسندت كتفها اليسرى عليه، وراحت تضع المزيد والمزيد من وزنها عليه. كانت يدها اليمنى تتعرَّق داخل قميصها القطني. وقبضتها متشنّجة جداً لدرجة أن أصابعها ألمتها. وأصبحت تشعر بأطراف أظافرها تنغرس قليلاً في راحة يدها. وبدأت تتخيَّل نفسها مراراً وتكراراً وهي تحطّم الزجاج بجانب مسكة باب الشرفة، وسمعت صوت ارتطام الشظايا على الأرض في الداخل، ورأت نفسها تمدّ يدها إلى المقبض...

لكن باب السيارة لم يُفتَح. دفَعته بأقصى ما يمكنها، وانتفخت الأوتار في عنقها. لكنه لم يُفتَح.

ثم فُتح فجأة. فُتح بمقدار كبير مُحدثاً صوت طقطقة فظيع، وكاد يوقعها أرضاً على يديها ورِجليها. حاولت إمساك مسكة الباب، وفشلت، ثم كرَّرت المحاولة ونجحت هذه المرة. أمسكت المقبض، وسيطر عليها فجأة يقينٌ مُرعبٌ. كان يقيناً بارداً ومُخدِراً مثل تقرير الطبيب بوجود إصابة بالسرطان غير قابلة للشفاء. لقد تمكّنت من فتح الباب.

لكنه رفض أن يُغلق من جديد. سيقفز الكلب إلى داخل السيارة ويقتل كليهما. وسيختبر تاد على الأرجح لحظة يقظة مرتبكة، لحظة رحومة أخيرة سيظن خلالها أنه يحلم، قبل أن تمزِّق أسنان كوجو حنجرته.

تقطّعت أنفاسها، وبدأت تلهث بسرعة. بدا لها أنه يمكنها رؤية كل قطعة حصى في الممر الخاص، لكنها وجدت صعوبة في التفكير. وراحت أفكارها تتقلَّب بعنف. ومرَّت مشاهد من الماضي في مخيلتها بسرعة مثل فيلم لاستعراضٍ في الشارع تم تسريعه بحيث أن الفرقة الموسيقية السائرة والخيّالة ومدوِّري العُصي بدوا كما لو أنهم يهربون من مسرح جريمة غريبة.

جهاز التخلّص من النفايات يتقيأ قذارة خضراء بغيضة على سقف المطبخ، متراجعاً في أنبوب المغسلة.

سقوطها عن الشرفة الخلفية عندما كانت في الخامسة من عمرها وكسرها معصمها.

إخفاض نظرها إلى نفسها خلال الحصة الثانية – حصة علم الجبر – في أحد الأيام عندما كانت في الثانوية وشعورها بخزي ورعب كبيرين من رؤية بُقع دم على تنورتها الكتّانية الزرقاء الفاتحة، من أن عادتها الشهرية قد بدأت، ولم تعد تعرف كيف يمكنها أن تنهض عن مقعدها عندما يرنّ الجرس من دون أن تلفت انتباه كل شخص، من دون أن يعرف الجميع أن عادة دونا روز الشهرية قد حلّت عليها؟

أول فتى قبّلته على فمه. دوايت سامبسون.

حمْلها تاد، المولود حديثاً، على يدَيها ثم أخذ الممرضة له بعيداً؛ أرادت إبلاغ الممرضة ألا تفعل ذلك – *أعيديه لي، فأنا لم أنتهِ منه*

بعد، هذه كانت الكلمات التي خطرت على بالها - لكنها كانت ضعيفة جداً لتنطقها ثم الصوت الرهيب لخروج المشيمة منها؛ تذكَّرت قولها لنفسها *إنني أتقيأ أنظمة دعم حياته*، ثم أُغمي عليها.

بكاء والدها في عرسها ثم ثمله في الحفلة.

وجوه. أصوات. غرف. مشاهد. كتب. رعب هذه اللحظة، وتفكيرها *سأموت* -

بجهد هائل، أعادت تمالك نفسها قليلاً. فأمسكت مسكة باب البينتو بكلتَي يديها وشدّت بقوة كبيرة. انغلق الباب. سمعت صوت الطقطقة مرة أخرى الناتجة عن احتجاج المِفصَلة التي سحقها كوجو. كان هناك صوت ضربة ثقيلة جداً عندما انغلق الباب بقوة جعلت تاد يقفز على مقعده ثم يتمتم شيئاً في نومه.

مالت دونا إلى الوراء على مقعدها، وهي ترتعش لاإرادياً، وبكت بصمت. سالت دموع حارّة من تحت جفنَيها إلى الخلف نحو أذنيها. لم تشعر بهكذا خوف كبير من أي شيء في حياتها أبداً، ولا حتى في غرفتها في الليل عندما كانت صغيرة وظنّها أنه توجد عناكب في كل مكان. لا يمكنها الذهاب الآن، طمأنت نفسها. كانت فكرة غير معقولة. وقد استُنفدت كلياً. كانت أعصابها متوترة جداً. ومن الأفضل لها أن تنتظر، أن تنتظر فرصة أفضل...

لكنها لم تتجرّأ أن تدع تلك الفكرة تصبح *متسلِّطة*.

لن تأتي فرصة أفضل من هذه. كان تاد خارجها، والكلب خارجها أيضاً. لا بد أن تكون حقيقية؛ المنطق يقول إنها حقيقية. تلك الطقطقة الصاخبة الأولى، ثم الطقطقة الأخرى عندما أغلقت الباب

بعنف. كل ذلك كان ليُحضره راكضاً لو كان أمام السيارة. ربما كان في الحظيرة، لكنها اعتبرت أنه كان ليسمع الضجة من هناك أيضاً. لا شك أنه ذهب لكي يتجوّل في مكان ما. لن تسنح لها فرصة أفضل من الآن أبداً، وإذا كانت خائفة جداً لتفعل ذلك لنفسها، فلا يجب أن تكون خائفة جداً لتفعله لتاد.

الظرف مؤاتٍ. لكن ما أقنعَها أخيراً هو تخيّل نفسها داخل منزل آل كامبر المظلم، والشعور المطمئن لوجود الهاتف في يدها. يمكنها سماع نفسها تكلِّم أحد مساعدي المأمور بانرمان، بهدوء وعقلانية تامة، ثم إغلاق سمّاعة الهاتف. ثم الذهاب إلى المطبخ لإحضار زجاجة ماء بارد.

فتَحت الباب مرة أخرى، وأجفلها صوت الطقطقة رغم تحضّرها له هذه المرة. شتمت الكلب في قلبها، على أمل أن يكون مستلقياً ميتاً في مكان ما والذباب يملأ جثته.

أخرجت ساقيها، وجفلت من التصلّب والألم. وَضَعت حذاء كرة مضربها على الحصى. ونهضت تدريجياً تحت السماء المظلمة.

غرَّد العصفور في مكان قريب: غرّد ثلاث نغمات وصمتَ.

سمِع كوجو الباب يُفتَح مرة أخرى، مثلما أخبرته غريزته. عندما فُتح لأول مرة، كاد يأتي من مقدمة السيارة حيث كان يستلقي في شبه ذهول. كاد يأتي لينقضّ على المرأة التي سبَّبت له هذا الألم الفظيع في رأسه وجسمه. كاد يأتي، لكن غريزته أمرته أن يبقى في مكانه. كانت المرأة تحاول فقط سحبه من مكانه، هكذا نصحته غريزته، وتبيَّن له صحّة ذلك.

مع اشتداد المرض عليه، وتجذّره في جهازه العصبي مثل حريق

أعشاب شَرِه، بكل دخانه الرمادي الفاتح ولهبه المنخفض الورديّ اللون، ومواصلته تدمير أنماط تفكيره وسلوكه السليمين، إلا أنه عمَّق مكره بطريقة ما. كان أكيداً من تمكّنه من القضاء على المرأة والفتى. فقد سبّبا له ألمه - العذاب في جسمه وكذلك الألم الفظيع في رأسه الذي نتجَ عن القفز على السيارة مراراً وتكراراً.

نسي أمر المرأة والفتى مرتين اليوم، مغادراً الحظيرة عبر حُجَيرة الكلب التي أحدثها جو كامبر في باب الغرفة الخلفية حيث يحتفظ بدفاتر حساباته. ذهب إلى المستنقع الواقع خلف عقار آل كامبر، ومرَّ في المرتين على مسافة قريبة جداً من المدخل النامي بإفراط للكهف الكلسيّ حيث تجثم الوطاويط. كان هناك ماء في المستنقع وكان يشعر بعطش رهيب، لكن المنظر الفعلي للماء أثار له جنونه في المرتين. أراد أن يشرب الماء؛ يقتل الماء؛ يستحمّ في الماء؛ يبوِّل ويتبرَّز في الماء؛ يغطيه بأتربة؛ يهاجمه بعنف؛ يدمّيه. وقد أبعده هذا الإرباك الفظيع للمشاعر في المرتين، وهو يئنّ ويرتعش. لقد تسبَّبت المرأة والفتى بكل هذا. ولن يبتعد عنهما مرة أخرى. لا يوجد في التاريخ كلب أكثر إخلاصاً أو تصميماً على بلوغ هدفه. سينتظر إلى أن يتمكّن من القضاء عليهما. سينتظر إلى ما لا نهاية إذا لزم الأمر. سينتظر. سيراقبهما مراقبة شديدة.

المرأة أكثر أهمية. بطريقة نظرها إليه، كما لو أنها تقول له، *نعم، نعم، أنا التي فعلتُ ذلك، أنا جعلتك تمرض، أنا جعلتك تتألم، لقد ابتكرتُ هذا العذاب خصيصاً لك وسيبقى معك دائماً الآن.*

آه اقتلها، اقتلها!

سمِع صوتاً. كان صوتاً ناعماً، لكنه لم يغفل عنه؛ فقد أصبحت أذناه تلتقطان كل الأصوات الآن بشكل خارق للطبيعة. أصبح الطيف

الكامل للعالم السمعي تحت سيطرته. ولا شيء يفوته، سواء كان صوتاً حقيقياً أو غير حقيقي.

كان الصوت الناعم لحصى صغيرة تنزلق وتُطحن ضد بعضها البعض.

ثبَّت كوجو قائمتيه الخلفيتين على الأرض وانتظَرها. سال منه بولٌ دافئٌ ومؤلمٌ، ولم يكترث. كان ينتظر ظهور المرأة. وعندما يحصل ذلك، سيقتلها.

في حُطام الطابق السفلي لمنزل ترنتون، بدأ الهاتف يرنّ.

رنَّ ست مرات، ثماني مرات، عشر مرات. ثم ساد الصمت. بعد قليل، ارتطمت نسخة آل ترنتون من صحيفة كاسل روك كول بالباب الأمامي وابتعد بيلي فريمان على دراجته الهوائية حاملاً كيسه القماشي فوق كتفه، وهو يصفِّر.

في غرفة تاد، كان باب الخزانة مفتوحاً، والهواء يعبق برائحة جافة لا توصف، همجية ووحشية مثل الأسد.

في بوسطن، سألت عاملةٌ ڤيك ترنتون إن كان يريدها مواصلة المحاولة. "لا، لا بأس، شكراً"، قال وأغلق الخط.

وجَد روجر فريق ريد سوكس يلعب ضد فريق كنساس سيتي على القناة 38، فجلس على الأريكة بملابسه الداخلية ومعه شطيرة وكوب حليب طلبهما من خدمة الغرف، وراح يشاهد تحمية اللاعبين.

"من بين كل عاداتك"، قال ڤيك، "ومعظمها يتراوح من كريه إلى

مثير للإشمئزاز بلطف، أعتقد أن الأكل بسروالك الداخلي هي الأسوأ على الأرجح".

"استمعوا إلى هذا الرجل"، قال روجر بهدوء للغرفة الفارغة. "إنه في الثانية والثلاثين من عمره ولا يزال يسمّي شورت الملابس الداخلية سروالاً داخلياً".

"وما العيب في ذلك؟".

"لا شيء... إذا كنت لا تزال أحد الكشّافة في مخيّم صيفي".

"سأذبحك هذه الليلة يا روجر"، قال ڤيك مبتسماً بسعادة. "ستستيقظ وتجد نفسك تختنق بدمك. ستكون آسفاً، لكن سيكون... *قد فات الأوان!*". ثم أخذ نصف شطيرة البسطرما الساخنة لروجر وجرحها بفظاظة.

"هذا تصرّف لعين وغير صحي"، قال روجر وهو ينفض الفتات عن صدره العاري الكثير الشعر. "لم تكن دونا في المنزل، أليس كذلك؟".

"صح. الأرجح أنها ذهبت مع تاد إلى تايستي فريز ليتناولا البرغر أو شيئاً مماثلاً. أتمنى من كل قلبي لو كنتُ هناك وليس في بوسطن".

"آه، تذكّر فقط"، قال روجر وهو يبتسم بشكل خبيث، "أننا سنكون في التفاحة الكبيرة ليلة الغد. نحتفل تحت الساعة في بيلتمور...".

"تباً لبيلتمور وتباً للساعة"، قال ڤيك. "أي شخص يُمضي أسبوعاً بعيداً عن ماين في رحلة عمل في بوسطن ونيويورك - وخلال الصيف - لا شك أنه مجنون".

"نعم، أوافقك الرأي"، قال روجر. على التلفزيون، قذف بوب ستانلي الكرة فوق الزاوية الخارجية إيذاناً ببدء المباراة. "هذا مقرف نوعاً ما".

"هذه شطيرة جيدة جداً يا روجر"، قال ڤيك مبتسماً ابتسامةً أخّاذةً لشريكه.

رفع روجر الطبق ووضعه على صدره. "اطلب واحدة لنفسك من أسفل، أيها السارق اللعين".

"ما هو الرقم؟".

"ستة-ثمانية-واحد، أعتقد. إنه مدوَّن على الهاتف".

"ألا تريد بعض شراب الشعير مع هذا؟"، سأل ڤيك وهو يتوجَّه إلى الهاتف مرة أخرى.

هزَّ روجر رأسه. "لقد شربتُ الكثير على الغداء. رأسي يؤلمني، ومعدتي تؤلمني، وسأُصاب بإسهال صباح الغد على الأرجح. إنني أكتشف الحقيقة بسرعة يا عزيزي. لم أعد ولداً".

اتصل ڤيك بخدمة الغرف ليطلب شطيرة بسطرما ساخنة بخبز الجاودار وزجاجتَي شراب شعير. عندما أغلق السمّاعة والتفَت إلى روجر، كان روجر جالساً مثبّتاً عينيه على التلفزيون، وطبق شطيرته متوازناً على بطنه الكبير، وكان يبكي. اعتقَد ڤيك في البدء أنه لم ير بشكل صحيح؛ وأن ذلك نوعٌ من الوهم البصري. لكن لا، كانت تلك الدموع حقيقية. وقد انعكست صورة التلفزيون الملوّن عليها في مواشير ضوئية.

بقي ڤيك يقف صامتاً للحظات، غير قادر على أن يقرِّر ما إذا

كان عليه أن يذهب إلى روجر أو يذهب إلى الجهة الأخرى للغرفة ويفتح الصحيفة، متظاهراً أنه لم ير شيئاً. ثم نظر روجر نحوه، بوجهه الحزين، والأعزل وغير المحصّن تماماً مثل وجه تاد عندما سقط عن الأرجوحة وكشطَ رُكبتيه أو تعثَّر على الرصيف.

"ماذا سأفعل يا ڤيك؟"، سأل بصوت أجش.

"روجر، عما تتكلم –"

"أنت تعرف عما أتكلم"، قال. ابتهَج الحَشد في فَنواي مع تسجيل فريق بوسطن نقطة في نهاية الشوط الأول.

"هوِّن عليك يا روجر. أنت –"

"الخطة ستفشل وكلانا يعرف ذلك"، قال روجر. "رائحتها سيئة مثل كرتونة بيض تُركت لأسبوع كامل في الشمس. نحن نلعب لعبة صغيرة لطيفة. وهناك روب مارتن في صفّنا. ولدينا ذلك اللاجئ من دار الممثلين القدامى في صفّنا. ولا شك أن سامرز للتسويق والأبحاث ستكون في صفّنا، بما أننا من زبائنها. كم هذا مدهش. الجميع في صفّنا ما عدا الأشخاص المؤثّرين".

"لم يتقرَّر شيء يا روجر. ليس بعد".

"ألثيا لا تفهم حقاً كم هي الأمور على المحك"، قال روجر. "الذنب ذنبي؛ حسناً، أنا إنسان جبان. لكنها تحب العيش في بريدغتون يا ڤيك. تحب العيش هناك. والفتيات، لديهن أصدقاء في المدرسة... والبحيرة في الصيف... لا يعرفون *أبداً* أن الوضع ينهار".

"نعم، هذا مخيف. ولن أحاول إقناعك بغير ذلك يا روجر".

"هل تعرف دونا مدى سوء الأوضاع؟".

"أعتقد أنها ظنّت في البدء أنها نكتة جيدة جداً علينا، لكنها بدأت تأخذ فكرة واضحة الآن".

"لكنها لم تعتد على ماين أبداً مثلنا جميعاً".

"ربما ليس في البداية. أعتقد أنها سترفع يديها رعباً من فكرة إعادة تاد إلى نيويورك الآن".

"ماذا سأفعل؟"، سأل روجر مرة أخرى. "لم أعد ولداً. أنت في الثانية والثلاثين، لكنني سأصبح في الحادية والأربعين الشهر القادم يا ڤيك. ماذا عليَّ أن أفعل؟ أبدأ توزيع سيرتي الذاتية هنا وهناك؟ هل سيستقبلني ج. والتر تومسون بأحسن ترحاب؟ 'أهلاً يا عزيزي روجر، كنتُ أحتفظ لك بمنصبك القديم. ستبدأ من ثلاثين-خمسة-خمسة'. هل هذا ما سيقوله لي؟".

اكتفى ڤيك بهزّ رأسه، لكنه كان منزعجاً قليلاً من روجر.

"اعتدتُ أن أكون غاضباً فقط. حسناً، لا أزال غاضباً، لكنني خائف الآن أكثر من أي شيء آخر. أستلقي على السرير في الليل وأحاول أن أتخيَّل كيف ستكون الأمور - فيما بعد. لا يمكنني تخيّلها. أنت تنظر إليَّ وتقول لنفسك، 'روجر يهوِّل'. أنت -"

"لم أفكَّر بهكذا شيء أبداً"، قال ڤيك آملاً ألا يبدو مذنباً.

"لن أقول إنك تكذب"، قال روجر، "لكنني أعمل معك منذ مدة طويلة كفاية لأعرف جيداً كيف تفكّر. أفضل مما قد تظن. على أي حال، لن ألومك على الفكرة - لكن هناك فرق كبير بين الثانية الثلاثين والحادية والأربعين يا ڤيك. يقضون على الكثير من الشجاعة فيك بين الثانية والثلاثين والحادية والأربعين".

"اسمع، لا أزال مقتنعاً أن لدينا فرصة معقولة مع هذا الاقتراح –"

"ما أود فعله هو أخذ عشرين علبة من حلوى توت العليق الأحمر معنا إلى كليفلاند"، قال روجر، "ثم أجعلهم ينحنون بعد أن يربطوا الصفيحة بأذيالنا. سأدبّر مكاناً لكل تلك الحبوب، هل تعرفه؟".

ربَّت ڤيك على كتف روجر. "نعم، فهمتُك".

"ماذا ستفعل إذا سحبوا منا الحساب؟"، سأل روجر.

كان ڤيك قد فكّر في ذلك. وقد تناوله من كل زاوية ممكنة. سيكون من الإنصاف القول إنه وصل إلى المشكلة قبل فترة طويلة من مقاربة روجر لها.

"إذا انسحبوا، سأعمل بجدّ أكثر من أي وقت مضى في حياتي"، قال ڤيك. "ثلاثين ساعة في اليوم، إذا اضطررتُ. وإذا اضطررتُ إلى التعاقد مع ستين حساباً صغيراً في نيو إنغلاند للتعويض عما كنا نجنيه من حساب شارپ، فسأفعل ذلك".

"سنقتل أنفسنا من أجل لا شيء".

"ربما"، قال ڤيك. "لكننا سننهزم بكامل أسلحتنا. صح؟".

"أظن"، قال روجر بتردّد، "أنه إذا بدأت ألثيا تعمل، يمكننا الاحتفاظ بالمنزل لحوالي سنة. ويجب أن تكون هذه المدة كافيةً لبيعه، وفقاً لمعدلات الفوائد حالياً".

فجأة شعَر ڤيك بالجملة ترتعش على لسانه: الفوضى السوداء المستهجَنة بأكملها التي تمكّنت دونا من إدخال نفسها فيها بسبب حاجتها إلى مواصلة الإدعاء أنها لا تزال في التاسعة عشرة من عمرها. شعر ببعض الغضب الباهت تجاه روجر، روجر الذي كان سعيداً في

زواجه بلا شك لمدة خمسة عشر عاماً. روجر الذي كانت لديه ألثيا الجميلة المتواضعة لتدفّئ له فراشه (إذا كانت ألثيا برايكستون قد فكّرت بالخيانة ولو من باب الصدفة، لكان ڤيك تفاجأ)، روجر الذي لم تكن لديه أي فكرة على الإطلاق عن عدد الأشياء التي يمكن أن تسوء فوراً.

"اسمع"، قال. "تلقيتُ رسالةً الخميس في البريد المتأخر –"

كان هناك طرق حاد على الباب.

"هذه خدمة الغرف"، قال روجر. رفع قميصه ومسح وجهه به... ومع زوال الدموع، شعَرَ ڤيك فجأة أنه من غير الممكن أبداً أن يُخبر روجر. ربما لأن روجر كان محقاً في النهاية، والفارق الكبير بينهما هو الأعوام التسعة بين الثانية والثلاثين والحادية والأربعين.

فتح ڤيك الباب واستلم شراب شعيره وشطيرته. لم يُكمِل ما كان على وشك أن يقوله عندما طرَقَ النادل في خدمة الغرف الباب، ولم يسأله روجر. لقد عاد إلى مباراة كرة القدم ومشاكله الخاصة.

جلس ڤيك ليأكل شطيرته، ولم يندهش تماماً من إيجاد أن معظم شهيته قد زالت. سقطت عيناه على الهاتف، وجرَّب رقم هاتف المنزل مرة أخرى وهو لا يزال يمضغ. تركه يرنّ عشر مرات قبل أن يُغلق الخط. كان يعبس قليلاً. فقد كانت الثامنة وخمس دقائق، أي خمس دقائق بعد وقت النوم المعتاد لتاد. ربما التقت دونا شخصاً ما، أو ربما شعرا بالضجر من المنزل الفارغ وذهبا لزيارة أحدهم. ففي النهاية، لم يكن هناك أي قانون ينصّ على أن تادر يجب أن يأوي إلى فراشه تمام الثامنة، خاصةً عندما يتأخر غروب الشمس ويكون الجو حارّاً جداً. من المؤكد أن هذا كان مرجّحاً. ربما ذهبا إلى الحديقة ليضيّعا الوقت إلى أن يصبح الجو بارداً كفاية لإمكانية النوم. صحيح.

(أو ربما هي مع كيمب)

كان هذا جنوناً. لقد قالت إن الأمر انتهى بينهما وقد صدَّقها. صدَّقها حقاً. دونا لم تكذب.

(وهي لا تلهو يميناً ويساراً أيضاً، أليس كذلك؟)

حاول استبعاد الفكرة، لكنه فشل في ذلك. كان الفأر حرّاً طليقاً وسيبقى مشغولاً في إزعاجه لبعض الوقت الآن. ماذا كانت لتفعل بتاد لو قرَّرت فجأة أن تفرّ مع كيمب؟ هل يقيم ثلاثتهم في فندقٍ ما في الوقت الحالي، في فندقٍ بين كاسل روك وبالتيمور؟ لا تكن أحمق يا ترنتون. ربما كانوا –

الحفل الموسيقي، أجل أجل، بالطبع. يُقام حفل موسيقي في الحديقة العامة مساء كل ثلثاء. وفي بعض أيام الثلثاء، تعزف فرقة المدرسة الثانوية، وأحياناً فرقة موسيقى الحجرة، وأحياناً أخرى فرقة راغتايم محلية تُطلق على نفسها إسم "الحافة الخشنة". إنهما هناك بالتأكيد، يستمتعان بالبرودة ويستمعان إلى فرقة الحافة الخشنة في عزفها أغنية "كاندي مان" لجون كاند أو ربما "بولاه لاند".

(ما لم تكن مع كيمب)

أفرغَ زجاجة شراب شعيره وفتحَ زجاجة أخرى.

وقفت دونا خارج السيارة لثلاثين ثانية، وراحت تحرِّك قدميها قليلاً على الحصى لتُزيل الدبابيس والإبر من ساقيها. بقيت تراقب الجزء الأمامي من المرأب، وهي لا تزال تشعر أنه إذا جاء كوجو، فإنه سيأتي من ذلك الاتجاه – ربما من مدخل الحظيرة، أو ربما من أحد الجانبين،

أو ربما من خلف شاحنة المزرعة، التي بدت ككلبٍ بنفسها في ضوء النجوم – كلبٍ هجينٍ أسود ضخمٍ مغبرٍ كان مستغرقاً في نومه.

وقفت هناك، غير مستعدة كلياً لتبدأ بالركض. تنفَّس الليل عليها بعطور صغيرة ذكّرتها بطفولتها، وكيف كانت تشمّ تلك العطور بكامل شدتها بشكل روتيني تقريباً. البرسيم والتبن من المنزل الواقع في الجزء السفلي للتلة، والرائحة الحلوة للعسلة.

وسمعت شيئاً: موسيقى. كانت ضعيفة جداً، غير موجودة تقريباً، لكن أذنيها، اللتين أصبحتا متناغمتين تقريباً مع الليل الآن، سمعتها. *راديو أحدهم*، فكرَّت في البدء، ثم أدركت بعجرفة فاضحة أنه الحفل الموسيقي في الحديقة العامة. كانت هذه موسيقى جاز ديكسيلاند التي تسمعها. وحتى يمكنها تحديد النغمة. كانت "السير إلى بوفالو". *عشرة كيلومترات*، فكرَّت. *لم أكن لأصدّق ذلك أبداً – كم أن الليل ساكن! هادئ!*

شعرت أنها حيّة جداً.

كان قلبها آلة صغيرة قوية تنثني في صدرها. ودمها يغلي. بدت عيناها تتحرّكان بسهولة على سرير رطوبتهما. وكانت كُليتاها ثقيلتين لكن ليس بشكل بغيض. حان الوقت؛ إنه وقت العمل. كانت لفكرة أنها تضع حياتها على المحك، *حياتها الحقيقية*، جاذبيةٌ ثقيلةٌ صامتةٌ، مثل وزن ضخم وصل إلى أبعد درجة من زاوية استراحته. أغلقت باب السيارة – *طقطقة*.

انتظَرت، وراحت تشمّ رائحة الهواء مثل حيوان. لم يكن هناك شيء. كان مدخل حظيرة–مرأب جو كامبر داكناً وصامتاً. وتلألأ

كروم مخفِّف صدمات البينتو الأمامي بشكل خافت. وصدحت موسيقى ديكسي لاند بشكل باهت وسريع ونحاسي ومبتهِج. انحنت، متوقعةً أن تفرقع رُكبتاها، لكنهما لم تفعلا ذلك. أمسكت حفنة حصى بيدها. وبدأت تقذفها الواحدة تلو الأخرى فوق غطاء البينتو إلى المكان الذي لا يمكنها رؤيته.

حطَّت الحصوة الصغيرة الأولى أمام أنف كوجو، مرتطمةً بمزيد من الحصى، ثم جمدت أرضاً. ارتعَش كوجو قليلاً. وتدلّى لسانه. بدا كأنه يكشِّر. حطّت الحصوة الثانية أبعد منه. والثالثة ضربت كتفه. لم يتحرّك. لا تزال المرأة تحاول إخراجه من مكانه.

وَقَفت دونا قرب السيارة، عابسةً. لقد سمِعت الحصوة الأولى ترتطم بالحصى، والثانية أيضاً. لكن الثالثة... كان كما لو أنها لم تحطّ على الأرض أبداً. لم تكن هناك قرقعة خفيفة. ما معنى ذلك؟

فجأة لم تعد تريد أن تركض نحو باب الشرفة إلى أن تتمكن من رؤية أنه لا يوجد شيء يختبئ أمام السيارة. ثم، نعم. حسناً. لكن... للتأكد فقط.

خطت خطوةً. خطوتين. ثلاث.

استعدَّ كوجو. وتوهَّجت عيناه في العتمة.

أربع خطوات من باب السيارة. كان قلبها طبلاً في صدرها.

يستطيع كوجو رؤية ورك المرأة وفخذها الآن. وستراه بعد لحظة. جيد. أرادها أن تراه.

خمس خطوات من الباب.

أدارت دونا رأسها. وأصدر عنقها صريراً مثل النابض على باب

منخل قديم. شعَرت بهاجسٍ، بيقينٍ ضعيفٍ. أدارت رأسها تبحث عن كوجو. كان كوجو هناك. كان هناك منذ البداية، يربض منخفضاً، يختبئ عليها، ينتظرها، يستلقي على الأجمات الطويلة.

التقت عيناهما للحظة - عينا دونا الزرقاوان العريضتان، وعينا كوجو الحمراوان الموحِلتان. راحت تنظر إلى ما بعد عينيه للحظة، ترى نفسها، ترى المرأة - هل كان يرى نفسه من خلال عينيها؟

ثم انطلق نحوها.

لم يكن هناك شلل هذه المرة. رمت نفسها إلى الخلف، تبحث عن مسكة الباب بارتباك. كان يزمجر بغضب ويكشِّر، واللعاب يسيل من بين أسنانه في خيوط سميكة. حطَّ حيث كانت تقف وانزلَقت قدم متيبّسة على الحصى، مما أعطاها ثانية إضافية نفيسة.

عثَرَ إبهامها على زر الباب تحت المقبض وضغطته. وشدَّت. كان الباب عالقاً. رفض الباب أن يُفتَح. وَثَب كوجو عليها.

كان الأمر كما لو أن أحدهم رمى كُرة طبية على اللحم الناعم وغير المحصّن لصدرها بشكل مباشر. شعرت بها تضغط بقوة على أضلعها - هذا *مؤلم* - ثم أطبَقَت بيديها على حنجرة الكلب، وغرقت أصابعها في فروه السميك الخشن محاولةً إبعاده عنها. كان يمكنها سماع الشهيق السريع لتنفسها، ورؤية ضوء النجوم على عيني كوجو المجنونتين يلمع في أنصاف دوائر مملة. كانت أسنانه تعضّ على بُعد سنتيمترات فقط من وجهها، ويمكنها أن تشمّ رائحة عالمٍ ميتٍ في أنفاسه، مرضٍ عضالٍ، قتلٍ لا معنى له. تذكّرت بجنون تعطّل البالوعة قبل حفلة أمها بوقت قصير، وتلطُّخ المادة اللزجة الخضراء على كل السقف.

تمكّنت بطريقة ما، وباستخدام كل قوتها، أن ترميه عنها عندما ارتفعت قائمتاه الخلفيتان عن الأرض في اندفاعة أخرى نحو حنجرتها. وراحت تبحث بعجز عن زر الباب خلفها. وجَدته، لكن قبل أن تتمكّن من ضغطه، انقضّ عليها كوجو مرة أخرى. فراحت تركل في اتجاهه، وارتطم نعل صندلها بخطمه، الممزَّق من قبل بشكل سيئ في انقضاضاته الكاميكازية السابقة على الباب. سقط الكلب على وركَيه، وهو يعوي من الألم والحنق.

وجَدت الزر في مسكة الباب مرة أخرى، وعرفت جيداً أنها فرصتها الأخيرة، أنها فرصة تاد الأخيرة. ضغطته وشدّت بكل قوتها بينما انقضّ الكلب عليها مرة أخرى، مخلوقٌ من غير عالم سينقضّ وينقضّ وينقضّ عليها إلى أن تموت هي أو يموت هو. كانت الزاوية الخطأ لذراعها؛ فكانت عضلاتها تعمل في تناقض، وشعَرت بألم كبير في ظهرها فوق لوح كتفها الأيمن مع إلتواء شيء فيه. لكن الباب فُتح. وتسنّى لها الوقت الكافي لتجلس على المقعد، ثم انقضّ عليها الكلب مرة أخرى.

استيقظ تاد، ورأى أمه تُسحَب نحو وحدة التحكم الوسطى للبينتو؛ كان هناك شيء في حُضن أمه، شيء فظيع كثير الشعر ذو عينين حمراوين وعرَف ما كان، آه نعم، كان الشيء من خزانته، الشيء الذي وعده أن يقترب منه قليلاً قليلاً إلى أن يصل أخيراً *إلى قرب سريرك يا تاد*، ونعم، ها هو هنا، حسناً، ها هو هنا. لقد فشلت كلمات الوحش؛ كان الوحش هنا، الآن، وكان يقتل أمه. بدأ يصرخ، وغطى عينيه بيديه.

كان فكّه يُطبِق على بُعد سنتيمترات من اللحم العاري لبطنها. وقد أبعدته عنها بأفضل ما يمكنها، ولم تكن مُدركة لصراخ إبنها خلفها

إلا بشكل باهت. كانت عينا كوجو مثبّتتين عليها. الأمر الذي لا يُصدَّق هو أن ذيله كان يهزّ. وقائمتاه الخلفيتان تتحرّكان على الحصى، تحاولان إيجاد موطئ قدم ثابت كفاية ليسمح له بالقفز عليها، لكن الحصى بقيت تتفرَّق من تحت كفّيه الخلفيين.

اندفَع إلى الأمام، وانزلَقت يداها، وفجأة كان *يعضّها*، يعضّ معدتها العارية مباشرة تحت حمّالة صدرها القطنية البيضاء، ويحفر بحثاً عن أحشائها –

صرخت دونا صرخة ألم منخفضةً متوحشةً ودفَعَت بكلتَي يديها وبأقصى ما يمكنها. كانت تجلس مستوية مرة أخرى الآن، والدم يسيل على زنّار سروالها. أمسكت كوجو بيدها اليسرى، وراحت يدها اليمنى تتحسَّس بحثاً عن مسكة باب البينتو وعثرت عليها. بدأت تخبط الباب على الكلب، فكان يرتطم بأضلاعه كل مرة، ويُسمَع صوت *ارتطام* ثقيل هائل، مثل منظِّف سجاد يخبط سجادةً معلَّقةً على حبل غسيل. وكان كوجو ينخر كلما ضربه الباب، فتملأها أنفاسه الدافئة الضبابية.

تراجع إلى الخلف قليلاً لكي ينقضّ عليها. فاستغلّت اللحظة وشدّت الباب نحوها مرة أخرى، مستخدمةً كل قوتها المتقهقرة. انغلق الباب هذه المرة على عنقه ورأسه، وسمِعت صوت سحق. عوى كوجو من الألم وفكّرت في سرّها، *يجب أن يتراجع الآن، يجب، يجب*، لكن كوجو تقدَّم إلى الأمام بدلاً من ذلك وأطبقَ فكّه على الجزء السفلي لفخذها، فوق ركبتها مباشرة، وبحركة سريعة واحدة مزَّق قطعة منها. فزعَقت دونا.

خَبَطت الباب على رأس كوجو مراراً وتكراراً، واختلطت صرخاتها بصرخات تاد، وتحوَّلت إلى ارتجاجات رمادية بينما كان كوجو يعمل

على رِجلها، محوِّلاً إياها إلى شيء آخر، شيء أحمر وموحِل ومُقرف. كان فرو رأس الكلب ملتصقاً ببعضه بسبب الدم السميك اللزج عليه، والأسود مثل دم حشرة تحت ضوء النجوم. كان يشقّ طريقه إلى الداخل تدريجياً مرة أخرى؛ وبدأت قوتها تنحسر الآن.

شدَّت الباب مرة أخيرة، برأسها المرمي إلى الخلف، وفمها المفتوح في دائرة مرتجِفة، ووجهها الشاحب الضبابي في الظلمة. كانت هذه المرة الأخيرة حقاً؛ فلم تعد لديها أي قوة على الإطلاق.

لكن كوجو اكتفى فجأة.

فتراجع إلى الخلف وهو ينحب، وابتعد مترنِّحاً، وسقط فجأة على الحصى مرتعشاً، وقائمتاه تحفران بضعف في لا شيء. بدأ يمسِّد رأسه المجروح بكفّه الأيمن.

أغلقت دونا الباب بخبطة قوية واسترخت على ظهر المقعد، وهي تشهق بضعف.

"ماما – ماما — ماما –"

"تاد... بخير...".

"ماما!".

"... بخير...".

يدان: يداه على يديها، ترتعشان وترفرفان مثل جناحي عصفور؛ يداها على وجه تاد، تلمسانه، تحاولان طمأنته، ثم تتراجعان.

"ماما... المنزل... رجاءً... بابا والمنزل... بابا والمنزل...".

"بالتأكيد يا تاد، سوف... سوف، صِدقاً، سآخذك إلى هناك... سوف...".

لا معنى في الكلمات. كان كل شيء على ما يرام. يمكنها الشعور بنفسها تضمحل، تضمحل إلى تلك الارتجاجات الرمادية، تلك الغشاوة في نفسها التي لم تشكّ بوجودها أبداً حتى الآن. أخذت كلمات تاد صوتاً تسلسلياً عميقاً، كأنها كلمات في حجرة صدى. لكن كل شيء كان على ما يرام. كان –

لا. لم يكن على ما يرام.

لأن الكلب عضّها –

– *والكلب مسعوّر.*

قالت هولي لأختها بألا تكون حمقاء، وبأن تطلب رقم الهاتف مباشرة، لكن تشاريتي أصَرَّت على أن تتصل بعامل الهاتف وتطلب منه أن يضع الفاتورة على رقم منزلها. فلم تكن من عاداتها قبول أي صَدَقة، حتى ولو كانت قيمتها صغيرة مثل مكالمة بعيدة المسافة بعد السادسة مساءً.

أوصلها العامل بقسم مساعدة الدليل لولاية ماين وطلبت تشاريتي رقم ألفا ثورنتون في كاسل روك. بعد لحظات، بدأ هاتف ألفا يرنّ.

"مرحبا، مزارع بيض ثورنتون".

"مرحبا، بيسّي؟".

"نعم، أنا بيسّي".

"معك تشاريتي كامبر. إنني أتصل من كونّكتيكت. هل ألفا موجود في البيت الآن؟".

جلس بْرَتّ على الأريكة، متظاهراً أنه يقرأ كتاباً.

"آسفة يا تشاريتي، إنه ليس في المنزل. لديه مباراة في البولينغ الليلة. الجميع في صالة بونديتشيري في بريدغتون. هل هناك خطب ما؟".

كانت تشاريتي قد قرّرت بعناية وعن إدراك ماذا كانت ستقول. كانت الحالة دقيقة قليلاً. فمثل كل امرأة متزوجة تقريباً في كاسل روك (ولا يُقصَد من ذلك استبعاد العازبات بالضرورة)، كانت بيسّي تحبّ الثرثرة، وإذا عرَفت أن جو كامبر ذهب للصيد في مكان ما من دون معرفة زوجته حالما غادرت تشاريتي وبْرَتّ لزيارة أختها في كونّكتيكت... لماذا، سيكون ذلك موضوعاً للثرثرة على خطوط الهاتف، أليس كذلك؟

"لا، ما عدا أن بْرَتّ وأنا قلقنا قليلاً على الكلب".

"كلبكم الذي من فصيلة السانت برنارد؟".

"نعم، كوجو. بْرَتّ وأنا نزور أختي هنا بينما جو في بورتسموث في رحلة عمل". كان هذا عذراً سافراً، لكنه عذر آمن؛ فجو معتاد أن يذهب إلى بورتسموث من وقت لآخر لشراء بعض القطع (لم تكن هناك ضريبة على المبيعات) وحضور المزادات العلنية للسيارات. "أردتُ فقط التأكد أنه أوصى أحدهم بإطعام الكلب. تعرفين كيف هم الرجال".

"حسناً، أعتقد أن جو كان هنا البارحة أو اليوم الذي قبله"، قالت بيسّي بارتياب. في الواقع، كان ذلك الخميس الفائت. لم تكن بيسّي ثورنتون امرأة ذكية جداً (كانت عمّة أبيها، المرحومة إيفيه تشالمرز، مولَعة بالصراخ لأي شخص يقبل أن يستمع إليها بأن بيسّي "لن تنجح أبداً في اختبارات الذكاء تلك، لكنها طيبة القلب")،

وحياتها في مزرعة ألفا للدجاج كانت شاقة، وعاشتها بالكامل خلال "قصصها" - *بينما يدور العالم*، و *الأطباء*، و *كل أولادي* (جرَّبت *اليافع والمضطرب* لكنها اعتبرتها "مُفعمة بالحياة كثيراً"). تميل إلى أن تكون غامضة في تلك الأجزاء من العالم الحقيقي التي لا تنطوي على إطعام الدجاجات وإسقائها، وتعديل موسيقاها، وفحص بيضها وفرزه، وشطف الأرضيات وتنظيف الملابس، وغسل الأطباق، وبيع البيض، والاعتناء بالحديقة. وفي الشتاء، بالطبع، يمكنها إبلاغ أي شخص يسألها عن الموعد الدقيق للاجتماع القادم لنادي درّاجات الثلج في كاسل روك المشتركة فيه مع ألفا.

زارهم جو في ذلك اليوم مع عجلة جرّار أصلَحها لألفا. أجرى جو العمل مجاناً بما أن آل كامبر يحصلون على كل البيض من آل ثورنتون بنصف السعر. كما أن ألفا يعير جو مِسلَفته ليستخدمها على حديقته الصغيرة كل شهر أبريل، لذا كان جو مسروراً بإصلاح العجلة. كانت هذه هي طريقة تعاطي سكان الأرياف مع بعضهم البعض.

كانت تشاريتي تعرف جيداً أن جو زار منزل آل ثورنتون ومعه العجلة المُصلَحة الخميس الفائت. كما تعرف أن بيسّي تُخطئ في الأيام بكل سهولة. كل ذلك تركها في مُعضلة كبيرة. يمكنها أن تسأل بيسّي إن كان جو قد أحضَرَ معه عجلة جرّار عندما زارهم "البارحة أو اليوم الذي قبله"، وإذا قالت بيسّي نعم، بما أنكِ ذكرتِ الموضوع، كانت معه عجلة، فإن ذلك يعني أن جو لم يزر ألفا منذ الخميس الفائت، ويعني أيضاً أن جو لم يطلب من ألفا إطعام كوجو، ويعني أيضاً أن ألفا لن يملك أي معلومات عن صحة كوجو وحالته.

أو يمكنها أن تريح بال بْرَتّ. ويمكنهما الاستمتاع ببقية زيارتهما

من دون تفكير متواصل بالمنزل. و... حسناً، كانت تشعر ببعض الغيرة من كوجو الآن. صِدقاً. كان كوجو يصرف انتباه بْرَتّ عما يمكن أن تكون أهم رحلة في حياته كلها. أرادت أن يرى الفتى حياةً جديدةً كلياً، مجموعةً جديدةً كلياً من *الاحتمالات*، لكي يتمكن عندما يحين الوقت، بعد بضع سنوات من الآن، أن يقرِّر ما هي الأبواب التي يريد عبورها وما هي الأبواب التي سيتركها موصدة، وأن يتّخذ تلك القرارات بشكلٍ مدروسٍ. ربما كانت مخطئة في تصديق أنه يمكنها توجيهه، لكن لتدعه ينال خبرة كافية ليقرِّر من تلقاء نفسه على الأقل.

هل من العدل السماح لقلقه بشأن الكلب اللعين أن يقف في طريق ذلك؟

"تشاريتي؟ هل لا زلت على الخط؟، قلتُ أنني أظن ذلك –"

"نعم، سمِعتُك يا بيسّي. الأرجح أنه طلب من ألڤا أن يُطعمه وقتها".

"حسناً، سأسأله عندما يعود إلى المنزل يا تشاريتي. وسأبلّغك، أيضاً".

"شكراً جزيلاً يا بيسّي".

"لا شكر على واجب".

"رائع. وداعاً". وأغلقت تشاريتي الخط، مُدركةً أن بيسّي نسيت أن تطلب رقم هاتف جيم وهولي. وهذا ممتاز. فاستدارت نحو بْرَتّ، وهي تجهّز النظرة على وجهها. لن تقول له أي كذبة. لن تكذب على إبنها.

"قالت بيسّي إن أباك زار ألڤا ليلة الأحد"، قالت تشاريتي. "لا شك أنه طلب منه الاهتمام بكوجو وقتها".

"آه". كان بْرَتّ ينظر إليها نظرةً تخمينيّةً أربكتها قليلاً. "لكنك لم تتكلمي مع ألڤا نفسه".

"لا، كان في الخارج يلعب البولينغ. لكن بيسّي قالت إنها ستُخبرنا إذا –"

"لا تعرف رقمنا هنا". هل كانت نبرة بْرَتّ اتهاميّة قليلاً الآن؟ أم هل كان ضميرها هو الذي يتكلم؟

"حسناً، سأتصل بها بنفسي في الصباح"، قالت تشاريتي، على أمل أن تُنهي المحادثة عند هذا الحد وتهدّئ ضميرها في الوقت نفسه.

"أخذ بابا عجلة جرّار إليه الأسبوع الفائت"، قال بْرَتّ بتبصّر. "ربما السيدة ثورنتون أخطأت بشأن اليوم الذي زارهم فيه بابا".

"أعتقد أن بيسّي ثورنتون تستطيع تنظيم الأيام في ذهنها أفضل من ذلك"، قالت تشاريتي دون اقتناع أبداً. "بالإضافة إلى ذلك، لم تذكر لي أي شيء يتعلق بعجلة جرّار".

"نعم، لكنك لم تسأليها".

"هيا، اتصل بها بنفسك إذاً!"، ردّت عليه تشاريتي بحدّة. وغمرها حنقٌ عاجزٌ فجأة، نفس الشعور البشع الذي انتابها عندما قدَّم بْرَتّ ملاحظته الدقيقة بخُبث عن هولي ومجموعة بطاقات إئتمانها. عندما تسلَّلت نبرة أبيه، وحتى طريقته في الكلام، إلى صوته، وبدا لها، وقتها والآن، أن الشيء الوحيد الذي كانت تفعله هذه الرحلة هو إظهار لها لمرة واحدة وإلى الأبد لـمَن ينتمي بْرَتّ حقاً – بالكامل.

"ماما –"

"لا، هيا، اتصل بها، الرقم مدوَّن هنا على دفتر الملاحظات. فقط

قل لعامل الهاتف أن يضع الكلفة على رقم هاتفنا لكي لا تُوضع على فاتورة هولي. واسأل بيسّي كل أسئلتك. لم أفعل سوى ما أقدر عليه".

لقد فعلتها، فكّرت في سرّها بحزن ومرارة. *لم أكن سأكذب عليه منذ خمس دقائق فقط.*

بعد ظهر ذلك اليوم أشعَل غضبُها غضباً فيه. أما الآن فقال بهدوء فقط، "لاااا، لا بأس".

"إذا كنت تريد، سنتصل بشخص آخر ونطلب منه أن يذهب إلى منزلنا ويتحقّق"، قالت تشاريتي. وشعرت بندم فوري لاقتراحها هذا.

"بمَن سنتصل؟"، سأل بْرَتّ.

"حسناً، ماذا بشأن أحد إخوة ميليكين؟".

اكتفى بْرَتّ بالنظر إليها.

"ربما هذه الفكرة غير جيدة كلياً"، وافَقته تشاريتي. ففي أواخر الشتاء الفائت، تشاجر جو كامبر وجون ميليكين حول كلفة عملية إصلاح أجراها جو على الشفروليه القديمة للإخوة ميليكين. منذ ذلك الوقت، وآل كامبر وآل ميليكين لا يكلِّمون بعضهم كثيراً. وفي آخر مرة ذهبت فيها تشاريتي لتلعب لعبة الحظ في صالة الغرانج، حاوَلت تبادل كلمة ودودة مع كيم ميليكين، إبنة فريدي، لكن كيم لم تقل أي كلمة لها؛ بل ابتعَدت فحسب رافعة رأسها كما لو أنها لم تكن تتصرّف كبائعة هوى مع نصف الفتيان في ثانوية كاسل روك.

خطر على بالها الآن كم كانوا منعزلين حقاً، هناك في نهاية طريق البلدة رقم 3. جعلها هذا تشعر بالوحدة وبعض الأسى. لا يمكنها أن تتذكّر أي شخص يمكنها أن تطلب منه إلى حد معقول أن يصعد إلى

منزلهم حاملاً مشعلاً كهربائياً ويبحث عن كوجو ويتأكد أنه بخير.

"لا يهمّ"، قال بْرَتّ بسأم. "ربما هذا غباء مني على أي حال. الأرجح أنه أكلَ بعض النباتات أو ما شابه".

"اسمع"، قالت تشاريتي، ووضعت ذراعها حوله. "تذكّر دائماً أنك لست غبياً يا بْرَتّ. سأتصل بألفا نفسه في الصباح وأطلب منه أن يصعد إلى منزلنا. سأفعل ذلك حالما أستيقظ. اتفقنا؟".

"هل ستفعلين هذا يا ماما؟".

"نعم".

"هذا رائع. آسف لإزعاجك بهذه المسألة، لكن لا يمكنني أن أخرجها من ذهني".

أطلّ جيم برأسه. "لقد أخرَجتُ لوح لعبة السكرابل. هل يريد أحدكما أن يلعب؟".

"أنا"، قال بْرَتّ ونهض، "إذا علّمتني كيف نلعبها".

"وأنتِ يا تشاريتي؟".

ابتسمت تشاريتي. "ليس الآن، أظن. سأُعدّ بعض الفشار".

خرَج بْرَتّ مع خاله. جلَست على الأريكة ونظَرت إلى الهاتف وتذكّرت سير بْرَتّ أثناء نومه، وإطعامه كلباً وهمياً في مطبخ أختها العصري.

كوجو لم يعد جائعاً، لم يعد جائعاً.

توتّرت يداها فجأة، وارتعشتا. سنهتمّ بهذا الأمر صباح الغد، وعَدت نفسها. بطريقة أو بأخرى. إما ذلك أو نعود ونهتمّ به بأنفسنا.

هذا وعد مني يا بْرَتّ.

جرَّب ڤيك الاتصال بالمنزل مرة أخرى عند العاشرة. لم يكن هناك جواب. جرَّب مرة أخرى عند الحادية عشرة ولم يكن هناك جواب أيضاً، رغم أنه ترك الهاتف يرنّ لعشرين مرة. بدأ يقلق عند العاشرة. عند الحادية عشرة كان خائفاً – مما، لم يكن متأكداً تماماً.

كان روجر نائماً. طلَب ڤيك الرقم في الظلمة، واستمَع للهاتف يرنّ في الظلمة، وأغلق الخط في الظلمة. شعَر بالوحدة، بأنه طفل تائه. لم يعرف ماذا يفعل أو بماذا يفكّر. كرَّر ذهنه جملةً بسيطةً مراراً وتكراراً: *لقد غادرت مع كيمب، غادرت مع كيمب، غادرت مع كيمب.*

كان كل المنطق يخالف هذه الجملة. أعاد تذكّر كل شيء قاله ودونا لبعضهما البعض - كرَّره مراراً وتكراراً، مستمعاً إلى الكلمات وإلى الفوارق الطفيفة في النبرة في ذهنه. لقد انفصلت عن كيمب. فقد أخبرته أن يذهب ويبيع بضاعته في مكان آخر. وذلك سبَّب رسالة كيمب الغرامية الانتقامية الصغيرة. لم يبدُ المنظر الطبيعي الوردي الذي قد يقرِّر فيه عاشقان متيّمان الفرار معاً.

الانفصال لا يعيق تقارباً لاحقاً، ردّ عليه ذهنه رداً حاسماً ببعض الهدوء الجدّي والشرس.

لكن ماذا بشأن تاد؟ لن تأخذ تاد معها، أليس كذلك؟ من وصفها، بدا كيمب رجلاً متهوِّراً قليلاً، ورغم أن دونا لم تقل ذلك، إلا أن ڤيك شعَر أن شيئاً عنيفاً جداً حصل تقريباً عندما أخبرته أن ينصرف من أمامها.

الأشخاص المغرومون يفعلون أشياء غريبة.

ذلك الجزء الغريب والغيور في ذهنه - لم يكن يُدرك حتى وجوده في ذهنه إلا بعد ظهر ذلك اليوم في ديرينغ أوكس - يملك جواباً لكل شيء، ولم يبدُ مهماً في الظلمة أن معظم الأجوبة غير منطقية.

كان يقوم برقصة بطيئة ذهاباً وإياباً بين نقطتين حادّتين: كيمب على إحداها (هل لديك أي أسئلة؟)؛ وهاتف يرنّ بدون انقطاع في منزلهم الفارغ في كاسل روك على الأخرى. من الممكن أن تكون قد تعرّضت لحادث. ويمكن أن تكون في المستشفى مع تاد. ربما اقتحم أحدهم المنزل. يمكن أن يكونا مقتولَين في غرفتَي نومهما. بالطبع لو تعرّضت لحادث، لكان اتصل به شخص رسمي - المكتب ودونا يعرفان في أي فندق في بوسطن يقيم فيه مع روجر - لكن هذه الفكرة في الظلمة، التي يجب أن تكون مريحةً بما أن لا أحد اتصل به، لم تفعل سوى دفع أفكاره أكثر فأكثر نحو حصول جريمة قتل.

السلب وجريمة قتل، همَس له ذهنه بينما كان مستيقظاً في الظلمة. ثم رقَص ببطء إلى النقطة الحادّة الأخرى وعاوَدَ جملته الأصلية: *غادرت مع كيمب*.

بين تلك النقاط، رأى ذهنه تفسيراً معقولاً أكثر، تفسيراً جعله يشعر بغضب عاجز. ربما قرّرت وتاد قضاء الليلة مع شخص ونسيت ببساطة الاتصال به وإخباره بذلك. فات الأوان الآن ليبدأ الاتصال بالناس وسؤالهم عن ذلك من دون إثارة القلق لديهم. افترَض أنه يمكنه الاتصال بمكتب المأمور والطلب منه إرسال شخص إلى منزله والتحقّق. لكن ألن يكون ذلك مبالغة في ردة الفعل؟

لا، قال ذهنه.

نعم، قال ذهنه، *بالتأكيد*.

هي وتاد ميتان وهناك سكّينان مغروسان في حنجرتيهما، قال ذهنه. *أنت تقرأ عن هذا في الصحيفة دائماً. حتى إنه حصل في كاسل روك قبل أن نأتي إلى البلدة. ذلك الشرطي المجنون. فرانك دودّ.*

غادرت مع كيمب، قال ذهنه.

جرَّب مرة أخرى عند منتصف الليل، والرنين المتواصل للهاتف هذه المرة مع عدم رفع أحدهم السمّاعة ليردّ عليه جمَّده في يقين مميت بحصول مصيبة. كيمب، لصوص، قتلة، شيء. مصيبة. مصيبة في المنزل.

أعاد سمّاعة الهاتف إلى مكانها وأشعل مصباح السرير. "روجر"، قال. "استيقظ".

"هاه. ما. ذ...". وضع روجر ذراعه فوق عينيه، محاولاً حجب النور. كان يرتدي بيجامته المرسومة عليها رايات مثلثة الشكل صفراء صغيرة.

"روجر. روجر!".

فتَح روجر عينَيه، وطرفت عيناه، ونظَرَ إلى الساعة على المنضدة.

"ڤيك، إنه منتصف الليل".

"روجر...". بلَع ريقه وشيءٌ طقطقَ في حنجرته. "روجر، إنه منتصف الليل وتاد ودونا لا يزالان خارج المنزل. أنا خائف".

استوى روجر جالساً وقرَّب الساعة إلى وجهه ليتحقق مما قاله ڤيك. كانت الآن أربع دقائق بعد الثانية عشرة.

"حسناً، الأرجح أنهما خافا كثيراً من البقاء لوحدهما هناك يا ڤيك. أحياناً ألثيا تأخذ الفتاتين وتذهب إلى منزل سالي بيتري عندما أكون مسافراً. تقول إنها تتوتّر عندما تعصف الرياح على البحيرة في الليل".

"كانت اتصلت بي". مع بقاء الضوء مضاءاً، ومع استواء روجر جلوساً والتكلم معه، بدت فكرة فرار دونا مع ستيف كيمب سخيفةً – لا يمكنه تصديق أنها خطرت على باله من الأساس. انسَ المنطق. لقد أخبرته أن كل شيء بينهما انتهى، وقد صدَّقها. يصدِّقها الآن.

"اتصلت؟"، قال روجر. كان لا يزال يجد صعوبة في تتبّع مسار الأحداث.

"إنها تعرف أنني أتصل بالمنزل كل ليلة تقريباً عندما أكون مسافراً. كانت اتصلت بالفندق وتركت لي رسالة إذا كانت ستغيب عن المنزل طوال الليل. ألم تكن ألثيا لتفعل ذلك؟".

أومأ روجر برأسه. "بلى. كانت لتفعل ذلك".

"كانت ستتصل وتترك لك رسالة لكي لا تقلق. مثلما أنا قلق الآن".

"نعم. لكنها ربما نسيت يا ڤيك". ومع ذلك فقد بدت عينا روجر البنيتان منزعجتين.

"بالتأكيد"، قال ڤيك. "من جهة أخرى، ربما حصل شيءٌ".

"إنها تحمل هويتها معها، أليس كذلك؟ لو تعرَّضت وتاد لحادث، لا سمح الله، لكان رجال الشرطة حاولوا الاتصال بالمنزل أولاً ثم بالمكتب. وخدمة الإجابة سوف –"

"لم أكن أفكِّر بحادث"، قال ڤيك. "كنتُ أفكِّر بـ ...". بدأ صوته يرتعش. "كنتُ أفكِّر بوجودها لوحدها هناك مع تادر، و... تباً، لا أعرف... خفتُ ببساطة، هذا كل شيء".

"اتصل بمكتب المأمور"، قال روجر بحزم.

"نعم، لكن –"

"نعم، لكن لا شيء. لن تُخيف دونا، هذا أكيد. فهي ليست هناك. لكن بالك سيرتاح على الأقل. لا داعي لأن يذهبوا مستخدمين صفارات الإنذار والأضواء الوامضة. فقط اسألهم إن كان يمكنهم إرسال شرطي ليتحقّق ويتأكد أن كل شيء يبدو عادياً. يجب أن يكون هناك ألف مكان يمكن أن تتواجد فيه. تباً، ربما تأخرت في حفلة جيدة حقاً لتسويق الحاويات البلاستيكية".

"دونا تكره حفلات تسويق الحاويات البلاستيكية".

"إذاً ربما بدأت الفتيات يلعبن بالورق وفَقَدن الإحساس بالوقت ونام تاد في الغرفة الاحتياطية لإحداهن".

تذكَّر ڤيك أنها أخبرته كيف تحاشت أي تدخّل عميق مع "الفتيات" – *لا أريد أن أكون أحد تلك الوجوه التي تراها في معارض المنتجات المنزلية*، قالت. لكنه لم يرغب أن يُخبر روجر بذلك؛ فقد كان ذلك قريباً جداً من موضوع كيمب.

"نعم، ربما شيء من هذا القبيل"، قال ڤيك.

"هل لديك مفتاح إضافي للمنزل مخبأ في مكان ما؟".

"هناك واحد معلَّق على خطّاف تحت طُنُف سقف الشرفة الأمامية".

"أخبِر رجال الشرطة. سيتمكن أحدهم من الدخول وإلقاء نظرة فاحصة... إلا إذا كانت لديك علبة مخدرات أو أي ممنوعات أخرى لا تريدهم أن يعثروا عليها".

"لا شيء من هذا القبيل أبداً".

"افعل ذلك إذاً"، قال روجر بجدّية. "الأرجح أنها ستتصل بك هنا بينما يتفحّصون المنزل وستشعر أنك مغفّل، لكن من الجيد أحياناً أن يشعر المرء أنه مغفَّل. هل تفهم قصدي؟".

"نعم"، قال ڤيك، مبتسماً قليلاً. "نعم، أفهم".

رفع سمّاعة الهاتف مرة أخرى، متردداً، ثم جرّب رقم المنزل مرة أخرى أولاً. لا جواب. تبخَّر بعض الراحة التي وفّرها له روجر. فاتصل بقسم مساعدة دليل هاتف ماين ودوَّن رقم قسم مأمور مقاطعة كاسل. كانت الساعة الآن حوالي الثانية عشرة والربع صباح الأربعاء.

كانت دونا جالسةً وهي تسند يديها بخفة على مِقوَد البينتو. غفا تاد مرة أخرى أخيراً، لكنه لم يكن مرتاحاً في نومه؛ فكان يتشقلب، ويئنّ أحياناً. كانت خائفة أن يستعيد ما حصل سابقاً في أحلامه.

تلمّست جبهته؛ فتمتم شيئاً وابتعد عن لمستها. اضطرب جفناه ثم غفا مرة أخرى. بدا محموماً – الأرجح أن ذلك نتيجة التوتّر والخوف المتواصلين. بدت محمومة هي أيضاً، وكانت تشعر بألم كبير. بطنها يؤلمها، لكن تلك الجروح سطحية، مجرد خدوش. كانت محظوظة هنا. فقد أذى كوجو رِجلها اليسرى أكثر. الجروح هناك (*العضّات*، أصَرَّ ذهنها، كما لو أنه يتلذّذ برعبها) عميقة وبشعة. وقد نزَفت كثيراً قبل أن تتخثّر، ولم تحاول وضع ضمادة عليها فوراً، رغم وجود علبة إسعافات أولية في صندوق قفاز البينتو. فقد أمِلَت بغموض أن الدم المنساب سيغسل الجرح وينظِّفه... هل حصل ذلك حقاً، أم هي مجرد رواية تتبادلها الزوجات العجائز؟ لم تعرف. كانت هناك أمور كثيرة لا تعرفها، أمور كثيرة لعينة.

حين تخثَّرت الثقوب الممزَّقة أخيراً، كان فخذها ومقعد السائق قد أصبحا لزجين من دمها. احتاجت إلى ثلاث قِطع شاش من علبة الإسعافات الأولية لتغطي الجرح. كانت آخر ثلاث قِطع في العلبة. *يجب استبدالها*، فكّرت في سرّها، وهذا سبَّب موجة قهقهة هستيرية قصيرة.

بدا اللحم الموجود فوق ركبتها في الضوء الباهت مثل تربة داكنة محروثة. وكان هناك وجع خفّاق متواصل لم يتغيَّر منذ أن عضّها الكلب. كانت قد ابتلعت حبّتَي أسبرين من العلبة دون ماء، لكنهما لم يخفّفا الألم ولو قليلاً. وكان رأسها يؤلمها كثيراً أيضاً، كما لو أنه يتم شدّ حزمة أسلاك ببطء داخل كل صدغ من صدغيها.

ثنيها لرِجلها رفع منسوب الألم من وجعٍ خفّاقٍ إلى طرقٍ حادٍ. لم تكن لديها أي فكرة إن كانت قادرة حتى على السير على رِجلها الآن، ناهيك عن الركض إلى باب الشرفة. وهل يهمّ هذا حقاً؟ كان الكلب جالساً على الحصى بين باب السيارة والباب الذي يؤدي إلى الشرفة، ورأسه المشوَّه ببشاعة متهدِّلاً... لكن عينيه ثابتتين بلا كلل على السيارة. *عليها*.

بطريقة ما لم تعتقد أن كوجو سيتحرّك مرة أخرى، على الأقل ليس الليلة. غداً قد تدفعه الشمس إلى الحظيرة، إذا كان الحرّ قوياً مثل البارحة.

"إنه يريدني"، همَست بشفتيها المتقرِّحتين. كان هذا صحيحاً. كان صحيحاً بطريقة أو بأخرى. فلأسباب تجهلها، أو لأسباب لا يمكن معرفتها، كان الكلب يريدها.

عندما سقط على الحصى، كانت متأكدة أنه يموت. لا يمكن لأي مخلوق أن يتحمّل الضربات التي وجّهتها له بالباب. حتى فروه السميك غير قادر على تخفيف حدّة الضربات. بدت إحدى أذنَيه متدلّية من خيط لحمي فقط لا غير.

لكنه أعاد الوقوف على قدميه، تدريجياً. لم تكن قادرة على تصديق عينيها... لم ترغب أن تصدِّق عينيها.

"لا!"، زعَقت، بشكل خارج عن السيطرة كلياً. *"لا، تمدَّد أرضاً، يُفترَض بك أن تكون ميتاً، تمدَّد أرضاً، تمدَّد أرضاً ومُت، أيها الكلب اللعين!"*.

"ماما، لا"، همسَ تاد، ممسكاً رأسه. "هذا يؤلم... هذا يؤلمني...".

منذ ذلك الوقت، لم يتغيَّر شيء في الحالة. فقد استأنَف الوقت تقدَّمه البطيء السابق. وَضَعت ساعتها على أذنها عدة مرات لتتأكد أنها لا تزال تعمل، لأن العقارب بدت ثابتة في مكانها دائماً.

الثانية عشرة وعشرون دقيقة.

ماذا نعرف عن داء الكَلَب أيها الطلاب؟

القليل جداً. بعض الأجزاء الضبابية التي أتت على الأرجح من مقالات ملحق الأحد. من كرّاسة تصفّحتها بخمول في نيويورك عندما أخذت قطة العائلة إلى الطبيب البيطري لتلقيحها ضد داء السُلّ. اعذروني، تلقيحها ضد داء السُلّ وكذلك *داء الكَلَب*.

داء الكَلَب، مرضٌ يصيب الجهاز العصبي المركزي، ويسبِّب تلفاً بطيئاً فيه - لكن كيف؟ كانت تجهل ذلك كلياً، وعلى الأرجح الأطباء مثلها أيضاً. وإلا لما اعتُبر المرض خطيراً إلى هذا الحد. بالطبع، فكّرت

بتفاؤل، لستُ متأكدة حتى أن الكلب مسعور. فالكلب المسعور الوحيد الذي رأيتُه في حياتي كان الكلب الذي أرداه غريغوري بَك ببندقية في فيلم "أن تقتل طائراً مُحاكياً". ما عدا بالطبع أن ذلك الكلب لم يكن مسعوراً حقاً، بل كان مجرد تمثيل، وكان على الأرجح كلباً أخرق أجرب أتوا به من ملجأ الكلاب المحلي ووَضَعوا بعض رغوة الحلاقة عليه...

أعادت تركيزها على النقطة الحالية. من الأفضل القيام بما يسمّيه ڤيك تحليل أسوأ الظروف، على الأقل في الوقت الحاضر. بالإضافة إلى ذلك، كانت متأكدة في قلبها أن الكلب مسعور - وهل هناك أي شيء آخر سيجعله يتصرّف بهذا الشكل؟ كان الكلب مجنوناً للغاية.

وقد عضَّها. بشكل سيئ. ما معنى ذلك؟

يمكن أن يُصاب الناس بداء الكَلَب، إنها تعرف هذا، وكانت هذه طريقة رهيبة للموت. وربما الأسوأ. هناك لقاح لهذا الداء، وطريقة العلاج المفروضة هي عبر سلسلة حُقن. الحُقن مؤلمة جداً، رغم أنها غير مؤلمة على الأرجح إذا سلكت الدرب الذي يسلكه الكلب الآن. لكن...

تذكّرت أنها قرأت أنه توجد حالتان فقط نجا فيها الأشخاص من حالة متقدمة من داء الكَلَب - حالة لم يتم تشخيصها إلا بعد ظهور العوارض على المُصابين. وكان أحد الناجين فتى شُفيَ كلياً. والحالة الأخرى باحث يُجري تجارب على الحيوانات عانى من ضرر دماغي دائم. فقد انهار الجهاز العصبي المركزي العزيز كلياً.

كلما طالت مدة عدم علاج المرض، كلما قلّت فرص الشفاء منه. لذا فَرَكت جبهتها وانزلَقت يدها على طبقة من العرق البارد.

كم هي المدة الزمنية التي تُعتبر طويلةً؟ ساعات؟ أيام؟ أسابيع؟ شهر ربما؟ لا تعرف.

فجأة بدت السيارة كما لو أنها تنكمش. فأصبحت بحجم سيارة هوندا، ثم بحجم ثلاثيات العجلات الصغيرة الغريبة تلك التي يستخدمها الأشخاص المعوَّقون في إنكلترا، ثم بحجم عربة جانبية للدراجة النارية، وأخيراً بحجم تابوت. تابوت مزدوج لها ولتاد. عليهما الخروج، الخروج، *الخروج* –

بدأت يدها تبحث عن مسكة الباب بارتباك قبل أن تتمالك نفسها مرة أخرى. وراح قلبها ينبض بسرعة، مسرِّعاً الطرق في رأسها. *رجاءً*، فكّرت في سرّها. *الوضع سيئ كفاية من دون رُهاب الأماكن الضيقة، لذا رجاءً... رجاءً... رجاءً.*

عاد عطشها مرة أخرى، مستعِراً.

نظرت إلى الخارج ورأت كوجو يحدِّق بها بشراسة، وبدا جسمه كما لو أنه انقسم إلى نصفين عند التشقّق الفضي في زجاج النافذة.

ساعدونا، أي شخص، فكّرت في سرّها. *رجاءً، رجاءً، ساعدونا.*

كان روسكو فيشر قد رَكن سيارته في ظلال محطة وقود جيري عندما جاءته المكالمة. كان يراقب ظاهرياً السائقين المسرعين، لكنه في الواقع مثل دجاجة محبوسة في قفص. عند الثانية عشرة والنصف صباح الأربعاء، كان الدرب 117 ميتاً بالكامل. كانت لديه ساعة إنذار صغيرة داخل جمجمته، ويثِق بها أنها ستوقظه عند حوالي الواحدة، عندما يخرج روّاد سينما السيارات. عندها قد تحدث بعض الحركة.

"الوحدة الثالثة، حوِّل، الوحدة الثالثة. حوِّل".

وَثَب روسكو مستيقظاً، ساكباً القهوة الباردة من كوب الستايروفوم على منفرج ساقيه.

"آه تباً"، قال روسكو باكتئاب. "هذا رائع، أليس كذلك؟".

"الوحدة الثالثة، هل تسمعني؟ حوِّل؟".

أمسَك الميكروفون وضغط الزر الموجود على جانبه. "أسمعك، أيها المركز". كان يرغب بأن يضيف أنه يأمل أن تكون المسألة دقيقة لأنه يجلس الآن في بركة من القهوة الباردة، لكن لا أحد يعلم مَن يراقب لاسلكي الشرطة عبر جهاز مسحٍ موثوقٍ... حتى عند الثانية عشرة والنصف بعد منتصف الليل.

"نريدك أن تذهب إلى الثالثة والثمانين شارع لارش"، قال بيلي. "مسكن السيد والسيدة فيكتور ترنتون... تفحّص المكان. حوِّل".

"عما أبحث بالضبط، أيها المركز؟ حوِّل".

"ترنتون في بوسطن ولا أحد يردّ على مكالماته. يعتقد أن أحداً يجب أن يكون في المنزل. حوِّل".

حسناً، هذا رائع، أليس كذلك؟ فكّر روسكو فيشر في سرّه بحدّة. عليَّ أن أدفع أربعة دولارات لفاتورة التنظيف من أجل هذا، وإذا كان عليَّ إيقاف سائق مُسرِع، سيظنّ أنني تحمَّست كثيراً لفكرة توقيفه لدرجة أنني بوَّلتُ على نفسي.

"عشرة-أربعة"، قال روسكو وهو يشغّل محرّك سيارته. "حوِّل".

"الساعةِ معي الثانية عشرة وأربع وثلاثين دقيقة صباحاً"، قال بيلي. "هناك مفتاح معلَّق على مسمار تحت طُنُف سقف الشرفة

الأمامية، أيها الوحدة الثالثة. يريد منك السيد ترنتون أن تدخل مباشرة وتتفحّص الأرجاء إذا بدا لك المنزل خالياً. حوِّل".

"حسناً أيها المركز. حوِّل وانتهى".

"انتهى".

أنار روسكو أضواءه الأمامية وقاد في شارع كاسل روك الرئيسي المهجور، متجاوزاً منصة الفرقة الموسيقية بسقفها الأخضر المخروطي. صعد التلة وانعطف يميناً في شارع لارش بالقرب من القمة. كان منزل آل ترنتون الثاني بعد الناصية، ورأى أن لديهم منظراً لطيفاً للبلدة في النهار. ركَن سيارته عند حافة الرصيف وخرَج منها، مُغلقاً الباب بهدوء. كان الشارع مظلماً، مستغرقاً في نومه.

توقف للحظة، مُبعداً القماش الرطب لسرواله عن منفرج ساقيه (ومكشِّراً أثناء فعله ذلك)، ثم صعد الممر الخاص للمنزل، الذي كان فارغاً، وكذلك كان المرأب الصغير في نهايته الذي يتّسع لسيارة واحدة. رأى دراجة ثلاثية العجلات كبيرة مركونة في الداخل. كانت مشابهة تماماً للدراجة التي يملكها إبنه.

أغلَق باب المرأب واستدار نحو الشرفة الأمامية. رأى أن نسخة هذا الأسبوع من مجلة *كول* تتكئ على باب الشرفة. رفعها روسكو وجرَّب أن يفتح الباب. كان مفتوحاً. فدخل الشرفة، وشعَر كأنه متطفِّل. رمى المجلة على أرجوحة الشرفة وضغط زر الجرس بجانب الباب الداخلي. عمَّ الرنين في المنزل، لكن لم يأت أحدٌ. رنَّ مرتين أخريين على امتداد ثلاث دقائق، منتظراً الوقت الكافي الذي ستحتاج إليه السيدة لتستيقظ، وترتدي رداءها، وتنزل إلى الطابق السفلي... إذا كانت هناك سيدة في المنزل.

عندما لم يكن هناك جواب أيضاً، جرَّب أن يفتح الباب، فوجده مُقفلاً.

الزوج غائب والأرجح أنها تمكث مع بعض الأصدقاء، فكّر في سرّه - لكن حقيقة أنها لم تُبلغ زوجها أثار استغراب روسكو فيشر قليلاً.

راح يبحث تحت طُنُف السقف المدبَّب، وأوقعت أصابعه المفتاح الذي علَّقه ڤيك هناك بعد فترة قصيرة من انتقال آل ترنتون للسكن في هذا المنزل. أخذه وفتح الباب الأمامي - لو جرَّب باب المطبخ مثلما فعل ستيف كيمب بعد ظهر ذلك اليوم، لتمكّن من الدخول فوراً. فمثل معظم الأشخاص في كاسل روك، كانت دونا مُهمِلةً بشأن إقفال الأبواب عندما تخرج.

دخَل روسكو. كان مشعله الكهربائي معه، لكنه فضَّل عدم استخدامه. فذلك سيُشعره أكثر بأنه متطفِّل غير شرعي - سارق مع بقعة قهوة كبيرة على منفرج ساقيه. تلمَّس بحثاً عن لوحة حائط وعثر على واحدة في نهاية المطاف عليها زرّان. الزر العلوي يُضيء ضوء الشرفة، فأطفأه بسرعة. والزر السفلي يُضيء ضوء غرفة الجلوس.

نظر حوله للحظة طويلة، وارتاب مما كان يراه - فظنّ في البدء أن عينيه تخدعانه، وأنهما لم تتكيّفا مع الضوء أو شيء من هذا القبيل. لكن لا شيء تغيَّر مع مرور اللحظات، وبدأ قلبه يخفق بسرعة.

لا يجب أن ألمس أي شيء، فكّر في سرّه. *لا يمكنني إفساد مسرح الجريمة*. نسي أمر بقعة القهوة الرطبة على سرواله، ونسي عن شعوره بأنه متطفِّل. كان خائفاً ومتحمِّساً.

شيءٌ ما حصل هنا، بالتأكيد. فقد قُلبت غرفة الجلوس رأساً على عقب. وهناك زجاج محطَّم من رف زينة رخيصة على الأرض. والأثاث مقلوب، والكتب مبعثرة في كل اتجاه. المرآة الكبيرة فوق الموقد محطَّمة أيضاً - *سيعاني أحدهم من حظ سيئ لسبع سنوات*، فكَّر روسكو في سرّه، ووجد نفسه يفكِّر فجأة وبدون أي سبب بفرانك دودّ، الذي أجرى معه دوريات في نفس السيارة غالباً. فرانك دودّ، الشرطي الودود في بلدة صغيرة الذي صدفَ أيضاً أنه مضطرب عقلياً قتَلَ نساءً وأطفالاً. أُصيبت يدا روسكو بالقشعريرة فجأة. هذا ليس المكان المناسب للتفكير فيه بفرانك.

دخل المطبخ عبر غرفة الطعام، حيث رُمي كل شيء عن الطاولة - تجنّب تلك الفوضى بعناية. كان حال المطبخ أسوأ. وشعَر بقشعريرة جديدة تتسلَّل إلى عموده الفقري. لقد فقَدَ أحدهم عقله تماماً هنا. كانت أبواب الخزائن لا تزال مفتوحة، وقد استخدَم أحدهم طول المطبخ كزقاق للرماية في مهرجان ترفيهي. كانت الأوعية في كل مكان، وأشياء بيضاء تبدو كأنها ثلج لكن لا شكّ أنها مسحوق صابون.

ورأى ما يلي مكتوباً على لوح الرسائل بأحرف كبيرة وعلى عجل:

تـرَكـتُ لـك شيـئـاً في الـطـابـق الـعـلـوي يـا حـبـيـبـتي

فجأة لم يعد روسكو فيشر يريد أن يصعد إلى الطابق العلوي. لم يكن يريد أن يصعد إلى هناك على الإطلاق. فقد ساعَد في تنظيف ثلاثة من الفوضى التي خلّفها فرانك دودّ خلفه، بما في ذلك جثة ماري كايت هندراسن، التي اغتُصبَت وقُتلَت على منصة فرقة كاسل روك الموسيقية. لم يكن يريد أبداً رؤية أي شيء مماثل مرة أخرى...

ولنفترض أن المرأة كانت هناك في الطابق العلوي، مقتولة برصاصة أو مذبوحة أو مخنوقة؟ لقد رأى روسكو الكثير من التشويه على الطرقات وحتى اعتاد على ذلك، نوعاً ما. فمنذ صيفين، أخرَج مع بيلي والمأمور بانرمان رجلاً من آلة لتصنيف البطاطا مقطّعاً إرباً إرباً، ولم تكن تلك الحادثة من النوع الذي ترويه لأحفادك يوماً ما. لكنه لم ير جريمة قتل منذ هندراسن، ولم يرغب أن يرى واحدةً الآن.

لم يعرف ما إذا كان عليه أن يشعر بالارتياح أو بالاشمئزاز مما وجَده على بطانية آل ترنتون.

عاد إلى السيارة واتصل بالمركز.

عندما رنَّ الهاتف، كان ڤيك وروجر مستيقظين، ويجلسان أمام التلفزيون، لا يتكلمان كثيراً، ويدّخنان بشراهة. كان يتم عرض فيلم *فرانكشتاين*، النسخة الأصلية. كانت الواحدة وعشرون دقيقة.

أمسَك ڤيك الهاتف قبل أن يُكمِل رنّته الأولى. "ألو؟ دونا؟ هل هذه –"

"هل أنت السيد ترنتون؟"، قال صوت رجل.

"نعم؟".

"معك المأمور بانرمان. أخشى أن لديَّ بعض المعلومات المزعجة لك. آسف –"

"هل تُوفّيا؟"، سأل ڤيك. شعَر فجأة بصدمة تامة، وبأنه في عالم وهمي مثل ذلك الفيلم القديم الذي يشاهده مع روجر. خرج السؤال منه بنبرة تحادثيّة تماماً. ورأى بطرف عينه ظل روجر يتحرّك عندما نهض

بسرعة. لا يهمّ. لا شيء آخر يهمّ أيضاً. في غضون الثواني القليلة التي مرَّت منذ أن ردَّ على الهاتف، سنحت له فرصة ليلقي نظرة جيدة على حياته ورأى أن كل شيء فيها ديكور ومناظر زائفة.

"سيد ترنتون، لقد أُرسلَ الضابط فيشر -"

"تجاوزْ الكلام الرسمي الفارغ وأجب على سؤالي. هل تُوفِّيا؟"، قال وهو يستدير إلى روجر، الذي بدا وجهه رمادياً ومتسائلاً. خلفه، على التلفزيون، كانت طاحونة هوائية زائفة تدور تحت سماء زائفة. "روجر، هل معك سيجارة؟". فسلَّمه روجر واحدة.

"سيد ترنتون، هل لا تزال معي؟".

"نعم. هل تُوفِّيا؟".

"ليست لدينا أي فكرة أين زوجتك وإبنك اعتباراً من الآن"، قال بانرمان، وشعَر ڤيك فجأة بكل أحشائه تنقبض. واستعاد العالم قليلاً من لونه السابق. بدأ يرتعش. وبدأت السيجارة غير المشتعلة تهتزّ بين شفتيه.

"ماذا يحدث؟ ماذا تعرف؟ هل قلتَ إنك بانرمان؟".

"مأمور مقاطعة كاسل، هذا صحيح. وسأحاول أن أضعك في الصورة، إذا أعطيتني دقيقة".

"نعم، تفضَّل". كان خائفاً الآن؛ وبدا له أن كل شيء يسير بسرعة كبيرة.

"لقد أُرسلَ الضابط فيشر إلى منزلك في الثالثة والثمانين شارع لارش حسب طلبك عند الثانية عشرة وأربع وثلاثين دقيقة هذا الصباح. تحقَّق من عدم وجود سيارة في الممر الخاص للمنزل أو في

المرأب. ثم رنَّ جرس الباب الأمامي بشكل متكرر، وعندما لم يحصل على جواب، أدخَلَ نفسه مستخدماً المفتاح الموجود فوق طُنُف سقف الشرفة. وجَد أن المنزل خُرِّب عمداً بشكل كبير. الأثاث مقلوب، وزجاجات الشراب محطَّمة، ومسحوق الصابون مرمي على الأرض، وخزائن المطبخ –"

"يا إلهي، إنه كيمب"، همَس ڤيك. وتركَّزت دوّامة ذهنه على الرسالة: "هل لديك أي أسئلة؟". تذكَّر اعتباره تلك الملاحظة، بغض النظر عن أي شيء آخر في الرسالة، دلالةً مُقلِقةً على نفسية الرجل. فعل انتقام وحشي بسبب هجرها له. ماذا فعلَ كيمب الآن؟ ماذا فعلَ بالإضافة إلى دخول منزلهم مثل خفّاش مستعدّ للحرب؟

"سيد ترنتون؟".

"معك".

تنحنح بانرمان كما لو أنه يجد صعوبة في قول التالي. "أكمَل الضابط فيشر جولته وصعد إلى الطابق العلوي. لم يتم تخريب الطابق العلوي، لكنه وجَد أثراً – آه، سائلٌ ضاربٌ إلى البياض، الأرجح أنه سائل مَنَوي، على بطانية غرفة النوم الرئيسية". وفي انتقال هزلي مفاجئ غير متعمَّد، أضاف، "بدا له أن أحداً لم ينم على السرير".

"أين زوجتي؟"، صرَخ ڤيك في الهاتف. "أين إبني؟ أليست لديك أي فكرة؟".

"هوِّن عليك"، قال روجر، ووضع يداً على كتف ڤيك. يستطيع روجر أن يتحمَّل أن يقول ذلك. فزوجته على سريرها في المنزل، وكذلك إبنتاه التوأم. دفعَ ڤيك اليد عنه.

"سيد ترنتون، كل ما يمكنني إبلاغك به الآن هو أن فريقاً من محققي شرطة الولاية في مسرح الحدث، ورجالي يساعدونهم. لا يبدو أن أحداً عبثَ بغرفة النوم الرئيسية وبغرفة إبنك".

"تقصد ما عدا السائل المَنَوي على السرير"، قال ڤيك بشراسة، وجفل روجر كما لو أنه ضُربَ. وفُتحَ فمه فاغراً.

"نعم، حسناً، ذلك". بدا بانرمان مُحرَجاً. "لكن ما أقصده هو أنه لا توجد أي دلالة – آه، أي عنف ضد أي شخص أو أشخاص. تبدو المسألة تخريباً متعمّداً فقط لا غير".

"أين دونا وتاد إذاً؟". تحوَّلت القسوة الآن إلى ارتباك، وشعَر بلسعة دموع فتى صغير عاجز عند طرف عينيه.

"ليست لدينا أي فكرة في الوقت الحاضر".

كيمب... يا إلهي، ماذا لو كان كيمب قد خطفهما؟

للحظة واحدة تراءت له ومضات من الحلم المربك الذي حلم به الليلة السابقة: دونا وتاد يختبئان في قبوهما، تحت تهديد وحش فظيع. ثم اختفى كل شيء.

"إذا كانت لديك أي فكرة عمَن يقف وراء ذلك سيد ترنتون–"

"إنني ذاهب إلى المطار لأستأجر سيارة"، قال ڤيك. "يمكنني أن أصل إليكم عند حوالي الخامسة".

قال بانرمان بصبر: "نعم يا سيد ترنتون. لكن إذا كان اختفاء زوجتك وإبنك مرتبطاً بهذا التخريب المتعمّد بطريقة أو بأخرى، فإن الوقت يمكن أن يكون عاملاً نفيساً جداً. إذا كانت لديك أدنى فكرة عمَن يحقد عليك وعلى زوجتك، سواء كان حقداً حقيقياً أو وهمياً–"

"كيمب"، قال ڤيك بصوت منخفض مخنوق. لم يعد بإمكانه حبس دموعه الآن. فالدموع ستنهمر. كان يمكنه الشعور بها تسيل على وجهه. "كيمب فعلَ ذلك، أنا أكيد أنه كيمب. آه يا إلهي، ماذا لو كان قد خطفهما؟".

"مَن هو كيمب هذا؟"، سأل بانرمان. لم يعد صوته مُحرَجاً الآن؛ بل كان حادّاً ومتطلِّباً.

أمسك الهاتف بيده اليمنى، ووَضَع يده اليسرى على عينيه، مُبعداً روجر عن نظره، مُبعداً غرفة الفندق، وصوت التلفزيون، وكل شيء. أصبح في السواد الآن، لوحده مع صوته المرتعش ودموعه الحارة.

"ستيف كيمب"، قال. "ستيفن كيمب. يدير متجراً يدعى *مُجدِّد القرية* هناك في البلدة. لقد غادر الآن. على الأقل هذا ما قالته زوجتي. هو وزوجتي... دونا... كانا... كانا... حسناً، على علاقة. حميمية. لم تدم طويلاً. وقد أخبرته أن كل شيء انتهى بينهما. لقد عرَفتُ لأنه كتَب لي رسالة. كانت... كانت رسالة بشعة جداً. كان ينتقم، أظن. أظن أنه لم يرُقه أن تتخلى عنه. هذا... هذا يبدو مثل نسخة أكبر من تلك الرسالة".

فَرَك يده بوحشية على عينيه، مُحدثاً مجرّةً من النجوم الحمراء.

"ربما لم يُعجبه أن زواجنا لم ينفجر فوراً. أو ربما هو... حانق فقط. قالت دونا إنه يحنق عندما يخسر مباراة في كرة المضرب. فلا يصافح الرابح فوق الشبكة. السؤال...". ثم اختفى صوته فجأة واحتاج إلى أن يتنحنح قبل أن يعود. كان هناك حزام حول صدره، يشتدّ ويرتخي، ثم يشتدّ مرة أخرى. "أعتقد أن السؤال الآن هو إلى أي مدى

يمكن أن يذهب. من الممكن أن يكون قد أخذهما معه يا بانرمان. إنه قادر على ذلك، حسبما أعرفه".

كان هناك صمت على الطرف الآخر للخط؛ لا، ليس صمتاً تاماً. بل صوت قلم على ورقة. وَضَع روجر يده على كتف ڤيك مرة أخرى، وتركها هذه المرة، ممنوناً من دفئها. فقد شعَر ببرد قارس.

"سيد ترنتون، هل معك الرسالة التي أرسلها لك كيمب؟".

"لا. لقد مزّقتها. آسف، لكن في تلك الظروف –"

"هل يصدف أنها كانت مكتوبة بأحرف كبيرة؟".

"نعم. نعم".

"لقد وجد الضابط فيشر ملاحظةً مكتوبةً بأحرف كبيرة على لوح الرسائل في المطبخ. وهي تقول، 'ترَكتُ لك شيئاً في الطابق العلوي يا حبيبتي'".

نخر ڤيك قليلاً. فقد زال آخر أمل ضئيل بأن يكون شخصاً آخر – لصاً، أو ربما مجرد أولاد يلهون. اصعد إلى الطابق العلوي وشاهد ماذا ترَكتُ على السرير. كان كيمب. كان الخط على لوح الملاحظات في المنزل سيتطابق مع خط كيمب في الرسالة الصغيرة.

"يبدو أن الملاحظة تشير إلى أن زوجتك لم تكن في المنزل عندما فعلَ ذلك"، قال بانرمان، لكن حتى في حالته المصدومة، سمِع ڤيك نبرةً زائفةً في صوت المأمور.

"من الممكن أن تكون قد وصلت بينما كان لا يزال هناك وتعرَّفت عليه"، قال ڤيك برتابة. "عند عودتها من التسوّق، أو من إصلاح مُكربِن السيارة. أي شيء".

"ما نوع السيارة التي يقودها كيمب؟ هل تعرف؟".

"لا أعتقد أن لديه سيارة. لديه شاحنة".

"لونها؟".

"لا أعرف".

"سيد ترنتون، سأقترح عليك أن تأتي من بوسطن. وسأقترح عليك أن تأخذ الأمور برويّة إذا استأجرت سيارةً. سيكون أمراً مريعاً إذا تبيَّن أن عائلتك بخير وتسبِّب الموت لنفسك أثناء القيادة على الطريق العام قادماً إلى هنا".

"نعم، حسناً". لم يكن يريد أن يقود إلى أي مكان، سواء بسرعة أو ببطء. أراد الاختفاء. وأفضل من ذلك، أراد لو تزول الأيام الستة الأخيرة كلياً.

"شيء آخر يا سيدي".

"ما هو؟".

"أثناء عودتك إلى هنا، حاول أن تضع لائحة ذهنية بأصدقاء زوجتك ومعارفها في المنطقة. لا يزال ممكناً تماماً أنها تمضي الليلة مع أحدهم".

"بالتأكيد".

"أهم شيء يجب أن تتذكّره الآن هو أنه لا توجد أي علامات عنف".

"الطابق السفلي بأكمله محطَّم"، قال ڤيك. هذا يبدو عنفاً لعيناً جداً بالنسبة لي".

"نعم"، قال بانر بانزعاج. "حسناً".

"سأكون لديكم"، قال ڤيك. وأغلق السمّاعة.

"ڤيك، يؤسفني هذا"، قال روجر.

لم يتمكن ڤيك من النظر إلى عينَي صديقه القديم. *نبَتت له قرونٌ*، فكّر في سرّه. *أليس هذا ما يقوله الإنكليز؟ الآن يعرف روجر أن قروناً نبَتت لي.*

"لا بأس"، قال ڤيك وقد بدأ يرتدي ملابسه.

"كل هذا على كاهلك... وأتيت معي في هذه الرحلة؟".

"ما نفع لو بقيتُ في المنزل؟"، سأل ڤيك. "ما حصَل قد حصَل. وقد... عرَفتُ فقط يوم الخميس. وقلتُ لنفسي... بعض المسافة... بعض الوقت للتفكير... لا أعرف كل الأشياء اللعينة الغبية التي خطرت على بالي. والآن هذا".

"الذنب ليس ذنبك"، قال روجر بجدّية.

"روجر، في هذه اللحظة لا أعرف ما هو ذنبي وما ليس ذنبي. أنا قلق على دونا، وأكاد أفقد عقلي على تاد. أريد فقط العودة إلى هناك. وأودّ أن أُطبق يديَّ على عنق كيمب اللعين. سوف...". بدأ صوته يرتفع. ثم صمت فجأة. وارتخى كتفاه. بدا مُنهكاً تماماً وعجوزاً للحظة. ثم ذهَب إلى حقيبة السفر الموضوعة على الأرض وبدأ يبحث فيها عن ملابس نظيفة. "اتصل بشركة أفيس في المطار، رجاءً، واحجر لي سيارةً؟ محفظتي هناك على منضدة السرير. سيريدون رقم بطاقة إئتماني".

"سأتصل لكلينا. أنا عائد معك".

"لا".

"لكن –"

"لكن لا شيء". ارتدى ڤيك قميصاً أزرق داكناً، وكان قد زرَّره حتى منتصفه عندما رأى أنه أخطأ في ترتيب الأزرار؛ فقد أصبح أحد طرفَي القميص أعلى من الآخر. ففكَّ الأزرار وبدأ من جديد. كان يتحرّك الآن، وهذا أفضل له، لكن الشعور بغير الواقعية استمرّ لديه. فقد بقيت أفكار عن المشاهد السينمائية تراوده، حيث ما يشبه الرخام الإيطالي هو في الواقع مجرد ورق مزخرف، وحيث كل الغرف تنتهي فوق خط بصر الكاميرا وحيث يختبئ أحدهم دائماً في الخلفية حاملاً لوح الكلاكيت. مشهد رقم 41، ڤيك يُقنِع روجر بمواصلة تنفيذ خطة الرحلة، اللقطة الأولى. كان ممثلاً وهذا فيلمٌ عبثيٌ مجنونٌ. لكن الحال أفضل بلا شك عندما يكون الجسم يتحرّك وليس ساكناً.

"مهلاً يا رجل –"

"روجر، هذا لا يغيِّر شيئاً في الأزمة بين آد ووركس وشركة شارپ. أحد أسباب مرافقتي لك بعدما عرَفتُ عن علاقة دونا وكيمب هو لأنني أردتُ المحافظة على ستار أختبئ خلفه – لا أظن أن أحداً يريد الإعلان عندما يكتشف أن زوجته تخونه – لكن الأغلب هو لأنني عرَفتُ أن الأشخاص الذين يعتمدون علينا بحاجة إلى مواصلة الأكل مهما يكن الرجل الذي تقرِّر أن تجامعه زوجتي".

"لا تقسُ على نفسك يا ڤيك. توقف عن معاقبة نفسك".

"لا يمكنني فعل ذلك"، قال ڤيك. "حتى الآن لا يمكنني فعل ذلك".

"ولا يمكنني العودة إلى نيويورك متظاهراً كما لو أن شيئاً لم يحصل!".

"على حد علمنا، لا شيء حصَل. بقي الشرطي يشدِّد لي ذلك. *يمكنك* المتابعة. يمكنك إكمال تنفيذ الخطة. ربما سيتبيَّن أن المسألة بأكملها مجرد سوء تفاهم من البداية، لكن... يجب على الأشخاص أن *يحاولوا* يا روجر. لا يوجد شيء آخر يمكنهم فعله. بالإضافة إلى ذلك، لا يمكنك أن تفعل أي شيء في ماين سوى التسكّع والانتظار".

"يا إلهي كم يبدو هذا خطأ. يبدو خطأ كلياً".

"ليس خطأ. سأتصل بك من بيلتمور حالما أعرف شيئاً". أغلق ڤيك سحّاب سرواله الفضفاض وارتدى حذاءه. "هيا اتصل لي بأفيس. سأستقلّ سيارة أجرة إلى مطار لوغان من الطابق السفلي. انظر، سأكتب لك رقم بطاقة إئتماني".

فعل ذلك، وبقي روجر يقف صامتاً بينما أخذ معطفه وذهَب إلى الباب.

"ڤيك"، قال روجر.

استدار، وعانَقه روجر بشكل أخرق لكن بقوة مدهشة. وعانَقه ڤيك بدوره، وخده يلامس كتف روجر.

"سأصلّي أن يكون كل شيء على ما يرام"، قال روجر بصوت أجش.

"شكراً"، قال ڤيك، وخرَج.

همهَم المصعد بشكل باهت أثناء النزول - *لا يتحرّك أبداً*، فكّر في سرّه. *إنه تأثير صوتي*. ودخل ثملان يسندان بعضهما البعض المصعد في طابق الردهة بينما كان يخرج منه. *زوائد*، فكّر في سرّه.

تكلَّم مع البوّاب - زائد آخر - وبعد حوالي خمس دقائق وقفت سيارة أجرة تحت ظُلّة الفندق الزرقاء.

كان سائق سيارة الأجرة رجلاً أسود وصامتاً. وقد شغَّل جهازه الراديو على محطة أغاني ريفية، حيث بقيت فرقة موسيقية تغني أغنية "طاقة" بشكل متواصل بينما أخذته سيارة الأجرة نحو مطار لوغان عبر شوارع مهجورة بالكامل تقريباً. *يا له من موقع جيد لفيلم*، فكّر في سرّه. مع انتهاء الأغنية، أطلَّ منسِّق موسيقى غير موثوق ليذيع توقّعات الطقس. كان الجو حاراً البارحة، حسبما قال، لكنكم لم تروا لا شيء البارحة، يا إخوتي وأخواتي. اليوم سيكون أكثر يوم حار في الصيف حتى الآن، وربما يحطِّم الرقم القياسي. كان المتوقِّع العظيم بأحوال الطقس، لُو ماكنالّي، يزفّ خبر أن درجات الحرارة ستتخطى 40 درجة مئوية في الداخل ولن يكون الجو أكثر برودة بكثير على الساحل. فقد انتقلت كتلة هواء دافئ من الجنوب والضغط المرتفع يُبقيها فوق نيو إنغلاند. "لذا إذا كنت من النوع الهادئ، عليك التوجّه إلى الشاطئ"، أنهى منسِّق الموسيقى غير الموثوق كلامه. "لن تكون الأحوال جيدة جداً إذا كنت تتسكَّع في المدينة. وفقط لأبرهن لكم وجهة نظري، إليكم أغنية مايكل جاكسون 'أوفّ ذي وول'".

لم يكن ڤيك يكترث كثيراً بالتوقّعات، لكنها كانت ستُرعب دونا حتى أكثر مما هي عليه الآن، لو أنها عرفتها.

مثلما فعلت في اليوم السابق، استيقظت تشاريتي قبل الفجر مباشرة. استيقظت تستمع، وبقيت للحظات قليلة غير أكيدة مما كانت تستمع له. ثم تذكَّرت. صرير ألواح خشبية. خُطى. راحت تستمع لترى

إن كان إبنها سيسير في نومه مرة أخرى.

لكن المنزل بقي صامتاً.

نهضت عن السرير، وذهَبت نحو الباب، ونظرت إلى القاعة. كانت فارغة. بعد تردّد للحظات، توجّهت إلى غرفة بْرَتّ لتطمئن عليه. لم يكن هناك شيء يظهر من تحت ملاءته سوى خصلة من شعره. إذا كان قد سار في نومه، فإنه فعل ذلك قبل أن تستيقظ. كان نائماً نوماً عميقاً الآن.

عادت تشاريتي إلى غرفتها وجلست على السرير، وراحت تنظر إلى الخط الأبيض الباهت على الأفق. كانت تُدرك أنها عقدت عزمها مسبقاً. بطريقة أو بأخرى، سراً، في الليل بينما كانت نائمة. الآن، وفي خيوط الضوء الأولى لليوم، كانت قادرة على فحص ما قرَّرته، وشعَرت أنه يمكنها تقييم العواقب.

أدركت أنها لم تُفضِ بهمومها لأختها هولي أبداً مثلما توقَّعت أن تفعل. كانت لتفعل ذلك لولا بطاقات الإئتمان خلال غداء البارحة. ثم ليلة أمس عندما أخبرت تشاريتي كم كلفة هذا وذاك - البويك ذات الأبواب الأربعة، وتلفزيون سوني الملوَّن، والأرضية الخشبية في الرواق. كما لو أن كل شيء من تلك الأشياء لا يزال يحمل بطاقة سعر غير مرئية في ذهن هولي.

لا تزال تشاريتي تحبّ أختها. فهولي كريمة وطيبة القلب، ومتهوّرة، وحنونة، ودافئة. لكن طريقة عيشها أجبرتها على طمس بعض الحقائق العديمة الشفقة حول الطريقة السيئة التي ترعرعت فيها وتشاريتي في ماين الريفية، الحقائق التي أجبرت تشاريتي تقريباً على قبول الزواج من

جو كامبر بينما الحظ - الذي لا يختلف حقاً عن فوز بطاقة تشاريتي بالجائزة الكبرى - سمح لهولي بلقاء جيم والهرب معه من حياتها إلى الأبد.

كانت خائفة أنها لو أخبرت هولي بأنها بقيت تحاول الحصول على إذن جو للقدوم إلى هنا منذ سنوات، وبأن هذه الرحلة حدثت فقط بسبب براعتها العسكرية الكبيرة، ورغم ذلك فإن الأمور أوشكت أن تصل إلى حدّ أن يضربها جو بحزامه الجلدي... كانت خائفة أنها لو أخبرت هولي بتلك الأشياء، فإن ردة فعل أختها ستكون غضباً مذعوراً بدلاً من أي شيء منطقي ومفيد. لماذا غضبٌ مذعورٌ؟ ربما لأنه في أعماق أي إنسان لا تستطيع سيارات البويك وتلفزيونات سوني الملوّنة ذات أنابيب الترينيترون والأرضيات الخشبية أن تسبِّب أي تأثير مسكِّن أبداً لديه، ستُدرك هولي أنها نجت من زواج مشابه، من *حياة* مشابهة.

لم تُخبرها لأن هولي حصَّنت نفسها في حياة الطبقة الوسطى العليا مثل جندي يقظ في خندق. لم تُخبرها لأن الغضب المذعور لن يحل لها مشاكلها. لم تُخبرها لأن لا أحد يحبّ أن يبدو مثل أحمق في حدث ثانوي، أن يعيش الأيام والأسابيع والأشهر والسنوات مع رجل بغيض، وكتوم، ومخيف أحياناً. اكتشفت تشاريتي أن هناك أموراً لم ترغب بإخبارها. لم يكن الخِزي هو السبب. بل كان من الأفضل - الألطف - أحياناً الاختباء خلف قناع.

لم تُخبرها في الأغلب لأن تلك الأشياء كانت مشاكلها هي. وما حصل مع بْرَتّ كان مشكلتها هي... وأصبحت مقتنعة أكثر وأكثر خلال اليومين الماضيين أن ما يفعله في حياته سيعتمد أقل عليها وعلى جو وسيعتمد أكثر على بْرَتّ نفسه.

لن يكون هناك أي طلاق. ستتابع خوض حربها المتواصلة مع جو لإنقاذ مستقبل الفتى... مهما تكن نتائج ذلك. ففي قلقها بشأن رغبة بْرَتّ بمضاهاة أبيه، نسيت ربما – أو تجاهلت – حقيقة أنه سيأتي وقت ينتقد فيه الأولاد والديهما، ويقف الأب والأم معاً في قفص الاتهام. لقد لاحظ بْرَتّ تباهي هولي ببطاقات إئتمانها. ولا يسع تشاريتي سوى الأمل أن يلاحظ أن أباه يأكل مرتدياً قبعته... من بين أشياء أخرى.

سطعَ الفجر. فأخذت رداءها عن الجهة الخلفية للباب وارتدته. أرادت أن تأخذ دُشاً لكنها لن تفعل ذلك إلى أن يستقيظ الآخرون في المنزل. الغرباء. هذا ما كانوا عليه. حتى وجه هولي كان غريباً لها الآن، وجهٌ يحمل شبهاً طفيفاً فقط للصور الموجودة في ألبومات العائلة التي أحضرَتها معها... حتى هولي نفسها نظَرَت إلى تلك الصور ببعض الحيرة.

سيعودان إلى كاسل روك، إلى المنزل الواقع في نهاية طريق البلدة رقم 3، إلى جو. وستلتقط خيوط حياتها، وستستمر الحياة. هذا سيكون الأفضل.

ذكَّرت نفسها بضرورة الاتصال بألفا قبل السابعة، أثناء تناوله الفطور.

كانت الساعة قد تخطّت السادسة بقليل واليوم يزداد إشراقاً عندما أُصيب تاد بتشنّجه.

يبدو أنه استيقظ من نوم عميق حوالي 5:15 وأيقظ دونا من كَبوَة صغيرة، مشتكياً من جوعه وعطشه. كما لو أنه ضغَط زراً عميقاً في داخلها، أدركت دونا لأول مرة أنها جائعة أيضاً. كانت مُدركة للعطش – فقد كان متواصلاً تقريباً – لكن لا يمكنها أن تتذكَّر في الواقع تفكيرها

بالطعام منذ صباح البارحة. أصبحت شديدة الجوع فجأة الآن.

هدّأت تاد بأفضل ما يمكنها، مُخبرةً إياه أشياء جوفاء لم تعد تعني لها أي شيء حقيقي بطريقة أو بأخرى - بأن أشخاصاً سيأتون قريباً، بأن الكلب الشرير سيموت، بأنه سيتم إنقاذهما.

الشيء الحقيقي كان فكرة الطعام.

الفطور، على سبيل المثال: بيضتان مقليتان بالزبدة، مقليتان على الجهتين لو سمحت أيها النادل. خبز محمَّص فرنسي. كوبان كبيران من عصير البرتقال الطازج باردان لدرجة أن تغطيهما الرطوبة. لحم مقدَّد كندي. بطاطا مقلية. رقائق نخالة بالكريما عليها رشّة أويسة - أثداء، هكذا كان أبوها يسمّيها دائماً، وهذا مصطلح آخر من مصطلحاته الهزلية التي كانت تزعج أمها كثيراً.

أصدرت معدتها صوت لعلعة صاخب، وضحِك تاد. أجفلها صوت ضحكته وسرَّها فجائيتها. كان ذلك أشبه بالعثور على وردة تنمو في كومة قمامة، وابتسمت له بدورها. ألمت الابتسامة شفتيها.

"لقد سمعتَ ذلك، أليس كذلك؟".

"أعتقد أنك جائعة أيضاً".

"حسناً، لن أرفض سندويشةً إذا عرضها عليَّ أحدهم".

تأوه تاد، وهذا أضحكهما مرة أخرى. في الفناء، رفع كوجو أذنيه ليُصغي بإمعان، وزمجَر على صوت ضحكتهما. بدا للحظة كما لو أنه يريد النهوض على قدميه، ربما لينقضّ على السيارة مرة أخرى؛ ثم عاد واستلقى بتثاقل على وركَيه، مهدِّلاً رأسه.

شَعَرت دونا بذلك الارتفاع غير المنطقي في معنوياتها الذي يأتي

مع الفجر تقريباً دائماً. بالتأكيد سينتهي كل شيء قريباً؛ بالتأكيد تجاوزا الأسوأ. فقد بقي الحظ يعاكسهما منذ البداية، لكن حتى أسوأ الحظوط تتغيَّر عاجلاً أم آجلاً.

بدأ تاد وقد استعاد نشاطه القديم. بدا شاحباً جداً ومُتعَباً بشكل كبير رغم نومه، لكنه لا يزال تادر بلا شك. عانَقته، وعانَقها بدوره. وهَمَد الألم في بطنها بعض الشيء، رغم أن الجروح هناك بدت منتفخة وملتهبة. كانت حال رِجلها أسوأ، لكنها وجَدت أنها قادرة على ثنيها، رغم أن ذلك يؤلمها ويسبِّب نزيفاً آخر. ستصبح لديها ندبة.

بقيا يتكلمان طوال الدقائق الأربعين التالية تقريباً. دونا، التي كانت تبحث عن طريقة لإبقاء تاد متيقظاً ولتمرير الوقت لكليهما، اقترحت عشرين سؤالاً. ووافَق تاد بتلهّف. لم يكن يكتفي أبداً من هذه اللعبة؛ ولطالما كانت مشكلته الوحيدة هي جعل أحد والديه يلعبها معه. كانا قد وصلا إلى جولتهما الرابعة عندما أصابه التشنّج.

حزرت دونا منذ حوالي خمسة أسئلة أن موضوع الاستجواب هو فْرَد ريدينغ، أحد أصدقاء تاد في المخيَّم الصيفي، لكنها كانت تُطيل مدة اللعبة".

مكتبة
t.me/soramnqraa

"هل لديه شعر أحمر؟"، سألت.

"لا، إنه... إنه... إنه...".

بدأ تاد فجأة يكافح ليلتقط أنفاسه، التي راحت تأتي متقطّعةً، مما جعل الخوف يملأ حنجرتها في فورة حامضة نحاسية المذاق.

"تاد؟ *تاد*؟".

راح تاد يلهث، وخدشَ حنجرته بأظافره، مُحدثاً خطوطاً حمراء

هناك. انقلبت عيناه، ولم يعد يظهر منهما سوى قعر القزحيتين والبياض الفضيّ.

"تادا!" .

أمسَكته، وراحت تهزّه. ارتفعت تفاحة آدم في عنقه وانخفضت بسرعة، مثل دب ميكانيكي على عصا. وبدأت يداه تتخبّطان بلا هدف، ثم ارتفعتا إلى حنجرته مرة أخرى وراحتا تمزّقانها. وبدأ يُصدر أصوات اختناق.

نسيت دونا كلياً أين هي للحظات. فأمسَكت مسكة الباب، وسحَبتها إلى الأعلى، وفتحت باب البينتو، كما لو أن هذا يحصل بينما هي في مرأب سيارات السوبرماركت والمساعدة قريبة منها. وقف كوجو على قدميه فوراً، ووَثَب على السيارة قبل أن يصبح الباب مفتوحاً أكثر من النصف، وربما أنقذها من التعرّض لهجوم شرس في تلك اللحظة. ضرب الباب المفتوح، وسقط أرضاً، ثم هجم مرة أخرى، وهو يزمجِر بقوة. وانسكب غائط رخو على الحصى المسحوقة في الممر الخاص للمنزل.

أغلقت الباب بسرعة وهي تصرخ. ووَثَب كوجو على جانب السيارة مرة أخرى، دافعاً الانبعاج إلى الداخل أكثر قليلاً. ترنَّح إلى الوراء، ثم اندفع نحو النافذة، وارتطم بها مُحدثاً صوت تكسّر خفيف. ونشأت فجأة بضعة تشعّبات للتشقّق الفضي الممتدّ على الزجاج. وَثَب عليه مرة أخرى ومال زجاج الأمان إلى الداخل، وبقي متماسكاً لكن مرتخياً قليلاً. أصبح العالم الخارجي ضبابياً فجأة.

إذا انقضّ عليه مرة أخرى...

بدلاً من ذلك، تراجع كوجو، منتظراً رؤية ماذا ستفعل بعد ذلك. استدارت إلى إبنها.

راح جسم تاد يرتعش كلياً كما لو أنه مُصاب بالصَرَع، وكان ظهره مقوَّساً. ارتفع ردفاه عن المقعد، ثم عادا وسقطا عليه، ثم ارتفعا مرة أخرى، وعادا وسقطا عليه. كان وجهه يأخذ لوناً ضارباً إلى الزُرقة. وبرزت الأوردة على صدغيه بشكل كبير. لقد عملت كممرضة متطوِّعة لثلاث سنوات، خلال آخر سنتين في الثانوية وخلال الصيف الذي تلا سنتها الجامعية الأولى، وكانت تعرف ما يحصل هنا. لم يبتلع لسانه؛ الذي كان مستحيلاً خارج روايات الغموض. لكن لسانه انزلق في حنجرته وبدأ يسدّ القصبة الهوائية الآن. كان يختنق حتى الموت أمام عينيها.

أمسَكت ذقنه بيدها اليسرى وفتحت فمه. جعلها الذعر صلبةً، وسِمعت صرير الأوتار في فكّه. عثرت أصابعها الاستقصائية على رأس لسانه في الجهة الخلفية بعيداً بشكل لا يُصدَّق، تقريباً حيث ستكون أضراس عقله لو نمت في يوم من الأيام. حاوَلت إمساكه ولم تتمكن؛ كان رطباً وزلقاً مثل أنقليس صغير. حاوَلت أن تلتقطه بين إبهامها وسبابتها، ولم تلحظ السباق المحموم بين نبضات قلبها. *أعتقد أنني أخسره*، فكّرت في سرّها. *يا إلهي، أعتقد إنني أخسر إبني.*

فجأة أطبق فكّيه على بعضهما، مما أسال الدم من أصابعها الاستقصائية ومن شفتيه المتشققتين المتقرِّحتين على ذقنه. بالكاد أحسّت بالألم. وبدأت قدماه تخشخشان إيقاعاً مجنوناً على الحصيرة الأرضية للبينتو. راحت تتلمّس بحثاً عن رأس لسانه بيأس. ثم أمسكته... وانزلَق من بين أصابعها مرةً أخرى.

(الكلب اللعين، إنه ذنبه، الكلب اللعين اللعين، سأقتلك، أُقسِم على ذلك).

أطبقَت أسنان تاد على أصابعها مرة أخرى، ثم أمسكت لسانه مرة أخرى ولم تتردد هذه المرة: غرست أظافرها في سطحه الإسفنجي العلوي والسفلي وسحَبته إلى الأمام مثل امرأة تُنزل ستارة نافذة؛ وفي الوقت نفسه وَضَعت يدها الأخرى تحت ذقنه وأمالت رأسه إلى الوراء، لتُنشئ أكبر مجرى هواء ممكن. بدأ تاد يلهث مرة أخرى - بصوتٍ حادٍ مُطقطِقٍ، مثل تنفّس عجوز يعاني من داء انتفاخ الرئة. ثم بدأ يشهق.

صفَعته. لم تكن تعرف ماذا تفعل غير ذلك، لذا فعلته.

لهثَ تاد لهثاً عميقاً أخيراً، ثم بدأ يتنفّس بسرعة. راحت تلهث هي أيضاً. وملأ دوار كبير رأسها. كانت قد فتَلت رِجلها المجروحة بطريقة أو بأخرى، وشعرت بالرطوبة الدافئة لنزيف جديد.

"تاد!"، ابتلَعت ريقها بصعوبة. "تاد، هل يمكنك أن تسمعني؟".

أومأ برأسه. قليلاً. وبقيت عيناه مغمضتين.

"هوِّن عليك قدر الإمكان. أريدك أن تسترخي".

"... أريد الذهاب إلى المنزل... ماما... الوحش...".

"صه يا تادر. لا تتكلم، ولا تفكِّر بالوحوش. خذ". كانت كلمات الوحش قد سقطت على الأرضية. فالتقطت الورقة الصفراء ووضعتها في يده. أمسَكها تاد بضيق مذعور. "ركِّز الآن على التنفّس ببطء وبشكل طبيعي يا تاد. هذه هي الطريقة للعودة إلى المنزل. أنفاس بطيئة وعادية".

هامت عيناها إلى ما وراءه ورأت المضرب المشقَّق مرة أخرى،

بمقبضه الملفوف بشريط احتكاك، جالساً على الأعشاب الضارة العالية عند الجهة اليمنى للممر الخاص.

"فقط هوِّن عليك يا تادر، هل يمكنك أن تحاول فعل ذلك؟".

أومأ تاد برأسه قليلاً من دون أن يفتح عينيه.

"بعد قليل فقط يا عزيزي. أعِدُك. أعِدُك".

استمر اليوم بالسطوع في الخارج. وكان الجو دافئاً من قبل. وبدأت الحرارة ترتفع داخل السيارة الصغيرة.

وصل ڤيك إلى المنزل عند الخامسة والثلث. في الوقت الذي كانت فيه زوجته تسحب لسان إبنه من مؤخرة فمه، كان يتجوَّل في غرفة الجلوس، يعيد وضع الأشياء في أماكنها الصحيحة ببطء، بينما جلس بانرمان ومحقق من شرطة الولاية ومحقق من مكتب المدّعي العام على الأريكة الطويلة القابلة للتفكيك يشربون قهوة فورية.

"لقد أخبرتكم من قبل بكل شيء أعرفه"، قال ڤيك. "إذا لم تكن مع الأشخاص الذين اتصلتم بهم من قبل، فهي ليست مع أي شخص آخر". كانت لديه مكنسة ولقّاطة، وقد أحضَرَ علبة أكياس النفايات من خزانة المطبخ. وبدأ الآن يُدخِل كتلة من الزجاج المحطَّم في أحد الأكياس بأصوات قرقعة خفيفة. "إلا إذا كان كيمب".

ساد صمتٌ غير مريح. لا يستطيع ڤيك أن يتذكّر أنه شعر بهذا التعب الكبير من قبل، لكنه لم يصدِّق أنه سيكون قادراً على النوم إلا إذا أعطاه أحدهم حبة منوِّم. لم يكن يفكِّر بشكل جيد جداً. بعد عشر دقائق من وصوله، رنَّ الهاتف وانقضّ عليه مثل نسر، دون اكتراثه

لملاحظة محقق المدّعي العام بأن المكاملة له على الأرجح. لم تكن له؛ بل كان روجر يتصل ليسأل إن وصل ڤيك بسلامة، وإن كانت هناك أي أخبار جديدة.

كانت هناك بعض الأخبار، لكنها كلها غير حاسمة بشكل مجنِّن. فقد عثروا على بعض بصمات الأصابع في كل أرجاء المنزل، وقد رفعَ فريقٌ متخصصٌ، من أوغستا أيضاً، عدة بصمات من المنزل المجاور لمتجر تجديد الأثاث الصغير الذي كان ستيفن كيمب يستخدمه. ستأتي نتائج مطابقة البصمات قريباً وسيعرفون بشكل حاسم إن كان كيمب هو الذي قلبَ الطابق السفلي رأساً على عقب. كان ڤيك يشعر بأن هذه مضيعة للوقت؛ فهو متأكد في صميمه أنه كيمب.

تحقَّق محقق شرطة الولاية من هوية شاحنة كيمب. كانت فورد إيكونولاين موديل العام 1971، ولوحتها من ماين رقم 644-641. ولونها رمادي فاتح، لكنهم عرَفوا من مالك منزل كيمب – أخرجوه من سريره عند الرابعة فجراً – أن هناك جداريات صحراوية مطلية على جوانب الشاحنة: شواهد صخرية، وهضاب، وكثبان رملية. وهناك ورقتان لاصقتان على مخفِّف الصدمات الخلفي، إحداهما تقول "اشطر الخشب وليس الذرّة"، والأخرى تقول "رونالد ريغن أطلق النار على ج. ر.". رجل ظريف جداً، ستيف كيمب هذا، فالجداريات والورق اللاصق على مخفِّف الصدمات تسهِّل التعرّف على شاحنته كثيراً، وسيتم تحديد مكانها قبل انتهاء اليوم بكل تأكيد، إلا إذا كان قد تخلّص منها برميها في مكان مهجور. أُرسل تنبيه المركبة إلى كل ولايات نيو إنغلاند وإلى الجزء الشمالي من نيويورك. بالإضافة إلى ذلك، تم تنبيه مكتب التحقيقات الفدرالي في بورتلاند وبوسطن إلى احتمال حصول حالة

اختطاف، وبدأوا يستقصون عن إسم ستيف كيمب في ملفاتهم في واشنطن. سيجدون ثلاث حالات اعتقال يعود تاريخها إلى فترة التظاهر ضد الحرب في فييتنام خلال السنوات 1968–1970.

"هناك شيء واحد فقط في كل هذا يزعجني"، قال محقق المدّعي العام. كان دفتر ملاحظاته على ركبته، لكن لا يوجد أي شيء يستطيع ڤيك إخبارهم إياه ولم يخبرهم به من قبل. كان الرجل من أوغستا يرسم بعبث فقط. "إذا كان بإمكاني أن أكون صريحاً، إنه شيء يزعجني جداً".

"ما هو؟"، سأل ڤيك. رفَع صورة العائلة، وأخفَض نظره إليها، ثم أمالها لكي يسقط الزجاج المحطَّم داخل كيس النفايات بصوت قرقعة صغيرة شريرة أخرى.

"السيارة. أين سيارة زوجتك؟".

كان إسمه ماسن. ذهَب الآن إلى النافذة، وصفع دفتر ملاحظاته على رِجله بذهول. كانت سيارة ڤيك الرياضية الرثّة في الممر الخاص للمنزل، مركونة بجانب سيارة بانرمان. فقد استقلّها ڤيك من مطار بورتلاند وترك سيارة أفيس التي قادها شمالاً من بوسطن.

"ما علاقة هذا بالمسألة؟"، سأل ڤيك.

هزَّ ماسن كتفيه. "ربما لا شيء. وربما شيء مهم. ربما كل شيء. على الأرجح لا شيء، لكن هذا لا يعجبني. أتى كيمب إلى هنا، صح؟ وأخذ زوجتك وإبنك. لماذا؟ لأنه مجنون. هذا سبب كافٍ. لا يستطيع تقبّل الخسارة. وربما هذه هي طريقته المخبولة بالمزاح".

كانت هذه كلها أشياء قالها ڤيك لنفسه، حرفياً تقريباً.

"ماذا يفعل إذاً؟ يحشرهما في شاحنته الفورد ذات الجداريات الصحراوية على جانبيها. وهو إما يقود بهما الآن أو ركَن في مكان ما. صح؟".

"نعم، هذا ما أخشاه –"

استدار ماسن من النافذة لينظر إليه. "أين السيارة إذاً؟".

"حسناً –". بذَل ڤيك جهداً ليفكِّر. كان سؤالاً صعباً، وهو مُتعَب جداً. "ربما –"

"ربما لديه شريك قادها بنفسه"، قال ماسن. "هذا سيعني على الأرجح عملية اختطاف لقاء فدية. وإذا كان قد أخذهما لوحده، فإن ذلك كان على الأرجح مجرد خطوة ارتجالية مجنونة. إذا كان قد اختطفهما للحصول على مال، لماذا يأخذ السيارة أبداً؟ لينتقل إليها لاحقاً؟ هذا مضحك. فتلك البينتو مشبوهة مثل الشاحنة تماماً، ولو كان التعرّف عليها أصعب قليلاً. وأكرِّر، إذا لم يكن هناك شريك، إذا كان يعمل لوحده، مَن قاد السيارة؟".

"ربما عاد ليأخذها"، علَّق محقق شرطة الولاية. "خبّأ الفتى والسيدة وعاد ليأخذ السيارة".

"هذا سيسبِّب له بعض المشاكل من دون شريك"، قال ماسن، "لكنني أظن أنه قادر على فعل ذلك. يأخذهما إلى مكان قريب ثم يعود سيراً على الأقدام ليأخذ بينتو السيدة ترنتون، أو يأخذهما إلى مكان بعيد ويمدّ إبهامه لأي سيارة عابرة لتعيده إلى هنا. لكن لماذا؟".

تكلَّم بانرمان لأول مرة. "ربما قادتها بنفسها".

استدار ماسن لينظر إليه، رافعاً حاجبيه.

"إذا أخذ الفتى معه –". نظَرَ بانرمان إلى ڤيك وأومأ برأسه قليلاً. "آسف سيد ترنتون، لكن إذا أخذ كيمب الفتى معه، بعد أن أوثَقَه أو شهَرَ مسدساً في وجهه، وقال لزوجتك أن تتبعه، وهدّدها أن مكروهاً قد يحصل للفتى إذا حاوَلت القيام بأي شيء ذكي، مثل إطفاء أضوائها أو الوَمْض بها –"

أومأ ڤيك برأسه، وشَعَر بالغثيان من الصورة التي رسمها بانرمان.

بدا ماسن منزعجاً من بانرمان، ربما لأنه لم يفكّر بهذا الاحتمال بنفسه. "أكرِّر: ما الهدف من ذلك؟".

هزَّ بانرمان رأسه. ڤيك نفسه لم يكن قادراً على التفكير بسبب واحد يجعل كيمب يريد أخذ سيارة دونا.

أشعلَ ماسن سيجارة، وسعَلَ، ونظر حوله بحثاً عن منفضة.

"آسف"، قال ڤيك، وهو يشعر مرة أخرى كما لو أنه ممثل، شخص خارج نفسه، يقول نصاً كُتب له. "لقد تم تحطيم المنفضتين هنا. سأُحضر لك واحدة من المطبخ".

خرج ماسن معه، وأخذ منفضةً، وقال، "هيا نخرج إلى السلالم، هل لديك مانع؟ سيكون اليوم حاراً جداً. وأفضّل أن أستمتع بها بينما لا تزال متحضِّرة خلال يوليو".

"حسناً"، قال ڤيك بسأم.

ألقى نظرة سريعة على ميزان الحرارة–البارومتر المثبَّت على حائط المنزل بينما خرَجا... إنه هدية من دونا في احتفال الشتاء الفائت. درجة الحرارة 23 من قبل. وإبرة البارومتر مزروعة بشكل واضح في رُبع الدائرة المعلّم بكلمة "مقبول".

"دعنا نحلِّل هذه المسألة قليلاً"، قال ماسن. "إنها تُبهرني. لدينا هنا امرأة مع إبنها، امرأة سافر زوجها في رحلة عمل. تحتاج إلى سيارتها إذا كانت ستتجوّل قليلاً. حتى وسط المدينة يبعُد كيلومتراً ونزهة العودة شاقة صعوداً. لذا إذا افترضنا أن كيمب أمسَك بها هنا، لكانت السيارة لا تزال هنا. لكن فكّر بالبديل التالي. يأتي كيمب ويحطِّم محتويات المنزل، لكنه لا يزال غاضباً. يراهما في مكان آخر في البلدة ويُمسك بهما. في تلك الحالة، ستكون السيارة لا تزال في ذلك المكان الآخر. وسط المدينة، ربما. أو في مرأب السيارات في مركز التسوّق".

"ألن يكون أحدهم قد أعطاها مخالفة مرور في منتصف الليل؟"، سأل ڤيك.

"على الأرجح"، قال ماسن. "هل تعتقد أنها ربما تكون قد تركتها بنفسها في مكان ما، سيد ترنتون؟".

ثم تذكَّر ڤيك. صمام الإبرة.

"تبدو كأنك تذكّرت شيئاً مهماً"، قال ماسن.

"هذا صحيح. السيارة ليست هنا لأنها لدى وكيل فورد في ساوث باريس. كانت تعاني من مشاكل مع المُكرِبن. فصمام الإبرة بقي يتعطَّل. تكلَّمنا عن هذا الأمر بعد ظهر الاثنين على الهاتف، وكانت منزعجة جداً منه. كنتُ أنوي حجز موعد لها لإصلاح الصمام لدى رجل محلي هنا في البلدة، لكنني نسيتُ لأن...".

وخفُتَ صوته وهو يفكِّر بأسباب نسيانه.

"نسيتَ أن تحجز الموعد هنا في البلدة، لذا أخذتها إلى ساوث باريس؟".

"نعم، أظن ذلك". لم يتمكّن أن يتذكَّر الآن تفاصيل المحادثة بالضبط، ما عدا أنها كانت خائفة أن تتعطَّل بها السيارة بينما تأخذها لإصلاحها.

ألقى ماسن نظرة سريعة على ساعته ونهض. بدأ ڤيك ينهض معه.

"لا، ابق هنا. أريد فقط إجراء مكالمة هاتفية سريعة. سأعود".

جلَس ڤيك حيث كان. وانغلق باب المنخل خلف ماسن، وذكَّره صوته بتاد لدرجة أنه جفَل واضطر أن يكزّ أسنانه ليمنع دموعاً جديدةً. أين هما؟ مسألة اختفاء البينتو من هنا شكَّلت تفاؤلاً طفيفاً في النهاية.

أشرقت الشمس بالكامل الآن، ملقيةً ضوءاً وردياً ساطعاً على المنازل والشوارع، وعلى كاسل هيل. ولمَست الأرجوحة المنصوبة حيث دفَع تاد مرات لا تُعدّ ولا تُحصى... كل ما أراده هو دفع إبنه على الأرجوحة مرة أخرى مع وقوف زوجته بجانبه. سيدفعه إلى أن تسقط يداه، إذا كان ذلك ما يريده تاد.

بابا، أريد أن أدور دائرة كاملة! أريد!

الصوت في ذهنه أثلَج له قلبه. كان مثل صوت شبح.

فُتح باب المنخل مرة أخرى بعد لحظة. وجلَس ماسن بجانبه وأشعلَ سيجارة جديدة. "مدينة فورد التوأم في ساوث باريس"، قال. "هذا هو العنوان، أليس كذلك؟".

"نعم. اشترينا البينتو من هناك".

"جرّبت حظي واتصلت بهم. ولحسن الحظ، كان مدير قسم الخدمات هناك. البينتو ليست عندهم، ولم تأت إليهم. مَن هو الرجل المحلي؟".

"جو كامبر"، قال ڤيك. "لا شك أنها أخذت السيارة إلى هناك في النهاية. لم تكن تريد ذلك لأن مرأبه في مكان ناءٍ ولم يردّ أحدٌ على اتصالاتها الهاتفية به. أخبرتُها أنه هناك على الأرجح، يعمل في مرأبه فحسب. إنه عبارة عن حظيرة محوَّلة، ولا أعتقد أن لديه هاتفاً هناك. على الأقل لم يكن لديه هاتف في المرأب في آخر زيارة لي إلى هناك".

"سنتحقّق من الأمر"، قال ماسن، "لكن سيارتها ليست هناك أيضاً يا سيد ترنتون. صدقّني".

"لما لا؟".

"هذا غير منطقي أبداً"، قال ماسن. "كنتُ أكيداً خمسة وتسعين بالمئة أنها ليست في ساوث باريس أيضاً. اسمع، كل شيء قلناه من قبل لا يزال سارياً. امرأة يافعة مع ولد تحتاج إلى سيارة. لنفترض أنها أخذت السيارة إلى مدينة فورد التوأم وأخبروها أنهم يحتاجون إلى يومين لإصلاحها. كيف تعود؟".

"حسناً... يعيرونها سيارة... وإذا لن يفعلوا ذلك، أظن أنهم سيأجرونها إحدى سياراتهم المعروضة للإيجار. من الأسطول الرخيص".

"صحيح! جميل! لذا أين تلك السيارة الجديدة؟".

نظَرَ ڤيك إلى الممر الخاص، كما لو أنه يتوقعها أن تظهر تقريباً.

"لا يوجد سبب يجعل كيمب يفرّ في سيارة زوجتك المستأجرة بدلاً من الفرار في البينتو"، قال ماسن. "هذا يجعلنا نستبعد احتمال وكيل فورد مسبقاً. لنفترض الآن أنها أخذت البينتو إلى مرأب كامبر. إذا أعطاها سيارة قديمة لتدبّر أمورها بها بينما يُصلح البينتو، نكون قد عدنا إلى المربع الأول فوراً: أين السيارة القديمة؟ لذا لنفترض أنها أخذت

البينتو إلى هناك وأخبرها كامبر أنه مضطر أن يحتفظ بها لبرهة لكنها اتصلت بصديقة، وذهبت تلك الصديقة لتعيدها. معي حتى الآن؟".

"نعم، بالتأكيد".

"لذا مَن هي تلك الصديقة؟ لقد أعطيتنا لائحة، وأيقظناهن كلهن من نومهن. لحسن حظنا أنهن كنّ كلهن في منازلهن، بما أننا في فصل الصيف. لم تذكر أي واحدة منهن إعادة عائلتك إلى المنزل من أي مكان. ولم ترها أي واحدة منهن بعد صباح الاثنين".

"حسناً، لماذا لا نتوقف عن التكهّن؟"، سأل ڤيك. "دعنا نهاتف كامبر ونعرف منه الخبر اليقين".

"دعنا ننتظر حتى السابعة"، قال ماسن. "أي، خمس عشرة دقيقة فقط. لنعطه فرصة ليغسل وجهه ويستيقظ قليلاً. يبدأ الميكانيكيون عملهم باكراً عادة. هذا الرجل يعمل لحسابه الخاص".

هزَّ ڤيك كتفيه. هذه المسألة برمّتها أشبه بزقاق مظلم مجنون. كيمب خطف دونا وتاد. إنه أكيد من هذا، تماماً مثلما عرَف أن كيمب هو الذي حطَّم المنزل ولوَّث السرير الذي يتشاركه مع دونا.

"بالطبع، ليس بالضرورة أن تكون صديقةً"، قال ماسن وهو يراقب بأسلوب حالم دخان سيجارته ينجرف في الصباح. "هناك احتمالات عديدة. أخذت سيارتها إلى هناك، وصدف أن التقت لديه بشخص تعرفه معرفةً سطحيةً، وقد عرض عليها ذلك الشخص – سواء كان رجلاً أو امرأةً – أن يعيدها وإبنها إلى البلدة. أو ربما كامبر أعادها إلى المنزل بنفسه. أو زوجته. هل هو متزوج؟".

"نعم. امرأة لطيفة".

"ربما كان هو، أو هي، أو أي شخص آخر. الناس مستعدون دائماً لمساعدة سيدة في محنة".

"نعم"، قال ڤيك، وأشعل سيجارة هو أيضاً.

"لكن كل هذا لا يهمّ الآن، لأن السؤال يبقى نفسه دائماً: أين السيارة اللعينة؟ لأن الحالة هي نفسها. امرأة وولد لوحدهما. عليها أن تشتري البقالة، وتذهب إلى المصبغة ومكتب البريد، وتُنهي عشرات المأموريات الصغيرة. لو كان الزوج سيغيب لبضعة أيام فقط، أو حتى أسبوع، لربما تمكّنت من تدبير أمورها من دون سيارة. لكن عشرة أيام أو أسبوعين؟ يا إلهي، هذه مدة طويلة في بلدة لا تضم سوى سيارة أجرة لعينة واحدة فقط. ستكون مكاتب تأجير السيارات سعيدة بالمساعدة في هكذا حالات. كان يمكنها الاتصال بشركة هرتز أو أفيس أو ناشيونال ليرسلوا لها سيارة إلى هنا أو إلى مرأب كامبر. لذا أين السيارة *المستأجرة*؟ أعود إلى هذه النقطة باستمرار. كان يجب أن تكون هناك مركبة في هذا الفناء. صح؟".

"لا أعتقد أن هذا مهم"، قال ڤيك.

"وربما أنت محق. سنجد شرحاً بسيطاً ونقول لأنفسنا، *آه، كيف أمكننا أن نكون بهذا الغباء؟* لكن الأمر يحيّرني بشكل غريب... كانت المشكلة في صمام الإبرة؟ هل أنت متأكد من ذلك؟".

"كلياً".

هزّ ماسن رأسه. "لماذا ستحتاج إلى كل ذلك الهراء حول استعارة أو استئجار سيارة على أي حال؟ عملية الإصلاح لا تستغرق أكثر من خمس عشرة دقيقة لأي شخص يملك الأدوات والبراعة. تأتي بسيارتها، ثم تغادر بسيارتها. لذا أين –"

"– سيارتها اللعينة؟"، أكمل له ڤيك جملته بتثاقل. كان العالم يتموَّج الآن يميناً ويساراً.

"لماذا لا تصعد إلى الطابق العلوي وتتمدَّد قليلاً؟"، قال ماسن. "بدأ الإعياء يظهر عليك".

"لا، أريد أن أكون مستيقظاً إذا حصل شيء –"

"وإذا حصل شيء فعلاً، سيكون أحدٌ هنا ليوقظك. رجال مكتب التحقيقات الفدرالي قادمون مع نظام لتقفّي الآثار سيوصلونه بهاتفك. أولئك الأشخاص كثيرو الضجة كفاية لإيقاظ الميت – لذا لا تقلق".

كان ڤيك مُتعَباً جداً ليشعر أكثر من رعب ثقيل بكثير. "هل تعتقد أن نظاماً لعيناً لتقفّي الآثار ضروريٌ حقاً؟".

"وجوده وعدم الحاجة إليه أفضل من الحاجة إليه وعدم وجوده"، قال ماسن، وقذف سيجارته. "استرح قليلاً وستتمكن من أن تتعاون بشكل أفضل يا ڤيك. هيا".

"حسناً".

صعد إلى الطابق العلوي ببطء. كان كل شيء قد نُزع عن الفِراش على السرير. لقد فعل ذلك بنفسه. وَضَع وسادتين على جهته، وخلع حذاءه، واستلقى. كانت شمس الصباح تُشرِق بشراسة عبر النافذة. *لن أنام*، فكّر في سرّه، *لكنني سأرتاح. سأحاول، على أي حال. خمس عشرة دقيقة... ربما نصف ساعة...*

لكن حين أيقظه الهاتف، كان الظهر الحارق لذلك اليوم قد مرَّ.

تناولت تشاريتي كامبر قهوتها الصباحية ثم اتصلت بألڤا ثورنتون

في كاسل روك. هذه المرة ردّ عليها ألڤا شخصياً.

عرَف أنها تحدّثت مع بيسّي ليلة أمس. "لا"، قال ألڤا. "لم أر جو منذ الخميس الفائت تقريباً يا تشاريتي. عندما أحضَر عجلة الجرّار التي أصلحها لي. لم يقل لي شيئاً عن إطعام كوجو، رغم أنني كنتُ لأقبل بكل سرور".

"ألڤا، هل يمكنك الذهاب إلى المنزل والاطمئنان على كوجو؟ بْرَتّ رآه صباح الاثنين قبل أن نغادر إلى منزل أختي، واعتقَد أنه بدا مريضاً. ولا أعرف مع مَن اتفق جو ليُطعمه". وأضافت، على طريقة سكان الأرياف: "لا داعي للاستعجال".

"سأفعل ذلك"، قال ألڤا. "دعيني أُطعِم هذه الدجاجات اللعينة وأرويها أولاً ثم أذهب إلى هناك".

"ممتاز يا ألڤا"، قالت تشاريتي بامتنان، وأعطته رقم أختها. "شكراً جزيلاً".

تكلّما قليلاً أكثر، في الأغلب عن الطقس. فالحرّ المتواصل يُقلِق ألڤا على الدجاجات. ثم أغلقت الخط.

رفع بْرَتّ نظره عن حبوبه عندما دخلت المطبخ. كان جيم جونيور دقيقاً جداً في صنع حلقات على الطاولة بكوب عصير برتقاله وفي التكلّم بسرعة كبيرة. فقد قرَّر خلال الساعات الثماني والأربعين الماضية أن بْرَتّ كامبر أحد أقرباء صديق له.

"ماذا حصل؟"، سأل بْرَتّ.

"كنتَ محقاً. لم يطلب أبوك من ألڤا أن يُطعِمه". ورأت خيبة الأمل والقلق على وجه بْرَتّ وتابعت تقول: "لكنه سيذهب إلى المنزل

هذا الصباح ليطمئن على كوجو، حالما ينتهي من الاعتناء بدجاجاته. أعطيتُه الرقم هذه المرة. وقال إنه سيتصل بنا فوراً".

"شكراً يا ماما".

نهض جيم عن الطاولة عندما نادته هولي ليصعد إلى الطابق العلوي ويرتدي ملابسه. "هل تريد الصعود معي يا بْرَتّ؟".

ابتسم بْرَتّ. "سأنتظرك أيها الملاكم العنيف".

"حسناً". رَكَض جيم وهو يصرخ بصوتٍ عالٍ، "ماما! قال بْرَتّ إنه سينتظر! سينتظرني بْرَتّ حتى أرتدي ملابسي!".

وسُمع هديرٌ، مثل مشية الأفيال، على السلالم.

"ولد لطيف"، قال بْرَتّ عرضاً.

"فكّرتُ"، قالت تشاريتي، "أن نعود إلى المنزل باكراً قليلاً. إذا كنتَ لا تمانع".

أشرَق وجه بْرَتّ، ورغم كل القرارات التي توصّلت إليها، أحزنها ذلك الإشراق قليلاً. "متى؟"، سأل.

"ما رأيك بالغد؟". كانت تنوي أن تقترح يوم الجمعة.

"رائع! لكن" - نظَرَ إليها عن كثب - "هل انتهيتِ من الزيارة يا ماما؟ أعني، إنها أختك".

تذكّرت تشاريتي بطاقات الإئتمان، وعلبة الموسيقى ماركة وورليتزر التي كان زوج هولي قادراً على تحمّل ثمنها لكنه لم يعرف كيف يُصلحها. هذه كانت الأشياء التي أثارت إعجاب بْرَتّ، وافترَضت أنها أثارت إعجابها هي أيضاً بطريقة ما. ربما رأتها من خلال عينَي بْرَتّ قليلاً... من خلال عينَي جو. وقد طفح الكيل.

"نعم"، قالت. "أظن أنني اكتفيتُ من الزيارة. سأُخبر هولي هذا الصباح".

"حسناً يا ماما". نظَرَ إليها ببعض الخجل. "لا أُمانع العودة إلى هنا. فأنا أحبّهم حقاً. وهو ولد نقي. ربما يمكنه زيارتنا في ماين أحياناً".

"نعم"، قالت، متفاجئةً وممنونةً. لم تعتقد أن جو سيعترض على ذلك. "نعم، ربما يمكننا ترتيب ذلك".

"حسناً. وأخبريني بما يقوله لك السيد ثورنتون".

"اتفقنا".

لكن ألڤا لم يعاود الاتصال أبداً. فبينما كان يُطعم دجاجاته ذلك الصباح، انفجر المحرّك في مكيّف هوائه الكبير، وأصبح فوراً في كفاح بين الحياة والموت ليُنقذ طيوره قبل أن يقتلها حرّ اليوم. ربما كانت دونا ترنتون لتصف ما حدث بضربة أخرى من نفس المصير الذي رأته في عينَي كوجو الموحِلتين القاتلتين. حين تمت معالجة مسألة مكيّف الهواء، كانت قد أصبحت الرابعة بعد الظهر (فَقَد ألڤا ثورنتون اثنتين وستين دجاجة في ذلك اليوم)، والمواجهة التي بدأت بعد ظهر الاثنين في فناء آل كامبر المشمس انتهت.

كان آندي ماسن الطفل العبقري لمدعي ماين العام، ويقول البعض إنه يوماً ما – وذلك اليوم ليس بعيداً جداً، أيضاً – سيدير قسم جرائم القتل في مكتب المدعي العام. لكن آمال آندي ماسن تصبو إلى أعلى من ذلك بكثير. كان يأمل أن يصبح المدعي العام في العام 1984، وفي وضعية تسمح له بالترشّح لمنصب الحاكم في العام 1987. وبعد ثماني سنوات من كونه الحاكم، مَن يعرف؟

لقد أتى من عائلة كبيرة وفقيرة. وكبُر مع إخوته الثلاثة وأختيه في منزل "مُعدَم" آيل للسقوط على طريق ساباتّوس الخارجي في بلدة لشبونة. لم يكن إخوته وأخواته على قدر توقّعات البلدة. فقط آندي ماسن وأخوه الأصغر، ماريه، تمكّنا من التخرّج من المدرسة الثانوية. وبدا لبعض الوقت كما لو أن روبرتا قد تنجح، لكنها سمحت لنفسها أن تحبل بعد رقصةٍ خلال سنتها المدرسية الأخيرة. فترَكت المدرسة لتتزوَّج الفتى، الذي كانت لا تزال لديه بثور في التاسعة والعشرين من عمره، ويشرب شراب الشعير من الصفيحة مباشرة، وراح يجول بها وبالطفل. تُوفِّي ماريه في حادث سيارة على الطريق 9 في دورهام، عندما حاوَل مع بعض أصدقائه الثملين دخول المنعطف الحاد عند تلة سِيرْوا بسرعة مئة وعشرين كيلومتراً بالساعة. تشقلبت الكامارو التي كانوا يستقلّونها مرتين واحترقت.

كان آندي نجم العائلة، لكن أمه لم تحبّه يوماً. كانت تخاف منه قليلاً. وتقول لأصدقائها، "آندي عديم الشفقة"، لكنه كان أكثر من ذلك. كان متحفِّظاً دائماً ويفرض رقابة شديدة على نفسه. وقد عرَف من الصف الخامس أنه سيتخرّج من الكلية بطريقة أو بأخرى ويصبح محامياً. والمحامون يجنون الكثير من المال. والمحامون يعملون مع المنطق. والمنطق شيءٌ يعشقه آندي.

رأى كل حدث كنقطة يتشعّب منها عدد محدود من الاحتمالات. وفي نهاية خط كل احتمال هناك نقطة حدث آخر. الخ. خريطة الحياة هذه التي تنتقل من نقطة إلى أخرى أفادته كثيراً. فكان ينال علامات عالية جداً في مدرسة النحو والمدرسة الثانوية، ونال منحة تعليمية، وكان قادراً على الانتساب إلى أي كلية يريدها تقريباً. لكنه اختار جامعة

ماين، ولم يستفد من فرصته لدخول جامعة هارفرد لأنه كان قد قرَّر من قبل أن يبدأ مسيرته المهنية في أوغستا، ولم يرغب أن يقوم شخصٌ ريفيٌّ يرتدي حذاءً مطاطياً وسترة حطّاب برمي هارفرد في وجهه.

في صباح يوليو الحارّ هذا، كانت الأمور في موعدها المحدد.

أعاد سمّاعة هاتف ڤيك ترنتون إلى مكانها. لم يكن هناك جواب على رقم هاتف كامبر. كان محقق شرطة الولاية وبانرمان لا يزالان هنا، ينتظران التعليمات مثل كلاب مدرَّبة جيداً. لقد عمِل مع تاونسَند، شرطي الولاية، من قبل، وكان من صنف الرجال الذي يرتاح له آندي ماسن. فعندما يقول له أحضِر، يُحضِر تاونسَند. أما بانرمان فكان صنفاً جديداً، ولم يكن ماسن يهتمّ به. كانت عيناه تشعّان ذكاءً أكثر من اللزوم بقليل، والطريقة التي اقترح بها فجأة فكرة أن كيمب ربما هدَّد المرأة بالولد... حسناً، هكذا أفكار، إذا كانت ستخطر على بال أحدٍ، فمن الأفضل أن تخطر على بال آندي ماسن. جلس ثلاثتهم على الأريكة القابلة للتفكيك، لا يتكلمون، بل يشربون القهوة فقط وينتظرون قدوم رجال مكتب التحقيقات الفدرالي حاملين معدات تقفّي الآثار.

راح آندي يفكّر بالقضية. قد تكون زوبعة في فنجان، لكنها قد تكون أكثر من ذلك ببساطة. الزوج مقتنع أنها عملية اختطاف ولم يعطي أي أهمية لمسألة اختفاء السيارة. بل ركّز على فكرة أن ستيفن كيمب أخذ عائلته.

لم يكن آندي ماسن أكيداً جداً من ذلك.

كامبر ليس في منزله؛ لا أحد في ذلك المنزل. ربما ذهبوا جميعاً في عطلة. هذا احتمال مرجَّح بما في الكفاية؛ فيوليو الشهر المثالي للعطلات، ومن الطبيعي ألا يجدوا شخصاً يريدون طرح بعض الأسئلة

عليه. هل سيأخذ سيارتها ليُصلحها لو كان سيغيب في عطلة؟ غير محتمل. غير محتمل أن السيارة هناك أبداً. لكن يجب التحقّق من ذلك، وكان هناك احتمال واحد أهمَل أن يذكره لڤيك.

لنفترض أنها أخذت السيارة إلى مرأب كامبر؟ لنفترض أن شخصاً عرض عليها أن يعيدها إلى منزلها؟ ليس صديقاً، ولا من معارفها، ليس كامبر أو زوجته، بل شخصاً غريباً كلياً؟ بإمكان آندي سماع ترنتون يقول، "آه لا، زوجتي لن تقبل أبداً أن يوصلها غريبٌ". لكنها بصريح العبارة قَبِلت عدة مرات أن يوصلها ستيفن كيمب، الذي كان غريباً تقريباً. إذا كان الرجل الفرضيّ ودوداً، وإذا كانت على عجلة من أمرها لتعيد إبنها إلى المنزل، فلربما قبلت العرض. وربما كان الرجل اللطيف المبتسم مخبولاً نوعاً ما. لقد ظهر هكذا مخبول هنا في كاسل روك من قبل، فرانك دودّ. وربما الرجل اللطيف المبتسم تركهما مذبوحَين في إحدى الأجمّات وأكمل طريقه مرِحاً. في تلك الحالة، ستكون البينتو في مرأب كامبر.

لم يعتقد آندي أن هذا التحليل المنطقي *مرجَّحاً*، لكنه *ممكنٌ*. وكان سيرسل رجلاً إلى منزل آل كامبر في جميع الأحوال – هكذا يقتضي الروتين – لكنه يحبّ أن يفهم سبب فعله كل خطوة يقوم بها. اعتقَد أنه يمكنه، بسبب كل الأهداف العملانية، أن يزيل مرأب كامبر من البنية المنطقية التي كان يبنيها. وافترَض أنها ربما ذهبت إلى هناك، واكتشفت غياب آل كامبر، ثم تعطّلت السيارة بها، لكن بالكاد يمكن اعتبار الطريق رقم 3 لبلدة كاسل روك مشابهاً للقارة القطبية الجنوبية. بإمكانها أن تسير مع الولد إلى أقرب منزل وتطلب استخدام الهاتف في تلك الحالة، لكنها لم تفعل ذلك.

"سيد تاونسَند"، قال بصوته الناعم. "يجب أن تذهب مع المأمور بانرمان إلى مرأب جو كامبر هذا، وتتحقق من ثلاثة أمور: عدم وجود بينتو زرقاء هناك، رقم لوحتها 864-218، وعدم وجود دونا وثيودور ترنتون هناك، وعدم وجود آل كامبر هناك. هل فهمت؟".

"أجل"، قال تاونسَند. "هل تريد –"

"أريد هذه الأمور الثلاثة فقط"، قال آندي بلطف. لم تُعجبه الطريقة التي كان بانرمان ينظر بها إليه، وبنوع من الازدراء السئم. هذا يزعجه. "إذا كان أحد هذه الأمور هناك، اتصل بي هنا. وإذا لم أكن هنا، سأترك لك رقماً. مفهوم؟".

رنَّ الهاتف. رفع بانرمان السمّاعة، وراح يستمع، ثم مرَّرها إلى آندي ماسن. "المكالمة لك أيها الحذق".

بقيا ينظران إلى عينَي بعضهما البعض فوق الهاتف. واعتقَد ماسن أن بانرمان سيُخفض نظره، لكنه لم يفعل ذلك. بعد لحظة أخذ آندي الهاتف منه. كانت المكالمة من مخفر شرطة الولاية في سكاربورو. لقد أُلقي القبض على ستيف كيمب، حيث شوهدت شاحنته في فناء فندق رخيص صغير في بلدة ماساتشوستس في تويكنهام. لم تكن المرأة والفتى معه. بعد إسماعه حقوق ميراندا، ذكَرَ كيمب إسمه واحتفظ منذ ذلك الوقت بحقّه بالتزام الصمت.

وجَد آندي ماسن هذا الخبر مُنذِراً بسوء كبير.

"تعال معي يا تاونسَند"، قال. "يمكنك الاهتمام بأمر مرأب كامبر بمفردك، أليس كذلك أيها المأمور بانرمان؟".

"هذه بلدتي"، قال بانرمان.

أشعل آندي ماسن سيجارةً ونظَرَ إلى بانرمان عبر دخانها. "هل لديك مشكلة معي أيها المأمور؟".

ابتسم بانرمان. "لا شيء لا يمكنني معالجته".

يا إلهي كم أكره هؤلاء الريفيين الحُرَق، فكّر ماسن في سرّه وهو يراقب بانرمان يغادر. *لكنه خارج اللعبة الآن، على أي حال. الحمد لله على ذلك.*

جلس بانرمان خلف مِقوَد سيارته، وشغّل محرّكها، وقاد عكسياً في الممر الخاص لمنزل آل ترنتون. كانت السابعة وعشرين دقيقة. وشعر ببعض المتعة من الطريقة الأنيقة التي أبعده بها ماسن جانباً. فقد كانا متوجّهَين إلى مسرح الأحداث؛ وكان متوجّهاً إلى المجهول. لكن هانك تاونسَند سيضطر إلى الاستماع إلى مطوّلات من كلام ماسن الفارغ، لذا ربما يكون قد نجا بنفسه من كل ذلك الهراء.

قاد جورج بانرمان على الطريق 117 نحو طريق مايبل سوغار، مُطفأً صفارة الإنذار والأضواء الومضيّة. كان يوماً جيداً بالتأكيد. ولم يجد حاجةً للإسراع.

كانت دونا وتاد ترنتون نائمين.

كانت وضعيتهما متشابهتين جداً: وضعية النوم المربكة لأولئك الذين يُجبَرون على تمضية ساعات طويلة في الحافلات بين الولايات. كان رأساهما يتدلّيان على كتفيهما، دونا إلى اليسار، وتاد إلى اليمين. ويدا تاد موضوعتان في حُضنه مثل سمكة مدفوعة نحو الشاطئ، وترتعشان بين الحين والآخر. كان تنفّسه حاداً وشخيرياً، وشفتاه متقرِّحتين، وجفناه أرجوانيين. وهناك خط بُصاق يمتدّ من طرف فمه

إلى الخط الناعم لفكّه بدأ يجفّ.

كانت دونا في نوم خفيف. فبسبب إنهاكها، لم تكن وضعيتها المحشورة والألم في رِجلها وبطنها والآن في أصابعها (في تشنّجه، عضّها تاد وصولاً حتى العظم) تسمح لها بالنوم أعمق من ذلك. وقد التصق شعرها برأسها في سلاسل مبلَّلة بالعرق. وأصبحت قطع الشاش على رِجلها اليسرى رطبة جداً مرة أخرى، واللحم حول الجروح السطحية على بطنها أصبح أحمر بشعاً. كما كانت أنفاسها حادّة، لكنها لم تكن متقطّعة مثل أنفاس تاد.

كان تاد ترنتون قريباً جداً من نهاية صموده. فنسبة التجفاف لديه أصبحت متقدمة جداً. وقد فقَدَ الإلكتروليت والكلوريد والصوديوم من خلال تعرّقه. ولا شيء استبدَلها. وبدأت دفاعاته الداخلية تتقهقر بثبات، ودخَلَ الآن المرحلة الحرِجة الأخيرة. أصبحت حياته خفيفةً، ولم تعد متشبِّثة بقوة بلحمه وعظامه بل ترتعش استعداداً لتغادره عند أول نفخة رياح.

في أحلامه المحمومة كان أبوه يدفعه على الأرجوحة، إلى الأعلى أكثر فأكثر، ولم ير فناءهم الخارجي بل بركة البط، وكان النسيم عليلاً على جبهته المحترقة من الشمس، وعينيه اللتين تؤلمانه، وشفتيه المتقرِّحتين.

كوجو أيضاً نام.

استلقى على العشب قرب الشرفة، واضعاً خَطْمه المشوَّه على كفّيه الأماميين، وراح يحلم أحلاماً مرتبكةً ومجنونةً. كان الغسق، والسماء داكنة بوطاويط محمَرّة العينين. بقي يثب عليها مراراً وتكراراً،

فيُنزل أحدها كلما وَثَب، مُطبِقاً أسنانه على جناح جلديّ مرتعش. لكن الوطاويط بقيت تعضّ وجهه الطري بأسنانها الصغيرة الحادّة. من هنا جاء الألم. من هنا جاءت كل الأوجاع. لكنه سوف يقتلها كلها. سوف -

استيقظ فجأة، ورفعَ رأسه عن كفّيه، وراح يحرّك رأسه يميناً ويساراً.

هناك سيارة قادمة.

بالنسبة لأذنيه المتنبّهتين كلياً، كان صوت السيارة المقتربة مُرعِباً ولا يُحتمَل؛ كان صوت حشرة لاسعة ضخمة آتية لتملأ جسمه بالسم.

تطوَّح إلى قدميه وهو يتألم. بدت كل مفاصله ممتلئة بزجاج مسحوق. نظَرَ إلى السيارة الميتة. كان يمكنه رؤية الهيكل الجامد لرأس المرأة داخلها. قبل ذلك، كان كوجو قادراً على النظر عبر الزجاج ورؤيتها مباشرة، لكن المرأة فعلت شيئاً للزجاج صعَّب عليه رؤيتها. لا يهمّ ما الذي فعلته للنوافذ. لا يمكنها الخروج. وكذلك الفتى.

أصبح الهدير أقرب الآن. كانت السيارة تصعد التلة، لكن... هل هي سيارة؟ أم نحلة عملاقة آتية لتتغذّى عليه، لتلسعه، لتزيد من آلامه؟

من الأفضل الانتظار وترقّب ما يحصل.

اِنسَلَّ كوجو تحت الشرفة، حيث أمضى معظم أيام الصيف الحارّة في الماضي بالنوم على أوراق الخريف المتحلّلة التي تُصدر رائحةً كان يجدها وقتها حلوة وعذبة بشكل لا يُصدَّق. لكن الرائحة بدت الآن هائلة ومُتخِمة، خانقة وتكاد لا تُطاق. زمجَر على الرائحة وبدأت الرغوة تسيل من لعابه مرة أخرى. لو كان باستطاعة الكلاب قتل الروائح، لكان كوجو قتل هذه الرائحة.

أصبح الهدير قريباً جداً الآن. ثم رأى سيارةً تسير على الممر الخاص للمنزل. سيارة ذات جوانب زرقاء وسقف أبيض، وعلى سقفها أضواء.

أقل شيء كان جورج بانرمان متحضِّراً له عندما دخل فناء جو كامبر هو رؤية البينتو التي تخصّ المرأة المفقودة. لم يكن رجلاً غبياً، وبينما كان قليل الصبر مع طريقة تحليل آندي ماسن المنطقية من نقطة إلى نقطة (لقد تعامَل مع رعب فرانك دودّ وفهِم أنه لا يوجد منطق أحياناً)، إلا أنه توَصَّل إلى استنتاجاته الصلبة في الأغلب بنفس الطريقة تقريباً، ولو كانت على مستوى لا وعي أكثر. وكان متفقاً مع ظنّ ماسن بأن وجود زوجة ترنتون وإبنه هنا غير محتمل أبداً. لكن السيارة هنا، على أي حال.

أمسَك بانرمان الميكروفون المتدلّي من لوحة قيادته ثم قرّر أن يتفحّص السيارة أولاً. من هذه الزاوية، خلف البينتو مباشرة، كان من المستحيل رؤية إن كان هناك أي شخص داخلها. فظهرا المقعدين مرتفعان قليلاً، وكان تاد ودونا قد خرَّا في النوم.

خرج بانرمان من سيارته وخبطَ الباب خلفه. وقبل أن يخطو خطوتين، رأى أن نافذة جهة السائق متشقّقة بالكامل. بدأ قلبه ينبض بسرعة، وامتدّت يده إلى مقبض مسدسه.

راح كوجو يحدِّق بالرجل الذي خرج من السيارة الزرقاء بكره متزايد. هذا الرجل هو الذي سبَّب له كل آلامه؛ كان متأكداً من ذلك. لقد سبَّب له الألم في مفاصله والطنين العالي البغيض في رأسه؛ وجعل رائحة كومة الأوراق القديمة هنا تحت الشرفة تصبح عفِنة؛ وهو

السبب بأنه لم يعد قادراً على النظر إلى الماء من دون نحيب وانقباض ورغبة في قتله رغم عطشه الكبير.

بدأت زمجرةٌ في مكان عميق في صدره الثقيل بينما اشتدّت قوائمه تحته. يمكنه أن يشمّ عرق الرجل واضطرابه، واللحم الثقيل على عظامه. تعمَّقت الزمجرة، ثم ارتفعت إلى صرخة حنق كبيرة ومزلزِلة. وثب من تحت الشرفة وهجم على هذا الرجل المريع الذي سبَّب له آلامه.

خلال تلك اللحظة الحاسمة الأولى، لم يسمع بانرمان زمجرة كوجو المنخفضة الصاعدة. بل اقترب من البينتو بما يكفي ليرى كتلة شعر تستند على نافذة جهة السائق. كانت فكرته الأولى أن المرأة قُتلت بطلق ناري، لكن أين فجوة الرصاصة؟ فالزجاج يبدو كما لو أنه ضُرب بهراوة وليس بطلق ناري.

ثم رأى الرأس يتحرّك. ليس كثيراً - قليلاً فقط - لكنه *تحَرّك*. المرأة حيّة. خطا إلى الأمام... وعندها سمع هدير كوجو، ثم وابل النباح المزمجِر. كانت فكرته الأولى

(راستي؟)

عن كلبه الإيرلندي، لكن راستي قُتل بحقنة منذ أربع سنوات، بعد فترة قصيرة من حادثة فرانك دودّ. وصوت راستي لم يكن هكذا أبداً، وللحظة حاسمة ثانية، بقي بانرمان جامداً في أرضه وهو يشعر برعب تذكّريّ رهيب.

ثم استدار، ساحباً مسدسه، ولمحَ نظرة خاطفة ضبابية لكلبٍ - كلب كبير بشكل لا يُصدَّق - يطير في الهواء منقضّاً عليه. أصابه على صدره، دافعاً إياه على صندوق البينتو. نخر. دُفعَت يده اليمنى إلى

الأعلى وارتطم معصمه بالصندوق بقوة. فطار المسدس من يده فوق أعلى السيارة، وسقط أرضاً على الأعشاب الضارة العالية على الجهة الأخرى للممر الخاص.

كان الكلب يعضّه، وعندما رأى بانرمان الزهور الأولى للدم تتفتّح على الجهة الأمامية لقميصه الأزرق الفاتح، فهِم كل شيء فجأة. لقد أتيا إلى هنا، وتعطّلت سيارتهما... وكان الكلب هنا. لم يكن الكلب وارداً في تحليل ماسن المنطقي الصغير.

راح بانرمان يتصارَع معه، محاولاً وضع يديه تحت خطم الكلب ورفعه عن بطنه. شَعَر بألم عميق مفاجئ ومُخدِر هناك. وتمزَّق قميصه في الأسفل. وبدأ الدم يسيل على سرواله بكثرة. تطوَّح إلى الأمام ودفعه الكلب إلى الخلف بقوة مخيفة رمته على البينتو بلطمة جعلت السيارة الصغيرة تهتزّ على نوابضها.

وجَد نفسه يحاول أن يتذكَّر إن كان جامَعَ زوجته ليلة أمس.

من الجنون التفكير بهكذا شيء. من الجنون -

انقضّ عليه الكلب مرة أخرى. حاوَل بانرمان تفاديه لكن الكلب توقَّع ردّة فعله، وكان يبتسم له، وغمره فجأة أقوى ألم شَعَر به في حياته كلها. هزّه من أعماقه. فوضع يديه تحت خطم الكلب مرة أخرى ودفعه إلى أعلى وهو يصرخ. للحظة، وأثناء تحديقه في تلك العينين الداكنتين المخبولتين، غمره نوعٌ من الرعب مُفقِدٌ للوعي وفكّر في سرّه: *مرحبا يا فرانك. هذا أنت، أليس كذلك؟ هل كان الجحيم حاراً جداً بالنسبة لك؟*

ثم كان كوجو ينهش أصابعه، يمزّقها، يفتحها. نسي بانرمان أمر

فرانك دودّ. نسي كل شيء ما عدا محاولة إنقاذه حياته. حاوَل أن يرفع ركبته ليضعها بينه وبين الكلب، ووجد أنه غير قادر على ذلك. فعندما حاوَل أن يرفع ركبته، ازداد الألم في أسفل بطنه بشكل هائل.

ماذا فعل بي في الأسفل؟ يا إلهي، ماذا فعل بي؟ فيكي، فيكي –

ثم فُتح باب سائق البينتو. كانت المرأة. لقد نظَرَ إلى الصورة العائلية التي داس عليها ستيف كيمب ورأى امرأة جميلة مصفَّف شعرها بشكل أنيق، من النوع الذي تنظر إليه مرتين في الشارع، حيث أن النظرة الثانية تخمينيّة بلطف. فترى امرأة كهذه وتقول لنفسك إن زوجها محظوظ.

كانت هذه المرأة تالفة. فقد هاجمها الكلب أيضاً. بطنها ممتلئ بدم جفَّ. وإحدى رِجلَي سروالها الجينز ممضوغة، وهناك ضمادة مُبتلّة للغاية فوق ركبتها. لكن وجهها كان الأسوأ؛ كان مثل تفاحة مشوية بشكل بشع. وجبهتها متقرِّحة ومقشَّرة. وشفتاها متشقّقتان ومتقيِّحتان. وعيناها غائرتان في كيسَين أرجوانيين عميقين من اللحم.

انصرف الكلب عن بانرمان بلمح البصر واستدار نحو المرأة، بقدمين متيبّستين وراح يزمجر. انسحَبت إلى السيارة وخبطت الباب.

(سيارة الدورية الآن عليَّ التبليغ عن هذا عليَّ التبليغ عن هذا)

استدار وركَض عائداً إلى سيارة الدورية. فطارده الكلب لكنه سَبَقه. خَبَط الباب، وأمسَك الميكروفون، واتصل طلباً للمساعدة، الرمز 3، ضابط بحاجة إلى مساعدة. أتت مساعدة. أُطلق النار على الكلب. نجا الجميع.

حصل كل هذا في مجرد ثلاث ثوانٍ، وفقط في مخيلة جورج

بانرمان. فعندما استدار ليعود إلى سيارته، انهارت ساقاه وأسقطتاه في الممر الخاص.

(آه ڤيكي ماذا فعل بي في الأسفل؟)

كان العالم كله شمساً مُبهِرةً. أصبحت الرؤية صعبة. زحفَ بانرمان، غارساً أصابعه في الحصى، وتمكّن أخيراً من الوقوف على رُكبتيه. أخفَض النظر إلى نفسه ورأى حبلاً رمادياً سميكاً من الأمعاء تتدلّى من قميصه الممزَّق. وكان سرواله مشبَّعاً بدمه حتى رُكبتيه.

ما يكفي. لقد فعل الكلب ما يكفي له في الأسفل.

أدخِل أحشاءك يا بانرمان. فإذا كنت ستغادر، غادر. لكن ليس قبل أن تصل إلى ذلك الميكروفون اللعين وتتصل طلباً للمساعدة. أدخِل أحشاءك وقف على قدميك اللعينتين –

(الولد، يا إلهي، الولد، هل الولد معها في السيارة؟)

هذا جعله يفكّر بإبنته، كاترينا، التي ستبدأ صفّها المدرسي السابع هذه السنة. كان صدرها قد بدأ ينتأ ويظهر الآن. بدأت تصبح سيدة صغيرة. دروس بيانو. أرادت حصاناً. ذات يومٍ، لو اجتازت الشارع من المدرسة إلى المكتبة لوحدها، لكان دودّ قد نال منها بدلاً من ماري كايت هندراسن. عندما –

(هيا تحرّك أيها الأحمق)

وقف بانرمان على قدميه. كان كل شيء مُشرقاً وساطعاً وبدا له أن كل أحشائه تريد الخروج من الفجوة التي مزَّقها الكلب فيه. السيارة. لاسلكي الشرطة. خلفه، كان الكلب مشتت الذهن؛ كان يرمي نفسه بجنون على باب سائق البينتو المنبعج مراراً وتكراراً، وهو ينبح ويزمجِر.

ترنّح بانرمان نحو سيارة الدورية. كان وجهه أبيض كالعجينة، وشفتاه رماديتين زرقاوين. كان أكبر كلب رآه في حياته، وقد أخرَجَ له أحشاءه. *أخرَجَ له أحشاءه*، يا إلهي، ولماذا كل شيء حارّ وساطع إلى هذا الحدّ؟

راحت أمعاؤه تنزلق من بين أصابعه.

وَصَل إلى باب السيارة. يمكنه سماع اللاسلكي تحت لوحة القيادة، تفرقع رسالته. *كان عليَّ الاتصال أولاً. هكذا تفرض الإجراءات. لا يجب أن تخالف الإجراءات أبداً، لكن لو كنتُ مقتنعاً بهذا، لما كنتُ اتصلتُ بسميث أبداً في حالة دوّد. ڤيكي، كاترينا، آسف –*

الفتى. عليه طلب المساعدة للفتى.

كاد يسقط وأمسَك بحافة الباب ليسند نفسه.

ثم سمِع الكلب قادماً نحوه وبدأ يصرخ مرة أخرى. حاوَل أن يُسرِع. فقط لو يمكنه إغلاق الباب... يا إلهي، فقط لو يمكنه إغلاق الباب قبل أن يصل إليه الكلب مرة أخرى... *يا إلهي*...

(يا إلهي)

كان تاد يصرخ مرة أخرى، يصرخ ويخمش وجهه، ويضرب رأسه من جهة إلى أخرى بينما راح كوجو يرتطم بالباب، ويجعله يهتزّ.

"تاد، توقف! توقف... عزيزي، توقف رجاءً!".

"أريد بابا... أريد بابا... أريد بابا...".

توقَف كل شيء فجأة.

حاضنةً تاد على صدرها، أدارت دونا رأسها في الوقت المناسب

لترى كوجو يهاجم الرجل بينما حاوَل ركوب سيارته. قوة الهجوم أسقطت يده الرخوة عن الباب.

بعد ذلك لم تعد قادرة على الرؤية. تمنّت لو يمكنها سدّ أذنيها بطريقة ما أيضاً، لكي تحجب أصوات إنهاء كوجو ما كان قد بدأه.

لقد اختبأ، فكّرت في سرّها بطريقة هستيرية. *لقد سمِع السيارة قادمة واختبأ*.

باب الشرفة. الآن الوقت المناسب للذهاب إلى باب الشرفة بينما كوجو... مشغول.

وَضَعت يدها على مسكة الباب، وضغطت عليها، ودفَعَت. لم يحصل شيء. الباب لا يُفتَح. لقد تمكَّن كوجو أخيراً من تشويه الإطار كفاية لكي يُغلقه بشكل دائم.

"تاد"، همَست بنشاط كبير. "تاد، بدِّل مكانك معي، بسرعة. تاد؟ *تاد*؟".

كان تاد يرتعش كلياً. وقد انقلبت عيناه مرة أخرى.

"البط"، قال بصوت أجش. "اذهب وشاهد البط. كلمات الوحش. بابا. آه... آهه... *آهههههه* –"

كان يتشنَّج مرة أخرى. وراحت يداه تتخبَّطان كأنهما بلا عظام. بدأت تهزّه، وتصرخ إسمه مراراً وتكراراً، محاولةً إبقاء فمه مفتوحاً، محاولةً إبقاء مجرى الهواء مفتوحاً. كان هناك أزيز شنيع في رأسها وبدأت تخشى أنها ستفقد الوعي. هذا وضع لعين، يا لهذا الوضع اللعين. بدأت شمس الصباح تتدفّق إلى السيارة، مُنشأةً ظاهرة الاحتباس الحراري، الجافة والعديمة الرحمة.

هدأ تاد أخيراً. وانغلقت عيناه مرة أخرى. وكان تنفّسه سريعاً جداً وضحِلاً. عندما وَضَعت أصابعها على معصمه وجَدت نبضةً هاربةً، ضعيفةً وغير نظامية.

نظرت إلى الخارج. كان كوجو مُمسكاً ذراع الرجل ويهزّها مثلما يهزّ جروٌ دميةً قماشيةً. وينقضّ على الجسم المترهّل بين الحين والآخر. الدم... كان هناك دم كثير.

كما لو أنه يُدرك أنه تحت المراقبة، رفع كوجو نظره، وخطمه يقطر دماً. نظَرَ إليها بتعبيرٍ (هل يمكن أن يكون للكلب تعبيرٌ؟ تساءلت بجنون) بدا أنه يُظهِر صرامةً وشفقةً في آن... وشعرت دونا مرة أخرى أنهما يعرفان بعضهما البعض بشكل عميق، وأن أحدهما لن يتوقف أو يرتاح إلى أن يستكشفا هذه العلاقة الفظيعة حتى ختامها المُطلق.

انقضّ على الرجل ذي القميص الأزرق والسروال الكاكي الملوَّثين بالدم مرة أخرى، وقد تدلّى رأس الرجل الميت على عنقه. أشاحت بنظرها، وامتلأت معدتها الفارغة بحمض حارّ. وعادت رِجلها الممزَّقة تنبضَ ألماً. لقد تسبَّبت بفتح الجرح مرة أخرى.

تاد... كيف حاله الآن؟

حالته فظيعة، ردّ عليها ذهنها بشكل لا يرحم. *ماذا ستفعلين إذاً؟ أنت أمه، ماذا ستفعلين؟*

ماذا يمكنها أن تفعل؟ هل سيفيد تاد لو خرَجت إلى هناك وتسبَّبت بمقتلها؟

الشرطي. شخصٌ ما أرسَل الشرطي إلى هنا. وعندما لا يعود. "رجاءً"، تضرَّعت. "قريباً، رجاءً".

كانت الثامنة الآن، والخارج لا يزال بارداً نسبياً - 25 درجة مئوية. عند الظهر، ستصبح الحرارة المسجَّلة في مطار بورتلاند 38، وهو رقم قياسي جديد لهذه الفترة من السنة.

وَصَل تاونسَند وآندي ماسن إلى مخفر شرطة الولاية في سكاربورو عند 8:30 صباحاً. تركَ ماسن تاونسَند يتولى زمام الأمور. فهذا ملعبه وليس ملعب ماسن، ولا يوجد أي عيب في أذنَيْ آندي.

أخبَرَهم الضابط المناوِب أن ستيفن كيمب كان في طريق عودته إلى ماين. لم تحصل مشكلة في توقيفه، لكن كيمب لا يزال يرفض أن يتكلم. وقد أُخضعت شاحنته لفحص شامل من قِبل تقنيي مختبر وخبراء جنائيين في ماساتشوستس. ولم يجدوا شيئاً قد يشير إلى وجود امرأة وفتى فيها، لكنهم وجَدوا صيدلية صغيرة لطيفة في مكان تخزين العجلة الاحتياطية للشاحنة - ماريجوانا، وبعض الكوكايين في زجاجة مسكّن ألم، وثلاث حبّات نترات الأميل، وتركيبتين سريعتين من النوع المعروف بالجميلات السوداوات. وهذا أعطاهم عذراً جيداً لإبقاء السيد كيمب قيد التوقيف في الوقت الحاضر.

"تلك البينتو"، قال آندي لتاونسَند، وهو يُحضر فنجان قهوة لكليهما. "أين تلك البينتو اللعينة؟".

هزَّ تاونسَند رأسه.

"هل بلَّغ بانرمان عن أي شيء؟".

"لا".

"حسناً، اتصل به. أخبِره أنني أريده هنا عندما يُحضِرون كيمب.

إنها منطقة سلطته القضائية، وأظن أن عليه أن يكون الضابط المستجوِب. تقنياً، على الأقل".

عاد تاونسَند بعد خمس دقائق يبدو مُحتاراً. "لا يمكنني التواصل معه يا سيد ماسن. حاوَل موزِّعهم الاتصال به وقال إنه لا شك خارج سيارته".

"يا إلهي، الأرجح أنه يتناول القهوة في أحد المقاهي المريحة. حسناً، تباً له. إنه خارج اللعبة". أشعلَ آندي ماسن سيجارة جديدة، وسعَلَ، ثم ابتسم لتاونسَند. "هل تعتقد أنه يمكننا تولي أمر كيمب هذا من دونه؟".

ابتسم تاونسَند بدوره. "آه، أعتقد أنه يمكننا ذلك".

أومأ ماسن برأسه. "بدأت هذه القضية تبدو سيئة يا سيد تاونسَند. سيئة جداً".

"هذا ليس جيداً".

"بدأتُ أتساءل أن يكون كيمب هذا قد طمرهما في خندقٍ بجانب مزرعةٍ بين كاسل روك وتويكنهام". ابتسم ماسن مرة أخرى. "لكننا سنكسره يا سيد تاونسَند. لقد كسرتُ عدة أشخاص عنيدين قبله".

"نعم سيدي"، قال تاونسَند باحترام. فقد صدَّق ماسن.

"سنكسره حتى لو اضطررنا إلى إجلاسه في هذا المكتب وإنهاكه ليومين".

بقي تاونسَند يخرج خلسةً كل خمس عشرة دقيقة تقريباً، محاولاً التواصل مع جورج بانرمان. كان يعرف بانرمان معرفة سطحية فقط، لكنه يقدِّره عالياً أكثر مما يقدِّره ماسن، ويظن أن بانرمان يستحق أن

يُحذِّر من أن آندي ماسن يسعى إلى إثارة مشكلة معه. وبدأ يشعر بالقلق عندما بقي غير قادر على التواصل مع بانرمان بحلول الساعة العاشرة. وبدأ يتساءل أيضاً إن كان عليه أن يذكر لماسن استمرار صمت بانرمان، أو يبقى صامتاً.

وَصَل روجر برايكستون إلى نيويورك عند 8:49 صباحاً على متن الحافلة، واستقلّ سيارة أجرة إلى المدينة، ونزل في فندق بيلتمور قبل 9:30 بقليل.

"هل كان الحجز لشخصين؟"، سأل موظف الفندق.

"اضطر شريكي إلى العودة إلى المنزل لحالة طارئة".

"يا للأسف"، قال موظف الفندق بلا اكتراث، وأعطى روجر بطاقةً ليملأها. بينما فعل ذلك، تكلم موظف الفندق مع أمين الصندوق عن تذاكر فريق اليانكيز التي تمكَّن من الحصول عليها لمباراة عطلة نهاية الأسبوع القادمة.

استلقى روجر في غرفته، محاولاً أن يأخذ قيلولة، لكن رغم قلّة راحته ليلة أمس، لم يتمكن من أن ينام. مجامعة دونا لرجل آخر، وتحمّل ڤيك كل ذلك - يحاول أن يتحمَّل، على أي حال - بالإضافة إلى هذه الفوضى النتِنة بشأن حبوب حمراء سكّرية للأطفال. والآن دونا وتاد اختفيا. ڤيك اختفى. كل شيء ذهَب أدراج الرياح بطريقة أو بأخرى هذا الأسبوع الفائت. أكثر خدعة مُتقنة رآها في حياته، تحوُّل مفاجئ، كل شيء عبارة عن كومة كبيرة من القذارة. رأسه يؤلمه. وكان الألم يأتي على دفعات كبيرة مدّوية.

نهض أخيراً، فلم يعد يرغب أن يكون لوحده مع صداعه السيئ

وأفكاره السيئة. فكَّر أن يذهب إلى "سامرز للتسويق والأبحاث" في الشارع 47 لينشر بعض الظُلمة هناك - ففي النهاية، من أجل ماذا تدفع لهم آد ووركس؟

توقَف في الردهة طلباً للأسبرين وتابع سيره. لم تنفع النزهة في تخفيف صداعه، لكنها أعطته فرصة ليجدِّد كرهه لنيويورك.

لن أعود إلى هنا، فكّر في سرّه. *سأذهب لأعمل حمّال صناديق بيبسي على شاحنة قبل أن أعيد ألثيا والفتاتين إلى هنا.*

كانت سامرز في الطابق الرابع عشر لناطحة سحاب كبيرة، وغبية المنظر، وغير فعّالة في استهلاك الطاقة. ابتسم موظف الاستقبال وأومأ برأسه عندما عرَّف روجر عن نفسه. "لقد خرَج السيد هيويت لدقائق قليلة فقط. هل السيد ترنتون معك؟".

"لا، اضطر إلى العودة إلى المنزل".

"حسناً، لديَّ شيء لك. لقد وصل هذا الصباح".

سلَّم روجر برقيةً في مغلف أصفر. كان معنوناً إلى "ڤ. ترنتون/ ر. برايكستون/آد ووركس عبر ستديوهات إيميج آي". لقد أعاد روب إرساله إلى "سامرز للتسويق" في وقت متأخر البارحة.

فتحه روجر ورأى فوراً أن البرقية من مالك شارپ العجوز، وأنها طويلة نوعاً ما.

أوراق الصرف من الخدمة، ها هي، فكّر في سرّه، وقرأ البرقية.

أيقظ الهاتف ڤيك عند الثانية عشرة وبضع دقائق؛ وإلا لكان نام معظم فترة بعد الظهر أيضاً. كان نومه ثقيلاً ورطباً، واستيقظ مع شعور

فظيع من الارتباك. لقد أتاه الحلم مرة أخرى. كان دونا وتاد في مِشكاة صخرية، بالكاد بعيدَين عن متناول وحش خرافي فظيع. بدت الغرفة وكأنها تدور حوله فعلياً عندما وَصَل إلى الهاتف.

دونا وتاد، فكّر في سرّه. *إنهما بأمان.*

"ألو؟".

"ڤيك، أنا روجر".

"روجر؟"، استوى جالساً. كان قميصه ملتصقاً بجسمه، ونصف ذهنه لا يزال نائماً ومتشبّثاً بذلك الحلم. كان الضوء قوياً جداً. والحرّ... كان الجو بارداً نسبياً عندما ذهَب لينام. أما غرفة النوم فكانت فرناً الآن. كم كان الوقت متأخراً؟ كم من الوقت تركوه نائماً؟ كان المنزل *صامتاً* جداً.

"روجر، كم الساعة الآن؟".

"الساعة؟"، صمت روجر قليلاً. "الثانية عشرة تماماً. "أي –"

"الثانية عشرة؟ آه، يا إلهي.... روجر، لقد كنتُ نائماً".

"ماذا حصل يا ڤيك؟ هل عادا؟".

"لم يكونا قد عادا عندما خلدتُ إلى النوم. ذلك الوغد ماسن وعَدَ –"

"مَن ماسن؟".

"إنه المسؤول عن التحقيق. روجر، عليَّ إغلاق الخط. عليَّ أن أعرف –"

"مهلاً يا رجل. إنني أتصل من شركة سامرز. عليَّ إخبارك. كانت هناك برقية من شارپ في كليفلاند. لا يزال الحساب معنا".

"ماذا؟ ماذا؟ كان كل شيء يسير بسرعة كبيرة بالنسبة له. دونا... الحساب... روجر، ونبرته المبتهِجة بشكل سخيف تقريباً.

"كانت هناك برقية بانتظاري عندما دخَلتُ. أرسلها العجوز وإبنه إلى إيميج آي وروب أعاد توجيهها إلى هنا. هل تريدني أن أقرأها لك؟".

"أعطني جوهرها".

"يبدو أن مالك شارپ العجوز وإبنه توصّلا إلى نفس الاستنتاج باستخدام منطقَين مختلفَين. يرى العجوز مسألة الحلوى كتكرار لمعركة ألامو – نحن الأخيار الواقفون على الجدران ذات الفتحات لصدّ الغزاة. يجب على الجميع التضامن معاً، الكل للواحد والواحد للكل".

"نعم، كنتُ أعرف أن منطقه هذا في صالحنا"، قال ڤيك وهو يفرك الجهة الخلفية لعنقه. "إنه وغد وفي. لهذا السبب أتى معنا عندما ترَكنا نيويورك".

"لا يزال الإبن يريد التخلّص منا، لكنه لا يعتقد أن هذا هو الوقت المناسب لذلك. يعتقد أن خطوته ستُفسَّر كنقطة ضعف وحتى تستحق اللوم. *هل تصدِّق؟*".

"يمكنني أن أصدِّق أي شيء من ذلك الغبي المرتاب الصغير".

"يريداننا أن نسافر إلى كليفلاند ونوقِّع عقداً جديداً لسنتين. ليس عقداً لخمس سنوات، وعندما تنتهي مدته سيكون الإبن قد أصبح في سدّة المسؤولية بالتأكيد وسنُدعى بلا شك إلى القيام بنزهة طويلة على مرسى قصير، لكن سنتين... هذا وقت كافٍ يا ڤيك! سنكون قد أصبحنا في قمّة عطائنا بعد سنتين! ويمكننا إخبارهم –"

"روجر، عليَّ –"

"– أن يأخذوا كعكاتهم الرديئة ويطمسوا وجوههم فيها! يريدون أيضاً مناقشة الحملة الإعلانية الجديدة، وأعتقد أنهم سيقبلون بأغنية البجعة من أستاذ الحبوب أيضاً".

"هذا رائع يا روجر، لكن عليَّ أن أعرف ماذا حصل لدونا وتاد".

"نعم. نعم. أظن أن الوقت غير مناسب للاتصال، لكنني لم أستطع أن أحتفظ بالخبر لنفسي يا رجل. كنتُ سأنفجر مثل بالون".

"ليس هناك وقت سيئ للأخبار الجيدة"، قال ڤيك. وفي الوقت نفسه، شعَر بطعنة غيرة مؤلمة مثل عظمة فضية حادّة، من الارتياح السعيد في صوت روجر، وخيبة أمل مرّة من عدم تمكّنه من مشاركة روجر مشاعره السعيدة. لكن ربما كان ذلك فأل خير.

"ڤيك، اتصل بي عندما تسمع شيئاً، اتفقنا؟".

"سأفعل هذا يا روجر. شكراً عن اتصالك".

أغلق السمّاعة، وارتدى خُفّه، ونزل إلى الطابق السفلي. كانت الفوضى لا تزال في المطبخ – وهذا جعل معدته تنقبض من مجرد النظر إلى ذلك. لكن كانت هناك رسالة من ماسن على الطاولة، مثبّتة مكانها بواسطة مملحة.

سيد ترنتون،

لقد ألقي القبض على ستيف كيمب في تويكنهام، وهي إحدى البلدات الغربية في ماساتشوستس. زوجتك وإبنك ليسا، أكرِّر، ليسا معه. لم أوقظك بهذا الخبر لأن كيمب يستخدم حقّه بالتزام الصمت. إذا لم تحصل أي تعقيدات، سيُنقَل إلى مخفر سكاربورو مباشرة بتهمة

التخريب المتعمّد وحيازة ممنوعات. نقدِّر وصوله إلى هنا عند الساعة 11:30 صباحاً. إذا حصل أي شيء، سأتصل بك فوراً.

آندي ماسن

"تباً لحقّه بالتزام الصمت"، زمجَر ڤيك. دخل غرفة الجلوس، وحصل على رقم مخفر شرطة ولاية سكاربورو، وأجرى الاتصال.

"السيد كيمب هنا"، أخبره الضابط المناوِب. "وصل إلى هنا منذ حوالي خمس عشرة دقيقة. سيد ماسن معه الآن. اتصل كيمب بمحامٍ. لا أعتقد أن السيد ماسن يستطيع أن يردّ –"

"لا تهتمّ بما يمكنه أو بما لا يمكنه أن يفعل"، قال ڤيك. "أخبره أن زوج دونا ترنتون على الخط وأريده أن يتواضع قليلاً ويأتي إلى الهاتف ويكلِّمني".

بعد بضع لحظات، أصبح ماسن على الخط.

"سيد ترنتون، أتفهّم قلقك، لكن هذه المدة الوجيزة قبل وصول محامي كيمب يمكن أن تكون قيّمة جداً".

"ماذا أخبرك؟".

تردَّد ماسن ثم قال، "اِعترفَ بالتخريب المتعمّد. أَعتقد أنه أدرَك أخيراً أن هذا الشيء أخطر بكثير من بضعة كوكايين مُخبأة في العجلة الاحتياطية لشاحنته. اِعترفَ بالتخريب المتعمّد لضباط ماساتشوستس الذين أحضَروه إلى هنا. لكنه يدّعي أن لا أحد كان في المنزل عندما فعل ذلك، وأنه غادر دون أن يعترض طريقه أحد".

"وأنتَ تصدِّق هذا الهراء؟".

قال ماسن بحذر، "إنه مُقنِعٌ جداً. لا يمكنني أن أقول إنني أصدِّق أي شيء الآن. فقط لو أستطيع أن أسأله بضع أسئلة إضافية –"

"لم تتوصلوا إلى شيء من مرأب كامبر؟".

"لا. أرسَلتُ المأمور بانرمان إلى هناك مع تعليمات ليتصل بي فوراً إذا وجدَ السيدة ترنتون أو سيارتها هناك. وبما أنه لم يتصل –"

"بالكاد يمكن اعتبار هذا حاسماً، أليس كذلك؟"، سأل ڤيك بحدّة.

"سيد ترنتون، عليَّ إنهاء المكالمة حقاً. إذا سمعنا أي –"

أغلق ڤيك الهاتف بقوة ووَقَف يتنفّس بسرعة في الصمت الحارّ لغرفة الجلوس. ثم ذهَب ببطء إلى السلالم وصعدها. وَقَف في قاعة الطابق العلوي للحظة ثم دخل غرفة إبنه. كانت شاحنات تاد مصفوفة بشكل أنيق عند الجدار، ومخفِّفات الصدمات تلامس بعضها. النظر إليها يؤلم قلبه. كان معطف تاد الأصفر الواقي من المطر معلّقاً على الخطّاف النحاسي بجانب سريره، وكتب تلوينه مكدَّسة بشكل أنيق على مكتبه، وباب خزانته مفتوحاً. أغلقه ڤيك بذهن شارد، ووضع كرسي تاد أمامه وهو بالكاد يفكِّر بما يفعله.

جلَس على سرير تاد، ويداه تتدلّيان بين ساقيه، ونظر إلى الخارج نحو اليوم الحارّ الساطع.

طرق مسدودة. لا شيء سوى طرق مسدودة، وأين هما؟

(طرق مسدودة)

الآن هذه جملة مُنذِرة بالسوء إذا أراد أحدهم صياغة واحدة يوماً ما. *طرق مسدودة*. عندما كان فتى، في سنّ تاد تقريباً، كان مفتوناً

بالطرقات المسدودة، هكذا أخبرته أمه مرةً. تساءل إن كان هذا النوع من الأشياء ينتقل بالوراثة، وما إذا كان تاد مهتماً بالطرقات المسدودة. تساءل إن كان تاد لا يزال حيّاً.

وأدرك فجأة أن طريق البلدة رقم 3، حيث مرأب جو كامبر، كان طريقاً مسدوداً.

نظر حوله فجأة ورأى أن الجدار فوق رأس سرير تاد خالٍ. لقد اختفت كلمات الوحش. لماذا أخذها معه؟ أم هل أخذها كيمب لسبب غريب خاص به؟ لكن إذا كان كيمب هنا، لماذا لم يخرِّب غرفة تاد مثلما فعل في الطابق السفلي؟

(طرق مسدودة وكلمات الوحش)

هل أخذت البينتو إلى مرأب كامبر؟ تذكَّر محادثتهما عن صمام الإبرة الحَرون بغموض فقط. كانت خائفة قليلاً من جو كامبر، ألم تقل ذلك؟

لا. ليس كامبر. فكامبر أراد فقط أن يعرّيها في مخيّلته. لا، كانت خائفة قليلاً من *الكلب*. ما إسمه؟

لقد مزحَا عنه. تاد. تاد ينادي الكلب.

وسمِع مرة أخرى صوت تاد الشبحي، الميؤوس منه جداً والضائع في هذه الغرفة الفارغة جداً والمروعة فجأة: *كوجو... تعال، كوجو... كووووجو...*

ثم حصل شيء لم يُخبره ڤيك أبداً لأي شخص بقية حياته. بدلاً من سماع صوت تاد في ذهنه، كان يسمعه *في الواقع*، صوتاً مرتفعاً ووحيداً ومرتعباً، صوتاً مبتعداً *يأتي من داخل الخزانة*.

فرّت صرخةٌ من حنجرة ڤيك ودفَع نفسه على سرير تاد، موسِّعاً عينيه. فُتح باب الخزانة متأرجحاً، دافعاً الكرسي الذي أمامه، وكان إبنه يصرخ "*كووووووووو*–".

ثم أدرَك أنه لم يكن صوت تاد؛ كان ذهنه المُتعَب والمتوتّر يتخيَّل صوت تاد من صوت احتكاك قوائم الكرسي الرفيعة على الأرضية الخشبية المطلية. هذا كل ما في الأمر و –

– وكانت هناك عينان في الخزانة، رأى عينيه، حمراوين وغائرتين وفظيعتين –

فرّت صرخة صغيرة من حنجرته. وانقلبَ الكرسي بلا أي سبب أرضي. ورأى دبدوب تاد داخل الخزانة، جاثماً على كدسة ملاءات وبطانيات. كل ما رآه هو عينَي الدب الزجاجيتين. لا أكثر ولا أقل.

مع خفقان قلبه بقوة في حنجرته، نهض ڤيك وذهَب إلى الخزانة. يمكنه أن يشمّ شيئاً هناك، شيئاً ثقيلاً وبغيضاً. ربما مجرد كرات العث – كانت تلك الرائحة جزءاً مما شمّه بالطبع – لكنه شمَّ... وحشاً.

لا تكن سخيفاً. إنها مجرد خزانة. وليست كهفاً. ليست عرين وحش.

نظَرَ إلى دب تاد. ونظَرَ إليه دب تاد، دون أن ترمش عيناه. وخلف الدب، خلف الملابس المعلَّقة، كان الظلام دامساً. أي شيء يمكن أن يكون هناك. *أي شيء*. لكن، بالطبع، لم يكن هناك شيء.

لقد أخفتني أيها الدب، قال.

أيتها الوحوش، ابقي خارج هذه الغرفة، قال الدب. وتلألأت عيناه. كانتا زجاجيتين تماماً، لكنهما تلألأتا.

الباب مختل المحاذاة، فقط لا غير، قال ڤيك. كان يتعرَّق؛ وسالت قطرات مالحة ضخمة على وجهه ببطء مثل دموع.

ليس لديك عمل هنا، ردَّ الدب.

ما خطبي؟ سأل ڤيك الدب. *هل أفقد عقلي؟ هل هكذا يكون فقدان العقل؟*

فردَّ عليه دب تاد: *أيتها الوحوش، اتركي تاد وشأنه.*

أغلَق باب الخزانة وراح يراقب، بعينين مُبرقَتين مثل طفل، المزلاج يرتفع ويتحرَّر من ثلمه. بدأ الباب يفتح متأرجحاً مرة أخرى.

لم أر هذا. لن أصدِّق أنني رأيتُ هذا.

خَبَط الباب وحشره بالكرسي مرة أخرى. ثم أخذ كدسة كبيرة من كتب تاد المصوَّرة ووضعها على مقعد الكرسي ليُثقله. بقي الباب مُغلقاً هذه المرة. وَقَف ڤيك هناك ينظر إلى الباب المُغلق، ويفكِّر بالطرقات المسدودة. حركة المرور غير كثيفة على الطرقات المسدودة. يجب أن تعيش كل الوحوش تحت الجسور أو في الخزائن أو عند أطراف الطرقات المسدودة. يجب أن يكون هناك قانون وطني.

أصبح مضطرباً جداً الآن.

غادر غرفة تاد، ونزل إلى الطابق السفلي، وجلس على السلالم الخلفية. أشعل سيجارة بيدٍ ترتعش قليلاً ونظَرَ إلى السماء النحاسية، وهو يشعر بالاضطراب يزداد. شيءٌ ما حصل في غرفة تاد. لم يكن أكيداً من ماهيته، لكنه شيءٌ. نعم. شيءٌ.

الوحوش والكلاب والخزائن والمرائب والطرقات المسدودة.

هل نجمع هذه يا أستاذ؟ نطرحها؟ نقسمها؟ نجزّئها؟

رمى سيجارته بعيداً.

إنه يصدِّق أن الفاعل كيمب، أليس كذلك؟ كيمب مسؤول عن كل شيء. كيمب حطَّم المنزل. كيمب كاد يدمّر زواجه. كيمب صعد إلى الطابق العلوي وأفرغَ سائله المَنوي على السرير الذي نام عليه ڤيك وزوجته في السنوات الثلاثة الماضية. كيمب أحدثَ حفرةً كبيرةً في القماش المريح لحياة ڤيك ترنتون.

كيمب. كيمب. كل شيء ذنب ستيف كيمب. دعنا نلوم كيمب على الحرب الباردة وقضية الرهائن في إيران واستنزاف طبقة الأوزون.

غبي. لأن ليس كل شيء ذنب كيمب، أليس كذلك؟ مشكلة الحلوى، مثلاً؛ لا علاقة لكيمب *بها*. وبالكاد يمكن لوم كيمب على صمام الإبرة التالف في بينتو دونا.

نظَرَ إلى سيارته الجاغوار القديمة. عليه أن يذهب إلى أي مكان فيها. لا يمكنه البقاء هنا؛ سيُصاب بالجنون إذا بقي هنا. عليه أن يركب السيارة ويقودها إلى سكاربورو. إمساك كيمب بيديه الاثنتين وهزّه إلى أن يعترف، إلى أن يُخبر ما الذي فعله بدونا وتاد. ما عدا أن محاميه سيكون قد وصل وقتها، ورغم عدم عقلانية هذا، إلا أن المحامي حتى قد يكون قد أخرجه بكفالة وقتها.

النابض. كان نابضاً ما يثبّت صمام الإبرة في مكانه. وإذا تعطَّل النابض، يمكن أن يجمد الصمام ويقطع تدفّق البنزين إلى المُكربِن.

نزل ڤيك إلى الجاغوار وركبها، وجفل من جلد المقعد الساخن. عليه أن يقود بسرعة. أن يُدخِل بعض الهواء البارد إلى هنا.

أن يقود إلى أين؟

مزاب كامبر، ردَّ عليه ذهنه فوراً.

لكن هذا غباء، أليس كذلك؟ فقد أرسَل ماسن المأمور بانرمان إلى هناك مع تعليمات صريحة بالتبليغ فوراً إذا وجد أي خطأ والشرطي لم يبلِّغ بعد، لذا فإن هذا يعني –

(أن الوحش تمكَّن منه)

حسناً، لن يضرّ أن يصعد إلى هناك، أليس كذلك؟ وكان هذا شيئاً يقوم به.

شغَّل الجاغوار ونزل التلة نحو الطريق 117، وهو لا يزال غير أكيد كلياً إن كان سينعطف يساراً نحو الطريق I-95 وسكاربورو أو يميناً نحو طريق البلدة رقم 3.

توقف عند لافتة "قف" إلى أن ضغط شخصٌ وراءه بوق سيارته. ثم استدار يميناً فجأة. لن يضرّ أن يقوم بزيارة سريعة إلى جو كامبر. يمكنه أن يصل إلى هناك في خمس عشرة دقيقة. فحَص ساعته ورأى أنها الثانية عشرة وعشرين دقيقة.

لقد حان الوقت، ودونا تعرف ذلك.

وربما يكون الوقت قد فات أيضاً، لكن عليها أن تتقبّل ذلك – وربما تموت بسببه. لا أحد سيأتي. لن يأتي فارسٌ شجاعٌ على صهوة جواد فضي إلى طريق البلدة رقم 3 – يبدو أن ترافيس ماكغي منخرط في أمور أخرى.

كان تاد يُحتضَر.

أجبرت نفسها على تكرار هذه الجملة بصوتٍ عالٍ وبنبرةٍ قويةٍ: "تاد يُحتضَر".

لم تتمكّن من إدخال أي نسيم إلى السيارة هذا الصباح. فنافذتها لم تعد تنخفض، ونافذة تاد لم تُدخِل سوى مزيد من الحرّ. والمرة الوحيدة التي حاوَلت فيها إنزالها أكثر من رُبع المسافة، تَرَك كوجو مكانه في ظل المرأب واقترب من جهة تاد بأسرع ما يمكنه، وهو يزمجر بتلهّف.

توقف العرق عن السيلان الآن على وجه تاد وعنقه. لم يعد لديه أي عرق. أصبحت بشرته جافة وساخنة. ولسانه، المتورِّم والذي يبدو ميتاً، نتأ فوق شفّته السفلى. وأصبح تنفّسه خفيفاً جداً لدرجة أنه بالكاد يمكنها سماعه. واضطرت إلى وضع رأسها على صدره مرتين لتتأكد أنه لا يزال يتنفَّس.

وحالتها سيئة أيضاً. فالسيارة أشبه بفرن لصهر المعادن. والقِطع المعدنية حارة جداً الآن للمس، وكذلك المِقوَد البلاستيكي. ورِجلها عبارة عن وجع كبير متواصل، ولم يعد لديها شك الآن أن عضّة الكلب أصابتها بالعدوى. ربما كان الوقت مُبكراً لداء الكَلَب - صلّت من كل قلبها أن يكون هذا صحيحاً - لكن موقع العضّة كان أحمر وملتهباً.

لم تكن حال كوجو أفضل بكثير. فالكلب الضخم بدا وكأنه انكمَش داخل فروه المتلبِّد بالدم. كانت عيناه ضبابيتين وشاغرتين تقريباً، أشبه بعينَي عجوز مُصاب بإعتام عدسة العين. وبقي يراقبهما مثل محرّك دمار قديم يضرب نفسه حتى الموت تدريجياً الآن لكنه لا يزال خطيراً بشكل كبير. لم يعد يُزبِد؛ بل أصبح خطمه رعباً جافاً وممزّقاً. أصبح يشبه قطعة صخر ناري بصقها بركانٌ قديمٌ.

الوحش القديم، فكّرت في سرّها بهذيان، *لا يزال يراقب*.

هل كانت هذه الحراسة الفظيعة مسألة ساعات فقط، أم كانت تتم طوال حياتها؟ بالتأكيد أن كل شيء جرى سابقاً كان حلماً، ولا يزيد عن كونه انتظاراً قصيراً حتى يصبح مهماً؟ الأم التي بدا أنها تشمئز وتنفر من كل الذين حولها، الأب الحسن النية لكن غير الناجع، المدارس، الأصدقاء، التواريخ والرقصات - كانت كلها حلماً لها الآن، مثلما يبدو الشباب للعجائز. لا شيء يهمّ، لا شيء كان مهماً سوى هذا الفناء الصامت والمشمس حيث الموت لعب دوره ولا يزال ينتظر المزيد. الوحش القديم لا يزال يراقب، وكان إبنها ينزلق، ينزلق بعيداً.

مضرب البيسبول. كان هذا كل ما بقي لها الآن.

مضرب البيسبول وربما، إذا تمكّنت من الوصول إلى هناك، شيء في سيارة الشرطي الميت. بندقية مثلاً.

بدأت ترفع تاد إلى الخلف، وهي تنخر وتنفخ، وتحارب أمواج الدوخة التي جعلت نظرها يغشى. أصبح قرب الباب الخلفي للسيارة أخيراً، صامتاً وجامداً مثل كيس حبوب.

نظرت خارج نافذته، ورأت مضرب البيسبول جالساً على العشب العالي، وفتحت الباب.

عند المدخل الداكن للمرأب، نهض كوجو وبدأ يتقدَّم نحوها ببطء على الحصى المسحوقة، مُخفِضاً رأسه.

كانت الثانية عشرة والنصف عندما خرجت دونا ترنتون من سيارتها البينتو للمرة الأخيرة.

خرج ڤيك عن طريق مايبل سوغار وتوجّه إلى طريق البلدة رقم 3

في اللحظة نفسها التي كانت فيها زوجته تتوجّه إلى مضرب بْرَتّ كامبر القديم صنع شركة هيلريخ وبرادسبي في الأعشاب الضارة. كان يقود مسرعاً لكي ينتهي من كامبر بسرعة ويتمكن من التوجّه إلى سكاربورو، على بُعد حوالي ثمانين كيلومتراً. الغريب في الأمر هو أنه حالما قرَّر القدوم إلى هنا أولاً، بدأ ذهنه يُخبره باكتئاب أنه في مسعى لا جدوى منه. بالإجمال، لم يشعر أبداً بهذا العجز في حياته من قبل.

كان يقود الجاغوار بسرعة تتخطى مئة كيلومتر بالساعة، ومركِّزاً على الطريق لدرجة أنه تجاوز منزل غاري بيرفيير قبل أن يُدرك أن سيارة جو كامبر الستايشن مركونة هناك. داس على فرامل الجاغوار بقوة، حارقاً ستة أمتار من المطاط. وانحنت مقدمة الجاغوار نحو الطريق. ربما ذهب الشرطي إلى منزل كامبر ولم يجد أحداً هناك لأن كامبر هنا.

ألقى نظرة سريعة على مرآة الرؤية الخلفية، ورأى أن الطريق فارغٌ، وقاد عكسياً بسرعة. أوقف الجاغوار في الممر الخاص لمنزل بيرفيير وخرَج منها.

كانت مشاعره مشابهة بشكل ملحوظ لمشاعر جو كامبر نفسه عندما اكتشَف، قبل يومين، بُقع دم جو (التي أصبحت جافة الآن وكستنائية اللون) واللوح السفلي المحطَّم لباب المنخل. ملأ مذاق معدني كريه فم ڤيك. كان كل هذا جزءاً من المسألة. بطريقة أو بأخرى كان جزءاً من اختفاء تاد ودونا.

دخَلَ المنزل وصدمته الرائحة دفعة واحدة - الرائحة الخضراء المنتفخة للتعفّن. لقد مرّ يومان حارّان. وهناك شيء في منتصف القاعة بدا كأنه طاولة صغيرة مطروحة أرضاً، ما عدا أن ڤيك كان على يقين أنها ليست طاولة صغيرة. بسبب الرائحة. انحنى فوق الشيء في القاعة

ولم يكن طاولة صغيرة. كان رجلاً. بدا الرجل وكأن حنجرته ذُبحت بشفرة كليلة جداً.

تراجَع ڤيك إلى الوراء. فقد سمع صوت تقيؤ جاف صادر عن حنجرته. الهاتف. عليه الاتصال بأحدهم حول هذا.

توجّه نحو المطبخ ثم توقف. توضَّح كل شيء في ذهنه فجأة. ومرَّت لحظة إفشاء ساحق؛ كانت أشبه باجتماع نصف صورتين معاً لتشكيل صورة ثلاثية الأبعاد.

الكلب. الكلب فعل هذا.

كانت البينتو في مرأب جو كامبر. البينتو هناك من البداية. البينتو و –

"يا إلهي، دونا –"

استدار ڤيك وركض نحو الباب وسيارته.

كادت دونا تقع؛ إلى هذا الحدّ أصبحت ساقاها سيئتين. تمالكت نفسها وأمسَكت مضرب البيسبول، دون أن تجرؤ على النظر حولها بحثاً عن كوجو إلى أن تُحكم قبضتها عليه، خائفة من أن تخسر توازنها مرة أخرى. لو تسنّى لها الوقت لتنظر أبعد قليلاً – قليلاً فقط – لرأت مسدس جورج بانرمان ملقياً على العشب. لكنها لم تنظر.

استدارت بتردّد وكان كوجو يركض نحوها.

دفعت الطرف الثقيل لمضرب البيسبول نحو الكلب، وانقبض قلبها من الطريقة المتزعزعة لاهتزاز ذلك الشيء في يدها – وتشظّى المقبض بشكل سيئ عندها. نَفَر الكلب وهو يزمجر. وارتفع صدرها وسقط

بسرعة في حمّالة الصدر القطنية البيضاء الملطّخة بالدم؛ فقد مسَحت يديها عليها بعد حلّها انسداد فم تاد.

وَقَفا يحدِّقان في بعضهما البعض، يقيسان بعضهما البعض، في ضوء شمس الصيف الصامت. الأصوات الوحيدة كانت تنفّسها السريع المنخفض، وصوت زمجرة كوجو العميق في صدره، والزعيق الحادّ لعصفور دُوري في مكان قريب. كانت ظلالهما قصيرة، أشياء بلا شكل عند قدميهما.

بدأ كوجو يتحرّك يساراً. فتحرّكت دونا يميناً. وراحا يدوران في دائرة. وجّهت المضرب عند النقطة التي تعتبر أن الشقّ في خشبه هو الأعمق، وشدَّت راحتا يديها على النسيج الخشن لشريط الاحتكاك الملفوف حول المقبض.

توتَّر كوجو.

"هيا، هيا!"، صَرَخت فيه، ووَثَب كوجو.

لوَّحت المضرب مثل ميكي مانتل وهو يلاحق كُرة سريعة عالية. لم تُصب رأس كوجو لكن المضرب أصابه في أضلاعه. وسُمع دويّ ثقيل وصوت تهشّم في مكان ما داخل كوجو. زعق الكلب زعيقاً حاداً وسقط يتخبّط على الحصى. شعَرت بالمضرب يتراخى تحت شريط الاحتكاك - لكنه بقي صامداً في الوقت الحاضر.

صرخت دونا بصوتٍ حادٍ وضربت المضرب على أرداف كوجو. تهشَّم شيء آخر. لقد سمِعت ذلك. زعق الكلب وحاوَل أن يبتعد زاحفاً لكنها انقضّت عليه مرة أخرى، وهي تلوّح وتضرب وتصرخ. كان رأسها أشبه بعاصفة رعدية مزلزلة. راح العالم يرقص في عينيها.

كانت هي الخفّاش، المشعوذات الثلاثة، وقد غمرتها رغبة الانتقام ليس لنفسها بل لما حصل لإبنها. انتفَخ المقبض المشظّى للمضرب وراح ينبض بقوة مثل قلب بين يديها وتحت شريط احتكاكه.

أصبح المضرب دموياً الآن. كان كوجو لا يزال يحاول الابتعاد، لكن حركاته تباطأت. تفادى ضربةً - ارتطم رأس المضرب بالحصى - لكن الضربة التالية أصابته في وسط ظهره، فأسقطته على قائمتيه الخلفيتين.

اعتقَدت أن أمره انتهى؛ حتى إنها تراجعت خطوةً أو خطوتين، وأنفاسها تزعق في رئتيها عند الشهيق والزفير مثل سائل ساخن. ثم زمجر زمجرة غضب عميقة ووَثَب عليها مرة أخرى... لكن بينما كان كوجو يتدحرج على الحصى، انقسم المضرب القديم إلى نصفين أخيراً. وطار القسم السميك بعيداً وأصاب غطاء العجلة الأمامية اليمنى للبينتو مُحدثاً *قرعاً* موسيقياً! ولم يبق في يدها سوى جزء مشظّى طوله خمسون سنتيمتراً.

كان كوجو يقف على قدميه مرة أخرى... يجّر نفسه إلى قدميه. وراح الدم يسيل من جانبيه. لمعت عيناه مثل أضواء على آلة فليبر فيها عيوب.

وبقيت تشعر أنه لا يزال يبتسم لها.

"*هيا، هيا!*"، زعَقت.

للمرة الأخيرة، قفزت البقايا المُحتضَرة لما كان كلب بْرَتّ كامبر المطيع كوجو على المرأة التي سبَّبت له كل بؤسه. واندفَعت دونا إلى الأمام مع بقايا مضرب البيسبول، وانغرست شظية جوزية حادة طويلة

عميقاً في عين كوجو اليمنى ثم في دماغه. سُمع صوت فرقعة خفيف وغير مهم - الصوت الذي قد يصدر عند الضغط على حبّة عنب محشورة بين الأصابع. حركة اندفاع كوجو إلى الأمام جعلته يرتطم بها ويوقعها أرضاً. راحت أسنانه تعضّ الآن بغضب شديد على بُعد سنتيمترات عن عنقها. رفعت ذراعها بينما كان كوجو يزحَف صعوداً أكثر فأكثر. وكانت عينه تنزف الآن على وجهه، وأنفاسه كريهة. حاوَلت أن تدفع خطمه إلى أعلى، وأطبق فكّاه على ساعدها.

"توقف!" ، صَرَخت. *"آه، توقف، ألن تتوقف أبداً؟ رجاءً! رجاءً! رجاءً!"* .

كان الدم يسيل على وجهها في رذاذ لزج - دمها، دم الكلب. كان الألم في ذراعها مِشعلاً مضيئاً بدا لها أنه ينير العالم بأسره... وكان يُجبِره على الانخفاض تدريجياً. اضطرب المقبض المشظّى للمضرب وتهزهز بقوة، وبدا أنه ينمو من رأسه حيث كانت عينه.

انقضّ على عنقها.

شَعَرت دونا بأسنانه هناك، وتمكّنت بتمايل أخير من إمساكه بيديها ودفَعَته جانباً. ارتطم كوجو بالأرض بقوة.

انخدشت قائمتاه الخلفيتان على الحصى. فتباطأتا... تباطأتا... ثم توقفتا. راحت عينه السليمة تلمع في سماء الصيف الحارّة. وذيله مُلقى على ساقيها، ثقيلٌ مثل جذع شجرة. أخذ نَفَساً ثم زفره. وأخذ نَفَساً آخر. أصدر صوت شخير سميك، وسال سيلٌ من الدم من فمه فجأة. ثم مات.

صاحت دونا ترنتون انتصارها. ووقفت نصف المسافة على

قدميها، ثم سقَطت، ثم تمكّنت من النهوض مرة أخرى. جرّت قدِميها مسافة خطوتين وتعثَّرت بجثة الكلب، وخدشت رُكبتيها على الحصى. زحَفت إلى حيث يقبع الطرف الثقيل لمضرب البيسبول، وطرفه البعيد الملطَّخ بدم متخثّر. رفعته وتمايلت وقوفاً على قدميها مرة أخرى عبر تمسّكها بغطاء محرّك البينتو. ترنَّحت عائدةً إلى المكان الملقى فيه كوجو. بدأت تضربه بمضرب البيسبول. وراحت كل ضربة تُحدث صوت لطمة ثقيلة على اللحم. تراقصت قِطع سوداء من شريط الاحتكاك وتطايرت في الهواء الحارّ. وانغرست شظايا في راحتَي يديها الناعمتين، مسيلةً الدم على معصميها وساعديها. كانت لا تزال تصرخ، لكن صوتها انقطع بصياح الانتصار الأول ذاك وكل ما خرج منها الآن كان سلسلة نعيب مزمجر؛ بدت مثل كوجو نفسه بالقرب من نهايته. ارتفع المضرب وسقط وهي تضرب الكلب الميت. خلفها، ظهرت جاغوار ڤيك في الممر الخاص لمنزل آل كامبر.

لم يعرف ما الذي كان يتوقّعه، لكنه لم يكن ذلك. لقد كان خائفاً، لكن منظر زوجته - هل يُعقل أن هذه دونا *حقاً*؟ - واقفةً فوق الشيء المفتول والمحطَّم في الممر الخاص، وهي تضربه مراراً وتكراراً بشيء بدا كأنه هراوة رجل كهف... حوَّل خوفه إلى ذعر فضيّ حاد كاد يعيق تفكيره. للحظة واحدة، ولم يكن ليعترف لنفسه بذلك لاحقاً أبداً، شعَر برغبة بقيادة الجاغوار إلى الخلف والابتعاد عن هذا المكان... الابتعاد إلى ما لا نهاية. فما يجري في هذا الفناء الجامد والمشمس كان شنيعاً.

بدلاً من ذلك، أوقف المحرّك ونزل من السيارة. "دونا! *دونا!*".

بدت أنها لا تسمعه أو حتى لا تُدرِك أنه هنا. كان خدّاها وجبهتها مسفوعين بحرقة شمس قوية. والساق اليسرى لسروالها ممزَّقة وغارقة بالدم. وبدا بطنها... *مبقوراً*.

ارتفع مضرب البيسبول وسقط، ارتفع وسقط. وأصدرت أصوات نعيق حادّة. وكان الدم يتطاير من جثة الكلب المترهّلة.

"دونا!".

أمسك مضرب البيسبول عند تأرجحه إلى الخلف ونزعه من يديها، ورماه بعيداً وأمسَك كتفها العاري. استدارت لتواجهه بعينيها الفارغتين والمخضّبتين، وشعرها المتدلّي عشوائياً، على غرار المشعوذات، كيفما اتفق. راحت تحدِّق فيه... وهزّت رأسها... وابتعدت عنه.

"دونا، حبيبتي، يا إلهي"، قال بلطف.

إنه ڤيك، لكن ڤيك لا يمكن أن يكون هنا. إنه سراب. إنه مفعول مرض الكلب المقرف بدأ يعمل، يجعلها تهلوس. ابتعَدت... وفركت عينيها... وكان لا يزال هناك. مدَّت يداً مرتعشةً، واحضتنها السراب بيدين بنيتين قويتين. هذا جيد. يداها تؤلمانها بشكل مُرعِب.

"ڤ؟"، حاولت أن تهمس. "ڤ - ڤ - ڤيك؟".

"نعم، حبيبتي. هذا أنا. أين تاد؟".

كان السراب حقيقياً. كان هو حقاً. أرادت أن تبكي، لكن لم تخرج أي دموع منها. بل اكتفت عيناها بالتحرّك في محجريهما مثل أسناد كروية مسخَّنة أكثر مما ينبغي.

"ڤيك؟ ڤيك؟".

وَضَع ذراعاً حولها. "أين *تاد* يا دونا؟".

"السيارة. السيارة. مريض. مستشفى". بالكاد يمكنها أن تهمس الآن، وفشلت حتى في ذلك. لن تكون قادرة قريباً على القيام بأكثر من تحريك فمها بشكل كلمات. لكن لا يهمّ، أليس كذلك؟ ڤيك هنا. لقد نجت وتاد.

ترَكها وذهَب إلى السيارة. بقيت واقفة مكانها، وتركَّز نظرها على جثة الكلب الرثّة. في النهاية، لم تكن الأمور سيئة جداً، أليس كذلك؟ عندما لا يبق أمامك سوى الصمود، عندما تصبح على آخر رمق، تبدو النجاة أو الموت سيّان عندك. لا يبدو الدم سيئاً جداً الآن، ولا خلايا الدماغ التي تتسرَّب من رأس كوجو المشقوق. لا شيء يبدو سيئاً جداً الآن. ڤيك هنا وقد نجيا بحياتهما.

"يا إلهي"، قال ڤيك بصوت يصعد رفيعاً في السكون.

نظرت نحوه ورأته يُخرِج شيئاً من مؤخرة البينتو. كيس شيء. بطاطا؟ برتقال؟ ماذا؟ هل كانت تتسوّق قبل حصول كل هذا؟ نعم، لكنها أدخلت البقالة إلى المنزل. لقد أدخلتها مع تاد. وقد استخدَما عربته. ماذا إذاً –

تاد! حاوَلت أن تقول، وركضت إليه.

حَمَل ڤيك تاد إلى الظل الخفيف بجانب المنزل ومدَّده أرضاً. كان وجه تاد أبيض جداً، وشعره مثل القش على جمجمته الهشّة. استلقت يداه على العشب، وبدت من دون وزن كافٍ لسحقه تحتهما.

وَضَع ڤيك رأسه على صدر تاد. ورفع نظره إلى دونا. كان وجهه أبيض لكن هادئ كفاية.

"منذ متى وهو ميت يا دونا؟".

ميت؟ حاوَلت أن تصرخ به. وتحرَّك فمها مثل فم ممثل على التلفزيون كُتم صوته. *ليس ميتاً، لم يكن ميتاً عندما وَضَعتُه قرب الباب الخلفي للسيارة، ماذا تقول، لقد مات؟ ماذا تقول أيها اللعين؟*

حاوَلت أن تقول هذه الأشياء بصوتها الصامت. هل فارق تاد الحياة في الوقت نفسه مع الكلب؟ هذا مستحيل. لا يمكن أن تكون الحياة ظالمةً إلى هذا الحد.

رَكَضت إلى زوجها ودفَعَته. ڤيك، الذي كان يتوقع أي شيء ما عدا ذلك، سقط على مؤخرته. جثمت فوق تاد، ووَضَعت يديه فوق رأسه. وفتَحت له فمه، وأغلقت منخريه بأصابعها، وراحت تتنفَّس أنفاسها الصامتة إلى داخل رئتَي إبنها.

على الممر الخاص للمنزل، عثر ذباب الصيف النعسان على جثة كوجو وجثة المأمور بانرمان، زوج فيكتوريا ووالد كاترينا. لم يكن لديه أي تفضيل بين الكلب والرجل. كان ذباباً ديموقراطياً. سطعت الشمس بأسلوب انتصاريّ على المكان. كانت الواحدة وعشر دقائق الآن، وتتلألأت الحقول ورقَصت مع الصيف الصامت. كانت السماء زرقاء باهتة. وقد صحَّ توقّع العمّة إيفيه.

راحت تتنفَّس لإبنها. تتنفَّس. تتنفَّس. لم يكن إبنها ميتاً؛ لم تتحمَّل كل هذا الجحيم لكي يموت إبنها، وهذا لن يحصل.

لن يحصل.

راحت تتنفَّس. تتنفَّس. تتنفَّس لإبنها.

كانت لا تزال تفعل ذلك عندما دخلت سيارة الإسعاف إلى

الممر الخاص بعد عشرين دقيقة. لن تدع ڤيك يقترب من الفتى. وعندما اقترَب، كشّرت عن أنيابها وزمجَرت عليه بصمت.

مذهولاً من الحزن إلى حدّ الارتباك، وعلى يقين تقريباً في أعمق مستويات لاوعيه أن كل هذا لا يمكن أن يحصل، اقتحَم منزل كامبر عبر باب الشرفة الذي بقيت دونا تحدِّق فيه طويلاً وبقوة. لم يكن الباب الداخلي خلفه مُقفلاً. استخدَم الهاتف.

عندما خرَج من المنزل، كانت دونا لا تزال تحاول إنعاش إبنهما الميت من الفم إلى الفم. بدأ يسير نحوها ثم انحرف بعيداً. وذهَب إلى البينتو بدلاً من ذلك وفتح بابها الخلفي مرة أخرى. لفحه الحرّ مثل أسد غير مرئي. هل بقيا هنا بعد ظهر الاثنين وطيلة يوم الثلثاء وحتى ظهر اليوم؟ كان من المستحيل تصديق ذلك.

تحت أرضية صندوق السيارة، حيث توجد العجلة الاحتياطية، وجَد بطانية قديمة. نفضها ووضعها فوق جثة بانرمان المشوَّهة. ثم جلَس على العشب، وراح يحدِّق في طريق البلدة رقم 3 وأشجار الصنوبر المليئة بالغبار التي وراءه. وشرد ذهنه بهدوء.

حمَّل سائق سيارة الإسعاف والممرضان جثة بانرمان إلى وحدة إنقاذ كاسل روك. واقتربوا من دونا. فكشَّرت عن أنيابها لهم. ورسمت شفتاها الجافتان كلمتَي *إنه حيّ! حيّ!* عندما حاوَل أحد الممرضين أن يرفعها بلطف إلى قدميها ويُبعدها، عضّته. سيحتاج ذلك الممرض إلى الذهاب إلى المستشفى لاحقاً ليتلقى علاج داء الكَلَب بنفسه. ثم جاء الممرض الآخر ليساعده. فقاومتهما.

وَقَفا بعيداً عنها بحذر. وڤيك لا يزال يجلس على المَرجة، يسند

ذقنه على يديه، وينظر إلى الطريق.

أحضَر سائق وحدة الإنقاذ محقنة. حصل بعض العراك، وانكسرت المحقنة. كان تاد لا يزال مستلقياً على العشب ميتاً. وأصبح ظله أطول قليلاً الآن.

وصلت سيارتا شرطة أخريان. كان روسكو فيشر في إحداهما. عندما أخبره سائق الإسعاف أن جورج بانرمان تُوفِّي، بدأ روسكو يبكي. تقدَّم شرطيان آخران من دونا. وحصل عراك آخر، قصير وغاضب، وأُبعدت دونا ترنتون عن إبنها أخيراً بواسطة أربعة رجال يتعرّقون. كادت تتحرَّر مرة أخرى وانضم إليهم روسكو فيشر، الذي كان لا يزال يبكي. راحت تصرخ بصمت، وتضرب رأسها من جهة إلى أخرى. أُحضرت محقنة أخرى، وحُقنَت بنجاح هذه المرة.

نزلت نقّالة من سيارة الإسعاف، ودفعها الممرضان إلى حيث تاد ممدَّد على العشب. ووُضع تاد، الذي لا يزال ميتاً، عليها. وسُحبت ملاءة فوق رأسه. عند رؤيتها هذا، ضاعفَت دونا كفاحها. فحرَّرت يداً وبدأت تضرب بها بعنف. ثم، أصبحت حرة فجأة.

"دونا"، قال ڤيك ووقف على قدميه. "حبيبتي، كل شيء انتهى. حبيبتي، رجاءً. توقفي، توقفي".

لم تذهب نحو النقّالة الممدَّد عليها إبنها. بل ذهَبت إلى مضرب البيسبول. رفعته وبدأت تضرب الكلب مرة أخرى. طار الذباب في سحابة خضراء سوداء لامعة. وكان صوت ارتطام المضرب ثقيلاً وفظيعاً، صوت متجر جزّار. راحت جثة كوجو تقفز قليلاً كلما ضرَبتها.

بدأ رجال الشرطة يتقدّمون نحوها.

"لا"، قال أحد الممرضين بهدوء، وبعد بضع لحظات انهارت دونا ببساطة. تدحرَج مضرب بْرَتّ كامبر بعيداً عن يدها المسترخية.

غادرت سيارة الإسعاف بعد حوالي خمس دقائق، وصفارة إنذارها تلعلع. عُرضت حقنة على ڤيك - "لتهدئ لك أعصابك سيد ترنتون" - ورغم أنه شعَر بهدوء تام من قبل، قَبِل الحقنة من باب التهذيب. رفَع لصقة السيلوفان التي نزعها الممرض عن المِزرَقة وفحص كلمة "أبجون" المطبوعة عليها بعناية. "لقد أعددنا حملة إعلانية لهذه الشركة مرةً"، قال للممرض.

"هكذا إذاً؟"، سأل الممرض بحذر. كان شاباً نوعاً ما وشعَر أنه قد يتقيأ قريباً. فهو لم ير أبداً هكذا فوضى في حياته.

كانت إحدى سيارات الشرطة تقف مستعدة لتأخذ ڤيك إلى مستشفى كمبرلاند الشمالي في بريدغتون.

"هل يمكن الانتظار لدقيقة؟"، سأل.

أومأ الشرطيان برأسيهما. كانا يحدِّقان في ڤيك ترنتون بحذر شديد أيضاً، كما لو أن ما لديه قد يكون مُعدياً.

فتَح بابَي البينتو. وقد اضطر أن يشدّ باب دونا طويلاً وبقوة؛ فقد بعجه الكلب بطريقة لم يكن ليصدّقها. كان جزدانها هناك. وقميصها. رأى مزقاً كبيراً في القميص، كما لو أن الكلب قضمَ قطعة منه. وكانت هناك بعض مغلّفات النقانق المجفّفة الفارغة على لوحة القيادة وإبريق تاد العازل للحرارة، يعبق برائحة حليب حامض. وصندوق غداء تاد الذي عليه صورة سنوبي. انقبض قلبه بقوة عند رؤيته ذلك، ولم يسمح لنفسه أن يفكِّر بمعنى هذا على المستقبل - إن كان هناك أي مستقبل

بعد هذا اليوم الحارّ الفظيع. وجَد إحدى فردتَي حذاء تاد الرياضي.

تادر، فكّر في سرّه. *آه يا تادر.*

خارت قواه وجلَس بقوة على مقعد الراكب، وراح ينظر بين ساقيه إلى شريط الكروم عند أسفل إطار الباب. لماذا؟ لماذا يُسمَح بحصول أمر كهذا؟ كيف يمكن أن تتآمر عدة أحداث معاً هكذا؟

بدأ رأسه ينبض بعنف فجأة. وسدّت الدموع أنفه وبدأت جيوبه الأنفية تطرق. نخَر الدموع ومرَّر يده على وجهه. أدرك أن كوجو مسؤول عن وفاة ثلاثة أشخاص على الأقل، بما في ذلك تاد، وأكثر من ذلك إذا تم اكتشاف أن آل كامبر بين ضحاياه. هل للشرطي الذي غطّاه بالبطانية زوجة وأولاد؟ على الأرجح.

لو وصلتُ إلى هنا قبل ساعة فقط. لو لم أنم.

صاح ذهنه: *كنتُ أكيداً تماماً أنه كيمب! أكيداً تماماً!*

لو وصلتُ إلى هنا قبل خمس عشرة دقيقة فقط، هل كان ذلك كافياً؟ لو لم أتكلم طويلاً مع روجر، هل كان تاد حيّاً الآن؟ متى مات؟ هل حصل هذا حقاً؟ وكيف يُفترَض بي التعامل مع هذا الأمر لبقية حياتي من دون أن أُصاب بالجنون؟ ماذا سيحصل لدونا؟

أتت سيارة شرطة أخرى. نزل منها شرطي وتشاوَر مع أحد رجال الشرطة الذين ينتظرون ڤيك. فتقدَّم إليه هذا الأخير وقال له بهدوء. "أعتقد أن علينا الذهاب سيد ترنتون. كوينتن هنا يقول إن المراسِلين الصحفيين قادمين. ولا تريد أن تتكلم مع أي مراسِل صحفي الآن".

"لا"، وافَق ڤيك، وبدأت ينهض. بينما كان يفعل ذلك، رأى بعض الأصفر في أسفلِ مجال رؤيته. ورقة ناتئة من تحت مقعد تاد.

سحَبها ورأى أنها كلمات الوحش التي كتبها ليطمئن بال تاد قبل نومه. كانت الورقة متجعِّدة وممزَّقة في مكانين وملطَّخة بالعرق كثيراً؛ وأصبحت شفافة تقريباً عند الثنيات العميقة.

أيتها الوحوش، ابقي خارج هذه الغرفة!

ليس لديك عمل هنا.

لا للوحوش تحت سرير تاد!

لا يمكنك أن تتسعي هناك.

ممنوع اختباء الوحوش في خزانة تاد!

المكان ضيق جداً هناك.

لا للوحوش خارج نافذة تاد!

لا يمكنك المكوث هناك.

لا لمصّاصي الدماء، لا للمستذئبين، لا للأشياء التي تعضّ.

ليس لديك عمل هنا.

لا شيء سيلمس تاد، أو يؤذي تاد، طوال

لم يعد قادراً على متابعة القراءة. جعَّد الورقة ورماها على جثة الكلب. الورقة كذبة عاطفية، ومشاعرها غير ثابتة مثل اللون في تلك الحبوب الغبية ذات الصباغ السائل. كانت كلها كذبة. العالم مليء بالوحوش، ومسموح لها كلها أن تعضَّ البريء والغافل.

ترك نفسه يُؤخذ إلى سيارة الشرطة. وقادوه بعيداً، مثلما قِيد جورج بانرمان وتاد ترنتون ودونا ترنتون قبله. بعد حين، وصلت طبيبة بيطرية في شاحنة صغيرة لتسليم البضائع. نظَرت إلى الكلب الميت، ثم

ارتدت قفازات مطاطية طويلة وأخرجت منشاراً دائرياً للعظام. انصرَف رجال الشرطة عندما أدركوا ماذا كانت ستفعل.

قطعت الطبيبة البيطرية رأس كوجو ووضعته في كيس نفايات بلاستيكي أبيض كبير. ونُقل في وقت لاحق من ذلك اليوم إلى مفوَّض الولاية لشؤون الحيوانات، حيث سيُخضَع الدماغ لاختبارات داء الكَلَب.

إذاً اختفى كوجو، أيضاً.

كانت الرابعة إلا ربعاً بعد ظهر ذلك اليوم عندما نادت هولي تشاريتي لتأتي وتردّ على الهاتف. بدت هولي قلقة قليلاً. "يبدو شخصاً رسمياً"، قالت. قبل ذلك بحوالي ساعة، كان بْرَتّ قد أذعن لتضرُّعات جيم جونيور اللانهائية ورافَق نسيبه اليافع إلى الملعب في مركز ستراتفورد الاجتماعي.

منذ ذلك الوقت والمنزل صامت ما عدا من أصوات المرأتين وهما تتكلَّمان عن الأيام الخوالي - الأيام الخوالي الجيدة، صحَّحت تشاريتي قليلاً. المرة التي سقط فيها الأب عن شاحنة القش ووقع في كتلة كبيرة من رَوث الأبقار في الحقل الخلفي (لكن دون ذكر المرات التي ضربهما فيها بقوة حتى لم تعودا قادرتين على الجلوس عقاباً لهما على إثم حقيقي أو وهمي)؛ والمرة التي تسلَّلتا فيها إلى صالة المسرح القديم في لشبونة فولز لرؤية ألفيس خلال تقديمه أغنية "أحبيني بلطف" (لكن ليس المرة التي جُمِّد فيها حساب الماما في السوبرماركت وخرجت من المتجر باكيةً، وتاركةً وراءها سلة كاملة من المؤن والجميع يراقبها)؛ كيف كان ريد تيمينز المقيم في أول الشارع يحاول دائماً تقبيل هولي خلال

عودتهما من المدرسة سيراً على الأقدام (لكن ليس كيف فقَدَ ريد ذراعاً عندما انقلَب جرّاره عليه في أغسطس 1962). اكتشفت كلتاهما أنه لا بأس من نبش ذكريات الماضي... طالما أنهما لا تعودان كثيراً فيها، لأن بعض الأشياء قد لا تزال مختبئة هناك، جاهزة لكي تعضّ.

مرتان، فتحت تشاريتي فمها لتُخبر هولي أنها ستعود وبْرَتّ إلى المنزل غداً، وعادت وأغلقته في المرتين، محاولةً التفكير بطريقة لتُخبرها بذلك من دون أن تجعلها تظن أنهما لم يستمتعا بوقتهما هنا.

لكنها نسيت أمر المشكلة الآن بينما كانت جالسة عند طاولة الهاتف، وبجانبها كوب شاي ساخن. شعَرت ببعض القلق - لا أحد يحبّ تلقي مكالمة هاتفية في عطلته من شخص يبدو رسمياً.

"مرحبا؟"، قالت.

راحت هولي تراقب وجه أختها يبيضّ، وتستمع لأختها تقول، "ماذا؟ *ماذا؟* لا... لا! لا بد أن هناك خطأ ما. أنا أكيدة، لا بد أن هناك -

ثم صمتَت وراحت تستمع إلى الهاتف. كانت تُنقَل لها بعض الأخبار المُرعِبة عبر السلك من ماين - فكَّرت هولي في سرّها. يمكنها رؤية ذلك على وجه أختها الذي يزداد توتراً تدريجياً، رغم أنه لا يمكنها سماع شيء من الهاتف نفسه ما عدا سلسلة زعيق لا معنى لها.

خبر سيئ من ماين. هذه قصة قديمة بالنسبة لها. كان لا بأس أن تجلس وتشاريتي في مطبخ الصباح المشمس وتشرب الشاي وتتناول بعض البرتقال وتتكلم عن التسلّل إلى صالة المسرح. لا بأس من هذا، لكنه لم يغيِّر حقيقة أن كل يوم تتذكَّر فيه طفولتها يُحضِر لها خبراً سيئاً،

يُحضِر لها قطعة من أحجية الصور المقطَّعة لحياتها السابقة، وحيث أن الصورة الكاملة فظيعة لدرجة أنها لم تكن لتمانع حقاً عدم رؤية أختها الكبرى مرة أخرى أبداً. السروال الداخلي القطني الممزَّق الذي سخرت منه الفتيات الأخريات في المدرسة. الاستمرار بقطاف البطاطا إلى أن يؤلمها ظهرها، وإذا نهضت فجأة يتدفّق الدم من رأسها بسرعة كبيرة تجعلها تشعر كما لو أنها ستفقد الوعي. ريد تيمينز - الحذر الشديد الذي تجنَّبت به وتشاريتي ذِكرْ ذراع ريد، المسحوقة بشكل سيئ لدرجة أنه وجبَ بترها، لكن هولي سُرَّت كثيراً عندما سمعت الخبر. لأنها تذكَّرت ريد يرمي عليها تفاحة خضراء في أحد الأيام، فتصيبها في وجهها، وتجعل أنفها ينزف، فتبكي. تذكَّرت ريد يقرص لها ساعدها بقوة ويضحك. تذكَّرت عشاءً مغذياً عَرَضيّاً يتألف من زبدة فول سوداني وحبوب فطور عندما كانت الأوضاع سيئة جداً. تذكَّرت كيف كانت رائحة المرحاض الخارجي كريهة في فصل الصيف، ولم تكن تلك الرائحة، في حال كنتَ تتساءل، رائحة طيبة.

خبر سيئ من ماين. وبطريقة أو بأخرى، ولسبب مخبول كانت تعرف أنها لن تناقشه معها أبداً حتى ولو عاشتا حتى سنّ المئة وأمضيتا آخر عشرين سنة من حياتهما معاً، اختارت تشاريتي أن تواصل عيش تلك الحياة. وقد تلاشى كل جمال كان لديها. وظهرت تجاعيد حول عينيها. وارتخى صدرها؛ حتى في حمّالة الصدر. لم تكن تكبرها إلا بست سنوات فقط، لكن أي شخص يراهما قد يظن وعلى حق أنها أكبر منها بست عشرة سنة. وأسوأ شيء هو أنها تبدو غير مبالية كلياً بشأن ابتلاء إبنها الجميل الذكي بحياة مشابهة... إلا إذا تصرَّف بذكاء ورحل. بالنسبة للسيّاح، شعرت هولي بمرارة غاضبة أن كل السنوات

الجيدة لم تتغيَّر، وأن الحياة كلها عبارة عن إجازة دائمة. لكن إذا أتيتَ من حياة قذرة، فإن كل يوم يحمل لك خبراً سيئاً. ثم تنظر في المرآة في أحد الأيام وترى أن الوجه الذي ينظر إليك هو وجه تشاريتي كامبر. وهناك الآن أخبار مُرعِبة أكثر من ماين، من منزل كل الأخبار المُرعِبة ذاك. كانت تشاريتي تغلق سمّاعة الهاتف. فجلَست تحدِّق فيه وفي كوب الشاي الساخن الذي بجانبها.

"جو مات"، قالت فجأة.

انقطعت أنفاس هولي. وشعَرت بأسنانها تصطك. *لماذا أتيتِ؟* شعَرت برغبة بالزعيق. *كنتُ أعرف أنك ستُحضرين كل شيء معك، وقد فعلتِ هذا بالتأكيد.*

"آه يا حبيبتي"، قالت، "هل أنت متأكدة؟".

"لقد كلَّمني رجل من أوغستا. يدعى ماسن. من مكتب المدعي العام، قسم فرض القانون".

"هل... هل مات في حادث سيارة؟".

نظرت إليها تشاريتي مباشرة، وشعرت هولي بالصدمة والرعب عند رؤيتها أن أختها لم تبدُ مثل شخص تلقى خبراً مُرعِباً للتو؛ بل بدت مثل شخص تلقى خبراً *جيداً* للتو. فقد ارتاحت تقاسيم وجهها. كانت عيناها فارغتين... لكن هل هذا من وقع الصدمة أم من الانفتاح على عالم من الاحتمالات؟

لو كانت قد رأت وجه تشاريتي كامبر عندما تفحَّصت الأرقام على بطاقة قرعة الحظ الفائزة، لكانت قد عرفت على الأرجح.

"تشاريتي؟".

"كان الكلب"، قالت تشاريتي. "كان كوجو".

"الكلب؟". ارتبكت في البدء، غير قادرة على رؤية أي علاقة ممكنة بين موت زوج تشاريتي وبين كلب عائلة كامبر. ثم فهمت. توضَّح كل شيء من حيث ذراع ريد تيمينز اليسرى المشوَّهة بشكل رهيب، وقالت بنبرة أعلى وأكثر حدّة، *"الكلب؟"*.

قبل أن تتمكن تشاريتي من الرد - لو كانت تنوي ذلك - سُمعت أصوات ابتهاج في الفناء الخارجي: صوت جيم جونيور العالي والهادئ، ثم صوت بْرَتّ المنخفض والمستمتع، ردّاً عليه. وتغيَّر وجه تشاريتي الآن. أصبح مكروباً. أصبح وجهاً تتذكَّره هولي جيداً وتكرهه كثيراً، تعبيراً يجعل كل الوجوه متماثلة - تعبيراً شعَرت به ما يكفي من مرات على وجهها في تلك الأيام الخوالي.

"الفتى"، قالت تشاريتي. "بْرَتّ. هولي... كيف سأُخبر بْرَتّ أن أباه تُوفِّي؟".

لم يكن لدى هولي أي جواب لها. لم يكن بوسعها سوى التحديق بعجز في أختها والتمنّي لو لم يأتيا لزيارتها أبداً.

"كلب مسعور يقتل 4 في عهد إرهاب غريب امتدّ لثلاثة أيام"، قال العنوان في طبعة صحيفة إيفنينغ إكسبرس المسائية في بورتلاند. وقال العنوان الفرعي: "ناجية وحيدة في مستشفى كمبرلاند الشمالي تحت حماية الشرطة". وقال عنوان صحيفة برس هيرالد في اليوم التالي: "صرَّح الأب عن كفاح الزوجة المرير لإنقاذ إبنهما". ثم نُفيت القصة إلى أسفل الصفحة الأولى في ذلك المساء: "السيدة ترنتون تتجاوب مع علاج داء الكَلَب، يقول الطبيب". وفي شريط جانبي: "لم يتلق الكلب

أي لقاح، قالت الطبيبة البيطرية المحلية". وبعد ثلاثة أيام على الحادث، أصبحت القصة في الداخل، على الصفحة الرابعة: "وزارة الصحة تلقي اللوم على ثعلب أو راكون مسعور لهيجان كلب كاسل روك". ونقلت قصة أخيرة في ذلك الأسبوع خبر أنه ليست لدى فيكتور ترنتون أي نيّة في مقاضاة الأفراد الناجين من عائلة كامبر، الذين قيل إنهم في "صدمة عميقة". كانت هذه المعلومة ناقصة، لكنها زوّدت حجّة يمكن على أساسها إعادة صياغة الحكاية بأكملها. فبعد أسبوع، نشرت الصفحة الأولى لصحيفة الأحد قصةً عما حصل. وبعد أسبوع من ذلك، نشرت صحيفة وطنية من الصحافة الصفراء موجزاً متحمِّساً عما حصل عنوانه: "معركة مأساوية في ماين حيث قاتلت أمٌّ كلباً من فصيلة السانت برنارد". وانتهت تغطية الحدث عند هذا الحد.

عمَّ خوفٌ من داء الكَلَب في ماين ذلك الخريف. وردَّ خبيرٌ ذلك إلى "الإشاعات والحادث المروِّع لكن المنعزل في كاسل روك".

بقيت دونا ترنتون في المستشفى لحوالي أربعة أسابيع. وأنهت دورة علاجها من عضّات الكلب المسعور بمقدار كبير من الألم لكن دون مشاكل خطيرة، لكن بسبب الخطورة المحتملة للمرض - وبسبب كآبتها الذهنية العميقة - أُخضعت لمراقبة شديدة.

في أواخر أغسطس، أعادها ڤيك إلى المنزل.

أمضيا يوماً هادئاً وماطراً حول المنزل. وأثناء مشاهدتهما التلفزيون في ذلك المساء، لم يكونا يشاهدانه حقاً، سألته دونا عن آد ووركس.

"كل شيء بخير هناك"، قال. "أنهى روجر الإعلان الأخير لأستاذ

الحبوب بمفرده... بمساعدة روب مارتن، بالطبع. ونجهِّز الآن حملة إعلانية كبيرة جديدة لكامل منتجات شارپ". نصف كذبة؛ كان روجر معنياً. بينما ڤيك يذهب ثلاثة أو أربعة أيام في الأسبوع أحياناً، ويمضي وقته إما في دفع قلمه على المكتب أو النظر إلى آلته الكاتبة. "لكن جماعة شارپ يقظين جداً لضمان عدم تجاوز ما نفعله لفترة السنتين التي ينصّ عليها عقدنا. كان روجر محقاً. سيتخلّون عنا. لكن وقتها لن يعود ذلك مؤثراً علينا".

"جيد"، قالت. كانت تمرّ عليها فترات مشرقة الآن، فترات تبدو فيها على طبيعتها القديمة إلى حد بعيد، لكنها كانت تبقى فاترة الهمّة معظم الأوقات. خسِرت عشرة كيلوغرامات من وزنها وبدت هزيلة. ولم تكن بشرتها جيدة جداً. وأصبحت أظافرها متعرّجة.

نظَرَت إلى التلفزيون لبعض الوقت ثم استدارت نحوه. كانت تبكي.

"دونا"، قال. "آه يا عزيزتي". وَضَع يدَيه حولها واحتضنها. كانت ناعمة لكن صلبة بين يدَيه. وأمكنه الشعور بزوايا عظامها في أماكن عديدة من خلال تلك النعومة.

"هل يمكننا أن نعيش هنا؟"، تمكّنت من أن تقول بصوتٍ غير هادئ. "ڤيك، هل يمكننا أن نعيش هنا؟".

"لا أعرف"، قال. "أعتقد أن علينا إعطاء أنفسنا فرصة".

"ربما يجب أن أسأل إن كنتَ تستطيع مواصلة العيش معي. سأتفهّم إن قلتَ لا. سأتفهّم تماماً".

"لا أريد أي شيء آخر سوى العيش معك. أعتقد أنني كنتُ

أعرف هذا منذ البداية. ربما مرَّت ساعة – مباشرة بعد أن تلقيتُ رسالة كيمب – لم أكن أعرف فيها. لكن تلك كانت المرة الوحيدة. دونا، أحبك. لطالما أحببتُك".

وَضَعت يدَيها الآن حوله وعانَقته بقوة. هطلَ مطر صيفي هادئ على النوافذ وأحدثَ ظلالاً رماديةً وسوداء على الأرض.

"لم أتمكن من إنقاذه"، قالت. "هذا ما يُقلق بالي باستمرار. لا يمكنني التخلّص منه. أستعرضه مرة تلو الأخرى تلو الأخرى. لو أنني ركضتُ نحو الشرفة في وقت أبكر... أو أمسكتُ مضرب البيسبول...". بلَعت رقيها. "وعندما تجرّأتُ أخيراً على الخروج إلى هناك، كان كل شيء انتهى... كان قد تُوفِّيَ".

كان يمكنه أن يذكِّرها بأنها كانت مهتمّة طوال الوقت بحالة تاد أكثر من اهتمامها بحالتها الشخصية. بأن سبب عدم توجّهها نحو الباب هو احتمال ما قد يحصل لتاد إذا أمسك بها الكلب قبل أن تصل إلى الداخل. كان يمكنه أن يُخبرها أن الحصار ربما أضعفَ الكلب بقدر ما أضعفها هي، ولو حاوَلت استخدام مضرب البيسبول على كوجو قبل ذلك، لكانت النتيجة مختلفة بشكل رهيب؛ وحتى عندما استخدمت المضرب، كاد الكلب يقتلها. لكنه فهِم أن انتباهها قد لُفتَ إلى هذه النقاط مراراً وتكراراً، من قِبله ومن قِبل الآخرين، وأن كل المنطق في العالم لا يستطيع أن يَصدّ ألم النظر إلى كدسة كتب التلوين الصامتة تلك، أو رؤية الأرجوحة، الفارغة والساكنة عند أسفل قوسها، في الفناء الخارجي. لا يستطيع المنطق أن يَصدّ إحساسها الفظيع بالفشل الشخصي. فقط الوقت يستطيع أن يفعل تلك الأشياء، ولن يكون الوقت بارعاً في عمله ذلك.

قال، "لم أتمكن من إنقاذه أيضاً".

"أنت –"

"كنتُ أكيداً أنه كيمب. ولو أنني ذهبتُ إلى هناك سابقاً، لو أنني لم أنم، حتى ولو أنني لم أتكلم مع روجر على الهاتف".

"لا"، قالت بلطف. "لا تقل هذا".

"عليَّ أن أقوله. أظن أن علينا تقبّل الواقع. هذا ما يفعله الناس، أليس كذلك؟ يتقبّلون الواقع. ويحاولون مساعدة بعضهم البعض".

"أشعر به دائماً... في كل مكان... خلف كل زاوية".

"نعم. وأنا أيضاً".

كان وروجر قد أخذا كل ألعاب تاد إلى جمعية خيرية منذ أسبوعين. وعندما انتهيا، عادا إلى هنا وتناولا بعض شراب الشعير أمام ملعب البيسبول، دون أن يتكلّما كثيراً. وعندما عاد روجر إلى منزله، صعد ڤيك إلى الطابق العلوي وجلس على السرير في غرفة تاد وبكى إلى أن بدا له أن البكاء سيمزّق كل أحشائه. بكى وأراد أن يموت، لكنه لم يمت، وعاد إلى العمل في اليوم التالي.

"أعدّي لنا بعض القهوة"، قال، وصفَعها بخفة على ردفها. "سأُشعل ناراً. الجو قارس هنا".

"حسناً". ونهضت. "ڤيك؟".

"ماذا؟".

تنحنحت. "أحبك أيضاً".

"شكراً"، قال. "أعتقد أنني كنتُ بحاجة إلى هذا".

ابتسمت بفتور وذهَبت لتُعدّ القهوة. ومرَّ المساء، رغم أن تاد كان لا يزال ميتاً. ومرَّ اليوم التالي أيضاً. والتالي. لم يكن الحال أفضل بكثير في نهاية أغسطس، ولا في سبتمبر، لكن حين اصفرّت أوراق الأشجار وبدأت تتساقط، أصبح الحال أفضل قليلاً. قليلاً فقط.

كانت متوتّرة وتحاول عدم إظهار ذلك.

عندما عاد بْرَتّ من الحظيرة، ونفَضَ الثلج عن حذائه، ودخلَ من باب المطبخ، كانت تجلس إلى طاولة المطبخ تشرب كوباً من الشاي. نظَرَ إليها للحظة فقط. لقد خسِر بعض الوزن وزاد طوله في الأشهر الستة الأخيرة. وهذا جعله يبدو فارع الطول، في حين أنه كان يبدو دائماً مضغوطاً ومع ذلك رشيقاً. لم تكن علاماته في الفصل المدرسي الأول جيدة جداً، ووقع في مشكلة مرتين – مشاجرة في فناء المدرسة مرتين، على الأرجح حول ما حصل ذلك الصيف الفائت. لكن علاماته في الفصل الثاني كانت أفضل بكثير.

"ماما؟ ماما؟ هل –"

"أحضَره ألڤا"، قالت. ووضعت كوب الشاي على الطاولة بعناية. "لا شيء يُجبرك على الاحتفاظ به".

"هل تلقى لقاحاته؟"، سأل بْرَتّ، وانكسر قلبها قليلاً من أن هذا هو سؤاله الأول.

"في الواقع، نعم"، قالت. "حاوَل ألڤا تمرير هذا عليَّ، لكنني أجبرته على أن يُريني الفاتورة. تسعة دولارات. ضد حمى الكلاب وداء الكَلَب. هناك أيضاً أنبوب مرهم ضد القرادة وعُث الأذن. إذا كنت لا تريده، سيعيد لي ألڤا دولاراتي التسعة".

أصبح المال مهماً لهما. لم تكن أكيدة تماماً إن كانا سيقدران على الاحتفاظ بالمكان، أو حتى إن كان عليهما محاولة الاحتفاظ به. ناقشت الأمر مع بْرَتّ، وكانت صريحة معه. كانت هناك بوليصة تأمين على الحياة بمبلغ صغير. شرح لها السيد شُوبر في مصرف كاسكو في بريدغتون أنها إذا وضعت المال في حساب وصاية خاص، زائد مال القرعة فسيؤمِّن ذلك كل دفعات الرهن غير المدفوعة للسنوات الخمسة القادمة تقريباً. وقد حصلت على وظيفة جيدة في قسم التوضيب والفوترة في المصنع الحقيقي الوحيد في كاسل روك، ترايس أوبتيكال. كما أن بيع معدات جو - بما في ذلك الرافعة الجديدة - أعطاهما ثلاثة آلاف دولار إضافية. كان *ممكناً* لهما الاحتفاظ بالمكان، مثلما شرَحت لبْرَتّ، لكن المهمة صعبة. والبديل هو شقة في البلدة. بقي بْرَتّ يفكّر في قراره طوال الليل، وتبيَّن أن ما أراده كان ما أرادته هي أيضاً - الاحتفاظ بالمنزل. لذا بقيا فيه.

"ما إسمه؟"، سأل بْرَتّ.

"ليس لديه إسم. لقد فُطِم للتو".

"هل هو من سلالةٍ؟".

"نعم"، قالت، ثم ضحِكت. "إنه من فصيلة مهجَّنة. يوجد سبعة وخمسون صنفاً منها بالتحديد".

ابتسم بدوره ابتسامة متكلّفة. لكن تشاريتي اعتبرت ذلك أفضل من عدم ابتسامه أبداً.

"هل يمكنه أن يدخل؟ لقد بدأ الثلج يتساقط مرة أخرى".

"يمكنه الدخول إذا وَضَعت بعض الصحف على الأرض. وإذا

بوَّل هنا أو هناك، عليك أن تنظّف وراءه".

"حسناً". فتَح الباب ليخرج.

"ماذا تريد أن تسمّيه يا بْرَتّ؟".

"لا أعرف"، قال بْرَتّ. وصمت لفترة طويلة. "لا أعرف بعد. سأفكّر بالأمر".

تولَّد لديها انطباع أنه يبكي، وقمعت رغبتها باللحاق به. بالإضافة إلى ذلك، كان مديراً ظهره لها ولا يمكنها أن تكون أكيدة. لقد بدأ يكبُر ويصبح شاباً، وبقدر ما تؤلمها معرفة ذلك، إلا أنها فهمت أن الشباب لا يريدون في أغلب الأحيان أن تعرف أمهاتهم أنهم يبكون.

خرج وأدخَل الكلب، محتضِناً إياه في يدَيه. بقي بلا إسم حتى الربيع التالي، عندما بدأا يناديانه ويلي بدون أي سبب واضح ومحدَّد. كان كلباً صغيراً حيوياً وذا شعر قصير، تِرْير في الأغلب. بدا بطريقة أو بأخرى أنه ويلي ببساطة. فلازمه هذا الإسم.

في وقت متأخر كثيراً من ذلك الربيع، نالت تشاريتي زيادة صغيرة على الراتب. فبدأت تدّخر عشرة دولارات في الأسبوع. تحضيراً لدخول بْرَتّ إلى الكلية.

بعد وقت قصير من تلك الأحداث المميتة في فناء كامبر، أُحرقَت بقايا جثة كوجو. ورُمي الرماد مع النفايات وأُرسل إلى مصنع معالجة النفايات في أوغستا. ربما لن يكون من الخطأ الإشارة إلى أنه حاوَل دائماً أن يكون كلباً مطيعاً. حاوَل القيام بكل الأشياء التي طلبها منه

أو توقّعها منه الرجل وامرأته، وبالأخص الفتى. كان مستعداً أن يموت من أجلهم، لو احتاج الأمر منه ذلك. ولم يرغب أبداً أن يقتل أي شخص. لقد أصابه شيء، ربما برقٌ، أو شعوذةٌ، أو مجرد مرض تنكّسي يدعى داء الكَلَب. لم يكن هذا القرار قراره.

الكهف الصغير الذي طارَد كوجو الأرنب إليه لم يُكتشَف أبداً. في نهاية المطاف، ولأسباب غامضة قد تكون لدى المخلوقات الصغيرة، انتقَلت الوطاويط إلى مكان آخر. لم يتمكن الأرنب من الخروج ومات متضوِّراً جوعاً بشكل بطيء وبائس وصامت. وعلى حد علمي، لا تزال عظامه هناك مع عظام تلك الحيوانات الصغيرة المنحوسة كفاية لكي تسقط في ذلك المكان قبله.

إنني أخبركم لكي تعرفوا،
إنني أخبركم لكي تعرفوا،
إنني أخبركم لكي تعرفوا،
ذهب العجوز بلُو إلى حيث تذهب الكلاب المطيعة.

– أغنية شعبية

سبتمبر 1977 – مارس 1981

مكتبة
t.me/soramnqraa

telegram @soramnqraa

في يوم من الأيام، منذ وقت ليس ببعيد، أتى وحش إلى بلدة كاسل روك الصغيرة في ماين.

كان كوجو كلباً ضخماً ودوداً محباً مخلصاً لعائلته (الرجل والمرأة والطفل) وجميع مَن حوله، ويبذل قصارى جهده دائماً حتى لا يكون كلباً سيئاً. لكن كل ذلك سينتهي في اليوم الذي يُخطئ فيه هذا الكلب من فصيلة السانت برنارد ذو التسعين كيلوغراماً ويطارد أرنباً إلى كهف سري تحت الأرض، مما يؤدي إلى سلسلة أحداث مأساوية. لم يعد كوجو على طبيعته الآن، وبدأ المرض يتغلب عليه ببطء، ويستهلك عقله حتى تحوّلت أفكاره إلى الكراهية والقتل دون أي رادع. كوجو على وشك أن يصبح مركز دوّامة مرعبة ستجذب إليها كل مَن حوله بشكل لا يمكن تجنبه – عهدٌ لا هوادة فيه من الإرهاب والغضب والجنون لن يكون أي شخص في كاسل روك بمنأى عنه حقاً...

«تصيبك في الصميم... أكثر روايات كينغ إثارة للرعب والقلق حتى الآن»

– نيويورك تايمز

«رواية لاذعة ذات إيقاع قوي من الرعب والتشويق»

– بابليشرز ويكلي

«نصيحة: اقرأها في منزلك مع إضاءة جميع الأضواء، وخلف أبواب موصدة، وبعدما تحتمي بأمان سريرك»

– دنفر بوست

ألَف **ستيفن كينغ** أكثر من خمسين كتاباً، نالت كلها مرتبة الأكثر مبيعاً في جميع أنحاء العالم. وأعماله الأخيرة تتضمن مجموعة القصص القصيرة The Bazaar of Bad Dreams وFinders Keepers وRevival وMr. Mercedes (نالت جائزة إدغار لأفضل رواية) وDoctor Sleep وUnder the Dome. صُنِّفت روايته 11/22/63 – وهي الآن مسلسل تلفزيوني على محطة هولو – من بين أفضل عشرة كتب للعام 2011 على قائمة New York Times Book Review، وفازت بجائزة كتاب لوس أنجلوس في فئة كتب التشويق والإثارة. نال ستيفن كينغ ميدالية الفن الوطني للعام 2014 وميدالية مؤسسة الكتاب الوطنية للعام 2003 على مساهمته المتميِّزة في الأدب الأميركي. يعيش في بانغور، ماين مع زوجته الكاتبة تابيثا كينغ.

الدار العربية للعلوم ناشرون
Arab Scientific Publishers, Inc.
www.asp.com.lb - www.aspbooks.com

جميع كتبنا متوفرة على الإنترنت في مكتبة نيل وفرات.كوم
www.nwf.com